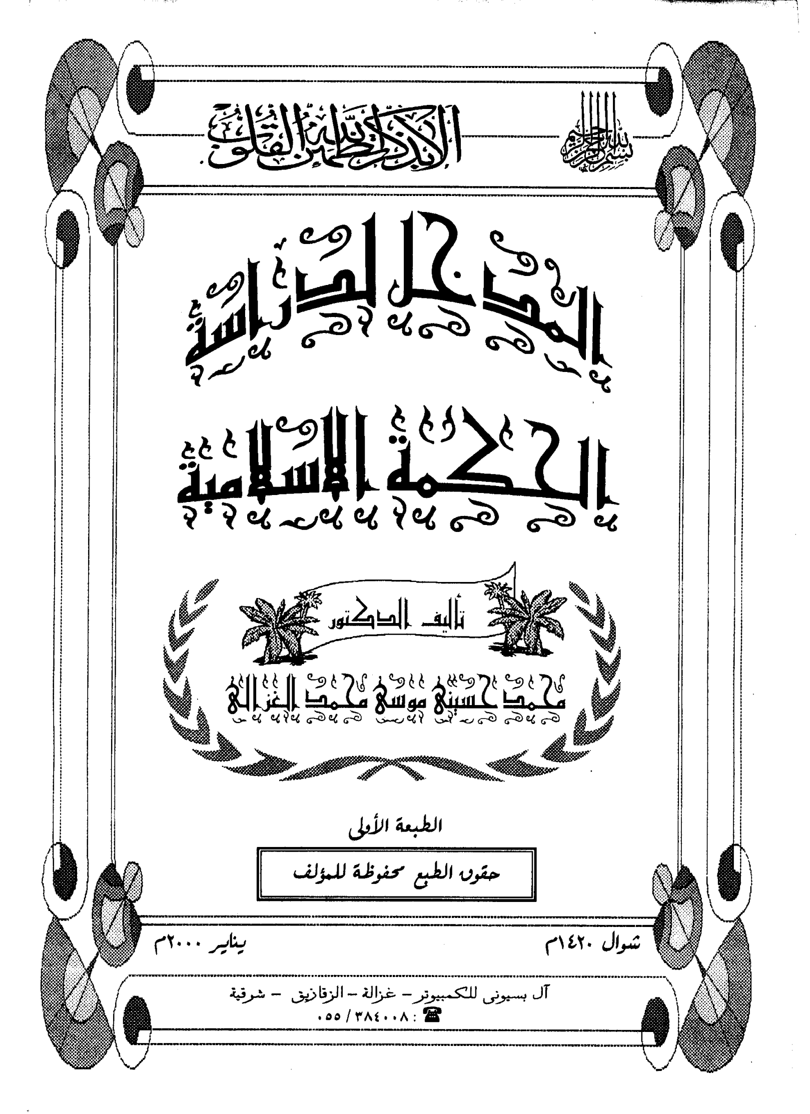

بسم الله الرحمن الرحيم
ألا بذكر الله تطمئن القلوب
المدخل لدراسة
الحكمة الإسلامية
تأليف الدكتور
محمد حسيني موسى محمد الغزالي
الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
شوال ١٤٢٠م
يناير ٢٠٠٠م
آل بسيوني للكمبيوتر – غزالة – الزقازيق – شرقية
☎: ٠٥٥/٣٨٤٠٠٨



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى.....

- العالم الذكى اللماح
- المحدث الوفى المفصاح
- للخير قائم بمواهب الفتاح

شيخى وشيخ شيوخ لى

الأستاذ الدكتور

موسى شاهين لاشين

شيخ المحدثين

ونائب رئيس جامعة الأزهر الأسبق

تحية قلب ورسالة حب

تلميذكم الدكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى

٢٨-١٢-١٩٥١م

ساقط من اصل المصدر

ساقط من اصل المصور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الصاحبة والشبيه والشريك والولد ، قال تعالى ﴿" قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "﴾[١] ، فوصف الله بالواحد له معان ثلاثة كلها صحيحة فى حقه تعالى ، الأول : أنه واحد لا ثانى له ، فهو نفى للعدد ، والثانى أنه واحد لا نظير ولاشريك له ، والثالث : أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض[٢] فسبحانه وتعالى .

وأشهد أن لا إله الا الله الكبير المتعال . قال تعالى ﴿" الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار "﴾[٣] ، وهو جل علاه الواحد الغفار .

واشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله ، وصفيه وخليله ، منحه الله الرسالة ، وجعله خاتما للنبوات والرسالات ، وأعطاه الله الكوثر فكان مما اعطى فعن أنس بن مالك ﷺ قال . قال رسول الله ﷺ :" أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : هو نهر وَعَدَنِيه ربى عز وجل ، فيه خير كثير ، هو حوض تَرِدُ عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد – أى ينتزع ويقتطع – منهم ، فأقول أنه من أمتى ، فيقال : أنك لا تدرى ما احدث بعدك[٤] .

وفى الحديث الصحيح أيضا : أن الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ،

---

(١) سورة الإخلاص .

(٢) انظر التسهيل فى علوم التنزيل جـ٤ ص٢٢٣ ، وكذلك البحر المحيط جـ٨ ص٥٢٧ .

(٣) سورة الرعد الآيات ٨/١٠ .

(٤) أخرجه الإمام مسلم والإمام الترمذى ، وراجع البحر المحيط جـ٨ ص٥١٩ .

وابيض من الثلج ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا[١] ، وهو من أنعم الله التى تبقى أمدا ، وفيها الخير رغدا ، ولا يحصيها أحد عددا.

اللهم صلى وبارك عليه ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، وأتباعه أهل العلم والعرفان بالله رب العالمين ، وارحم اللهم شيوخنا علماء المسلمين ، ووالدينا وذرارينا وأهلينا ونحن معهم ولا تردنا محرومين ، ولا خزايا أو مطرودين فانك أنت الله الواحد أرحم الراحمين .

أما بعد

فقد اعتاد دارسو العلوم – نظرية أو تطبيقية – أن يقدموا للمباحث الفنية الدقيقة التى يريدون الدخول اليها بمقدمات يرونها ضرورية ، ويرون التغاضى عنها أو إهمالها مخالفة منهجية ، والغرض من المقدمات هو تهيئة الذهن لها ، بحيث تعين على الوصول اليها ، كوسائل تمهيدية للغايات المقصودة .

وعرفت تلك المقدمات لدى الباحثين باسم المبادى[٢] ، أعنى الأوليات ، أو المقدمات ، وسميت بها لأنها التى تبدو أول الأول ، أو أنها التى يتم أول الأمر بها ، كما انهم أطلقوا على النتائج التى تلى المقدمات ، وصفا حتى عرفت باسم الغايات ، وذلك أقرب إلى الاتفاق الوضعى بين الدارسين من غيره .

غير أن هذا المنهج يجرى فى العلوم العقلية أيضا، كما يجرى فى العلوم النظرية ، ومن العلوم العقلية المنطق والفلسفة والميتافيزيقا[٣] ، وما كان من هذا

---

(١) سنن الإمام الترمذى ، والبحر المحيط جـ٨ ص٥١٩ .

(٢) المبادى غير المبادئ ، لأن الثانية معناها القواعد الأولية ، التى تم الاتفاق عليها ، واعتبارها قواعد أوليه ، أما الأولى فهى تبدو ضرورية فى أول الدراسة ، والفرق بينهما ظاهر لمن تأمله – راجع الرسالة الشمسية للقزوينى ، وكتابنا الغزاليات فى منطق التصديقات ص١٧ وما بعدها .

(٣) الفرق بين الفلسفة والميتافيزيقا – من وجهة نظرى –أن الثانية أخص لأنها تختص بمباحث الإلهيات فقط ، وقد أشرت إلى ذلك فى كتابى – رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق .

القبيل ، وعرف باسم المعقولات الذهنية ، أو المعلومات الواقعية ، أو جمع بين الذهنيات والواقعيات برباط معين على ناحية مخصوصة ، ويجرى فيها كمنهج لا غنى عنه .

والبحث فى الفلسفة الإسلامية – باعتبارها " المقالة المحكمة المصحوبة بالدليل " الموضح للحق المزيل للشبهة ، هى الحجة القطعية ، والكلام الصواب الواقع من النفس أجمل موقع ، مع الإصابة بالعلم والعقل ، ومعرفة الموجودات ، وفعل الخيرات[1] ، على النحو الذى يرضى الله تعالى – كالبحث فى غيرها من العلوم العقلية ، يقوم على قواعد ثابتة ومنهج متميز ، ونتائج تستنبط من المقدمات على ناحية الضروره أو النظر ، ولا بد له من مقدمات تعتبر ضرورية له .

مبادئ الحكمة الإسلامية

وتقوم الفلسفة الإسلامية على مباد هى المدخل لذلك النوع من الدراسة ويقع فى :-

[أ] **التعريف بها ، وبيان المعانى الواردة فى اللغة حولها ، والألفاظ المحتملة للمعنى** كالحكمة ، والاتجاهات التى تبحث ذلك الجانب على ناحية القبول أو الرفض ، لأنه متى عرفت معانى الفلسفة الإسلامية أمكن الوقوف على الأدلة التى تكشف عن كونها فلسفة إسلامية خالصة من غيره ، كما أمكن الوقوف على أقواها فى الدلالة عليها ، وأوثقها من ناحية الاستدلال الذى يتوافق فى مضمونه مع النقل المنزل[2] .

لأنه إذا لم تتوافق تعريفات الفلسفة الإسلامية التى هى الحكمة الإسلامية ، مع مفاهيم النصوص الشرعية ، فإنها تعتبر تعريفات فاسدة أو فلسفة فاسدة ، ولا تصح نسبتها إلى الإسلام بحال من الأحوال ، وفى نفس

---

(١) الدكتور محمد متولى إدريس – تفسير سورة النحل ص٦٦٢ – دكتوراه بأصول القاهرة – مخطوطة بقسم التفسير .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٦٧ .

الوقت فانه لا يمكن إطلاق وصف إسلامية عليها[١] ، وكذلك ما يتعلق بالموضوعات التى تتناولها ، والغايات التى تنتهى اليها ، مع الأخذ بعينى الاعتبار الأهداف التى تدعو اليها .

[ب] **فائدة دراسة الفلسفة الإسلامية** باعتبارها طريقا من أقوى طرق الاستدلال على وجود الله تعالى وتوحيده ، وبيان أوجه التنزيهات وعرض العقيدة الإسلامية الصحيحة ، مع دفع الشبه الواردة عليها ، ورد اتجاهات الملاحدة حولها ، وإثبات بطلان التعدد فى الآلهة ، وبيان فساد أقوال وعقول منكرى وجود الله تعالى ، إلى غير ذلك من الفوائد المرتبطة بالفلسفة الإسلامية ، أو تقوم عليها ، وتدفع المفكر المسلم اليها ، وتحثه على التفكير المستمر فيها ، مع حثه على التمكن منها[٢] بأقصى ما فى وسعه ، وأعلى ما لديه من إمكانيات .

[جـ] **تسميات الفلسفة الإسلامية** التى توافق عليها المفكرون المسلمون من أول عهدها[٣] ، والأخرى التى أطلقها غير المسلمين ، وبيان التسمية المقبولة على الناحية الشرعية ، مع إعادة النظر فى التسميات ، التى حصرها أصحابها فى معان ضيقة ، ومفاهيم لا تفى بالغرض من التسمية ، متى كان ذلك متعلقا بالفلسفة الإسلامية ، أو اتساع المفاهيم ، إذا كانت التسمية متعلقة بغير الفلسفة الإسلامية ، حتى يظهروها بالمظهر الضيق الذى يدعو إلى التخلى عنها .

---

(١) راجع كتابنا : خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة - الطبعة الرابعة ص١٩٥ .

(٢) ولو لم تكن للفلسفة الإسلامية إلا ما ذكرناه لكانت متميزة عن غيرها ، وكانت جديرة بدراستها على الناحية الشرعية ، باعتبار أن ما يوصل إلى الأمر الشرعى ، فهو أيضا شرعى ، كما أن ما يوصل إلى الواجب ، فهو الأخر واجب - راجع للعلامة جلال الدين السيوطى - الأشباه والنظائر فى فروع فقه الشافعية ص٣٧٥ .

(٣) سميت بالحكمة فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولغة العرب وذلك ما تعرضنا له أثناء حديثنا عن تسمياتها فى الفصل الخاص بالتسمية من هذا الكتاب .

مع أن ذلك غير مقبول من جانبنا نحن المفكرين المسلمين ، لأن مادة – ح ك م – وردت فى القرآن الكريم[١] ، حوالى عشرين ومائتى مرة ٢٢٠ مرة[٢] ، على كافة الجوانب التى تأتى فيها الكلمة من حيث الاعتبارات اللغوية نحوا أو صرفا أو بلاغة وفقها ، إلى غير ذلك من الجوانب .

[د] **بيان أصالة الفلسفة الإسلامية واستقلالها عن غيرها** ، والتزامها بالنقل المنزل ، وكونها غير تابعة للفكر اليونانى ، ولا قائمة على الأفكار الأخرى الغير إسلامية ، إنما هى قائمة على النقل المنزل المعصوم فى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، حسب فهم المفكر المسلم نفسه لها ، باعتبار المنهج الذى يقوم عليه والموضوعات التى يعالجها ، أو يتعرض لها ، والأسس التى ينطلق منها .

وبهذا يظهر فضل التفكير الإسلامى على الإنسانية جمعا ، وتفاضله عليه فى كافة النواحى ، وهو ما لم يعترف به مؤرخو الفلسفة من الغربيين والمستشرقين المتعصبين[٣] ، الذين جحدوا فى الفكر الإسلامى كل طرافة وإبداع .. وحاولوا بمنهج مقارن صنعته أهواؤهم أن يبينوا التطابق التام بين ما يسمى فلسفة إسلامية ، والفلسفة اليونانية القديمة ، وحاولوا أن يردوا الأولى إلى الثانية ، مع تفصيلات جزئية فى منهج العرض والتنظيم والتنسيق[٤] ، وهو ما لم يسلم لهم ، بل العكس هو الصواب ، لأن عوامل نشأة الحكمة الإسلامية أكثر وضوحا من أن تلصق بالفكر غير الإسلامى .

---

(١) وردت فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية كلمة الحكمة دالة على رجاحة العقل ، مع وضع الشيء فى موضعه ، فيما يتعلق بغير الأنبياء ، وسوف نعرض لبيانها ان شاء الله تعالى فى موضوعه من هذا الكتاب .

(٢) الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب الحاء ص٢١٢/٢١٥ ، وقد تكفل بإحصائها ، وبيان السور والآيات القرآنية الموجودة بها ، فله منى الشكر ، ومن الله تعالى الأجر .

(٣) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص١٣ .

(٤) الدكتور على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٤٦ ط دار المعارف .

ولا شك أن تلك المبادى متى أمكن الوقوف عليها بشيء من الحيدة والموضوعية ، فان النتائج ستكون لصالح البحث العلمى المنهجى ، بحيث تزيده ثراء ، وتفيض عليه الكثير من الرواء[١] ، كالحال مع فلاسفة المسلمين ، ومنهم الكندى ، والفارابى ، وابن سينا فى المشرق ، وابن باجه ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وابن مسكويه ، فى المغرب الإسلامى ،

ولا شك أنهم من الذين عرفوا طريقهم إلى التفلسف الصحيح ، وكانوا أصحاب أصالة فكرية ، ولم يتبعوا اليونانيين فى أصول فكرهم[٢] ، بل كانوا مستقلين عنهم تماما ، وفى ذات الوقت فإن الجدة فى أبحاثهم قائمة ، والأصالة فى استنتاجاتهم تعلن عن نفسها ، وتشهد بها مؤلفاتهم ، وهى فى كل الحالات فلسفة إسلامية تكونت فى ظل الدين الإسلامى ، وحماية النقل المنزل وكأثر من أثاره[٣] .

أما إذا درست الفلسفة الإسلامية بشيء من العجلة ، أو التعصب ، أو عمل الدارس على إسقاط بعض الأدلة من حساباته عند الحكم عليها ، كما يفعل المستشرقون المجحفون فان النتائج السلبية هى التى ستفرض نفسها ، ، ولا يكون ذلك أمرا مقبولا على الناحية الموضوعية أبدا ، بل سينتهى إلى ضيق الأفق[٤] ، الذى يعقبه السطو على القيم الأصيلة والأخلاق الكريمة ،

وقد حاول البعض إلصاق التهم الكفرية ببعض المسلمين ، لمجرد الاختلاف فى وجهات النظر ، أو عدم التمكن من اقتناص النتائج حتى لو اقتضى ذلك

---

(١) راجع كتابنا – التطور البيولوجى بين العقل والنقل ص١٧ .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود – مقالات فى أصالة المفكر المسلم ص٦٥ – ط دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٩م

(٣) الأستاذ الشيخ مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص٢٠ .

(٤) راجع الإمام الغزالى – الاقتصاد فى الاعتقاد – أغلاط المتناولين للمسائل ص١٦ ، وراجع كتابنا حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد ص٣٨ وما بعدها .

تلفيق الاتهامات للأبرياء[١] ، وكان ذلك من علامات ضيق الفهم ، وعدم القدرة على تفهم مواقف الطرف الأخر ، فى ذات المعسكر الواحد الذى ينتمى اليه الطرفان .

بيد أننا فى هذا المدخل الذى نعتبره بمثابة المقدمات العامة للبحث فى الحكمة الإسلامية سنحاول معالجة كل مسألة على حدة ، ومراجعة أدلة كل واحدة على سبيل الاستقلال ، مع الالتفات إلى التمسك بما تغلب أدلته غيره ، وترجح عند المقابلة على ما سواه ، والأخذ فى الاعتبار بأن منهج التحليل هو الذى سنقوم عليه هى[٢] ، حتى يتم التلاقى حوله .

لأن المسائل التى ستعرضها هى مجرد أفكار تحتاج العرض والمناقشة على سبيل النقد الهادف البناء ، تركيبا وتحليلا ، والمناسب لذلك هو منهج التحليل والمقارنة ، وسوف نبدأ هذا المدخل بالحديث عن الفصل الأول منه ، وهو تعريف الفلسفة الإسلامية ، وبيان علاقته بالنقل المنزل ، باعتباره من جهود المفكرين المسلمين .

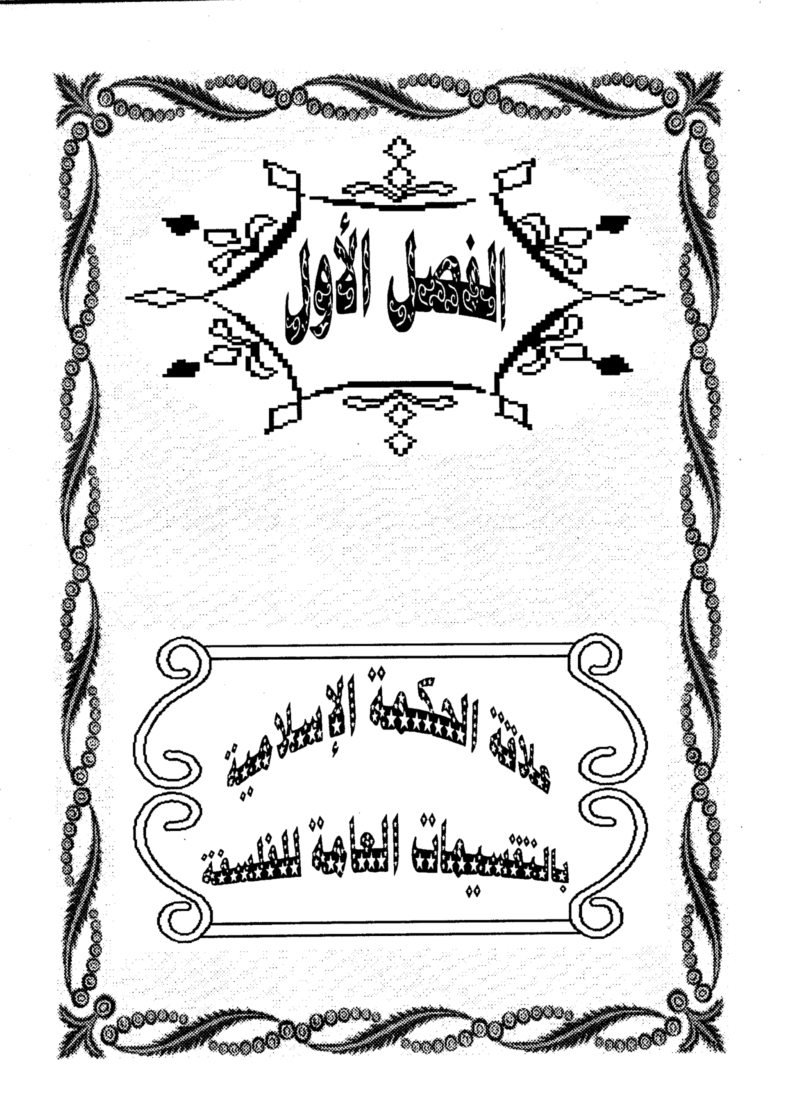
وفى النهاية فان هذا المدخل قد جعلته لدراسة الحكمة الإسلامية ، وآمل أن يوفقنى الله تعالى لبيان الرأى الذى تدعمه النصوص الإسلامية ، وأسأل الله تعالى السلامة فى الدنيا والنجاة فى الآخرة ، أنه نعم المولى ونعم النصير .

دكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
مطالع شهر الله ذى القعدة ١٤٢٠هـ
التاسع من فبراير ٢٠٠٠م

---

(١) راجع فى الفكر الإسلامى كلا من تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى ، وتهافت التهافت للإمام ابن رشد ، ففيها بعض تلك المظاهر المؤسف لها

(٢) لأنه سيقوم على عرض كل مسألة مستقلة ، ثم مناقشتها على الوجوه المحتملة ، وفى النهاية يأتى الحكم .



الفصل الأول

علاقة الحكمة الإسلامية بالتقسيمات العامة للفلسفة

ساقط من اصل المصدر

ساقط من اصل المصدر

تعددت أسماء الفلسفات بتعدد المواقع التى نشأت فيها ، فظهرت أسماء كالفلسفة الشرقية ، والغربية ، وكذلك بتعدد الموضوعات التى تتناولها ، فظهرت أسماء كالفلسفة التأملية والفلسفة النقدية [١] ، أو ان شئت قلت : بأن تعدد الموضوعات يعقبه إطلاق المسميات ، والعكس ، وشاع ذلك المفهوم بين الدارسين الا من شذ عن الاتباع ، أو مال به الأمر فى ذلك ، ومخالفة ما عليه أمر الإجماع ، ومثله لا يعتد برأيه ، ولا يعتب أحد على أمره .

من ثم ظهرت التسميات المتعددة للفلسفات ذاتها ، وكثرت إلى حد يجعل ضبطها أمرا فيه شيء من الصعوبة ، لكنا سنذكر أبرز أسمائها والسمات التى تلاحقت معها ، من حيث الموضوع والتسمية ، وربما المناهج المستخدمة والنتائج التى تعقبها ، بعد ذكر أبرز التقسيمات العامة لها[٢] ، وذلك على النحو التالى :-

التقسيم الأول : باعتبار العصر الذى ظهرت فيه

قسم دارسو الفلسفة البحث فى هذا المفهوم - أعنى باعتبار العصر الذى ظهرت فيه - إلى تقسيمات باعتبارات قائمة عندهم نذكر منها :-

[أ] فلسفة ما قبل الفلسفة[٣]

ويعنون به الفكر المتميز عن الفكر الكسول ، الذى يحاول تفسير مظاهر الحياة ، دون أن تخرج تلك الأفكار عن رؤس أصحابها ، وإنما تمثل وجهات نظر لأصحابها فقط ، لا يمكن الوصول اليها ، أو التعرف عليها ، فضلا عن اعتبارها

---

(١) الأولى تتعلق بالجوانب الروحية ، والثانية تتعلق بالجوانب المادية .

(٢) راجع كتابنا - قيمة الصراع بين الفلسفة وعلم الكلام ص١٧٩ .

(٣) هـ- فرانكفورت وآخرين - فلسفة ما قبل الفلسفة - ترجمة إبراهيم جبر - منشورات بغداد .

قاعدة عامة ، أو قانونا كليا ، ويسمى هذا الجانب فلسفة ما قبل تقعيد الفلسفة[١] ، كما يعرف باسم عصر ما قبل التفلسف المنظم .

وهو موجود فى كل البلاد التى كانت موجودة على سطح العالم ، ولدى كل الأشخاص الذين منحهم الله العقل والقدرة على استخدامه ، لكن بدرجات مختلفة باعتبار أن التفكير سمة الإنسان العاقل ، وطبيعة له تمايزه عن غيره من مشاركاته أنماط الحياة التى يعيشها[٢] ، وان اختلفت أنواعه من أمة لأخرى ، أو من فرد لآخرين ، فالموضوعات التى تجرى فى مجال التفكير ومظاهرها فى سلوكيات الناس أنفسهم لظل قائمة ، وهى لذلك ترتبط بالجانب المعملى أكثر من الجانب النظرى الخالص .

بيد أن أسباب ذلك النوع من التفلسف ومظاهره لم تكن على وتيرة واحدة ، وإنما كانت مفروضات من قوى خارجية عالية عليه ، اتسمت بالظروف الحالية ، والاحتياجات الآنية ، والمشاكل التى يضطر الفرد إلى البحث عن حلول لها ، أو محاولة فض الاشتباكات المستمرة بينه وبينها ، سواء كانت القوى الخارجية متمثلة فى العوامل الطبيعية كالحرارة والبرودة ، أو الكوارث الطبيعية ، كالزلازل والبراكين ، أو النيازك والشهب بجانب الرعد والبرق ، إلى غير ذلك من العوامل التى ينسبها العقل الطبيعى إلى طبائع الأشياء[٣] .

أو كانت القوى الخارجية من أعداء قريبين منه فيهم القوة الجسدية والغريزة المتوحشة ، كالحيوانات المفترسة ، والضوارى البرية ، والطيور الجارحة ، أو الحيات والعقارب ، وغيرها من الحيوانات الزاحفة ، التى تسبب قلقا لإنسان ذلك العصر ، وتعتبر أصعب المشكلات التى عليه أن يفكر جيدا فى الوصول إلى حلول

---

(١) وقد ألمحت إلى هذا الجانب العديد من الدراسات الفلسفية - راجع : ما قبل الفلسفة اليونانية .

(٢) الدكتور رؤف نصر الله - اتجاهات ما قبل الفلسفة ص٩٧ - ط دار نصر الله ١٩٤١م .

(٣) أ.ب - كلين هوفر - الإنسان القديم ص٢١ - ترجمة صبحى عبدالسميع .

عاجلة لها ، عن طريق تفكيره الشخصى ، وبالوسيلة التى يتمكن منها ، من غير التفات لمعاونة آخرين[١].

ولذا فانه يفكر كيف يحافظ على حياته الذاتية الفردية ، لا حياة الجماعة التى ينتمى اليها ، أو يعيش فيها ، لأن الانتماء للجماعة فى هذه الحال إنما يكون انتماء قائما على العقل الجمعى ، والتسليم لقيادة أكبر تكون بمثابة الرمز الذى ينطوى تحته أفراد الجماعة كلها ، وهى مرحلة متقدمة عن سابقتها التى تغلب عليها البدائية التقليدية ، لا البدائية المتطورة[٢].

بيد أن تلك الفلسفة لم تعرف موطنا محددا تنسب اليه ، بل الطبيعى أنها عاشت فى أفهام الناس كلهم كطبيعة عادية لهم ، فى الشرق والغرب ، فى الشمال والجنوب ، بل فى كل مكان يمكن تصور وجود إنسان عاقل مفكر فيه ، سواء فرضت تلك الظروف الخارجية والداخلية نفسها عليه بذات القدر والحدة ، أو كانت أخف عنده من غيره ، ومن المرجح أن تقسيمات العالم بهذا الشكل الذى نراه فى العصر الحديث لم تكن معروفة ، كما لم تكن هناك حدود فاصلة ، وحواجز مانعة ، وإنما كان الكون كله ملك لمن يعيشون فيه ، من حيث الانتفاع بثرواته ، والاستفادة من كنوزه وموارده[٣] ، بجانب حرية الانتقال ، من غير أن يعرفوا غير ذلك .

وبناء عليه فان دراسة ذلك العصر – ما قبل الفلسفة – مهم جدا لمن يريد التعرف على بدايات التفلسف الحقيقى ، أو يحاول تقديم قواعد ترجع اليها عمليات التفكير المنظم فى العصور المختلفة ، على الناحية التأملية أو النقدية ، أو على الناحية العملية التجريبية ، ومن يهمل ذلك العصر ، أو تلك الفترة ، فانه لا

---

(١) الأستاذ عبدالشكور صبحى عبدالمحسن – اتجاهات العقل القديم ومشكلاته ص١٢٣ ط دار حسان ١٩٢٣م

(٢) أنطوان بلاتس – الفرد والجماعة ص١٩٣ – ترجمة صباح ذكرى .

(٣) الأستاذ يوسف فخرى – تكوين الفرد والجماعة ص٢٢١ .

محالة يكون قد ترك وراء ظهرانيه أمورا لا غنى عنها[1]، بل الحاجة داعيه اليها، وذلك ما أفاضت فيه دراسات عديدة، على الجانب التاريخى، ويمكن الرجوع إلى المصادر التاريخية للتعرف على مظاهر فلسفة ما قبل عصر الفلسفة، ولا يطلب ذلك من الفكر الإغريقى أو غيره، لأن ذلك يمثل رجوعا بالأمور إلى غير قواعدها الطبيعية[2]، أو البناء على غير أرض ثابتة.

من ثم فان عصر فلسفة ما قبل الفلسفة يختلف كثيرا عن غيره من العصور الفلسفية التى تليه، مما يؤكد وجود بعض التميز الفكرى له عن غيره، ومرجع ذلك إلى الظروف العقلية والبيئية، والمشكلات التى كانت تقض مضجع إنسان ذلك العصر، أو تفرض سلطانها عليه، فدفعته إلى محاولة صياغة أفكاره، واستحداث طابع خاص له[3]، يستعمله فى البحث والدرس، ومعالجة القضايا التى فرضت نفسها عليه، بفرض إيجاد حلول واضحة لها.

۞ ونحن نرى ضرورة النظر فى عصر ما قبل الفلسفة على الناحية الفلسفية أيضا، إذ لا يقبل أن يبدأ البحث العقلى من اليونان، أو المصريين القدماء، أو بلاد الهند، أو الصين، أو غيرها مفصلا عن باقى بلاد العالم التى كانت موجودة، أو حتى إطلاق اسم الشرق القديم عليه، لأن الفكر لم يعرف موطنا يرتد اليه كمكان، الا بعد التقسيمات والاصطلاحات التى عرفت فيما بعد[4].

كما أنه من العسير إغفال دور البلدان الأخرى من دائرة الحكم، وفى ذات الوقت فان الأحكام السابقة ركزت على الحضر، وأهملت البدو، مع شيوع القول بأن أهل البداوة أكثر ذكاء من غيرهم، وأن مسائل الحياة تشغلهم كثيرا،

---

(١) الدكتور رؤف نصر الله - اتجاهات ما قبل الفلسفة ص١١٢.

(٢) راجع: الأستاذ أنور الجندى - الإسلام والفلسفات القديمة ص٢١٠.

(٣) راجع كتابنا - رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص١١٧ ط ثالثة.

(٤) أ.ب - جوهار - الاتجاهات الفكرية فى العالم القديم ص٢٢٧ - ترجمة وفاء صادق.

كما أن مساحة التأمل عندهم ترجح كفتهم على من دونهم ، وذلك لصفاء الذهن ، وحدة الظروف البيئية التى تحيط بهم .

ربما يقال : أن الدراسات الفلسفية التى توارثها الناس ، لم تهتم بذلك العصر لعدم وجود قواعد عامة تحكمها ، أو ظهور بذور فكرية منظمة يمكن الرجوع بها اليها[١] ، ولكنا نقول أن ذلك ليس مدعاة لإهمالها ، أو إسقاط دورها الأكيد من الحسبان ، لأن التفكير المنظم لم يصدر الا عن تفكير غير منظم يكون بمثابة الركائز ، التى يطور فيها ، أو يعدل من بعض أمورها ، أو يستعين ببعض نتائجها ، لاستحالة وجود فكر منظم من فراغ ، أو من غير قواعد تقوم عليها[٢] ، متى استبعد أمر الوحى والنبوة والرسالة من المسألة ، لأن النبوة والرسالة ، وأمور الوحى ، هى النقل المنزل ، ولا يمكن إخضاع النقل المنزل الإلهى إلى أحكام العقل البشرى ، وإلا كانت الأمور مقلوبة ، ومثلها لا يؤدى إلى نتائج مقبولة أبدا ، بل الصواب إخضاع أحكام العقل إلى سلطان النقل المنزل ، ففى ذلك حماية للعقل نفسه .

[ب] عصر التفلسف المنظم

ويعنون به مرحلة الفلسفة التى تستند إلى قواعد يمكن التعرف عليها ، والاحتكام إلى ذات القواعد[٣] ، سواء كان ذلك على وجه العموم والإطلاق ، أو جاء على سبيل الخصوص لبعض القضايا ، وبحث البعض الأخر ، أو جعله موضوعا للبحث المعرفى ، أو الحكم عليه باعتبار القيمة التى تلى ذات النتائج وتجرى فيها ، وهو ينقسم إلى :-

(١) الأستاذ توفيق زكى - الفكر القديم ص٣٥ ط منتصر ١٩٢٢م .

(٢) أمل ان يجد باحث من نفسه القدرة على بحث تلك المسألة فى حيدة وموضوعية فى رسالة علمية تحت عنوان " مظاهر فلسفة ما قبل الفلسفة " .

(٣) الأستاذ بدر الدين مرسى - دراسات فى الفلسفة ص١٧٣ .

[١] الفلسفة الطبيعية

وهو العصر الذى حاول كل مفكر القيام فيه بمحاولة التعرف على حقائق الأشياء الموجودة ، والتى يمكنه التعامل معها ، والتعرف عليها والاستفادة منها ، ورغبته الأكيدة فى معرفة حقيقة وجوده[١] ،وعلاقة ذلك الوجود الشخصى بالوجود العام ، أو علاقة ذلك الوجود الخاص بالوجود الأكبر العام الذى يشمل كافة أنواع الوجود ، وألوان الموجودات من غير تحديد لواحد منها ، أنه عصر البحث فى طبائع الأشياء وذواتها المعروفة لدى المفكر نفسه ، والتى يمكنه التعرف عليها ، والوصول اليها ، والأخذ بأسبابها .

وهذا العصر تميز بوجود المثيرات للتفكير من مشكلات مستجدة لم تكن معروفة من قبل ، لما هو معروف من ضرورة وجود مشكلة ، تثير تفكير الإنسان ، وتخضع لتأملاته التى تستهدف وضع حل لها[٢] ، فى حدود إمكانياته المتاحة ، وتأملاته الذاتيه ، وقدراته التى يتمكن منها ، وكل أهل الفكر الإنسانى فى ذلك الأمر سواء ، متى تعلق بالنظر إلى طبائع الأشياء ، وعرف بالفلسفة الطبيعية ، لأنه يبحث فيها كموضوع معرفى .

بيد أن هذا النوع من الفلسفة قد وجد لدى قدماء المصريين ، كما اشتهر عند فلاسفة الإغريق ، والهنود ، وأهل الصين وأهل الجزيرة العربية ، بل أمتد فشمل حضارات بأكملها ، حتى أطلق عليه الدارسون اسم الفكر الشرقى القديم تجاوزا أو من باب التوسع فى إطلاق الأسماء ، أو استعمال المعانى على الناحية

---

(١) الدكتور عبدالحميد مدكور – محاضرات فى الفلسفة ص٥ مكتبة الزهراء ١٩٨٣م .

(٢) الدكتور توفيق الطويل – أسس الفلسفة ص٢١٦ ط الخامسة .

التى يجتمع فيها العديد من الأماكن طالما كان الاتجاه الفكرى العام واحدا[١] ، أو متقاربا .

كما يذهب البعض إلى تسميته عصر الفلسفة الطبيعية ، باعتبار أن مفكرى ذلك العصر قد شغلهم أمر البحث فيه عن الاشتغال بتفسير نشأة هذا الكون ، ومعرفة العناصر المكونة له ، وإدراك قواه المختلفة ، وعلاقتها بالإنسان[٢] ، الذى يوجد فى أى مكان ، طالما شغله أمر ذلك الجانب ، أو حاول البحث له عن إجابات محددة ، أو تقديم حلول مقترحة ، وإن لم تنل كل القبول ، لكنها وجهة نظر تدعم موقف أصحابها على أقل تقدير .

ثم تشعب البحث فى ذلك العصر فشمل قضايا غير طبيعية ، ولكن لها علاقة بالطبيعة المحسوسة ، حتى رأينا بارنيندس فى بلاد اليونان يذهب إلى أن الوجود لا ينقصه شيء ، فما هو موجود لا يتصور عليه الفساد ، ثم انتهى إلى ان : "إذن لا يفنى"[٣] ،وكانت تلك المحاولة تمثل نوعا من الدخول بالعقل إلى ميدان ما وراء الطبيعة ، والهروب من مواجهة المشكلات الطبيعية التى قد درب المفكر نفسه عليها ، وهو نوع من إعلان الإفلاس عن حل المشكلات بالطرق الطبيعية ، واعتراف ببداية سيادة الفلسفة التأملية على الفلسفة النقدية ، التى ارتبطت بالعالم المحسوس فقط .

وتاريخ الفكر شاهد على أن تلك المحاولات المتتالية قد وجدت فى الحضارات القديمة ذات التأكيد على الجانب المادى فقط ، سواء لدى القدماء من المصريين ، أو الهنود وأهل الإغريق ، أو مفكرى الصين ، وغيرها من الحضارات التى ارتبط التفكير العقلى فيها بالجانب الطبيعى على سبيل الانتصار له ، والتركيز

---

(١) الدكتور السيد نور الدين – دراسات فى الفكر الشرقى القديم ص٧١ .

(٢) الدكتور محمود عبدالرازق شفيق وآخرون – تاريخ التربية ص٣٨ .

(٣) الدكتور عبدالمعطى محمد بيومى – جذور الفكر المادى ص٢٠ .

عليه أو محاولة ترويضه ، من غير اعتبار لعنصر المكان أو الأشخاص فى المسألة[1] ، وهو ما نراه كافيا بالنسبة لنا حتى لا تتفرع بنا الأمور فتطغى على الأصول .

فإذا صحت المقولة بأن فلسفة أى عصر قام ، هى إنما تخضع للعلم الذى يسود ذلك العصر ، أمكن القول بأن أى تغيير جذرى فى العلم يتبعه رد فعل فى الفلسفة ، وقد يتساوى مع ذلك التغيير ، أو يتجاوزه ، ولكنه لا يكون أبدا أقل منه[2] ، ولما كانت الفلسفة الطبيعية قد عاشت العصر الذى ساد فيه العلم الطبيعى ، فان ذات الفلسفة الطبيعية هى التى تعكس روح العصر نفسه ، ولذا يكون من الصعب اعتبار الفلسفة الإسلامية مثلا ممثلا للفلسفة الطبيعية أو العكس ، لأن روح العصر الذى نشأت فيه كل منهما تختلف عن الأخر ، باعتبار أن الفلسفة هى وليدة ذات العصر ، والحاملة للاتجاهات العامة فيه .

كما انه من الشائع لدى الدارسين أن الفلسفة هى مرآة العصر الذى تعيش فيه ، بحيث تنعكس كل صوره عليها ، وتؤثر فيه عن طريق التجديد للأنماط الفكرية ، واصطناع مناهج جديدة تتناسب مع العصر التالى لما وجدت فيه[3] ، لأنها تمهد له ، وتسبق اليه ، وذلك من أدوارها الهامة ، وفوائدها التى لابد منها ، وإلا كانت ضربا من الخيال ، أو نوعا من التخلى عن الواجبات الضرورية .

[٢] فلسفة القرون الوسطى

وهو العصر الذى ساد فيه الهروب بالفكر إلى الداخل مرة أخرى ، وانكماش القدرات العقلية ، وتقليص دور الإعلان عنها ، مع ضيق المسافة المسموح بها من الحرية الفكرية ، إلا إذا كان من تفويضات رجال اللاهوت أنفسهم ، سواء كانوا

---

(١) راجع الفلسفة الإغريقية للدكتور غلاب ، ربيع الفكر ، خريف الفكر للدكتور عبدالرحمن بدوى ، تاريخ الفكر المادى القديم للأستاذ عزت رؤف ، وغيرها من المؤلفات التى عنيت بهذا الجانب .

(٢) جيمس جنس - الفيزياء والفلسفة ص١٤ .

(٣) الأستاذ جمال عبدالعظيم - الدور المرتقب للفلسفة ص٧١ .

قادرين على استيعاب ظروف العصر الذى وجدوا فيه ، أو تخلفوا كثيرا عنه[١] ، وكان رجال الكنيسة هم أكثر الناس حرصا على تنفيذ تلك الخطوات ، باسم الدين لا باسم العلم ، فحجرت على العقول ، وحطمت أوجه الإبداع وفى ذات الوقت اعتنقت الكنيسة أراء ارسطو اليونانى ، "واعتبروا تلك الآراء مذهبا رسميا لها ، وأقامت على هذا الأمر منذ العصر المدرسى حتى يومنا الراهن[٢] ، وترتب على هذا ظهور آثار لها خطرها الملحوظ فى تاريخ النزاع بين الدين والفلسفة" ، وما يزال ذلك قائما ، وربما يظل ، طالما اعتبرت الكنيسة الدين عدوا للعقل ، واستمرت تقرره .

غير أن فلسفة القرون الوسطى كان لها مذاق خاص فيها العنف والخوف معا ، فيها الضعف والقوة ، فيها القلق والاضطراب ، وألوان الاضطهاد ، والرغبة فى إبراز قوة الكنيسة ، وسلطان الكهنوت ، إلى غير ذلك مما ساد نفس العصر ، ولم يقف خطرها عند مجرد الجمع بين المتناقضات ، وإنما قتل فى أكثر المفكرين روح التأمل العقلى ، والانصراف إلى الفلسفة النقدية فقط فى حدود ما تسمح به الكنيسة ، ويقره رجال اللاهوت ، الذين تم ترسيمهم من قبل السلطة الكهنونية وحدها[٣] ، حتى لو كان ذلك مخالفا للقواعد العلمية ، والنتائج التى أفرزتها التجارب السليمة ، أو اعتمدها رجال العلم المعتد بهم فى المسألة[٤] .

والملاحظ أن فلسفة العصور الوسطى أغلقت على نفسها أهم أبواب البحث العلمى الحر ، حيث امتداد سلطان الكنيسة إلى القضايا العلمية والدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، بالرغم من أن رجال الكنيسة لم يكونوا

(١) راجع كتابنا – قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٧٥ ط٣ .

(٢) الدكتور توفيق الطويل – قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص١٠١ ط٣ دار النهضة العربية ١٩٧٩م .

(٣) راجع كتابنا – قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ط٢ ص٣٥ ١٩٩٩م .

(٤) الأستاذ جمال عبدالعظيم – الدور المرتقب للفلسفة ص٧٩ .

مهيئين للقيام بدور التوجيه فى تلك المسائل ، كما لم تكن لديهم أسباب القيام بهذا الدور القيادى على وجه مقبول ، فأقحموا أنفسهم فيما لا يعرفون ، وأخضعوا القواعد العلمية المستجدة لما عليه يتوارثون[١] ، كما كان له الأثر السلبى على مفكرى ذلك العصر ، الذى حسمه رجال الكنيسة بإصدارهم أحكام الكفر والقيام بأدوار التعذيب الذى أنتهى فى أغلبه إلى التقتيل والإحراق[٢] ، دون جناية دينية أو مخالفة تعليمات مفروضة من جهة الكنيسة .

[٣] الفلسفة الحديثة

وهو العصر الذى بدأ مع النهضة العلمية التى ظهرت مع الفكر الإسلامى فى المشرق والمغرب الإسلامى على السواء ، وتسللت أنواره الإسلامية إلى أوربا النائمة فأيقظتها ، وحملت تلك الأنوار الإسلامية لنفس أوربا مشاعر الحضارة ، فتحولت من الظلام إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الخراب إلى الاعمار الذى لم يستغل الا فى الجانب المادى وحده ، أما الجانب الأخر الروحى فأهملته العقلية الأوربية ، بدعوى أنه لا يقدم بالنسبة لهم شيئا جديدا ، وخيفة أن تبلوا أخبارهم الكنيسة ، فتصدر عليهم الأحكام التى تنتظر من يخالفهم ، ويقضى بها قضاة محاكم التفتيش أنفسهم .

وبالتالى فالفلسفة الحديثة موطنها الأصلى الذى نشأت فيه هو المجتمع المسلم ، القائم على النصوص الشرعية الصحيحة ذاتها التى هى النقول الإسلامية[٣] ، أما موطنها الفرعى فهو أوربا التى استفادت من علماء الإسلام فى الأندلس[٤] ، إذ يستحيل فى عرف العقل المنصف أن تظهر فجأة ثورة أو نهضة

(١) وكان السائد عندهم أن ما يقوله الآباء الرسوليون لا يفهمه الشعبيون وإنما عليهم قبوله على ما هو عليه .

(٢) راجع كتابنا - خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص٢٩٨ ط٣ ١٩٩٨م .

(٣) راجع كتابنا - قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٩٥ .

(٤) الدكتور حامد عبدالمنعم المرسى - معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس ص١٤٨ ط .

علمية فى أوربا التى كانت نائمة ، وان تكون تلك النهضة بذلك الحجم من القوة ، وذيوع الانتشار دون أسباب ، لما هو معروف من أن فاقد الشيء لا يعطيه[١] ، وبالتالى فلما كانت الحضارة الإسلامية أسبق من النهضة التى قامت فى أوربا ، فإنها حتما ستكون قائمة عليها .

ولما كانت الدراسات التى يعتمدونها تعترف بأن أوربا كانت تعيش عصور ظلام كامل ، فى الوقت الذى كانت البلاد الإسلامية تعيش أزهى عصور النور[٢] ، فان الأمر القطعى هو ذلك السؤال المفروض ، من اين جاءت النهضة فى أوربا ، أن لم تكن من نتاج النهضة الإسلامية التى انتشرت مظاهره فغطت كل جوانب الحياة بشتى ألوانها ، وكافة مظاهرها .

والمعروف أن الفلسفة الحديثة قد أبتدأ أمرها من القرن الحادى عشر الميلادى – القرن الخامس الهجرى – حيث كانت الحضارة الإسلامية ترفرف أعلامها على كل بقاع العالم ، وحينها امتدت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، بالعلم والمعرفة مع الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة ، بل كانت أغلب الشعوب ترسل نابغيها لحواضر العالم الإسلامى ، فى الأندلس وبغداد ، وفى قرطبة ودمشق ، وفى الكوفة والبصرة ، وإشبيلية وغرناطة ، إلى غيرها من البلدان الإسلامية ، للتعلم واكتساب المعارف الإسلامية[٣] ، فى الجانب المادى الذى يخدم العلم التجريبى ، ويؤدى إلى ذيوعه وانتشاره ، بجانب الاستفادة منه .

❁ يقول سديو "كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم والفلسفة والفنون ، ونشروها أينما ثبتت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوربا ، فكانوا

---

(١) صارت تلك أشبه بالقواعد العقلية التى تجرى فى افهام الناس ، وصارت تجرى مجرى المثل فى الدليل على الضعيف ، وعلاقته بالأضعف .

(٢) راجع كتابنا – عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٩٧ أطروحة علمية بجامعة عين شمس ١٩٩٢م .

(٣) الدكتور حسين مؤنس – المؤنس ص١٣٧ .

سببا لنهضتها وارتقائها[١] ، فى العلوم والمعارف التى حرص الأوربيون عليها ، وكانوا يرسلون بعثاتهم العلمية إلى تلك البلاد الإسلامية ، ولم تكن البعثات قاصرة على بلد أوربى بعينه ، وإنما شملت فرنسا وإنجلترا ، كما قاسمتهما ألمانيا بمقاطعاتها الكثيرة ، وكذلك روسيا ، وغيرها من البلدان التى أخذت بأسباب الحضارة الإسلامية ، ثم قامت بتغذييها واستمرار تدفق الدعم لها .

❁ ويعلل أحد الباحثين إرسال تلك البعثات الأوربية إلى البلاد الإسلامية بقوله : أن العوامل التى حفزت أوربا على إرسال هذه البعثات إلى الأندلس الإسلامى هو حاجتها إلى تلقف الفنون والصناعات ، والثقافات التى هى نتاج العقلية الإسلامية ، وهى معارف راقية فى أصولها ، مع سمو الأهداف التى تدعو اليها ، وحملها أبناء جزيرة العرب المسلمين إلى العالم فى كل مكان وصلوا اليه[٢] ، باعتبارهم أصحاب دين لا طلاب دنيا ، أصحاب فتوحات لا استعمارات .

بيد أن تلك البعثات العلمية التى قامت البلدان الأوربية بإرسالها إلى الشرق الإسلامى ، كانت هى الركيزة الأصلية والقاعدة الثابتة ، وقد قامت عليها النهضة فى أوربا وبخاصة ما تم من بعثات إلى الأندلس الإسلامى ، فكان تأثير تلك البعثات فى النهضة الأوربية بكل من انجلترا وفرنسا كبيرا جدا[٣] ، إلى الحد الذى يجعل حصر ذلك الأثر أمرا صعبا .

وبناء عليه فان الحضارة الإسلامية قد سبقت النهضة الحديثة فى أوربا ، وهذا يجعلنا نؤكد أن مفهوم الفلسفة الحديثة لا يمكن قصره على ما أنتجته

---

(١) الأستاذ / محمد فريد وجدى - الإسلام دين الهداية والإصلاح ص١٢٢ ، وقد نقل الكثير من شهادات التوثيق الـتى قال بها المنصفون من مفكرى أوربا ، وكلها لصالح الفكر الإسلامى .

(٢) الأستاذ طه المدور - بين الديانات والحضارات ص٦٧ .

(٣) الأستاذ محمد فريد وجدى - الإسلام دين الفطرة ص١٢٤ .

العقلية الأوربية فقط ، وإغفال ما قامت به الفلسفة الإسلامية ، بل الصواب هو اعتبار الفلسفة الإسلامية الأصل والأساس للنهضة الحديثة والمعاصرة أيضا[١] ، وأوربا هى التى أخذت من المسلمين أصول تلك النهضة .

كما يمكن القول بأن أوربا فى العصور الوسطى – وهى أوج عصر الفلسفة الإسلامية – كانت غاصة بالأفكار السلبية والاتجاه نحو البدائية ، حيث كان الناس لا يعرفون معنى النظافة ، وكانت الأسرة كلها تنام فى حجرة واحدة ، ولم تكن لديهم من مظاهر الحضارة أدنى صورة ، حتى أن السرر التى ينامون عليها كانت عبارة عن أكياس من القش[٢] ، ومثلهم لا تنهض معهم حضارة زاهية ، إلا إذا قامت على أكتاف الحضارة الإسلامية ، وهو التفسير المقبول لظهور النهضة الحديثة فى أوربا .

- ويذكر بريفولت : أن روجر بيكون[٣] ، درس اللغة العربية ، والعلم العربى الإسلامى ، والعلوم العربية كلها فى مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس ، وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكون روجر بيكون – من وجهة نظر بريفولت – الا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية ، وقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ، ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد إلى أوربا الحياة ، بل أن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت

---

(١) راجع كتابنا – قضايا حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص٩٧ وما بعدها .

(٢) راجع الدكتور عبدالحليم محمود– أوربا والإسلام ص٩١ وما بعدها .

(٣) هو غير فرنسيس بيكون ، وبينهما فترة زمنية كبيرة – راجع تاريخ الفلسفة الحديثة ، حيث وجد فرنسيس بيكون ١٥٦١–١٦٥٦م ، وهو من اشهر أعلام الإنجليز فى القرن السابع عشر ، أما سابقة فهو من القرن الرابع عشر .

باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية[١] ، فراحت تنعم بها ، وتستفيد من معارفها وعلومها .

أجل : الحضارة الأوربية الحديثة والمعاصرة ، وليدة الحضارة الإسلامية فى جانبها المادى[٢] ، وقد أضافت اليها العقلية الأوربية الزيادات التى يمكن أن تقع نتيجة الاحتكاك المباشر ، الذى تتولد عنه ثقافات مستجدة نتيجة استفادة اللاحق من السابق ، وفى نفس الوقت فان الحضارة الإسلامية تتميز بأنها معاصرة على الدوام ، حديثة باستمرار ، لأنها تستمد وجودها من النقل المنزل ، الذى لا يمكن أن يحصر فى حدود الزمان أبدا ، كما لا يجوز أبعاده عن التأثير الدائم فى أنظمة الحياة ، وأنماطها المختلفة[٣] ، وإلا اشتعلت النار وانطفأت الأنوار ، وصاح بالخلائق بعد العمار الدمار .

۞ والذى أميل اليه : أن مفهوم الفلسفة الحديثة يبدأ من تراث المفكرين المسلمين ، وتستمر معه ، وقد يدخل فيها ما أنتجته العقليات الأخرى فى ذلك الجانب المادى ، سواء تعلق بالعلوم النظرية أو التطبيقية ، أو كان مجاله التقنيات المستجدة فى مجالات العلوم من غير اعتبار لنوع ذلك العلم أو موضوعه ، كما ان مظاهر تأثر الحضارة الأوربية بالفلسفة الإسلامية أمر اعترف به المفكرون المنصفون[٤] ، وما زال ذلك التأثير قائما فى أفراد المسلمين الذين على أكتافهم

---

(١) الدكتور عبدالحليم محمود - أوربا والإسلام ص٩٧ .

(٢) لم يحاول الغرب الاستفادة فى الجانب الروحى الإيمانى ، لأن فكرة الإيمان بالله تعالى فى الغرب بيد رجال اللاهوت لا بعقول أصحابها ، وما لم تفرضه الكنيسة لا يمكن قبوله أو حتى مجرد التفكير فيه .

(٣) راجع كتابنا - فى التيارات الفكرية المعاصرة ص٨٧ .

(٤) اعترف توماس الآكوينى بتأثره الشديد بفيلسوف الأندلس " أبو الوليد ابن رشد " - راجع مقدمة نظرية المعرفة عند ابن رشد ، وتأويلها لدى توماس الأكوينى للدكتور محمود قاسم .

تقوم أغلب المراكز البحثية فى العالم المعاصر[١]، سواء أعلنت الجهات المسئولة عن وجودهم فيها، والأنشطة التى يقومون بها أم لم يعلنوا.

[٤] الفلسفة المعاصرة

يقصد بالمعاصرة التفكير الواقع فى القرن الذى يعيشه المفكر نفسه ويعاصره، طالما كان له فيه إنتاج فلسفى متميز فى جانب من جوانب المعرفة الإنسانية، سواء كان ذلك فى الشرق أو الغرب، فالعبرة بالزمان الذى عاشه المفكر لا المكان الذى ولد فيه، وهذا المفهوم للمعاصرة أوسع بكثير مما يحاول البعض حصره فيه[٢]، وهو الذى نراه مقبولا عندنا، أما حصره فى موطن بعينه، أو مفكر بذاته، فذلك أمر نرفضه، لأنا لا نجد من الوثائق المقبولة ما يعين عليه[٣]، بل العكس هو الذى تدعمه الشواهد، وتقف له الأدلة.

وهذا المفهوم يتغير من قرن إلى قرن، فنحن مع بدايات القرن الحادى والعشرين، وهو الذى ينطبق عليه – الآن – مفهوم المعاصرة، أما القرن العشرون فانه يدخل فى مفهوم الفلسفة الحديثة، لا المعاصرة، باعتبار انقضاء الفترة الزمنية، وقد ينطبق مفهوم الخضرمة على الفلاسفة الذين يعيشون عصرين، لكنه لا يطلق على الفلسفة لما بين مفهوم الفلسفة، ومفهوم الفيلسوف من تباين فى هذا المعنى[٤]، وان اتفقا فى مادة الكلمة.

---

(١) من أمثال الدكتور فاروق الباز، والدكتور أحمد زويل، وغيرهما من العلماء المسلمين الذين فرضت إمكانياتهم العلمية وجودهم فى بلاد المهجر، واحتلوا فيها ارفع المراكز العلمية، وحفلت بهم الجوائز العلمية والأدبية.

(٢) بناء عليه فالفلسفة الحديثة انتهت مع نهايات القرن التاسع عشر، وبدأت المعاصرة مع مطالع القرن العشرين، فإذا انتهى القرن العشرون وأبتدأ القرن الحادى والعشرون أمكن ضم القرن العشرين إلى الفلسفة الحديثة، وهكذا، كما دخل قرن اعتبر معاصرا، فإذا انقضى لم يعد معاصرا.

(٣) عرضنا لذلك فى كتابنا عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية.

(٤) الفيلسوف هو محب الحكمة، أما الفلسفة فهى صناعة الحكمة، والفرق بينهما واضح كما رأيت.

بيد أن مفهوم المعاصرة يدخل فيه كما ان ينتجه الفلاسفة الذين وجدوا فى ذات القرن سواء كانت اتجاهاتهم فى مجال اللاهوت ، أو السياسة ، أو كانت فى مجال العلم التجريبى ، أو تعلقت بدراسة قضايا الميتافيزيقا التأملية ، وليس بلازم أن يدخل الفلاسفة فى مفهوم المعاصرة ، لأن العبرة بالفكر لا بالمفكر ، وهو المفهوم الذى يغلب عندى على غيره ، وهى مسألة أود أن يلتفت اليها الدارسون بشىء من التروى والأناة .

التقسيم الثانى : باعتبار هوية الفيلسوف

حرص الكثيرون من مؤرخى الفلسفة أن يبحثوا المسائل الفلسفية بادئين باليونانية ، رغم أن هذا البحث فى اليونانية هو بحث فى تاريخ فلاسفة ، وليس بحثا فى مشكلة فلسفية[١] ، وبهذا تنقلب بعض المفاهيم ، متى توضع الحدود الفاصلة بين المذاهب والتاريخ والنظريات والأفكار الفلسفية[٢] ، والأمر ينتهى بأغلب الدارسين إلى ذلك الخلط غير المقصود ، ولكنه فى النهاية يقدم فكرة عن الفلسفة ليست ناضجة ، مما يجعل الكثيرين يرفضون الفلسفة ويتهمونها بالغموض أحيانا ، والشطح فى أحايين كثيرة .

غير أنى سأحاول هنا – فى التقسيم الثانى – الحديث عن الفلسفة باعتبار هوية الفيلسوف ، واعتقاده الفكرى[٣] ، لا باعتبار موطن الفيلسوف الذى نشأ فيه ، وارتضع الثقافة التى أطلت برأسها عليه ، وأشبعته ألبانها منذ نعومة أظافره ، وهى بهذا الاعتبار تتنوع إلى :-

[١] فلسفة المصريين القدماء

وهى ضاربة فى أحضان الزمان القديم قبل الفكر الإغريقى ، بل أن أغلب الدارسين ينتهون إلى أن معالم الفكر الإنسانى كانت لدى المصريين القدماء أسبق من غيرهم ، وأكثر وثوقا ، ويستشهدون بأن مفكرى الإغريق كانت لهم جولات فى بلاد المصريين القدماء ، وأنهم كانوا تلاميذ منتظمين فى مدرسة الإسكندرية ، لما هو معروف من أن الفلسفة المصرية خاصة والشرقية عامة أسبق وجودا من

---

(١) الأستاذ صلاح عبدالباقى طلبه – فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص٩٣ .

(٢) وقد عنى أصحاب التخصص الدقيق بالتفرقة بين تلك المفاهيم ، وكان لهم فى ذلك مجهودات موفقة ، منها تاريخ الفلسفة اليونانية ، مشكلات فلسفية ، نظرية المعرفة ، وهكذا الأفكار والمذهب والأشخاص .

(٣) وكان التقسيم الأول باعتبار العصر الذى ظهرت فيه على ما سلف ذكره .

الفلسفة اليونانية ، وان الفلسفة الإغريقية ليست الا تراثا شرقيا متغلغلا فى القدم[١] ، استفاد منه الإغريق ، وغيرهم من البلاد التى أدركت قيمة التراث الشرقى قديما[٢] ، والمصرى منه على وجه الخصوص .

وكان المصريون والبابليون ، وغيرهم من مفكرى الشرق ، قد بلغوا شأوا كبيرا فى العلوم المختلفة ، وعلى الأخص فن الحساب ، والمساحة والدليل عليه ، أن أقدم رسالة رياضية بارزة هى ورقة بردى مصرية ، قد نسخت حوالى ١٦٠٠ قبل الميلاد من الأصل المصرى أيضا الذى هو أقدم من ذلك بكثير[٣] ، وقد نقله الرحالة إلى بلاد اليونان كتراث فكرى مصرى قديم ، فاستقبله أهل الإغريق بالكثير من الاهتمام والعناية بعد أن تعرفوا على القواعد المترتبة عليه[٤] ، والنتائج التى هى الحصيلة الدقيقة لذلك النوع من التفكير .

وفى القرن السادس عشر قبل الميلاد ابتدأ عصر الفتوحات الدولية السياسية منها والدينية ، فاتسع بذلك أفق التفكير الدينى حتى وصل بعد عام ١٤٠٠ قبل الميلاد إلى قمته بظهور أول عقيدة للتوحيد عرفها التاريخ وقتها ، على أن وجود السيادة لإله واحد عالمى ، لم ترد شيئا فى الرقى الخلقى عند المصريين الأقدمين ، لأن ثروة العاهلية قد أفسدت أخلاق الكهنة[٥] ، ولكنها عبرت عن الفكر الفلسفى لدى المصريين القدماء .

كما ان تلك الفلسفة قد تحدث عنها التاريخ القديم والحديث بل والمعاصر ، وكلما تم بحث التاريخ الفرعونى القديم عثر الدارسون على النتائج العلمية التى

---

(١) الأستاذ أحمد عبده خير الدين – تاريخ الفلسفة ص٧٣ .

(٢) الدكتورة وفاء عبدالمقصود – دراسات فى الفلسفات القديمة ص١٨٧ ط دار الفجر الجديد ١٩٧١م .

(٣) وولف – عرض تاريخى للفلسفة والعلم ص٣٥ وما بعدها – ترجمة الأستاذ محمد عبدالحميد خلاف .

(٤) أ.ب راينر – فكر قدماء المصريين ص١١٣ – ترجمة فؤاد نصار .

(٥) جيمس هنرى بريستيد – فجر الضمير ص٤١ ط الهيئة المصرية ١٩٩٩م .

استفادها العالم القديم من الفكر الشرقى ، وكان ذلك فى شتى فروع المعرفة التى أمكن للعقل البشرى التعرف عليها فى جوانب الحياة المختلفة ، طبقا للظروف التى أتيحت لهم[١] ، وهم من هذه الناحية فلاسفة بالمعنى العام لمفهوم الفلسفة ، وهى مجرد محبة الحكمة والعمل بها ، او هى العلم والعمل بمقتضى ذلك العلم .

وقد عرفت تلك الفلسفة من خلال المصادر التى نقلت إلينا أغلب مظاهرها ، وعرفت لدى المؤرخين باسم حضارة المصريين القدماء ، كما أطلق عليها اسم الحضارة الفرعونية ، وهى قد وجدت فى مدن مصر القديمة التى كانت معروفة بأسمائها ، وكانت كلها تمثل الإمبراطورية المصرية فى ذلك الوقت ، سواء كانت قادمة من منف أو غيرها من الحواضر المصرية القديمة[٢] .

ولذا يمكن تعريف فلسفة قدماء المصريين بأنها : الاتجاهات الفكرية التى شغلت عقول قدماء المصريين ، أيام نظام حكم الفراعنة القدماء فى ظل الأسر ، خاصة ما يتعلق بمسائل الحياة والموت ، والأنظمة الاقتصادية والسياسية ، بل والعلوم الرياضية ، وما تبع ذلك من شق الطرق ، وحفر الترع والقنوات ، إلى أخر ما عرف من فنون لدى قدماء المصريين[٣] .

[٢] فلسفة البابليين

عرفنا أن الحضارة تظهر فى الحواضر مبكرة عن ظهورها فى البوادى لاعتبارات كثيرة ، منها أنه كلما كانت الأنهار متدفقة ، فان الحضارة تنشأ حول مصادر المياه[٤] ، وحيث يوجد الاستقرار فان القدرة على التفكير ، وعرض الآراء مع مناقشتها تكون أمرا طبيعيا ، تدعوا اليه ظروف الاستقرار السائدة ، حفاظا

(١) الأستاذ رأفت عبدالمسيح -التاريخ الفرعون -أيام حكم الأسر ص١٣٧ .

(٢) الأستاذ يسرى عبدالمنعم - الحضارة المصرية القديمة ص٩٥ .

(٣) أ.ب - راينر - فكر قدماء المصريين ص١٢١ .

(٤) العلامة عبدالرحمن بن خلدون - المقدمة ص٢٧١ ط غير محققة .

على الوضع القائم ، ورغبة فى تكوين جماعات متكاملة ، وأنشطة متفاوتة ، فى سبيل الهدف الذى يعتبرونه نبيلا ، وترتقى به طرائق الحياة التى يعيشونها[١] .

ولما كانت حضارة المصريين القدماء قد ساهم فيها وجود الاستقرار الذى أعانهم عليه وجود نهر النيل ، فان البابليين قد كانوا كالمصريين فى هذا النوع من الاستقرار ، اذ عرف عندهم نهر الفرات كما عرفوا أنهار سيحون وجيجون ، وكلها جعلت العقل فيهم ينضج ، وقدراته تتسع ، ومداركه ترقى من مجرد التفكير فى الطبيعيات ، إلى أخر ما يمكن أن يتصوره العقل فى حدود إمكانياته القائمة[٢] ،وكان من نتائج ذلك أن وجدت أفكار فلسفية منظمة لدى البابليين ، انتظمت بها أمور حياتهم ، وانتقلت منهم إلى غيرهم ، ممن تأثروا بتلك الأفكار ووجدوا فيها مصالح لهم ، ولذا اعتبرناهم فلاسفة ، وكالبابليين كان الحال مع الهنود والصينيين[٣] ، وهى كلها سابقة على الفكر الفلسفى اليونانى ، مما يجعل دراسته أمرا غاية الأهمية ، متى أردنا الوصول إلى الحقائق الأساسية .

[٣] الفلسفة اليونانية

بلاد الإغريق كانت فى الماضى مكانا يأوى اليه أهل البلدان القريبة منهم ، نظرا لطبيعة تلك البلاد اليونانية ، وكلما هاجر إلى بلادهم أقوام جدد ، نقلوا إلى تلك البلاد ثقافتهم ، ومن الشواهد على ذلك أن مدينة ايليا ، بناها الأيونيون الذين فروا من مقاطعة أيونيا على ساحل أسيا الصغرى ، بسبب غزو الفرس لبلادهم ، وسموها مدينة الرب حتى تنال القبول ، وتحوز الإجلال ، ويحظى أهلها

(١) الدكتورة ليلى محمد خميس - الحضارة البابلية ص٩١ .

(٢) جون كولر - الفكر الشرقى القديم ص١١٧ .

(٣) فرانكر روزنتال - التراث القديم فى الحضارة الإسلامية ص١٢٣ - تقديم وتحليل دكتور عبدالله حسن المسلمى - ط سعيد رأفت ١٩٩٣م .

بمزيد من الرعاية والعناية ، والكثير من الاهتمام[١] ، الذى يفرض على الناس توفير القدر الأكبر لها من الحماية .

بيد أن الفلسفة اليونانية قد استفادت كثيرا من الفلسفات الأخرى ، فاستفادت من الفلسفة المصرية القديمة ، وكذا من البابلية والصينية ، والهندية ، حتى يمكن القول بأنها صارت الملتقى الذى تتجمع فيه كل الأفكار الفلسفية ، ثم ينتقى أصحابها منها ما يرونه مناسبا لها ، وان لم يكن موافقا على وجه العموم[٢] ، وهذا المقتضى ظلت تتم فيه الإضافة والحذف حتى تم الاستقرار على اعتباره قاعدة منظمة ، أضيف اليه ما ساعد على استقراره كمبحث ميتافيزيقى فترة من الزمان ، وعلى متنها ظهر مفكرون كان لهم وزنهم فى الفكر اليونانى ، منهم سقراط ، وأفلاطون ، وارسطو ، وكان لكل منهم دوره فى الفلسفة اليونانية ، كما كانت هناك مدارس فلسفية يونانية ، تحدثت عنها كتب تاريخ الفلسفة اليونانية[٣] ، على سبيل التصوير لها ، أو الدراسة القائمة التى يصير التعبير عنها ضرورة قائمة .

[٤] الفلسفة اليهودية

لم يعرف لليهود موطن ثابت ، فهم شراذم تحكمهم صفات سلبية ، لا تجعل الآخرين يتقبلونهم ، منها حبهم الشديد للحياة ، والوقيعة بين الخلائق والرغبة المستمرة فى إشعال نيران العداوة ، مع تدافعهم لنشر الفاحشة وممارستها ، فضلا

(١) راجع كتابنا - رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص١٧٥ ط٣ .

(٢) الدكتورة تمانى عبدالوارث - دراسات فى الفلسفة اليونانية ص٩٣ - ط دار الانجاز .

(٣) راجع الفلسفة الإغريقية للدكتور غلاب - تاريخ الفلسفة اليونانية - وولتر استيس- تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتور عوض الله حجازى ، وغيرها من المؤلفات التى عنيت بتاريخ الفلسفة اليونانية .

عن التهيئة لها والتمهيد ، وتقديم الخدمات التى تحيط بها ، دون اعتبار لشيء أخر[1] ، وما زال ذلك طليعا لهم حتى يومنا هذا وإلى يوم القيامة .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين " ﴾[2] .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا لا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " ﴾[3] .

واليهود ينسبون إلى رجل مجهول الهوية يدعى يهوذا ، نزح من بلاد فارس مطرودا لتصرفاته السلبية ، واستقر فى أرض العرب ، وكان له أبناء وبنات ،تكونت منهم عائلة سميت باسمه ، ثم نطقت الكلمة من غير نقطة فوق الذال ، ثم استعملت من باب التخفيف يهود ، وصار أولاده يحملون وصف العائلة ، فسموا يهودا[4] ، وأنجب كبيرهم – ما انجب – إسرائيل ، وصهيون ، وكان الأخير قد مات فى سن باكرة ، فدفن فى سفح الجبل الذى مات عليه ، والذى عرف فيما بعد باسم جبل صهيون[5] ، وأما الأول – فقد غلبته نفسه بعد موت أخيه ، وبالتالى راح ينكر على نفسه بعض الطعام والشراب ، كما هجر

---

(١) راجع كتابنا – اليهودية من الأرض إلى الاعتقاد ص١٥ وما عبدها .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١١٢ .

(٤) راجع مقاييس اللغة باب الهاء .

(٥) وبالتالى فمزاعم اليهود بأن لهم ميراثا فى أرض العرب هى مزاعم باطلة ،ولا تقوم على أساس واحد مقبول ، لأن الأرض فى الأصل للعرب وجدهم قد نزح اليها ، ونزل ضيفا عليهم ، وليس من شأن الضيف احتلال دارمن استضافة ، وإلا كان ضيفا خسيسا .

الكثير من اللذات ، وأشتهر فيما بعد بين أخوته وأبنائهم بأنه ، رجل لا يحب الشر[١] .

وكل ما عرف من فكر فلسفى لليهود ، إنما هو ترجمة للفكر اليونانى ، أو المصرى القديم ، باعتبار أنهم لم يعنوا بذلك اللون من التفكير العقلى الحر ، كما أن ارتباطهم بالمسائل الدنيوية جعلهم ينصرفون إلى ما يحقق تلك المصالح ، واستمر ذلك الحال معهم حتى القرن الأول الميلادى[٢] ، ممتدا قرابة أربعة قرون قبل الميلاد ، أما من عرفت لهم أفكار فلسفية منهم فيما بعد ، فقد كانت أفكارهم منقولة إليهم عن طريق الاقتباس من الفكر الشرقى القديم ، لدى المصريين القدماء وتم التعديل عليه ، طبقا للظروف المستجدة ، وهى لا تسمى فلسفة الا من باب التجاوز ، ولذا فنحن لا نعتبرها فلسفة على الإطلاق بالمعنى الفنى الدقيق .

[٥] الفلسفة المسيحية

تنسب المسيحية إلى أصحابها الذين ادعوا انتسابهم إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وهذا الانتساب جعلهم يتصورونه إلها وابنا لإله فعبدوهما ، ثم نظروا أنفسهم ، فوجدوا أن الأبوة والبنوة لابد لهما من عنصر ثالث تكتمل به المسألة ، فاخترعوا فكرة وجود اله ثالث لهم حتى جعلوا الآلهة ثلاثة هى :-

[١] **الإله : الآب** :- وهو والد يسوع الولادة الروحية ، وهو الذى تأنس برحم العذراء البتول ، فولدت منه يسوعا ، ولكونه من روح الأب لا من روح البشر ، فهو اله كامل[٣] ، باعتبار أن الإله الأب لم يقع فى خطأ فهو كامل ،

---

(١) الأستاذ عبد المتعال الصراف –الفكر اليهودى الخيالى ص١٣٧ .

(٢) أعنى أنه لم تكن لهم خطرات فلسفية لانشغالهم بالمسائل الدنيوية وحدها ، ومحاولاتهم المستمرة فرص ضمائرهم الساذجة على عقول الآخرين ، مما كان أحد أسباب نفرة الناس عنهم ومحاربتهم لهم .

(٣) القس الياس مقار – قضايا المسيحية الكبرى ص٣٣٧ ، وكذلك الله واحد فى ثالوث ص٣٥ .

وما تولد عن الكامل يكون مثله فى كماله ، وهى فكرة كاذبة عقلا ، لأن من له ابن يكون مولودا لا خالقا[١] ،وكاذبة على المنهج الشرعى ، قال تعالى ﴿ "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ﴾[٢] ، وهى كاذبة عرفا ، لأن العرف قد استقر بأن من له ولد ، لابد أن يكون له والد ، ولابد أن يكون الولد والوالد بحاجة إلى الأمهات ، بجانب الآباء والأجداد ، ولا ينتهى الأمر عند حد ، وإنما يتسلسل وفى الأنساب يمتد ، ومثله لا يكون إلها أبدا .

[٢] **الإله الابن** : وهو يسوع نفسه الذى ولد لأمه ماريا من غير أب بشرى[٣] ، وأرسله الأب لخراف بيت إسرائيل الضالة[٤] ،واستمر معهم يعلمهم ويعظهم ، ويشتغل فى جمع الزيتون ، ألا أن اليهود أوغروا صدر بيلاطس الحاكم الرومانى ضده ، وأنتهى الأمر بالقبض عليه ، ورفعه على الصليب عندهم[٥] ، وقتله بأيديهم ، ودفنه بيد يوسف فى القبر الذى أعد له ، ثم قام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من دفنه[٦] ، وصعد إلى بيت أبيه السماوى ، وهو جالس عن يمينه على كرسى العرش ، يخطف المؤمنين برسالته إلى ذلك البيت السماوى ، وسيظل هناك

---

(١) راجع كتابنا – وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ففيه مناقشات مستفيضة وبيان أوجه بطلان تلك الأفكار على العديد من النواحى .

(٢) سورة الإخلاص

(٣) القس – ملاك جورجى – ولادة المسيح الروحية ص١٥ ط دار ملاك ١٩٢٧ .

(٤) وردت نصوص فى العهد الجديد تذكر القول : ما جئت الا لخراف بيت إسرائيل الضالة ، ويقصدون بهم المبتعدين عن أحكام شريعة الرب ، ولا يدرى أى مفكر أين تلك الشريعة عندهم حتى تعرف الملتزمين بها من الفارين عنها .

(٥) القس أنور خليل – عتبات الأبدية ص١١٧ وما بعدها ، وكذلك الصليب فى كل الأديان ، والصلب والفداء .

(٦) راجع رسالة الماجستير للزميل الدكتور رشدى الشحات عبدالحميد – قيامة المسيح فى النصرانية وموقف الإسلام منها – فقد تعرض فيها لمناقشة العديد من تلك الأفكار ، وأبان وجه فسادها على الناحية العلمية والعقلية والدينية ، والأخلاقية ، وليته يتولى طبعها ففيها جهد كبير .

حتى نهاية العالم[1] ، حتى ينزل إلى الأرض فيحكم بين الخلائق ، ويميز الخراف من الجداء ، فهو بذلك اله كامل أيضا[2] .

وهى فكرة خيالية مجنونة إذا قصد بها الولادة بالمعنى المعروف ، وهى أيضا فكرة غير صحيحة إذا قصد بها الولادة الروحية ، فانه لا يجوز إطلاق تلك الألفاظ أو الصفات على الله تعالى لأن صفاته تعالى كأسمائه توقيفية[3] ، وبالتالى فأى إطلاق وتسمية على الله تعالى ، لابد أن تكون منه سبحانه وتعالى لا من غيره ، ولم يثبت عندهم ، أو عند غيرهم أو عندنا إطلاق الولادة بأى معنى على الله تعالى ، قال تعالى ﴿" ما أتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون "﴾[4] ، وقال تعالى ﴿" بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم "﴾[5] ، فلو كان له تعالى ولد أيا كان الولد وهو فرض ساقط ، واحتمال هابط ، فان العقل يقر بضرورة أن يكون لذلك الابن أم ، وأن يكون لنفس الأب صاحبة تقوم على رعايته ، وهو ينهض لقيامها حتى يكون له منها الولد ، ومتى كان الأمر كذلك فان الاستحالة فى نسبة ذلك إلى الله تعالى قائمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولا يقول بها ، أو يعتقدها الا من فقد عقله .

---

(١) راجع كتابنا - عقيدتا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية ، وهو رسالة الماجستير التى تقدمت بها إلى كلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٨٢ ، وحصلت على تقدير ممتاز بالإجماع ، ففيها أحاديث مستفيضة ، عند بيان الأخطاء التى وقع فيها دعاة هذا الفكر ، ومنه فكرة الاختطاف ومناقشتها ، وبيان فسادها .

(٢) القس - جورجى مينا - المسيح اله كامل ص٩٧ .

(٣) راجع كتابنا - الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ، وكذلك الموقف الخامس للإمام الايجى - تحقيق الدكتور أحمد المهدى ، وغيرهما من المؤلفات التى عنيت بهذه المسألة .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٩١ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٠١ .

[٣] **الإله - الروح القدس** :- وهو الذى يكمل الثالوث المقدس عندهم ، وهو دور فعال لا يقل عن دور الإله الأب والإله الابن ، وبالتالى فهو إله كامل أيضا ، باعتبار أنه ليس الآب كائنا تائها فى الفضاء ، بل لابد من ولد يسوق اليه الرحمة ، حتى يرحم الآخرين ، وروح قدس يسكن اليه حتى يذوق طعم الهدوء والسكينة ، وهى عائلة مقدسة علوية ، ولها وجودات أرضية[١] ، وقد بذل كتابهم جهودا كثيرة فى عرض تلك الأفكار وتوصيلها إلى من ينتمى إليهم ، ومحاولة إقناعهم بصحتها ، مهما كانت مخالفة لبدهيات العقول ، مما حدا بالفيلسوف الألمانى كانت cant إلى القول : بأن تعاليم الدين المسيحى كأقراص الدواء مرة المذاق[٢] ، غير قابلة للتأمل أو التفكير .

ورغم أن هذه الأفكار موغلة فى الخيال ، إلا أن بعض مظاهر اعتناقها خوفا من السلطان الكهنوتى الذى يفرض نفسه فوق العقول ، حين يقول لهم : خذ وأنت أعمى ، باعتبار أن ما يقوله الأباء الرهبان لا تستوعبه عقول الغلمان ، وفى ذات الوقت فان محاولة المخالفة لتلك التعاليم تجعل صاحبها عرضة لألوان العقاب ، وآفانين العذاب ، أبسطها إصدار الأحكام عليه بالهرطقة ، والحرمان من جنة الرب ، والتهديد بغضبة يسوع عليه ، وإنزال الضربات القاسيات على المخالفين[٣] .

وكم حاول رجال الكنيسة عرض تلك القضايا مرات عديدة حتى خرجت بهم إلى التفلسف الميتافيزيقى ، إذ كيف يكون إلها وهو مولود ، وكيف يكون الإله والدا ، إلى غير ذلك من المسائل الشائكة التى أوقعهم فيها الخيال المريض ، أو

---

(١) راجع : حقائق أساسية فى الإيمان المسيحى ، الصليب فى كل الأديان ،إلى غير ذلك من المؤلفات التى كتبت بأيدى من يعتنقون تلك الأفكار ، الله واحد فى ثالوث .

(٢) راجع ما كتبناه فى هذا الشأن بكتابنا خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة أثناء حديثنا عن فلسفة عمانويل كانت

(٣) الأستاذ رفيق السيد أنور - دراسات فى المسيحية ص١٩٧ .

أسقطهم فى أعماقها التمسك بالقديم البالى ، مهما كانت خطأ ، ولم تقم الأدلة الا على بطلانه ، وظلوا على ذلك الحال حتى صارت المسيحية فلسفة من هذا النوع ،الذى يبحث عن حلول للمشكلات الزائفة ،التى اصطنعها هو ، وليس لها وجود فعلى على الإطلاق[١] ، كما انه لا علاقة لها بديانة عيسى عليه السلام التى انتهت بانتهاء وظيفته فى الإبلاغ والرسالة .

وتعرف تلك الأفكار بأنها فلسفة الأباء ، أو فلسفة أباء الكنيسة ، الذين اعتنقوا الأفكار اليونانية ، وبخاصة ارسطو ، واعتبروا مذهبه الفكرى اليونانى مذهبا رسميا مسيحيا – رغم أنه لم يكن مسيحيا لوجوده قبل الميلاد بقرون – وأقامت عليه الأفكار التى يعتقدونها[٢] ، وساقوا الناس إلى قبولها والإذعان لها مهما كانت مبرارتها غير مقبولة ، مما ترتب عليه وجود أثار سلبية ظلت لها أخطارها الملحوظة فى تاريخ النزاع بين الدين والفلسفة عندهم[٣] ، بل أن تلك الآثار السلبية قد امتدت ، فشملت كافة الأوساط الثقافية والدينية والاجتماعية ، بجانب العلمية أيضا ، وتاريخ الفكر شاهد على ما أفرزته ثقافة القرون الوسطى من فكر هزيل ، لا قيمة له على الناحية العلمية ، أو العقلية ، بل ولا الأخلاقية أيضا[٤] ، وهو بالتالى من نسيج مفكرى المسيحية المفلسفة ، ولا علاقة له بالشريعة

---

(١) وعليه يحمل مهاجمة الوضعية المنطقية فى أوربا المسيحية واليهودية ، وتقليد أبناء الشرق لهم دليل على تبعيتهم فى دينهم ، وأفكارهم ، وبئس ما صنعوا – راجع مناقشتنا لوضعية الشرق فى كتابنا : فى التيارات الفكرية عند الحديث عن شبهات الفكر المادى .

(٢) الأستاذة ثمانى بيومى – أرسطو والمسيحية ص١٣٥

(٣) الدكتور توفيق الطويل – قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص١٠١ ط دار النهضة .

(٤) تسمى العصور الوسطى ، كما يطلق عليها اسم القرون الوسطى ، وهى الفترة الزمنية التى كانت فاصلة بين الفكر قبل الإسلام ، والفكر الإسلامى ، فالأول كانت فيه بعض ملامح الاستنارة ، ثم جاءت الأفكار اللاهوتية فى المسيحية فأزالت ذلك البصيص من أنوار المعرفة تماما ، فلما جاء الإسلام أضاء العالم بالعلم ، والمعرفة بعد الإيمان بالله ، والأخلاق الزاكية ، وبالتالى فالعصور الوسطى هى عصور الظلام .

العيسوية ، وهم أنفسهم يقرون به ، فنبيهم يسوع لا عيسى ، وبوس شاؤل لا عيسى الرسول[١] ، والأناجيل التى بأيديهم كتبها أناس لا علاقة لهم بالمسيح الا مجرد الخيال والارتباط الوهمى .

أجل تلك الأوهام المسيحية جاءت فى فترة سابقة على وجود الفلسفة الإسلامية ، باعتبار أن عيسى ﷺ قد بعث قبل سيدنا محمدﷺ بفترة زمانية تقترب من القرون الستة ، حيث ولد سيدنا محمدﷺ فى عام ٥٧١م ، الثانى عشر من ربيع الأول[٢] ، وذلك الفارق فى المدة الزمانية هو الذى نقصده بمسالة سبق الفلسفة المسيحية للفلسفة الإسلامية فى هذا المقام فقط بهذا الاعتبار دون نظر لشيء أخر .

غير أنه يلاحظ حصر المسيحية الفلسفية فى قضايا لا هى فيزيقية ، ولا هى قضايا ميتا فيزيقية ، وإنما هى خليط من فكرتى اللاهوت والناسوب اللتين أنتجتهما العقلية المسيحية ، كرد فعل للمادية اليهودية حتى يمكن من خلالها إقناع عوام المسيحية وخواصها بالأفكار الفلسفية التى استقبلتها عقلية آباء الكنيسة من التراث القديم لدى اليونان خصوصا ، والصين والهنود واليهود ، وغيرهما من بلاد الشرق القديم ، ودياناته عموما ، كالعقيدة الاشتارية التى نقلت إلى عقيدة الثالوث المسيحى ، والأثر بينهما قوى يصعب تخطيه أو إنكاره[٣] ، متى أريدت الموضوعية .

---

(١) راجع الدكتور محمد أبو الغيط الفرت - بولس والمسيحية ص٣٥ .

(٢) كانت أسماء الشهور العربية -الهجرية - معروفة عند العرب قبل الإسلام ، ولذا فهم كانوا يؤرخون بها ، فلما ولد الحبيب المصطفى ﷺ دونوا ميلاده المبارك فى الأرض ، كما دونته ملائكة الله فى السماء .

(٣) نبه إلى تلك المسألة دل ديورانت فى قصة الحضارة ، وكذلك فعل كثيرون غيره ، ممن عرفوا فى الغرب بالموضوعية ، وكذلك جوستاف لوبون فى كتابه حياة الحقائق .

بل أن هذا التيار الفكرى الذى امتزجت فيه مباحث العقيدة المسيحية بآراء الفلاسفة المختلفين ، لم يعد آنذاك شرفيا صرفا ، اللهم الا من حيث الأصل الذى دارت حوله أراء العلماء والفلاسفة ، وبخاصة أولئك الذين كانت لهم نزعة ترمى إلى بناء العقيدة المسيحية ، على أساس فلسفى ، أو تبريرها تبريرا فلسفيا[١] ، ومن ثم فقد حكمت على نفسها بعدم صلاحيتها للتعامل معها على الناحية الفنية .

[٦] الفلسفة الإسلامية

تميزت الفلسفة الإسلامية بأنها الوحيدة التى قامت على النقل المنزل – فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – وقد استطاع المفكرون المسلمون التعرف على مناهج البحث العلمى ، من الإشارات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فهم ركزوا على بحث هذه المسائل مقيدة بالنصوص الشرعية ، بحيث تحققت لهم السلامة ، كما انهم لم يخرجوا على مفاهيم الشرع الإسلامى ، ولم يعملوا على لى النصوص الدينية ، وإنما جعلوها الميزان والمرشد معا ، وسوف نعرض لها بشيء من التفصيل فى المشرق والمغرب الإسلامى[٢] ، ان شاء الله تعالى .

مع الأخذ فى الاعتبار أن الموضوعات التى عالجتها الفلسفة الإسلامية ، بعضها تعلق بالميتافيزيقا ، والأخر تعلق بالعالم الطبيعى المشاهد وغير المشاهد ، والثالث عنى بالجانب الإنسانى على وجة العموم فى كل منها ، وبشيء من التفصيل الدقيق الذى تستوعبه المعرفة الإنسانية ، التزاما بالنقل المنزل ، والأحكام الشرعية[٣] ، وهو من الأمور التى تميزت بها الفلسفة الإسلامية ، وصارت سمة من سمات المفكرين المسلمين .

---

(١) الدكتور محمد عبدالستار أحمد نصار – فى الفلسفة الإسلامية قضايا ومناقشات جـ١ ص٣٨ .

(٢) ذلك ما سوف نتناوله فى هذا الكتاب سواء فى المشرق والمغرب .

(٣) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص١٣٩ .

ولا يقلل من مكانة الفلسفة الإسلامية انفتاحها على المعارف والثقافات المختلفة ،بل يعلى من قدرها ،لأن اتصال أية أمة من الأمم بغيرها "وأخذها من ثقافتها وحضاراتها لا يقدح فيها ، فالعلم ملك شائع ، ومرفق مباح ، يغترف منه الناس جميعا ، وليست له حدود فاصلة كالتى ترسمها السياسة الدولية ، وإنما الذى يقدح فى الأمة حقا ان تغمض عيونها ، وتسد آذانها عما حولها من نظريات وأفكار ، أو أن يدفعها التعصب الأعمى – والجهل الفاضح – أن تنسب لنفسها ما ليس لها[1] .

وبهذا ننتهى من حديثنا عن التقسيم الثانى للفلسفة باعتبار هوية الفيلسوف ، لا باعتبار مطروحات الفكر الفلسفى ، حتى يتسع المعنى فيشمل من تقع له نفس الظروف ، وتستقر فى أعماقه ذات المفاهيم ، وفى الفلسفة الإسلامية ، فإنها تتسع لكل فكر فلسفى إسلامى قام به مفكر مسلم دون غيره ، مهما كانت دراساته ، أو علاقاته بأهل الإسلام .

---

(١) الأستاذ أحمد أمين – فجر الإسلام ص١٣٤ الطبعة التاسعة بالقاهرة ١٩٦٤م .

التقسيم الثالث
باعتبار العموم والخصوص في الموضوع

۞ قسم الدارسون الفكر الفلسفى باعتبار عموم الموضوع المتناول ، أو خصوصه إلى العديد من الأنواع نذكر منها :-

[١] الفلســـفة العامـــة [٢] الفلسفة الإلهيـــة [٣] الفلســـفة الطبيعيـــة
[٤] الفلسـفة الأخلاقيـة [٥] الفلسفة التجريبية [٦] الفلسفة الاجتماعية
[٧] الفلســـفة العلميـــة [٨] فلسفة الظواهـر [٩] الفلســـفة السياســـية
[١٠]الفلسفة التحليليـــة[١]

وتنقسم كل منها إلى نظرية وعملية ، ولكل منها موضوعاتها التى تتميز بها ، والمنهج الذى يطبق فيها ، والاتجاه العام الذى يغطى كل جنباتها ،

۞ وها نحن نطل فى إلماحه عاجلة على الفلسفة العامة بنظرياتها الثلاثة على النحو التالي :-

(١) الفلسفة العامة

عرفت بأنها" مجموعة المعلومات فى عصر من العصور ، والفيلسوف على رأيهم هو من أحاط بمعارف عصره ، وهى تشتمل على الرياضيات والطبيعيات والإلهيات ، كما تشتمل على السياسة والأخلاق[٢] ، دون تقيد بغير البحث العقلى الحر ، مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك البحث العقلى الحر ، أو صاحبته أثناء رحلته المستمرة .

---

(١) هذا ما أمكننا التعرف عليه من مصادره المختلفة .

(٢) الدكتور عبدالحليم محمود – التفكير الفلسفى فى الإسلام ص١٦٥ ط٢ دار المعارف

كما عرفت بأنها البحث العقلى الحر فى الوجود والمعرفة والقيم ، باعتبار الطاقة الإنسانية على وجه الإجمال والتفصيل ، بغير اعتبار لشيء أخر[١] ، من حدوث ، أو قدم ، شرق أو غرب ، إلى أخر التفريعات التى كثر فيها القول ، واشتعبت معها الآراء ، واتفق حولها الباحثون ، أو اختلفوا ، وما يزالون على عهد الاختلاف قائمين .

والباحثون فى الفكر الفلسفى - من ناحية الموضوع - اعتبروا الفلسفة العامة تنحصر فى موضوعات أو نظريات ، أو مباحث ثلاثة هى :

[أ] نظرية الوجود [ب] نظرية المعرفة .

[جـ] نظرية القيم

ولكل منها تفاصيل كثيرة نالت العناية من الدارسين لها ، وها نحن نعرض لبعضها فى شيء من الإيجاز يقتضيه المقام .

الأولى : نظرية الوجود ـ الانطولوجيا [٢]

وهم يذهبون فى تفسير الوجود وكيفية نشأته مذاهب شتى قائمة على اعتبارات تتباعد فيما بينها أحيانا ، وقد تتلاقى فى البعض الأخر ، لكنها فى كل حالاتها قائمة على محاولة فهم الوجود ، والتفهم الدائم لأسراره ، والتعرف على مسائله المتعلقة به .

المذهب الأول : أصحاب القول بالوجود المفرد :ـ

وهم يرون أن الوجود المفرد يقوم على أصل واحد ، وشيء واحد به يمكن تفسير كل مظاهره دون التفات لما وراءه ، سواء كان ذلك الوجود روحيا فقط ،

(١) هذا التعريف هو الذى نراه الأقرب قبولا ، لأنه يحدها على ناحية تقريبية فيها الكثير من الشمول ، لموضوعاتها ومفرداتها .

(٢) الدكتور توفيق الطويل – أسس الفلسفة ص٨٧ .

على ما يذهب اليه المثاليون من أن الروح هى الوجود الحقيقى ، وأن الوجود الطبيعى ليس الا تركيبة ألفها العقل[١] ، فى حدود فهمه لمعطيات الروح ، أو كان الوجود ماديا فقط ، باعتبار أن المادة هى المظهر الطبيعى للوجود ، والمؤكد أن كلا منهما يمثل رأيا مستقلا ، ونظرة فردية خاصة فى تفسير الوجود ، وكيفية نشأة الحياة ، ولا يمكن أن يميل أحدهما إلى الأخر ، بحيث يندمج فيه ، أو تذوب بينهما الفوارق ، وطلقا لهذا فقد صار الوجود وجودين ، أحدهما الوجود الروحى ، ثانيهما الوجود المادى[٢] .

❂ **المذهب الثانى** : **أصحاب الوجود الاثنينى** :ـ

وهم يذهبون إلى أن الوجود ليس شيئا واحدا ، أو أصلا واحدا ، وإنما هما أصلان يكمل كل منهما الأخر ، وهما – المادة والروح ، ويعنون به تركب الوجود من المادة والروح معا ، بحيث يشمل جانب منه المادة ، والثانى الروح ، وذلك ينطبق فى العالم الطبيعى على كل موجود مركب من مادة وروح ، أما إذا كان من الروح فقط ، أو المادة فقط ، فانه يكون خارجا عن نطاق أبحاث الوجود فى الاثنينى ، وان كان داخلا فى مفاهيم أصحاب الوجود المفرد ، وهو ليس مرادا من الآخرين على المعنى الذى ذهب اليه الأولون[٣] ، وبهذا يتخالف المذهبان ، ولا يلتقيان الا فى شيء من المساحات المتباعدة بينهما .

---

(١) الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر – تأملات فى الفكر الإسلامى ص٢١ ط١٩٨٠م – مكتبة دار العلوم .

(٢) راجع كتابنا – فى التيارات الفكرية ص٣٧٥ ومابعدها .

(٣) عرضنا لتلك المسألة بشيء من التفصيل فى كتابنا – أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ، فلراغبها الرجوع اليها متى شاء .

المذهب الثالث : أصحاب الوجود المتعدد :-

وهم يرون تفسير الوجود الفلسفى بأصول ثلاثة هى :-

[أ] المادة ومكوناتها الطبيعية [ب] الروح ومظاهرها الخارجية .

[جـ] الرابطة التى تؤلف بين المادة والروح

فإذا اتفقت الثلاثة فهى الوجود عندهم ، وإذا انفرط عقدها ، أو تلاشى واحد من الثلاثة ، أنقطع الوجود من كل ناحية ، باعتبار ان اجتماع الأصول الثلاثة ضرورة طبيعية للوجود نفسه ، بل هى ذات الوجود على وجه التكامل فيما بينهما[١] ، وقد يزيد آخرون على ذات الثلاثة عناصر أخرى ، ترجع كلها إلى مفهوم المادة ، كالماء والهواء والنار والتراب ، وهو ما يعرف بالاسطقسات الأربعة[٢] ، التى يفسر بها الكون الموجود .

ولا شك أن كل مذهب من الثلاثة فى تفسير نشأة الكون الموجود عليه مؤاخذات وانتقادات ، ويمكن أن توجه اليه العديد من الأسئلة التى يصعب دفعها ، لكن أكثرها ضعفا هما مذهب الوجود والمفرد ، والوجود المتكثر المتعدد ، أما مذهب الوجود الاثنينى فان أوجه القصور فيه متساوية مع جهات الترجيح ، لكنه إذا ورد على ناحية شرعية ، فالقبول سيكون من حظه ، باعتبار صحة الدليل لا سلامة المقدمات[٣] ، على ما ذهب اليه علماء الأصول .

---

(١) الدكتور مصطفى نصر الدين - دراسات فى الفلسفة اليونانية ص٩٥ ط نوار ١٩٥٥م

(٢) الاسطقسات الأربعة فكرة إغريقية حاول بها قدماء اليونان تفسير الكون وإرجاعه إلى عناصر أربعة سميت باسم الاسطقسات الأربعة ، وهى الماء ، والتراب ، والنار ، والهواء - راجع تاريخ الفلسفة اليونانية ، الفلسفة الاغريقية .

(٣) لأن الشرع هو الأمان ، وفيه العصمة ، وهو الحكم الفيصل ، أما غيره ففيه صواب يقبل ، وخطأ يرد ، وصحة الدليل قائمة فى الأمور الشرعية على ما سلف القول به .

غير أني ألاحظ أن حصر مفهوم الوجود فيما سلف القول به ، قد تعددت الآراء حوله ، وبالغ البعض فيها حتى أنتهى به الأمر إلى إنكار فكرة العدم ، واستبقاء فكرة الوجود فقط ، مع أن الوجود والعدم ، أو الموجود والمعدوم ضدان ، ولكون المعدوم غير مقدور عليه ، وتفهمه – من وجهة نظرهم – صعب فانهم قاسوا ما يتعلق بالغيبيات على المعدوم فكانت النتيجة وقوعهم فى إنكار الغيبيات كلها " ومنها الله تعالى ، والروح والحياة الأخرى[١] ، مما جعل أهل العلم بالله تعالى يحكمون عليهم بالكفر ، ويضمونهم إلى طائفة الإلحاد من غير اعتبار للأسماء التى يقسمون بها[٢] .

وكان الأمر ذلك فى تفسير نشأة الكون قائما فى القديم ، لدى مفكرى الإغريق فى جماعة الحسين والشكاك، والسوفسطائية وغيرهم ، وفى الحديث ظهر فى الوجودية الفلسفية لدى هيدجر ومارثن سكوت ، ومارسيل وغيرهم من زعماء الوجودية على النحو الذى تناقلته الأقوال المعزوة إليهم ، والمذكرات التى حبلت بأفكارهم ، والمؤلفات التى حملت أسماءهم ، سواء فى الوجودية الفلسفية أم الأدبية[٣] ، أم غيرها من الأفكار والمذاهب الوجودية .

بيد أن دعاة الوضعية قاسموا الوجوديين إنكار الغيبيات ، وإهمال فكرة وجود المفهوم كإهمال الغيبيات ، وعدم الإيمان بها مستخدمين منهج التجربة الحسية كدليل على انحصار الموجودات كلها فى المحسوس الذى يقبل التجربة الطبيعية فقط ، بما فيها من ملاحظة وتجربة ، واختبار الفروض ، ثم النتائج التى تلى المقدمات ، بحيث يمكن إعادة التجربة والتجزئة والتكرار ، بل والإعادة

---

(١) الدكتور زكى نجيب محمود – نحو فلسفة علمية ص٧ .

(٢) راجع كتابنا – الالهيات عند ابن سينا ص٩٥ .

(٣) راجع كلا من تاريخ المذاهب الوجودية ، الوجودية للدكتور طلعت الفقام ، كتابنا – فى التيارات الفكرية – أثناء الحديث عن الوجودية

المستمرة حتى تأتى نفس النتائج على الوجه الذى يقف له المنهج التجريبى فقط ، والوضعية لها رؤس وزعماء وأفكار تجتمع كلها فى ثلاثة على وجه التقريب ، حسب المعلومات المتوافرة لدينا :-

[١] الوضعية المنطقية :-

ومن أبرز زعمائها اير ، وشيليك ، لدفيج فتجنشئين فى أوربا ، وتبعهم من اعتنق أفكارهم فى الشرق والغرب على السواء ، ومن يريد التعرف على أفكارهم لا يجد فى الوقت الحاضر صعوبة نظرا للتقدم العلمى فى مجال الطباعة ، وشبكات المعلومات كالإنترنت ، والطابع الألى ، وما تخرجه المطابع على الدوام[١] ، وينقل أفكار هؤلاء سواء تحت عناوين تحمل أسماءهم ، أم جاءت الموضوعات معبرة عن مفاهيمهم ذاتها .

[٢] الوضعية الطبيعية :-

من أبرز دعاتها فى أوربا كوندرسية ، كيلك ، مارتن جفكت[٢] ، وغيرهم ممن يذهبون إلى أن الفلسفة المقبولة هى النقدية فقط ، أما الفلسفة التأملية فهى مفروضة ، لأن النقدية تخضع للملاحظة والتجربة ، وتتم عليها خطوات المنهج العلمى فى قضايا العلوم الرياضية والطبيعية ، باعتبار قبول كل منهما للتحليل والتركيب[٣] ، وتبعهم فى الشرق كثيرون ارتضعوا ألبان تلك الأفكار الهزيلة ، وقاموا عليها إعلانات ودعاية لها ، وانطلقوا فى ذلك الطريق إلى ابعد مدى زاعمين أن ذلك من المهمات العلمية ومظهر من مظاهر التفوق العقلى[٤] ، وهم

(١) أ.ب بنيسون – زعماء الوضعية المنطقية ص١١٥ ت: جورج منسى .

(٢) الأستاذ رأفت صبرى – الوضعية فى مستوياتها ص١٤٣ ط دار الشرق بغداد ، وراجع لدفنج فتجنشين .

(٣) الدكتور زكى نجيب محمود – خرافة الميتافيزيقا ص١٥ ط١ .

(٤) المؤسف له أن ذلك الاتجاه الواهى تبناه البعض فى جامعتنا المصرية المدنية ، تحت اسم التقدمية ، والابتعاد عن التقليد ، والاتجاه نحو التجديد إلى أخر تلك المزاعم الساقطة ، التى هى دليل على سلوكيات القائمين عليها السلبية .

فى كل ما زعموا واهمون ، وفى الخطأ ساقطون ، وفى كل ما أخبروا كاذبون ، ﴿" وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون"﴾[١] .

[٣] الوضعية الاجتماعية :ـ

وممن ارتبطت أسماءهم بها فى الغرب أو جست كونت ، مايكل توبست ، وهيل[٢] ، ومن تبعهم ، وعلى نفس الشاكلة سار ، ولا شك أن الوضعية بأنواعها الثلاثة قائمة على أسس غير صحيحة من الناحية الشرعية التى نؤمن بها نحن ، ونعتقدها فى الله تعالى رب العالمين ، على ما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، ونزل على قلب النبى الأمين سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين[٣] .

ومن المؤكد أن نظرية الوجود الفلسفية قد شغلت الكثيرين ، حتى صارت بالنسبة لهم إحدى المشكلات التى فرضت نفسها على العقول فرضا ، وطرحت على بساط البحث تلتمس الحل ، باعتبار أن الإنسان ومشاكله مرتبطان فى الوجود[٤] ، ولابد من بحث العلاقة بينهما ، لمعرفة أيهما الذى يؤثر فى الأخر ، أو يخضعه للدراسة .

وسنرجى الحديث عن تلك التفصيلات ، التى لابد من تناولها لوقت أخر ان شاء الله تعالى ، أن أمد فى العمر ويسر فى الأسباب ، وأعان على الظروف

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .

(٢) أوجست كونت - غير أوجست كومت ، فالأول من دعاة الوضعية الاجتماعية ، بينما الثانى من أتباع الوضعية المنطقية ، وكل منهما غير الأخر .

(٣) راجع مناقشتنا لتلك الأفكار التى يعتنقها الماديون فى كتابنا - الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص٨١٦ الطبعة السابعة .

(٤) الدكتور محمد عبدالستار أحمد نصار - فى الفلسفة الإسلامية - قضايا ومناقشات الجزء الأول ص٣ ط١ ١٩٣٢م الأنجلو المصرية .

الصحية ، لأن عرض تلك المسائل بشيء من العجلة يؤثر سلبيا ، ولا يقدم خدمة إيجابية ، وهو ما نرفضه .

الثانية : نظرية المعرفة الاكسيمولوجيا

وتعتبر من أكثر نظريات الفلسفة العامة جدلا ، وأوسعها تناقلا ، باعتبارات مختلفة ، بعضها راجع إلى الحديث عن مصادر المعرفة ، من كونها عقلية أو حسية ، ومن كونها حدسية أو إلهامية ، ولأن مصادر المعرفة الإنسانية متنوعة ، فان ذلك قد جعلها من المعالم الرئيسية للمعرفة الإنسانية [١] ، حتى جد الباحثون فى بيانها ، ومحاولة الوصول إلى أحكام ثابتة فيها .

❁ يقول شيخنا[٢] – رحمه الله تعالى – تختلف معرفة الإنسان من ناحية آلاتها ، ومن ناحية قيمتها وثابتها ، ومن ناحية فرديتها وعمومها ، أو شمولها ، ومن ناحيه مصدرها[٣] ، الذى يمكن الرجوع بها اليه ، أو التعرف عليها منه .

كما ان بعض الدراسات توجهت إلى المعرفة الإنسانية باعتبار الحكم على المعارف المتحصلة منها ، ومن كونها يقينية أو ظنية ، مقبولة أو مرفوضة جاءت على مفاهيم عقلية ، أم مظنونات متوهمة ، أو قواعد يمكن تطبيقها ، كقواعد

---

(١) راجع كتابنا – رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق – القسم الأول ص٢٢٧ – ط٣ .

(٢) هو العالم الجليل شيخ الأزهر الأسبق الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود تتلمذت على يديه وزملائى بكلية أصول الدين ١٩٧١-١٩٧٢م حين كان وزيرا للأوقاف ، وظلت تلك الملازمه له ، حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى بعد فترة جهاد علمى ، وتحسب له عند الله تعالى فكان نعم الأستاذ والوالد معا ، وكان شيخى المرحوم أ.د : الحسينى عبدالمجيد هاشم زوج كريمة الإمام الأكبر وكيل الأزهر الأسبق من العوامل التى ساعدت على استمرار تلك الملازمة الكريمة ، فرحم الله شيوخى ورحمنا معهم .

(٣) الدكتور عبدالحليم محمود – التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٢١٤ ط٢ .

عامة كلية ، أو الوقوف بها عند حالات بعينها[١] ، لا تخرج فى مجملها عن النتيجة القائمة فى الظن أو اليقين المطلق المنشوء أو النسبى الذى يمكن قبوله .

❁ ونحن هنا سنشير إلى المعرفة الإنسانية باعتبار مصادرها ، التى عنى بها البحث الفلسفى عموما ، وسوف ندخل اليها المصدر النقلى الذى عرضته الفلسفة الإسلامية وحدها وتميزت به على سبيل الاستقلال ، لأنها التى تؤمن بالله تعالى ، وتعترف بالنقل المنزل بجانب المصادر الأخرى التى تبحث عن البحث الفلسفى المستمر .

[١] المصدر الحسى :-

ويعنون به المعرفة الآتية عن طريق الحواس ، الظاهرة أو الباطنة ، ما دامت يطلق عليها اسم الحس ، فمن الظاهرة : الشم ، والذوق ، واللمس ، والسمع والبصر ، ومن الباطنة : الحس المشترك ، والحافظة ، ثم المتخيلة ، والراهمة بجانب المصورة[٢] ، وكل منهما تنعكس أثارها على الأخرى فى التكامل ، وان كانت تستقل كل واحدة من العشرة فى إطلاق الاسم ، والتعريف عليها .

والمصدر الحسى الظاهرى قد نستأنس له بما ذكره أصحابه ، لكننا نستشهد بما جاء فى النقل المنزل عنه كمصدر معرفى ، قال تعالى ﴿ " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم

---

(١) الدكتورة فوقية حسين محمود – مقالات فى أصالة المفكر المسلم ص٧٢ .

(٢) عنى بذكر تلك الحواس العشرة الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتاب الطبيعات ، والسماع الطبيعى والشفاء ، وكذلك كتبه الطبية ، بل وفى الإشارات والتنبيهات .

تشكرون "﴾[١]، وقال تعالى ﴿"ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا "﴾[٢].

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحدثت عن الحواس كمصدر معرفى كثيرة، وكلها تؤكد على اعتبار الحواس مصادر معرفية، قد تنال الكثير من الثقة والأكثر من اليقين، متى كانت متعلقة بالمعجزات الحسية، التى يأتى بها النبى أعجازا لقومه، وتصديقا لأمر دعواه[٣]، وذلك على نحو مخالف لما تجرى به الوضعية، واصحاب النزعات المادية، ومن ينكرون الغيب لا يعرفون الا الحس فقط إيمانا به، واعتقادا فيه.

ذلك أن النقل المنزل لم يهمل الحس، كما لم يعتبره الوحيد فى مصادر المعرفة، وإنما جعل معه العقل والإلهام، وفوق الجميع النقل المنزل ذاته، أما أصحاب النزعات المادية فهم لا ينظرون إلى ما وراء الطبيعة، إلا نظرة تشاؤم واستنكار، فهى فى نظرهم عجوز شمطاء، استنفذ قواها كر الغداة ومر العشى، وصيرها هيكلا متحطما وعظاما نخره[٤]، ويذكر أحد الناقلين عنهم المنبرى لحمل الراية لهم، والدفع بالآخرين إلى طريقهم أنه يكفر بالغيبيات، ويسميها خرافات، ثم يقول، أنا مؤمن بالعلم كافر بهذا اللغو[٥] الذى لا يقدم نفعا.

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨.

(٢) سورة الاسراء الآية ٣٦.

(٣) عرضت هذه المسألة فى كتابنا - عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية باعتبار أن أقوى طرق إثبات المعجزة الحسية هو المشاهدة ذاتها.

(٤) الدكتور سليمان دنيا -التفكير الفلسفى الإسلامى ص٢٩ مكتبة الخانجى الأول ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

(٥) الدكتور زكى نجيب محمود - المنطق الوصفى ص٧، وهو يكرر تلك الأفكار، ويرددها فى كتابه خرافة الميتافيزيقا، نحو فلسفة علمية، وقول فى الميتافيزيقا، والملاحظ أنها كتاب واحد، ظل صاحبه يغير فى العنوان مع إضافة قليلة، لا تجدى نفعا.

ويذكر كوليه أن أهم ما يمتاز به المذهب الوضعى ، هو رفضه الميتافيزيقا – ما بعد الطبيعة – بحذافيرها ، واعتبارها التجربة أصل وأساس كل معرفة[1] ، وهم بذلك يرفضون كل معرفة غير مادية ، حتى لو كانت قادمة عن طريق العقل نفسه ، باعتبار أن العقل عندهم ما هو الا تموجات مخية حسية ، تنعكس على ترددات‌ها المستمرة ، فيحدث عن طريقها العلم والمعرفة .

بيد أننى أقرر أن الحس مصدر معرفى ما فى ذلك شك ، ولكن درجته ظنية احتمالية ، متى وضعت الحواس فقط ، من غير استناد إلى دعم غيبى ، وهى يقينية ، متى جاءت عن طريق النقل المنزل ، لتثبت بها المعجزات الحسية ، وتتحقق فيها الأحكام الشرعية ، ولا عبرة بالمخالف ، لعدم قيامه على أسس مقبولة .

[٢] المصدر العقلى .

[٣] المصدر الإلهامى .

[٤] المصدر النقلى .

وقد عنيت بها العديد من المصادر ، كما اهتمت بتفصيلات القول فيها ، وها أنذا أحيل اليها ، وارجى الحديث بالتفصيل عنها ، حتى لا يطول البحث ، ولكنى أنبه إلى أن الفلسفة الإسلامية استقلت بالمصدر النقلى وحدها ، وهذا مما يميزها عن غيرها فى هذا الجانب ، ويدفع مزاعم القائلين بتبعية الفكر الفلسفى الإسلامى ، للفكر اليونانى ، أو غيره ، واركز على تأثرها بالنقل المنزل على سبيل الأصالة[2] والاستقلال .

---

(١) أوزفولد كوليه – المدخل إلى الفلسفة ص٣١ – ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى .

(٢) راجع التفكير الفلسفى الإسلامى ، التفكير الفلسفى فى الإسلام ، مقالات فى أصالة المفكر المسلم ، وغيرها ما تناول مصادر المعرفة ، ونشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام .

كما أن الفلسفة الإسلامية تتمايز بموضوعاتها أيضا ، فهى لا تبحث فى الله تعالى أو عنه ، كالحال مع الفلسفات الأخرى فى الجانب الميتافيزيقا ، ولكنها تستدل فقط بطريق عقلى مسترشدا بالنقل المنزل ، فموضوعات الفلسفة الإسلامية هى الله ، والعالم ، والإنسان ، وعلاقة كل منهم بالأخر ، فالله تعالى هو الفاعل القادر المختار ، والعالم هو ما خلقه الله تعالى ويدبره ، ويحفظ عليه أنظمته وبقاءه ، والإنسان هو المخلوق المتميز فى ذات الكون فعلية التوجه إلى الله تعالى وحده بالعقيدة الصحيحة ، والعبادة السليمة ، وسوف نفيض القول فيها ، أثناء حديثنا عن أصالة الفلسفة الإسلامية فى الفكر الإسلامى .

الثالثة : نظرية القيم الابستمولوجيا

وهى التى تعنى بالجمال والحق والخير[١] ، وكل فلسفة أدلت فى هذه النظرية بدلو ، فتجده تصورات أفرادها أساسا تزن به القيم ، بينما راحت الفلسفة الإسلامية تنظر إلى القيم بالمعيار النقلى المنزل الذى لا يأتيه الباطل أبدا ، وبه تستقل ، كما أن القيم فى الفلسفة الإسلامية محددة ، مرتبطة بالإيجاب والسلب ، كما أنها جاءت مقيدة بالثواب ، أو العقاب فى نصوص يمكن تطبيقها فى كل الأزمان ، والأمكنة ، وعلى كل الأفراد ، وهى فى ذات الوقت قواعد ثابتة نتائجها يقينية فيها العلم والعمل يقترنان ، والأجر بعدها يتبعها ثوابا أو عقابا .

من ذلك قوله تعالى ﴿ " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " ﴾[٢] ، والمعنى أن من يفعل الخير ، ولو كان وزنه ذرة من ذرات التراب يجده فى صحيفته يوم القيامة ، ويلقى جزاءه عليه ، ومن يفعل الشر مهما كان قليلا ، فانه يعاقب به ، ويلقى جزاءه عليه[٣] ، وقال الإمام القرطبى

---

(١) الدكتور أحمد عبدالحليم عطية – القيم الواقعية الجديدة ص١٥ ، أسس الفلسفة – للدكتور توفيق الطويل .

(٢) سورة الزلزلة الآيتان ٧، ٨ .

(٣) العلامة الفخر الرازى – مفاتيح الغيب جـ١ ص٦١ .

هذا مثال ضربه الله تعالى فى أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة[١] ، فكل شيء عنده تعالى قائم بالخير والشر ، والجزاء بالثواب أو العقاب .

﴿ وقوله تعالى ﴿ " فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض "﴾[٢] ، وقوله تعالى ﴿ " أن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤتى من لدنه أجرا عظيما "﴾[٣] ،وجاءت تلك القيم الإلهية فى الآيات القرآنية كثيرا ، وأمل أن ينهض البعض لدراستها مع العناية بها تحت نفس المفاهيم الفلسفية ، مع تبديل لفظ الفلسفة بلفظ الحكمة ، فذلك أيسر من غيره طريقا .

ﷺ وقوله صلى الله عليه وسلم " أن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم "﴾[٤] ، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التى تحدثت عن القيم ، من حيث العمل ، والقول ، والنية[٥] ، وكلها بينه تحتاج بذل بعض المجهود فى الوصول اليها ، والتعرف عليها .

۞ وأمل أن أكون قد وفقت فى عرض النظريات الثلاثة التى تجمع الفلسفة العامة ، وتشاركها فى بعضها بعض الفلسفات الأخرى ، مع بيان دور الفلسفة الإسلامية ، وتميزها عن غيرها من الفلسفات التى تشاركها التسمية ، ولكنها تخالفها فى المفاهيم والموضوعات والنتائج وطرق المعالجة .

---

(١) العلامة القرطبى - تفسيرالقرطبى جـ٢٠ ص١٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٥

(٣) سورة النساء الآية ٤٠

(٤) الحديث تعددت رواياته وطرقه ، وله شواهد كثيرة .

(٥) أمل أن يقوم باحث متخصص بدراستها تحت عنوان " القيم الإيجابية فى الآيات القرآنية " او القيم بين العقل والنقل .


الفصل الثاني
تعريف الحكمة الإسلامية
معناها عند المسلمين

ساقط من اصل المصدر

ساقط من اصل المصدر

تمهيد

الحكمة الإسلامية أو الفلسفة الإسلامية وردت لها العديد من التعريفات ، باعتبارات قامت فى إفهام أصحاب التعريف نفسه ، فمن نظر اليها من حيث الموضوعات التى تعالجها قدم لها تعريفا على تلك الناحية ، بأنها البحث فى الموجودات على ما هى عليه ، والعمل بمقتضاه ، فى حدود ما شرع الله ، وبلغ رسول الله ﷺ [١] ، فيما يتعلق بأمور الغيب والشهادة ، أو أمور الدنيا والآخرة .

ومن نظر اليها باعتبار الملكة التى تصدر عنها ، والقوة التى تبدو من خلالها عرفها بأنها علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء ، على ما هى عليه فى الوجود ، بقدر الطاقة البشرية[٢] ، أما ما فوق الطاقة البشرية من حيث البحث والتعرف على العوالم الحاضرة والغائبة ، فهو النبوة ، لأنها جهة أعلى من كل الجهات ، وهى جهة الاصطفاء الإلهى ، قال تعالى ﴿" الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير "﴾[٣] .

ومن نظر اليها باعتبار الأمر الصادر عنها ، عرفها بأنها الفهم لمسائل الكون ، وعلاقتها بالنقل المنزل ، ومحاولة تفهم العالم الغائب فى حدود تصورات العالم المشاهد ، مع الأخذ فى الاعتبار مفهوم الفوارق بينهما[٤] ، من حيث ان أحدهما مشاهد ، والثانى غائب ، وتلك مسألة مهمة عنيت بها الحكمة الإسلامية على وجه الخصوص .

---

(١) راجع كتابنا : قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص٩٥ ط٣ .

(٢) العلامة الجرجانى -التعريفات - باب الحاء ص١٤٧ ط الحلبى الأخيرة .

(٣) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٤) راجع : الدكتورة فوقية حسين محمود - مقالات فى أصالة المفكر المسلم ص١٩٥ ط دار الفكر العربى ١٩٧٦م بتصريف يسير .

أما من نظر اليها باعتبار النتائج المترتبة عليها ، فقد انتهى فى تعريفا إلى أنها : العلم الدقيق ، والفهم المنظم ، لما شرع الله تعالى مع رسوله الأمين ، وأنزل فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وصولا للمعرفة الحقة بالله رب العالمين ، والمبادى الأولى ، وعلاقاتها بالله تعالى على الوجه الذى يرضى الله رب العالمين ، ويجعل صاحبه فى منازل العلماء العارفين[١] وعلى أسرار الله قائمين .

ومن نظر اليها باعتبار المفكر نفسه ، فقد عرفها بأنها العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به ، والقائم بها عند الله هو العالم العامل[٢] ، الذى جعل الله له عنده المحبة ، وفى قلبه من الله تعالى الخشية ، فامتدحهم الله فى كتابه الكريم ، بقوله تعالى ﴿" إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور "﴾[٣] .

بيد أن الذى يقوم بذلك الدور هو الإنسان المسلم ، الذى تدبر آيات الذكر الحكيم ، وسنة نبيه الشريفة ، بفضل المنهج القويم ، الذى استقاه من واقع النصوص المنزلة ، كما أن ذلك التكوين الذهنى للمفكر المسلم ، هو الذى يحققه النص المنزل لمن تدبره[٤] ، وتكون العلاقة بين النقل المنزل والمفكر المسلم علاقة قوية ، ليس من السهل فصل الفكر الإسلامى ، أو المفكر المسلم عنها .

على أنه مما يلفت النظر اليه أن المفكرين المسلمين ، قد عنوا بالحكمة الإسلامية فى المشرق والمغرب ، قديما وحديثا ، بل تلك العناية قد امتدت لتشمل التسمية والموضوعات ، والمنهج والمقاصد ، والغايات والنتائج المترتبة على سبيل الوجود الفعلى ، والأخرى التى ينتظر لها الوجود على سبيل الإمكان ، أو عدم

---

(١) الإمام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب - الجزء السابع ص٧٢ - الطبعة القديمة الغير محققة .

(٢) العلامة النسفى - مدارك التنزيل وحقائق التاويل بهامش تفسير الخازن جـ١ ص٣٢٣ .

(٣) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٤) الدكتورة فوقية حسين محمود - مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٣٦ ط أخوان رزيق ١٩٨٧م/١٩٨٨م .

الاستحالة ، وذلك بين فى دراسة المفكرين للفلسفة الإسلامية ، واهتماماتهم المتزايدة بها[١] ، سواء سميت فلسفة إسلامية ، أو سميت حكمة إسلامية .

أضف إلى ما سبق أن كافة جهات الفكر الإسلامى ، ومناحى المفكرين المسلمين قد عنوا بدراسة الفلسفة الإسلامية ، سواء أعلنوا عن جنهم الدفين لها[٢] ، أو تظاهروا بالعداء الشديد لطلابها ، إرضاء لرغبات العامة[٣] ، أو خيفة اعتقاد الناس فيها على وجه العموم ، فيقع الاهتمام بها موقفا يعلو غيره من مهمات الدين ، أو يجاوز الاهتمام بالنقل المنزل نفسه[٤] ، إذا ما وقع عليه أغرار ، أو أصحاب الشطط والصغار .

لذا رأينا المفسرين والمحدثين ، والفقهاء ،والمتكلمين ، وعلماء الطب والرياضيين ، واصحاب الفلك والطبيعيين ، وعلماء التصوف والأخلاقيين ، بل كافة اتجاهات الفكر من المسلمين ، يدلفون إلى المباحث الفلسفية طواعية أو كرها ، فيبذلون فيها أوقاتا طويلة للتعرف عليها ، ومناقشة ما فيها من قضايا ومسائل ، والبناء عليها ورفع القواعد الثابتة لها ، أو محاولة التغلب عليها وهدمها ، وهو دليل على حب المفكرين المسلمين لها ، ومظهر أكيد على عنايتهم الشديدة بها .

ونود الإشارة إلى أن اصطلاح أو تسمية الفلسفة الشرقية ، إنما هى مجرد تسمية يقصد بها تراث مفكرى الشرق الذى وجد لدى الأمم القديمة التى

---

(١) راجع كتابنا – قضايا حبيسه فى الفلسفة الحديثه ص٢٥ ط الثالثة .

(٢) كالحال مع الكندى ، والفارابى وابن سينا ، وابن رشد ، ويظهر ذلك من دفاعهم الشديد عنها ، وحماسهم المتزايد لقضاياها .

(٣) كالحال مع الإمام الغزالى الذى أحب الفلسفة حتى صار فيلسوفا لكنه كفقيه يخشى رغبات العامة وعواصف الجهل التى لا تعرف حدودا تقف عندها .

(٤) كالحال مع شيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيره كأبن الجوزى ، وابن عرفه – راجع حاشية ابن عرفه ص٤٩ ط الحلبى .

استوطنت بلاد الشرق[1] ، غير الفلسفة فى المشرق الإسلامى ، التى نحن بصدد الحديث عنها فى المشرق الإسلامى مرة ، والمغرب الإسلامى مرة أخرى ، فى مباحث مستقلة سنفردها لها .

❁ ونحن سنقدم نماذج لتعريف الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب ، لا على سبيل الحصر ، وإنما على سبيل المثال ، وبحيث يكون كل تعريف ممثلا لاتجاه معين ، أو فى حدود تقسيم فكر بذاته ، فى المشرق أو المغرب ، لدى الحكماء المسلمين أنفسهم ، وربما أدخلنا تعريفات بعض من المتكلمين والصوفية ، أو غيرهم ، وذلك على النحو التالي :-

[أ] تعريفات بالاسم القائم

عرفت المباحث المنطوية تحت اسم الحكمة فى الفكر الإسلامى بتعريفات كل قد ينسب إلى أحد رجال الحكمة الإسلامية ، على أنه أول من قال به ، نذكر من هذه التعريفات ما يلى منها :-

[١] تعريف الكندى فيلسوف العرب ١٨٥/٢٥٢هـ[2] .

عرفها العلامة الكندى بأنها علم الأشياء بحقائقها بقدر ا لطاقة الإنسانية ، لأن غرض الفيلسوف فى علمه أصابه الحق ، وفى عمله العمل بالحق[3] ، وهذا التعريف يصلح للفلسفة على وجه العموم دون تحديد لنوع الفلسفة ، ويمكن القول فيه ، بأنه تعريف بما أصطلح عليه غير المسلمين ، نقله عنهم كمعبر عن وجهة نظر صاحبه لا ناقله .

---

(١) الدكتور محمد عبدالستار نصار - فى الفلسفة الإسلامية - قضايا ومناقشات جـ١ فى المشرق ص٥ .

(٢) هو فيلسوف العرب الأول أبو يوسف بن يعقوب بن اسحاق الكندى - يمتد نسبه إلى يعرب بن قحطان ، وكان أحداده وآباؤه ملوكا على قبيلة كندة التى نسب اليها ، وهو مفكر مسلم حكيم متكلم على مذهب أهل الاعتزال ، لكنه أعتمد مذهب الحدوث ، وإثبات تناهى العالم فى الاستدلال على وجود الله تعالى - راجع المقدمة الرائعة التى كتبها الدكتور محمد عبدالهادى أبوريدة لتحقيق رسائل الكندى الفلسفية .

(٣) الكندى - رسائل الكندى ص١٠٤ - تحقيق الدكتور محمد أبو ريدة - وكتاب الكندى إلى المعتصم فى الفلسفة الأولى نقلا عن الدكتور محمد إبراهيم الفيومى - تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المشرق ص٢٣٥ .

والعلامة الكندى ذكر العديد من المعانى للفلسفة التى يتناقلها الناس، من غير أن يسبق الأحداث فيقرر أمرا أخر قبل حكاية الأقوال الموجودة، باعتبار احتفاظه لنفسه بالمعنى الذى يتمسك به، ومن هذه التعريفات التى نقلها عن غيره، وذكرها شيخنا(١) لمعنى الفلسفة عند الكندى على النواحى التى يمكن أن ترد عليها.

[أ] تعريفها من ناحية الاشتقاق عرفها بأنها حب الحكمة.

[ب] من ناحية السلوك الإنسانى عرفها بأنها:

[١] التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان، حيث أرادوا أن يكون الإنسان كامل الفضيلة، ولا يعتبر كاملها الا إذا أمكن له أن يتشبه فى السلوكيات الصادرة عنه بالفعال الإلهية، بمعنى أن يكون السلوك محكما قائما على الناحية الكمالية.

[٢] أنها العناية بالموت ويقصدون إماتة الشهوات، فهذا هو الموت الذى قصدوا اليه، لأن إماتة الشهوات هى السبيل إلى الفضيلة، ولذلك قال كثير من أجله القدماء اللذة شر... وأماته ذلك الشر هو نفس الفضيلة التى هى الفلسفة عندهم ونوع من الحكمة عند غيرهم.

[ج] حدُّوها من جهة العلة، فقالوا:

☆ صناعة الصناعات، وحكمة الحكم(٢)، لأنها تصير أله لغيرها، وعلة يقوم عليها ذلك الغير، كما أنها وسيلته التى يحصل بها مطالبه فى البحث.

---

(١) هو الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله، وجعل مثواه الجنة، ولد بكفر أبو أحمد التابع لغيته مركز بلبيس محافظة الشرقية ١٩١٠م ودرس بالأزهر الشريف ثم حصل على الدكتوراه من باريس وعمل بالأزهر الشريف عميدا لكلية أصول الدين، ثم وزيرا للأوقاف ثم شيخا للأزهر وانتقل إلى رحمة الله تعالى عام ١٩٧٨م - راجع له - هذه حياتى والحمد لله.

(٢) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٢٢٢.

[د] **حدوها من جهة معرفة الإنسان لنفسه ، فقالوا :**

☆ هى معرفة الإنسان نفسه ، وأرادوا بذلك أن الإنسان جسم ونفس وعرض ، فإذا عرف ذلك تماما ، فقد عرف كل شيء ، ولذلك سمى الحكماء الإنسان : العالم الأصغر[١] .

☆ وأما حدها التقليدى فهو أنها : علم الأشياء الأبدية الكلية ، انياتها ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة الإنسان[٢] ، باعتبار أن الفلسفة بحث نظرى يمكن تطبيقه على جوانب عملية ، ويؤدى نتائج نظرية أو عملية .

ولا شك أن ما ذكره الكندى من تعريفات منقولة على سبيل الحكاية عن الغير ، لا يقلل من شأنه كمفكر مسلم ، وإنما يؤكد دقة الكندى ، وأمانته فى النقل عن غيره ، ورغبته الملحة فى عدم فرض ضميره على عقول الآخرين ، كما انه بذلك النقل قد لجأ إلى تهيئة الذهن بما ذكره السابقون عليه ، ثم هو بعد ذلك يقدم وجهة نظره فى المسألة ، لا كمقلد لفكر غيره ، وإنما باعتباره صاحب جدة وابتكار ، ونحن نعتبر التعريف الذى ذكرناه عنه[٣] ، ممثلا لرأيه ، أما ما نقله عن غيره فهو ما جاء على سبيل الحكاية عن ذلك الغير .

وقد يحلو للبعض اتهام الكندى بعدم قدرته على تقديم تعريف للفلسفة تواضعا أو ضعفا[٤] ، وهذا الاتهام فى غير محله ، بل أن الأحكام المتسرعة والرغبة فى النيل منه ، أو التسرع فى الوصول إلى النتائج هو الذى جدا بهم إلى ذلك .

---

(١) وهذا المعنى باعتبار أن الإنسان نفسه صار موضوعا معرفيا ، أو هو ذاته وسيلة المعرفة .

(٢) الدكتور عبدالحليم محمود – التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٢٢٢ .

(٣) وهو أنها علم الأشياء الأبدية الكلية أنياتها ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة الإنسان .

(٤) بعض من ينقل عن الغير يذكر ذلك متعجلا مخالفا قواعد البحث العلمى .

الاتهام ، والرجل منه بريء ، يعرف براءته من نقب بين سطور كلماته ، فالرجل فى الغرب فيلسوف متكامل ، وليس الرجل بواحد من الغرب ، وفى الشرق كذلك ، فإذا لم يقدم تعريفا شخصيا للفلسفة فمن أين يكون فيلسوفا ؟ أنها اتهامات تنقصها نتائجها التى تكشف عنها[١] .

غير أنى أرى تأخير الكندى المفكر المسلم العربى فى تقديم تعريفه إلي ما بعد حكايته أقوال الآخرين كان راجعها لأمرين :-

الأول : حكاية سبق العصور الفكرية للإسلام باعتبار الزمان ، وشأن البحث العلمى الدقيق تتبع التسلسل التاريخى للفكرة ، طالما سبق القول بها عند جماعة بعينها ، ثم تناقلتها عنها جماعات أخرى كالحال مع الفلسفة ، سواء فى تعريفاتها ، أو موضوعاتها التى نقلت من القدماء فى الماضى ، وظلت تنقل حثيثا حتى وصلت المسلمين ، وذلك أمر طبيعى .

الثانى : أن الكندى وجد فى نهايات القرن الثانى ومطالع القرن الثالث الهجرى ، وهو العصر الذى كانت فيه السيادة الفكرية للفقهاء ، ورجال التفسير والمحدثين ، وغيرهم ممن كانوا يعنون بالدراسات الدينية على وجه الخصوص ، وكان الكندى أول مفكر ، يخرج على هذا النسق الفكرى ، بعد شيوخ مدرسة الرأى الأحناف فى الفقه ، والمعتزلة فى القضايا العقلية ، فلم يكن من السهل عن الرأى العام أن يجاهر الكندى بدراسة الفلسفة ، أو يعلن عن حبه لها ، أو يقدم تعريفا مستقلا لها يسبق به غيره .

فلأن الفلسفة الإسلامية قد تعرف بأنها : النظرة الإسلامية لحلول مشاكل الطبيعة وما وراءها[٢] ،دون إقحام لها فى الغيبيات ، على سبيل القطع واليقين ،

---

(١) الدكتورة وفاء مرسى – الكندى الفيلسوف ص٤٧ ط أولى ١٩٧٨م ط مكتب الأستاذ .

(٢) الزميل الفاضل الدكتور محمد عبدالتواب السيد يوسف – الصلة بين الفلسفة والتصوف عند ابن عـــربى ص٢١١ – رسالة ماجستير بأصول القاهرة .

وإن حاول بحثها على وجه الداعى الشرعى ، والالتزام بالنقل المنزل ، بحيث تظل أمور الغيبيات والسمعيات محفوظة فى نصوصها ، دون أن يقفز اليها العقل البشرى ، بوضعها تحت دائرة البحث الفنى العقلى الخالص ، لأنه غير مستعد لتناولها بطريق مأمون نظر القدرات العقلية .

وبناء عليه فقد عرفت الفلسفة الإسلامية بأنها : علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هى عليه فى الوجود بقدر الطاقة البشرية[1] ، والفيلسوف المسلم لا يحمل قدراته العقلية البحث فيما هو أعلى من إمكانياتها ، أو ما كان قائما فيما هو أعلى منها ، وذلك شأن الفيلسوف المسلم الملتزم النقل الدينى الصحيح ، الذى وعى القرآن الكريم وفهم مرامى الحديث الشريف فى قوله ﷺ "وسكت عن أشياء من غير نسيان ورحمة بكم ، فلا تسألوا عنها[2] .

[٢] تعريف الفارابى ـ المعلم الثانى ٢٥٩/٣٣٩هـ[3] :

☆ عرفها أبو نصر الفارابى : بانها العلم بالموجودات ، بما هى موجودة[4] عليه ، بقدر الطاقة البشرية وحدها ، دون التفات إلى غير الموجودات على النحو الذى وجدت فيه ، ومن غير تجاوز للمعرفة المقدورة بالطاقة البشرية ، فلا قيمة للمعارف التى تقع فى حدود الطاقة الجنية ، أو الحيوانية ، أو الملائكية ،

---

(١) العلامة السيد الشريف الجرجانى - التعريفات ص١٤٧ ط الحلبى .

(٢) هذا جزء من حديث شريف سبق ذكره كاملا وتخريجه .

(٣) هو المعلم الثانى ، أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان من فاراب ببلاد الترك ، فارسى الأب ، تركى الأم ، كان فيلسوفا متميزا ، ومفكرا على قدر كبير من الحيدة والموضوعية ، واستطاع أن يفصل بين تراث الإغريق والفكر الإسلامى الأصيل ، يظهر ذلك فى معالجاته للمسائل التى تعرض لها - راجع الفارابى للأستاذ سعيد زايد ، وتاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام للدكتور أبو ريان .

(٤) العلامة ابو نصر الفارابى - الثمرة المرضية ص٥ .

بالنسبة للحكيم المسلم ، لأنها غير داخلة فى نطاق ما يمكن التعامل معه بالطاقة البشرية[١] .

☆ كما عرفها أيضا بأنها : العلم بالموجودات ، بما هى موجودة من خلال براهين يقينية معقولة ، بحيث يعطينا تصورا شاملا للكون[٢] ، وعلاقته بالخالق العظيم – الله رب العالمين – جل علاه ، من غير معارضة للنقول الشرعية فى النقل المنزل .

وهو تعريف أعم من سابقه وأكثر شمولا ، وفى نفس الوقت فانه يحد الفلسفة الإسلامية فيقدم تعريفا واضحا ، كما بين نوع الحكم على المعرفة الآنية منها ، والغاية من ذات الفلسفة ، وهى إعطاؤنا تصورا شاملا للكون والحياة ، مع تفصيل العلاقة بين الله والعالم فى حدود النظرة العقلية الحرة ، باعتبار أن الفلسفة الإسلامية مرتبطة بالدين عند المسلمين ، وان ظهورها ونموها كان تابعا لقوة الدين الإسلامى وسعة انتشاره[٣] ، وليست وليدة أفكار أخرى ، ولا يمكن أن تنسب لغير الإسلام .

[٣] الشيخ الرئيس ابن سينا ٣٧٠ / ٤٢٨هـ - ٩٨٠ / ١٠٣٧م[٤] :

ذهب الشيخ الرئيس إلى تعريف الفلسفة بمعنى الحكمة ، لا بمعنى الايثار أو المحبة ، أو ما كان من هذا القبيل الذى استعمله الأقدمون ، لأنه رأى أن لفظ

---

(١) فهو يؤمن بوجودها لأنها جاءت فى النصوص الإسلامية ، ولكنه يفوض أمرها لله تعالى من حيث الحقيقة .

(٢) هذا التعريف هو الذى أمكننى قبسه من كتاب الفارابى الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون الإلهى ، وأرسطو طاليس ص ٥٤/٥٠ ط بيروت .

(٣) الأستاذ محمد لطفى جمعه – تاريخ فلاسفة الإسلام ص٤ .

(٤) هو الشيخ الرئيس أبو الحسين بن على بن سينا ، ولد فى أفشنة ، قرية أمه التى نزح اليها أبوه بعد زواجهما ، أشتهر ابن سينا بالفقه والعلم والحكمة ، كما عمل بالسياسة ، والطب والرياضيات ، وترك العديد من المؤلفات العلمية التى تعتبر من المصادر الموثقة فى كل فن تعرض له – راجع كتابنا أوراق منسية فى النصوص الفلسفية .

الحكمة إسلامى ، جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وشأن المسلم الاتباع لا الابتداع ، أما لفظ فلسفة فهو مأخوذ من طرائق مختلفة ، وتراث منقول عن غير المسلمين ، ويمكن استخدام لفظ نقلى أدق منه ، وأكثر صوابا فى أداء الغرض مادام ذلك ممكنا ، فكان هو لفظ الحكمة ، ونعم ما فعل الرجل ، بل أنه سمى كتابه المعنى بنفس الاسم النقلى(١) .

ولذا فهو يعرف الحكمة بأنها : استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية علـى قـدر الطاعة الإنسانية(٢) ، وبالتالى فالحكمة الإسلامية غير الفلسفة اليونانية لدى فلاسفة المسلمين المتقدمين من أمثال الشيخ الرئيس .

وفى ذات الوقت فان ابن سيناء يقسم الحكمة الإسلامية - حسب فهمه لما ورد فى النصوص الشرعية - إلى :-

(أ) الحكمة العلمية ، وهى تتنوع إلى :-

[١] حكمة طبيعية .　　[٢] حكمة رياضية

[٣] حكمة إلهية .

(ب) الحكمة العملية : وهى تتنوع إلى :-

[١] حكمة مدنية .　　[٢] حكمة منزلية .

[٣] حكمة خلقية .

وهذه التسمية النقلية تظهر لنا حرص المفكرين المسلمين على الالتزام بالنقل المنزل ، وذلك ليس بغريب عليها ، لأنهم من أهل الإسلام ، وشأن المسلم الاتباع

(١) من الأدلة على ما تذهب اليه كتابه -تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات - ط دار البستانى بدون تحقيق .
(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا - تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ص٢ .

لا الابتداع ، بل أنهم فى تعريفهم للحكمة لم يخرجوا إلى إطار الفكر غير المسلم ، وإنما عملوا على المواءمة معه .

❁ يقول ابن سينا " الحكمة صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه ، وما عليه الواجب ... ، لتشرف بذلك نفسه وتستكمل ، وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية[1] ، وسوف نعرض لجهود الشيخ الرئيس أثناء تناولنا لفلاسفة المشرف الإسلامى ان شاء الله تعالى أن أمد الله فى العمر ويسر فى الأسباب ، وما ذلك على الله تعالى بعزيز .

[٤] السيد الشريف الجرجانى

عرف الحكمة الإسلامية : بأنها التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية ، لتحصيل السعادة الأبدية ، كما أمر الصادق ﷺ فى قوله ﷺ تخلقوا بأخلاق الله ، أى تشبهوا به فى الإحاطة بالمعلومات ، والتجرد من الجسمانيات[2] ، فان ذلك هو المنهج الإسلامى .

وبهذا يتبين لنا أن فلاسفة الإسلام لم يهملوا باللفظ المتداول ، ولكنهم بينوا عدم انطباقها على المفاهيم الشرعية ، أو كشفوا عن تمايز قائم فى الفكر الفلسفى والمفكرين المسلمين ، وهو العموم والشمول مع الدقة والأمان فى الفلسفة الإسلامية ، وعدم تحقق ذلك فى اليونانية ، أو غيرها ، كما أن مجرد الاشتراك فى استعمال بعض الألفاظ أو الطرائق ، ليس مدعاة للتصديق أو التسليم بان الفلسفة

---

(١) المصدر السابق ص٣ وهذا التعريف يتردد فى مؤلفات ابن سينا كثيرا ، للدلالة على تفرده عن الفكر المشائى وغيره ، ونحن نؤكد أن الرجوع إلى نصوص ابن سينا هو المنهج العلمى ، أما النقل عن غيره واتهامه به ، فذلك ليس مقبولا عندنا .

(٢) العلامة السيد الشريف الجرجانى - التعريفات ص١٤٧/١٤٨ .

الإسلامية وليدة الفلسفة اليونانية ، أو أنها تمت بعد حصر الترجمة ، كما ينتقل الكثيرون ممن يتعجلون إصدار الأحكام على المسلمين .

كما ان الفيلسوف المسلم تتسع دائرة أبحاثه عن غيره ، لما هو معروف من أن كل عالم ، أو باحث إنما يبحث موضوعا معينا ، يمثل جهة من جهات البحث فى الكون ، طبقا لظروف الحياة التى يعيشها الباحث[1] ، أما الفيلسوف فانه يوسع دائرة البحث كثيرا ، حيث يمتد فيشمل البحث فى أصل الكون ، وعلاقته بغيره ، وليس بإضافى جهة واحدة من جهاته على ما يفعل غيره ، وهو فوق ذلك يحاول تقديم إجابات موثقة على الأسئلة التى ترد من غيره عليه ، بدليل أن غير المسلمين قد حاولوا البحث فى أصل الكون ، لكنهم راحوا يتساءلون :-

- **هل وجد الكون من شيء ، ام من لا شيء حسب تصوراتهم الذاتية ؟**
- **هل الكون حادث أم قديم على المفهوم اللغوى الذى يأتى مع المعنى ؟**
- **هل هو مكون مادة صرفة ، والروح عارض من عوارضه تظهر عليه ؟**
- **أو هو روح صرف ، والمادة صورة من صوره التى تصاحبها[2] ؟**
- **أم هو مادة وروح معا ، أو هو مادة ولا روح ، وإنما هو وهم وخيال ؟**

وهل وجد الكون عن طريق المصادفة أو بقدرة قادر ، ومن هو هذا القادر ، وما صفاته ، ومن أى نوع تكون علاقته بالكون ، وهل الأفكار الحاصلة من التجربة والاستنباط خطأ أم صواب ؟ ثم ما هو المقياس فى الحكم عليها من طريق الحسن والقبح ، والخير والشر ، والحق والباطل[3] ، إلى غير ذلك من الأسئلة التى استطاع الفيلسوف المسلم تقديم إجابات محددة لها مأمونة ، لأنها جاءت

---

(١) الدكتور محمد السيد صبرى - مناهج البحث النظرى ص٨/٧ ط أولى ١٩٧١م - دار عدنان - حلب .

(٢) هذه الأسئلة تناقلها الدارسون كمعطيات فكرية لدى فلاسفة اليونان قديما .

(٣) الأستاذ محمد جواد معنية - معالم الفلسفة الإسلامية ص١٣ .

على أدلة من النقل المنزل ، ومن ثم كان تعريفهم للفلسفة من هذا الجانب قد روعى فيه شموله الضمنى لتلك الموضوعات العملية والنظرية .

ومن المؤكد أن التفكير العقلى عند المسلمين بدأ إسلاميا صرفا غير مشوب بعناصر أجنبية ، فالمشكلات التى أثارها القرآن الكريم ، والتى أثارها خصوم الإسلام ، نبه القرآن إلى حلها ... كل تلك وأمثالها كانت من المسائل الإسلامية الصرفة التى عولجت بعقل إسلامى صرف أيضا[1] ، من حيث المنهج والغاية ، وما يستتبع ذلك ، وتتميز به الفلسفة الإسلامية على غيرها من الفلسفات التى تشاركها الاسم فقط ، دون الموضوع والمنهج والدافع ، ثم الغاية .

[ب] تعريف بالمعنى الشرعى الوارد فى النقل المنزل

عنى مفكرو الإسلام بالمفاهيم العقلية الذهنية ، والاتجاهات الفكرية التى تسير فى اتجاه منضبط لتوجيه المعارف الإنسانية بالمعنى الشامل على أوسع نطاق ، لكنهم جعلوا ذلك تحت اسم الحكمة التى صارت أبحاثا كثيرة سواء من ناحية التعريف بها ، أو من ناحية أقسامها الرئيسية ، إلى غير ذلك من النواحى العديدة التى تأتى عليها .

لذا أمكن تعريفها بأنها : علم يبحث عن المبادئ الأولى للوصول إلى خالقها بالعلم والعمل على وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، من خلال مصادرها الأصلية التى هى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[2] .

وفى ذات الوقت فإن الحكمة فى الإسلام تقوم على التوصل إلى العلم الصائب ، والعمل على وفق ذلك العلم ، حتى قالوا أنها التخلق بأخلاق الله تعالى

---

(١) الدكتور سليمان دنيا - التفكير الفلسفى الإسلامى ص٣٣٥ .

(٢) راجع كتابنا - قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص١١٢ ط٣ .

بقدر الطاقة البشرية[١] ، بحيث تصدر عنهم أفعالهم طبقا لما استقرت به معارفهم ، التى وردت إليهم بالنقل المعصوم المبلغ عن الله تعالى عن طريق رسوله الأمين ﷺ – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – وفهمه أهل العلم بالله[٢] ، باعتبار ان لفظ الحكمة من صفات الأفعال التى يقع فيها الاشتراك الاسمى بين المخلوق والخالق ، لما هو معروف من أن علماء الكلام فى الإسلام قسموا الصفات الإلهية بهذا الاعتبار إلى قسمين :-

۞ **القسم الأول : صفات الذات** :- وهى ما يختص بها الله تعالى وحده من غير مشاركة لأحد معه فيها ، سواء فى الإطلاق أو الوصف ، كلفظ المبدئى والرازق ، والفاطر ، وما كان منطبقا مع ذلك المعنى المشار اليه ، ويقع خاصا بالله تعالى وحده .

۞ **القسم الثاني : صفات الأفعال** :- وهى ما يقع فيها مجرد الاشتراك اللفظى فى الاسم بين المخلوق والخالق ، مع الفارق الكبير بينهما ، المتحصل فيما بين المخلوق والخالق ، كألفاظ الحكيم ، والسميع ، والبصير ، فان الحكيم على الحقيقة هو الله تعالى ، والإنسان يوصف بها أيضا ، لكن على غير الحقيقة ، وإنما مجرد التشبه وهو المقصود بقولهم مع الفارق فى المعنى ، وهكذا كل ما يتعلق بصفات الأفعال[٣] .

بل ان مفكرى المسلمين على اختلاف انتماءاتهم المذهبية ، قد عنوا بالحكمة من كل جانب ، وأية ذلك أن شيخ المحققين العلامة الشريف الجرجانى عرفها

(١) الدكتور محمد متولى إدريس – تفسير سورة النحل ص٦٦٥ .

(٢) ذلك هو الذى نميل اليه ، أما ما فهمه غير أهل العلم والعرفان بالله رب العالمين فلا اعتداد به من جانبنا ، وان اهتم به أصحابه .

(٣) العلامة الشريف الجرجانى – حاشية الجرجانى على الطوالع ص٧ ، وقد عرضنا لها بالتفصيل فى كتابنا : حبو الوليد فى علم التوحيد ، وغيره حسب توفيق الله تعالى إلينا .

بأنها : العلم بالأشياء على ما هى عليه ، والآتيان بالأفعال على ما ينبغى[١] ، وهكذا ننوه إلى بعض جهود مفكرى المسلمين حول بحث المسألة مما يجعلنا نومئ إلى بعض المحاولات فى جانب التعريف هنا على ناحية غير التى سلف القول بها ، ونقصد بها أول من استعمل لفظ الحكمة بمعناها الفنى .

۞ أول من استعمل لفظ الحكمة :

من الصعب تحديد أول من استعمل لفظ الحكمة ، أو معناها فى الفكر الإسلامى من الناس ، وتلك الصعوبة راجعة لوجودها فى نصوص الدين الإسلامى نفسه فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهى قد استعملها الحديث الشريف دالة على رجاحة العقل وسلامة الفكر ، والتأمل المستمر فى الكون ، ففى الحديث الشريف ، ما روى عن عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " لا حسد الا فى اثنتين ، رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها[٢] ، وبالتالى فاستعمال النقل المنزل لها سابق على أى استعمال أخر بعده .

غير أن المؤكد هو اعتبار صحابة رسول الله ﷺ حكماء بالمعنى الشرعى ، على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأية ذلك ما روى أن وفدا جاء إلى رسول الله ﷺ فسألهم عن حالهم من الإيمان عقيدة وشريعة وأخلاقا ، فجاءت إجابتهم بما يوافق القرآن الكريم والحديث الشريف ، فقال عنهم رسول الله ﷺ " ورب الكعبة هم حكماء ، كادوا بفقههم[٣] ، أن يكونوا أنبياء[٤] " .

---

(١) راجع العلامة السيد الشريف الجرجانى - شرح المواقف فى علم الكلام - الموقف الخامس فى الإلهيات ص٣٦٥ - تحقيق الدكتور أحمد المهذب - مكتبة الأزهر .

(٢) شيخ الإسلام النواوى - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - كتاب العلم ص٤٤٩/٤٥٠ والحديث متفق عليه

(٣) وفى رواية كادوا بفعلهم أن يكونوا أنبياء - راجع أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ٢ ص٤٨٧/٤٨٨

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد ، والخطيب فى التاريخ ، وانظر أيضا من وصايا الرسول ﷺ الوصية الثابتة ص١٨ .

وفى التوجيه النورانى " الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها لا يبالى من أين جاءت[١] ، " وما روى عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال " كونوا ربانيين حكماء فقهاء[٢] " وكان الصحابة والتابعون ، وكثير من مفكرى المسلمين سواء – من شيوخ المذاهب الفقهية أو غيرهم – لا يستعملون الا لفظ الحكمة ، ويحرمون مجرد استعمال لفظ الفلسفة الا منسوبا لفكر اليونان ، مع وصفه بأنه خارج نطاق كلام أهل الملة[٣] .

أما استعمال الكندى والفارابى لفظ الفلسفة فلا يمكن حمله إلا على أنه نوع من استخدام اللفظ اليونانى مع تعبئته بالمضمون الإسلامى ، ومرجع ذلك عندى إلى أن كلا منهما لم يكن يعتقد بحرمة استعمال لفظ الفلسفة اليونانى ، على معنى العلم بحقائق الأشياء بقدر الطاقة الإنسانية ، وإنما كان يميل إلى أن لفظ الفلسفة كلفظ الحساب ، والجبر ، والفقه – بمعنى الفهم – يمكن استعماله كلفظ بعد عبئته بالمعنى الإسلامى الهادف ، فهم إذا استخدموا اللفظ الوارد من غير المسلمين ، فانهم لم ينظروا اليه الا كوعاء لفظى فقط ، أما المعنى فانه يكون من المفاهيم الإسلامية الخالصة فى المعنى والمبنى ، بجانب الغاية ، وهو الذى نظنه فى مفكرى الإسلام من أهل العرفان بالله تعالى[٤] .

فى نفس الوقت فان الألفاظ المنقولة للاستعمال على سبيل التداول موجودة فى كل لغات البشر ، من العرب لغيرهم والعكس ، وذلك أمر منازعة فيه ، فطبيعة

---

(١) أثر مشهور يجرى على ألسنة أصحاب التخصص ولهم فيه جهود .

(٢) الدكتور الحسينى عبدالمجيد هاشم – أئمة الحديث النبوى ص١١ ط مجمع البحوث الإسلامية .

(٣) ولذا يفهم مذهب القائلين بالتحريم بأنه قائم على فتاوى الفقهاء فى حرمة استعمال اللفظ الأجنبى عن الملة الإسلامية .

(٤) ذلك هو مذهبى القائم على حسن الظن بالله تعالى ورسوله ، وحسن الظن بأهل الإسلام ، فالنوايا لا يعلمها الا الله تعالى .

الحياة فرضت على الناس – قديما وحديثا وستظل – التعامل الحياتى الذى يحتاج اللغة المعبرة ، ومن ثم فتعلق بعض المفردات بالأذهان ، وتنقل إلى الآخرين ، سواء قصد بها المعنى القائم فى ذهن قائلها ، أو استعملت فى المعنى المستجد الذى تمت معالجتها من خلاله[١] .

وتاريخ اللغة بل وفقهها يشهدان بأن اللغة تأتى بالاتفاق أو الاصطلاح ، كما تتم بالنحت أو النقل أو الاشتقاق ، وإذا كان للتواضع فيها النصيب الأوفى[٢] ، فان ذلك لا يمنع دور النقل فيها من لغة إلى أخرى فى بعض الألفاظ ، واستمرار ذلك الدور ، سواء تسع ميدانه أم ضاق ، وذلك لم تحرم منه أمة قديما أو حديثا ، إلا إذا انعزلت عن الحياة وهو مالم يحدث أبدا .

وهذه الألفاظ المنقولة من لغة قوم إلى لغة آخرين ، متى استعملت عند المنقول إليهم ، وصارت جزءا من تراثهم اللغوى ، فإنها تبتعد فى المعنى تماما عن سابقتها[٣] ، حيث يقوم المنقول إليهم بتعبئتها بالمعانى المرادة عندهم ، وإن ظلت الألفاظ أو الحروف كما هى قائمة بذاتها على سبيل الاشتراك اللفظى بينهم وبين آخرين .

وكلمة فلسفة اليونانية ، سواء جاءت من فيلو ، سوفيا ، أو من فيلاسوفى ، أو من غيرهما فقد انتقلت حروفها – ف ل س ف هـ – إلى لغة العرب ، ولكنها استعملت لا فى معنى الحكمة محبة أو إيثارا ، كما هى عند المفكر اليونانى ، وإنما استعملت فى المعنى الأخر ، وهو البحث العقلى الحر فقط ، والتفكير غير المقعد[٤] ، وذلك يؤكد أن المسلمين لم يستعملوا لفظ الفلسفة اليونانى على نفس

---

(١) الأستاذ حسان نور الدين – علم اللغة قديما وحديثا ص٤٥ ط دار نصار ١٩٧٧م .
(٢) الدكتور عادل سلامة – نظرات فى تاريخ اللغات ص٢٣ ط برهان .
(٣) راجع كتابنا – الغزاليات فى السمعيات ص٦٤١ وما بعدها .
(٤) الدكتور عبدالمنعم حامد المرسى الصاوى – معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس ص٢٢٥ – ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

المعنى الذى قال به أهل اليونان أبدا[١]، وبه تنتفى مزاعم القائلين بأن المفكرين المسلمين عاشوا لفكر اليونان مقلدين، أو على خطوات المشائين كانوا سائرين.

أضف إلى ما سبق أن الفيلسوف الكندى قد درس الفلسفات المختلفة، وشرحها وأصلح ما بها من أخطاء فنية، وبخاصة اليونانية، بعد أن ترجمت إلى العربية، وأوضح منها المشكل، ولخص المستصعب، وبسط العويص[٢]، لكنه فوق ذلك استطاع الاهتمام بالمعانى اللغوية والاشتقاقية لمصطلحات الفلسفة، حتى تمكن من أن يبتكر المصطلح العربى المطابق[٣]، الذى يعبر عن فكره الإسلامى، ويتوافق مع العقيدة الدينية، وذلك مما يجعلنا نؤكد بأن المفكر المسلم لم يكن مقلدا لغيره، حتى وأن تأثر بعض الشيء بألفاظه أو استعمل المنهج أو طرائق المعالجة، أو استخدم الألفاظ المتداولة عند الآخرين.

ولعل هذا التعليل يكون مقبولا من جانبى، وبه يندفع الزعم بمسايرة فلاسفة المسلمين لمفكرى اليونان، أو متابعتهم لهم، "لأن الحكمة الإسلامية تمثل وحدة لا سبيل إلى إنكارها[٤] – على الرغم من اختلاف الأماكن التى ظهرت فيها، والمؤلفات التى صنفت لها – كما أن نفس الملامح الأساسية الموجودة عند فلاسفة الإسلام فى المشرق هى بعينها الموجودة عند إخوانهم فى المغرب، ونقطة البداية عندهم واحدة هى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتعاليم الإسلام المتعلقة بالحياة اليومية[٥]، التى يجدون أنفسهم بحاجة إلى دراستها والتعرف عليها.

---

(١) ابن حلجل – طبقات الأطباء الحكماء ص٧٤ – تحقيق فؤاد السيد

(٢) المصدر السابق ص٧٤/٧٥.

(٣) الدكتور عبدالرحمن بدوى – دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى ص١٤٣ طبعة بيروت.

(٤) وذلك واضح فى تعريفات الأقدمين والمحدثين من مفكرى المسلمين. راجع – التفكير الفلسفى الإسلامى ص١٣٥

(٥) شاخت وبوزورت – تراث الإسلام جـ٢ ص١٦٦ – الطبعة الثانية – عالم المعرفة العدد ١٢ – ١٩٨٨م ترجمة دحسين مؤنس.

ومن الأدلة عليه أيضا أن حكماء الإسلام لم يكونوا يتسمون بالفلاسفة ، وإنما كانوا يعرفون بالحكماء ، كما عرف المعنيون بالأحكام الشرعية بالفقهاء ، وأصحاب النحو بالنحاة ، وأصحاب البلاغة بالبلغاء ، وعلماء الحديث بالمحدثين ، وعلماء التفسير بالمفسرين[١] ، ومن ثم ، فمن اشتغل بالعلوم الشرعية بعد معرفته بها سمي حكيما ولم يتسمى فيلسوفا ، فعرف الفارابى بأنه حكيم ، وكذا الكندى وابن سينا وغيرهم من حكماء الإسلام .

بل ربما أمتد فشمل الوصف بعض علماء الصوفية ، ومنهم الحكيم الترمذى ، حتى صار وصف الحكيم يطلق عندهم -بجانب ما ذكر- على كل متقن العلم المتمكن منه ، مع العمل بمقتضاه ، ما دام ذلك قائما على قواعد شرع الله ، فيقال عليه فلان حكيم زمانه ، وفريد عصره وأوانه[٢] ، إلى غير ذلك ، وكان الوصف بالحكيم يغلب غيره من الأوصاف الأخرى .

بل يذهب بعض الباحثين إلى أن المفكرين الأقدمين سموا أنفسهم بالحكماء ، فلما جاء فيثاغورس أدرك أن المعرفة الحقيقية لكل العالم إنما هى من نصيب الإله وحده ، ولهذا فان الإله وحده هو الحكيم على الحقيقة ، أما الإنسان فان عليه أن يكتفى بمحبة الحكمة[٣] ، لا الوصف بالحكمة[٤] ، إذ يصعب - عندهم - وصف الله بما يوصف به الإنسان أو العكس ، وإنما يكتفى الإنسان بأن يكون صاحب

---

(١) هذا الوصف باعتبار التخصص فى نوع العلم الغالب على صاحبه عند الممارسة ، ولا يمنع من ذلك معرفته بعلوم أخرى ، وأن لم يبلغ فيها حد التمكن ، فالعبرة بالوصف الغالب ، لا بالوصف العارض .

(٢) راجع الشيخ طنطاوى جوهرى - تفسير الجوهر ، أين الإنسان ، ابن سينا وغيرها من مؤلفاته التى تحتاج إعادة نظر فيها ، ولذا أمل أن يقوم باحث فى العقيدة بدراسة تحت عنوان : آراء الشيخ طنطاوى جوهرى الفلسفية .

(٣) أولف جيجين - المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية ص٢٣ - ترجمة الدكتور عزت قرنى ط دار النهضة العربية ١٩٧٦م .

(٤) ويذهب أحد الباحثين إلى أن الوصف بالحكمة هو الذى يتناسب قوله مع سقراط المتواضع ، أما محب الحكمة فهو الذى يتناسب مع فيثاغورس المتعالى - راجع مدخل جديد للفلسفة للدكتور عبدالرحمن بدوى ص٨ الكويت .

دور هامشى فى المسألة ، والإله فى الفكر اليونانى خيال يصنعه صاحبة لا حقيقة موجودة ، ولذا تعددت الآلهة فى بلاد الإغريق[١] ، وصار كل واحد منها له دور وبينهم أنواع من الصراعات .

أما المفكر المسلم الحقيقى فانه لا يجد صعوبة فى أن يصف الله تعالى بالأوصاف المقدسة المتعالية ، التى لا مثيل لها ، وجاء ذكرها فى النقل المنزل ، لأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيه من عند الله تعالى ، لا مجال للعقل وحده فى القول بها ، وهى صفات الذات الإلهية ، التى لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، لا فى التسمى بها أو الوصف ، كالخالق والبارئ والغفار والقدوس فإنها صفات ذاتية له جل علاه ، لا تقع فيها المشاركة أبدا ، تعالى وتنزه جل جلاله[٢] .

وفى نفس الوقت فان المفكر المسلم يصف الله تعالى بصفات الأفعال ، التى يقع فيها الاشتراك اللفظى – مجرد الاشتراك فى اسم الصفة –لا فى حقيقتها ، فألفاظ المنتقم ، السميع البصير ، الرحيم ، الحليم ، العظيم[٣] ، وغير ذلك من الأسماء التى يقع فيها الاشتراك فى اللفظ فقط[٤] ، حيث تطلق على الله وعلى غيره ، مع الفارق الكبير بين ما لله تعالى وما لغيره ، مما يجرى الوصف فيها على سبيل الاشتراك اللفظى فقط .

۞ لذا رأينا أغلب مفكرى المسلمين يعرّفون الحكمة ، ولا يهتمون بتعريف الفلسفة ، ويتسمون بالحكماء ولا يتسمون بالفلاسفة ، كما انهم يطلقون عليها لفظ ومباحث الحكمة ويقسمونها إلي أقسام مختلفة ، باعتبارات عديدة[٥] ، عنيت بذكرها المصادر

---

(١) الأستاذ صابر محمد توفيق – آلهة اليونان – ص٤٩ الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

(٢) راجع فى هذا الشأن كتب علم الكلام القديمة والشروح التى قامت حولها ففيها تفصيلات مهمة جدا لطالبها .

(٣) راجع حاشية الجرجانى على الطوالع والمطالع ، وكتابنا – حبو الوليد فى علم التوحيد .

(٤) سبق أن ذكرت تلك المسألة وأكدت عليها حتى تستقر فى بعض الإفهام ، وتنال الكثير من الاهتمام .

(٥) ومن يراجع جهود مفكرى الإسلام فى المسألة يجد ذلك واضحا عندهم .

الإسلامية ، ولعل أكثرها شمولا تلك المحاولة ، التى قام بها الشيخ الرئيس ابن سينا حيث قدم ما يلى :-

[١] تعريف الحكمة .

فعرفها بأنها استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية .... وأنها صناعة نظر ، يستفيد منها الإنسان تحصيل ماعليه الوجود كله فى نفسه ، وما عليه الواجب لتشرف بذلك نفسه ، وتستكمل وتصير عالما معقولا ، مضاهيا للعالم الموجود ، وتستعد للسعاد القصوى بالآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية(١) ، وهو تعريف نراه مقبولا على تلك الناحية التى جاء منها التعريف .

[٢] أقسامها :-

۞ قسم ابن سينا الحكمة الإسلامية باعتبار العلم والعمل ، أو النظرى والعملى إلى قسمين :-

۞ **القسم الأول** : **الحكمة العلمية** :- وهى التى تتعلق بالأمور التى لنا ان نعلمها ، وليس لنا أن نعمل بها ، وتسمى حكمة نظرية ، كما تسمى حكمة علمية ، ولأنها متعلقة بالعلم المجرد النظرى فهى تسمى به(٢) .

والغاية من الحكمة العلمية النظرية ، هو حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان ، وإنما ويكون المقصود من تلك الحكمة النظرية هو حصول رأى فقط(٣) ، مثل علم التوحيد ... إذن غاية الحكمة العلمية الوصول للحق بطريق يقينى ، فإذا لم يتمكن المرء من بلوغ الحق اليقينى ،

---

(١) الشيخ الرئيس ابن سينا - تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ص٢/٣ ، وراجع كذلك ما يتعلق بأقسام الفلسفة وأنواعها ، فقد اقتبسته من رسائل ابن سينا مع تصرف فى العبارة اقتضته الضرورة .

(٢) ولا شك أن التسمية قد جاءت على ناحية مقبولة من التقسيم ذاته .

(٣) تلك الغاية نظرية من حيث هى لكنها عقدية من حيث النتيجة المتعلقة بها ، يدرك ذلك من يعرف الفرق بين العقيدة وعلم العقيدة - راجع كتابنا المدخل التام لعلم الكلام ص٣٥ وما بعدها ففيه كلام أراه جيد حول تلك المسألة .

فإن المنحى الاتجاه لدراسة من الحكمة حينئذ لا يكون متحققا ، بل ولا تكون هناك حكمة منشودة ،

أنواع الحكمة العلمية النظرية : تتنوع الحكمة العلمية النظرية المجردة إلى أنواع ثلاثة :-

☆ **الأول : الحكمة الطبيعية** ، وهى التى تتعلق بالحركة والتغير ، من حيث هو فى الحركة والتغير وفى حدود الفكر النظرى المجرد على سبيل العلم به فقط ، ولا سبيل معه إلى التطبيق العملى وإلا خرج الأمر عن نطاق العلم إلى العمل ، وذلك - العمل طبيعة الحكمة العملية ، لا الحكمة العلمية[1] ،وترتيبها فى هذه الأنواع هو الأسفل ، بينما غيره أعلى منه ، ولذا قد توصف الحكمة الطبيعية بانها العلم الأسفل ، كما تسمى العلم الطبيعى .

☆ **الثاني : الحكمة الرياضية** :- وهى التى تتعلق بالموضوعات المجردة فى الذهن وتحتاج إلى التعبير ، وإن كانت لها وجودات أيضا يقع فيها التغير والحركة ، والمخالطة فى الواقع ، لأن دور العقل هنا يفصل بين ماكان من قبيل الطبيعيات الصرفة ، وبين ما كان من قبيل المفاهيم المجردة من ذات الطبيعيات الصرفة ، باعتبار أن الرياضة مفاهيم عقلية يقع فيها تشابك بالوجود الواقعى على ناحية معينة من التجريب أو التجربة ، وأنها ليست تصورات ذهنية خالصة يقع الخيال فيها كل موقع[2] ، ولذا فهى تعرف بالعلم الأوسط ، فهى بذلك تربط بين الحكمة الطبيعية ، والحكمة الإلهية .

والمعروف أن الرياضة علم يقوم على التجريد الطبيعى فى الذهن المستخلص من التجريب الواقعى ، فمثلا علم الحساب - الأرقام - ليس لأفراده وجود فى

---

(١) راجع كتابنا -النسبية فى الفكر الإنسان ص١٧ .

(٢) لا يحتج على ما ذهبنا اليه بما هو مشهور من أن علم الحساب مفاهيم ذهنية مجردة لا وجود لها فى الخارج ، لانـانقول أن هذه المفاهيم الذهنية المجردة مأخوذة من موجودات طبيعية على سبيل التجريد والفرق ظاهر لمن تأمله .

الواقع الخارجى ، إلا كأفراد مستقلة حتى إلى ومليارات مـن النـاس ، فانـهم جميعـا أفراد الإنسانية ، ومليارات الأشجار والحيوانات والرمال ، فإنها جميعا أفـراد يجمع بينها مفهوم عقلى(١) ، طبقا للعلاقة القائمة من إحدى العلاقات الحسـابية الأربعـة المشهورة فى علم الحساب وهى :-

[١] الجمـــع: ورمزه العلاقة (+)

[٢] الطـرح : ورمزه العلاقة (−)

[٣] الضرب: ورمزه العلاقة (×)

[٤] القسمـة : ورمزه العلاقة (÷)(٢) .

فإذا قلنا عشرة برتقالات مثلا ، أو سبعة ، أو ثلاثة ، أو غيرها مـن الأعـداد ، فان العقل يجرد هذا الرقم من أفراده التجريبية ، ويجعله مفهوما ذهنيا ، ينطبق على نفس العد من الأفراد ، سواء كانوا من التفاح ، أو الخشب ، أو غيرها دون اعتبار لنوعه ، وكذا إذا وصفت به أو تمت لها الإضافة ، فـان هنـاك علاقـة تربـط بين المفهوم الذهنى ، وبين الوجود الفعلى ، وهو معنـى التجريب والتجريـد(٣) ، وهـى حكمة رياضية للعقل ، الذى يقوم بذلك الدور على أوسع نطـاق ، وبالتـالى فـهى العلم الأوسط بين الطبيعة والإلهيات على ما سلف القول به .

☆ **الثالث : الحكمة الأولى** :- وهـى التـى تتعلـق بـالموجود المسـتغنى بوجـوده عـن مخالطة التغير ، فـلا يخالطـه أحـد بـالحقيقـة ، وان خالطـه فـلا يكـون ذلـك الا

---

(١) فألفاظ العقود مفاهيم يجتمع تحتها أفرادها التى يطلق عليها المفهوم ، أو تحمل هى عليه ، ومثل العقود غيرها مما عـــنى به علماء اللغة ، وعلماء المنطق ، وألمحت اليه الدراسات الفنية .

(٢) راجع كتابنا – النسبية فى الفكر الإنسانى ص٣١ ، وكذلك المباحث المتعلقة بالعلوم الرياضية .

(٣) الدكتور مصطفى رضوان – المفاهيم الرياضية ص٢١ .

بالعرض لعدم افتقار ذاته اليه فى تحقق الوجود ، والحكمة الإلهية جزء منها ، وهى حكمة أولى لتعلقها بالموجود المستغنى عن كل من الحركة والتغير ، وغير مرتبط فى الذهن بالوجودات التى يقع فيها التغير والحركة والمخالطة الموجودة فى الواقع[١] ، وكما تسمى العلم الأعلى فإنها تعرف بالعلم الإلهى أيضا من باب إطلاق الخاص على العام .

وهذه الأنواع الثلاثة تسمى حكمة نظرية من حيث أنها ليست بدهية ، ونظرية باعتبار أخر هو أنها ليست عملية ، كما أنها نظرية باعتبار ثالث ، وهو وقوع الأنظار فى توصيفها ،والتعرف عليها والانطلاق منها إلى غيرها قبولا ، أو رفضا ، وهى مجرده عن الواقع العملى المعاش فى العلوم الأخرى ،التى تعرف بأنها علوم عملية أو تطبيقية ، وذلك يؤكد سعة أفاق المفكرين المسلمين ، وتنامى القدرات العقلية عندهم ، وتميزهم فى كافة المعارف التى يتناولونها عن غيرهم ، بل وسبقهم لهم فى العديد من المجالات العلمية المختلفة .

۞ **القسم الثانى** : **الحكمة العملية** ، وهى تتعلق بالأمور العملية ،التى لناأن نعلمها ، وفى نفس الوقت نعمل بها ، وتسمى حكمة عملية ، كما تسمى حكمة تطبيقية ، لأنها ليست متعلقة بالنظر المجرد ، وإنما مرتبطة بالواقع العملى الذى لا يخرج عن مفهوم العمل أبدا ، ما دام ذلك على قواعد العلم اليقينى ، فى حدود الإطلاق والنسبية الواقعين فى إطار الطاقة الإنسانية[٢] دون غيرها ، ويمكن إعادته والتجريب عليه .

والغاية من الحكمة العملية ، هو حصول الاعتقاد اليقينى بالموجودات ، والتوصل بالحكم إلى صحة رأى فى أمر يحصل – ذلك الأمر – يكسب الإنسان

---

(١) وهو الذى أميل اليه ونعتبره أكثر ثباتا من غيره ، واقوى فى باب الدلالة عند الاحتجاج .

(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا – تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ص٤ .

ليكتسب ما هو الخير منه ، فلا يكون المقصود بها مجرد حصول رأى فقط ، كما كان الحال فى الحكمة النظرية العلمية ، وإنما يكون حصول رأى لأجل العمل به ، وتحقيق الخير العام الذى يرد على القواعد الشرعية[١] ، بحيث تكون الأحكام العلمية هى الترجمة الذاتية للقواعد الشرعية ذاتها القائمة فى النصوص النقلية ، وتتنوع إلى :–

[١] **الحكمة المدنية** : وهى التى يعلم بها كيف يجب أن تكون المشاركة التى تقع بين أفراد الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان ، ومصالح بقاء نوع الإنسان ، باعتبار أن الإنسان كفرد مدنى بطبعه ، يقع له ما يقع لغيره من أفراد الإنسانية ، ويجرى فى أعراف الناس على سبيل التبادل فى المصالح معارضة ، أو معاوضة فى المجتمع الإنسانى ككل وعلاقته بالمجتمعات التى يتأثر بها ، أو يؤثر فيها[٢] من المجتمعات الأخرى كالنباتية والحيوانية ، وغيرها مما يطلق عليه لفظ المجتمع باعتبار مغاير لمفهوم المجتمع الإنسانى .

[٢] **الحكمة المنزلية** : وهى التى يعلم بها كيف ينبغى أن تكون المشاركة الجادة ، بين أهل المنزل الواحد لتنتظم بها المصلحة المنزلية داخل ذات المنزل ، باعتبار أن تلك المشاركة المنزلية تتم بين الزوجين والوالدين ، والمولودين ، والمالكين والعبيد ، على النحو الذى ينهض بمصلحة هؤلاء الأفراد فى حدود المنزل نفسه[٣] ، حتى إذا اتسعت دائرة المسألة شملت كل أفراد المجتمع ومنازله ، فهى

---

(١) لما هو معروف من أن الحكمة الإسلامية قائمة على القواعد الشرعية ، فإذا خالفت الشريعة الإسلامية فإنها لا تكون حكمة شرعية أبدا ، ولا يصح وصفها بأنها إسلامية من باب أولى .

(٢) الأستاذة هدى محمد عبدالباقى – دراسات فى فلسفة ابن سينا ص٧٣ ط دار الرياض ١٩٦٩م .

(٣) وهذا الفارق جوهرى بين الحكمة المدنية والمنزلية من وجهة نظر الشيخ الرئيس حتى لا يقال ان كلا منهما هى نفس الأخرى .

حكمة تتعلق بأفراد ، أما المدنية فتتعلق بمجتمعات ، وكل منهما بحاجة للأخرى .

[٣] **الحكمة الخلقية** : وهى التى يعلم بها كيف يمكن ادراك الفضائل اكتسابا وتعلما ، بل وكيفية اقتناء الفضائل حتى تزكو بها النفس ، فلا تسقط فى المهاوى والمهالك ، أو تحيط بها ألوان التقصير ، وكذلك معرفة الرذائل ، وطرق الوقاية منها ، والابتعاد عنها حتى تطهر النفس منها ، ولا تنغمس فى ادرأنها[١] ، بل أن النفس الإنسانية إذا وقعت فى شيء منها على سبيل السهو أو الخطأ ، فان الخروج عنه يكون أمرا ضروريا على الناحية الشرعية أيضا ، وذلك من أفانين الحكمة العملية التى عنى ببيانها مفكرو المسلمين الأوائل ، وإن شاركهم فيها الأواخر .

❁ يقول شيخنا[٢] : أن ابن سينا يفرع على تعريفها قسمين نظرى وعملى ، ويجعل الحق هو الهدف المقصود من القسم النظرى ، والحق له من الجلال والكمال ما يجعله اسنى الغايات ، وأسمى المطالب ، ويجعل الخير هو الهدف المقصود من القسم المعلى[٣] ، بالنسبة للفرد والأسرة والجماعة على النحو الذى سلفت الإشارة اليه[٤] ، وتم تناول بعضه على سبيل الإلماح ،والذى هيأ الله لى أسباب تناوله عرضا وتقديما .

---

(١) راجع الأستاذ أبوزيد منصور القرشى – المشكلات الخلقية ص٨٥ .

(٢) هو الأستاذ الدكتور سليمان سيد أحمد دينا – أحد علماء الأزهر الشريف ووكيل كلية أصول الدين بالقاهرة الأسبق ، وعقلية من العقليات الجادة النادرة فى مجال الإبداع العلمى والدينى والأخلاقى ، جاهد فى سبيل الله ما استطاع ، وترك لنا مؤلفات قيمة وتحقيقات عديدة رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

(٣) الدكتور سليمان دينا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص٢٦٧ بتصرف اقتضته الضرورة .

(٤) راجع تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات لابن سينا ففيها بعض التفصيلات اللازمة فى المسألة .

ثم يقول :ويبدو أن الهدف الأساسى من الحكمة العملية لدى فلاسفة المسلمين هو توفير الهدوء والطمأنينة للفرد ليستطيع الحصول على الكمال الحقيقى بالنسبة له ، والكمال الحقيقى للفرد هو ادراك الحقيقة ... فى التشبه بالإله ، ولما كان الإله ليس له جسم يغتذى ، كانت الفلسفة هى الأمر الذى يمكن أن يجمع بين الإله والإنسان ، وذلك هو العلم[1] ، وهو نفس الحكمة النظرية التى إذا جاء العمل معها متوافقا فإنها تكون ذات الحكمة الإسلامية ما دامت قائمة على القواعد الشرعية .

ربما يقال : أن التعريفات التى ذكرتها فى هذا الجانب ، لا تمثل إلا بعض تعريفات مما قدمه فلاسفة المشرق الإسلامى فقط[2] ، أو المشرق العربى على وجه الخصوص ، والعنوان الذى عليه الفصل هو تعريف الحكمة أو الفلسفة عند الإسلاميين ، ومن ثم لا يوجد تطابق أو اتفاق بين العنوان ، وما تحت العنوان ؟

✍ **والجواب** : أنى حاولت تقديم بعض تعريفات الحكمة فى المشرق ، بحيث ينسحب الأمر فيها على مفكرى المغرب أيضا ، كما أنى سأتناولها فى المغرب الإسلامى فى هذا الجزء الذى سأجعله للفلسفة الإسلامية فى المغرب الإسلامى[3] ، وذلك يجعلنى أذكر لها بعض التعريفات عند المفكر المسلم الذى سأعرض له هناك ، سواء كان ذلك هو ابن باجة أم ابن طفيل ، أو ابن رشد أو غيرهم ، وأخشى أن ذكرت تعريفاتها عندهم – هنا – فإذا جاء دور الحديث عن واحد منهم ذكرتها هناك ، كان الأمر تكرارا ، لا جديد فيه ، وهو ما تبتعد عنه عمليات التفكير الدقيق .

---

(١) الدكتور سليمان دينا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص٢٦٨ وما بعدها ، وفيه نفس التصرف على الطريقة السابقة .

(٢) سواء على المعنى الاسمى أو المعنى الشرعى الوارد فى النصوص الشرعية – النقل المتول –وسبقت الإشارة اليه.

(٣) هذا الجزء خصصته كمدخل لدراسة الحكمة الإسلامية فى المشرق والمغرب الإسلامى .

لما هو مشهور من أن الأفكار الفلسفية فى مختلف العصور متصلة الحلقات مرتبط بعضها ببعض[١] ، وذلك ينصب على التعريف ، كما ينصرف إلى غيره مما يتعلق بالموضوعات العقلية ، كما ان مفكرى الإسلام فى المشرق امتدادهم فلاسفة الإسلام فى المغرب ، ولما كانت القاعدة العامة عندهم واحدة ، فان الأصول القائمة يمكن أن تستمر مع زيادة بسيطة ، أو تعديل فى بعض مفردات التعريف المشار اليه لدى الإسلاميين فقط .

أضف إلى ما سبق أن لفظ الحكمة لفظ نقلى ، فالاتفاق حوله كلفظ أمر مسلم به[٢] ، أما تحرير المعنى المراد من لفظ الحكمة ، فربما اختلفت حوله الآراء بحكم الاتجاه الثقافى للمفكر نفسه ، وسواء فى المشرق أو المغرب الإسلامى ، وذلك يستلزم تأجيل الحديث عن تعريف الحكمة فى المغرب الإسلامى ،إلى حين تناول المفكرين ومذاهبهم التى ينتمون اليها فى نفس المغرب الإسلامى ،بحيث يكون التعريف مرتبطا بأفكار المفكر وثقافته فى ذات الوقت[٣] ، وهو أقرب الطرق للتعرف على فكر الحكيم المسلم واتجاهاته .

۞ **وفى تقديرى** :أن حكماء المسلمين أخذوا بالعقل والنقل فى الأمور المعروضة عليهم دون قفز بالعقل إلى ما لا حيلة فيه أو إهمال له فيما يوجد له دور فيه ، وقد توصلوا إلى النتائج التى انتهوا اليها فى الفكر الإسلامى منطلقين من نصوص النقل المنزل ، وانهم إذا امتدحوا واحدا من أهل اليونان كأرسطو أو غيره ، فان ذلك لا يخرج عن تقديرهم للدور الذى قام به فى الجانب المعرفى

---

(١) الدكتور إبراهيم مدكور – فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقية ص١٠٠ – ط دارا لمعارف بمصر .

(٢) ورد فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكذا فى لغة العرب شعر ونثرا – راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام .

(٣) ذلك المنهج أقرب منا لا من غيره ، وفى نفس الوقت فانه يربط بين الفكرة والمفكر والمناقشة ، وبالتالى فيحدث فى النفس معرفة مستقلة عن المعارف السائدة ، وتلك مهمة كبرى .

من غير التفات إلى الدين الذى يعتنقه[١] ،وكذلك يمكن فهم أى تزكية لواحد منهم على الجانب المتعلق بالفكر الذى يخدم الميادين الدنيوية المادية أو غيرها ، لكنه لا يتعلق بالنواحى الروحية الإيمانية ، ولا النواحى المتعلقة بالأمور الغيبية ، وعليه يمكن حمل قول ابن رشد وغيره[٢] ، من مفكرى المسلمين الذين التزموا ذلك الجانب .

وقد يذهب البعض إلى أن لفظ الحكمة على سبيل الاستعمال ، يطلق على المؤلفات التى تعنى بعلوم السحر[٣] ، والتنجيم ، والكهانة ، وحساب الجمل[٤] ، وقراءة الطالع ، والتنبؤ بما يخفيه الغيب[٥] ، بل ان نفس المؤلفات ربما تسمت ككتب بها ، الحكمة المشرقية ، وشموس المعارف الحكمية[٦] ، وشرح الجلجلوتية وغيرها من الكتب التى عنيت بذلك الجانب ، ولفظ الفلسفة الإسلامية يميز

(١) الأستاذ نصر الدين عبدالمولى فرج – الفكر الفلسفى ص١١٣ .

(٢) نسب إلى ابن رشد تقديره الكبير لأرسطو ، ولكنه – من وجهة نظرنا – تقدير قائم على تميز أرسطو فى جانب معرفى يؤدى خدمة بذاتها ، وليس تقديرا له فى المسائل الدينية والدنيوية على السواء .

(٣) السحر علم من العلوم له قواعد وأصول يمكن لمن تعلمها أن يتقنها ، وهو حرام منهى عنه شرعا ، الا إذا كان للدفاع عن النفس فى مواجهة عدوان السحرة أيضا ، راجع الفقه على المذاهب الأربعة للشيخ عبدالرحمن الجزيرى – الجزء الخامس .

(٤) تناول هذه المفردات – السحر – التنجيم – الكهانة – حساب الجمل ، قراءة الطالع ، الكوتشينة ، النرد ، الطيرة ، الفأل ، وغيرها بشيء من التفصيل –العلامة السبكى فى كتابه القيم – الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق ، ونعم ما فعل الرجل رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

(٥) راجع فى المسألة التنبؤ بالغيب للدكتور أحمد الشنتناوى ، والفراسة للإمام الفخر الرازى ، وكتابنا – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .

(٦) وهذه الكتب تنتشر فى العديد من الأماكن ، التى يتردد عليها الناس ، وبخاصة العوام ، والذين قد يحملونها للتبرك بما فيها ، وقد اشتريت بعضها بنفس من مسجد سيدى أحمد البدوى بطنطا ، وكان الذى يبيعها أميا صاحب لحية كثة طويلة ، وأسعار هذه الكتب كانت زهيدة ، ويبدو أن هناك رغبة فى نشرها ، ولذا أود أن يحذرها الناس ، وتضع السلطة المسئولة يدها عليها .

مباحثها عن التى تنطوى تحت اسم الكتب الحكمية ، فكان المناسب تسميتها بفلسفة إسلامية بدل تسميتها بالحكمة الإسلامية الذى تقترحه .

✍ **والجواب الذى أميل اليه هو :** أن ما ذهب اليه البعض إنما هو استشهاد فى غير محله ، لأن ورود لفظ الحكمة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، أمر ثابت عند الجميع من أهل الإسلام كلفظ جاء استعماله النقل المنزل ، وفهمه أهل العلم بالله على أنه رجاحة العقل ، وسلامة الفكر ، ومحاولة التعرف على حقائق الأشياء ، على وفق ما شرع الله تعالى .

كما أنها فى الوضع اللغوى وضع كل شيء فى محله ، والقول الذى يصدر عن الإنسان لا خلل فيه ، وليس فيه موضع للفظ – ليت – أو – لو – وفعل الصواب ، الذى لا اعتراض لأحد عليه ، بل يأتى به الإنسان على وجه الكمال فى حدود الطاقة البشرية[١] .

كما أن استعمال أصحاب السحر والكهانة وغيرهما لفظ الحكمة وإطلاقه على مؤلفاتهم أو وصفها به ، لا يعطيهم وحدهم الحق فى استخدام ذات اللفظ ، أو احتجازهم له ، لأن كل الألفاظ يمكن للكافة والخاصة استعمالها ، والعبرة فى تحديد المصطلح الذى تم التعامل عليه وفصله مع تميزه من غيره[٢] ، لما هو شائع من أنه لا مشاحة فى الاصطلاح ، وإنما النزاع دائما فى المفاهيم المشتركة ، حتى يتم فيها التخصص ، أو يقع لها التعين ، وحينئذ ينقطع النزاع وبغيره يستمر .

بل أن أصحاب السحر والكهانة ، ودعاة التنبؤ بالغيب إذا استعملوا لفظ الحكمة فى مفرداتهم ، أو أطلقوه على مؤلفاتهم ، فهم يهدمون نفس الفكرة التى

(١) الشيخ عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء ص٣٧٠ – مكتبة التراث .

(٢) راجع كتابنا – أوراق منسية فى النصوص الفلسفية عند حديثنا عن ضرورة تحديد المصطلح .

يريدون إقامتها[١] ، لأن الحكمة التى يمكن تفهمها على الناحية الشرعية ، هى التزام أوامر الله تعالى فى العقيدة والشريعة والأخلاق بكل ما فيها من تكاليف وعبادات وقيم ، جاءت فى النصوص الشرعية ، وأصحاب السحر ومن معهم يخالفون تلك القواعد الشرعية ، ومن ثم فان فعلهم وقولهم ونياتهم بعيدة عن الحكمة الإلهية تماما ، ومجرد التسمية بها لا يشفع لهم ، كما لا يرفع من أقدارهم ، وإنما ينزل بها – ان كانت لهم بين الناس أقدار[٢] .

وقد استقرار رأى الفقهاء على ضرورة استتابة الساحر وإلا قتل حدا[٣] ،وفى الأثر كذب المنجمون ولو صدقوا ، وفى الحديث الشريف "من أتى عرافا أو كاهنا أو ساحرا أو منجما فسأله عن شيء فصدقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ [٤] ، وفى الحديث أيضا "من أتى عرافا أو منجما لم تقبل منه صلاة أربعين يوما "[٥] ، والروايات فى هذا الشأن كثيرة ، تحذيرا من أفعال السحر ، وتنفيرا من التعامل معهم ، أو الثقة فى أقوالهم .

وإذا كان الأمر كذلك ،فان استعمالهم لفظ الحكمة لا يقدح فى قيامنا بهذا الدور وإطلاقه بالمفهوم الشرعى على المؤلفات الإسلامية التى نراها ضرورية ، للتعبير عن الفكر الإسلامى بذات الجانب ، الذى يتميز بتحريك العقل فى أكثر

---

(١) ويعرف هذا الاتجاه بانقطاع الموضوع وانعدام الغاية ، ويكون الفعل عبثا أو صاحب فى عداد أهل اللامعقول ، وهم لا يلتفت أحد إليهم ، ولا يهتم بهم .

(٢) أصحاب تلك الأفعال يطلق عليهم الناس ألفاظا قاسية ، كما يصفونهم بالأوصاف القبيحة .

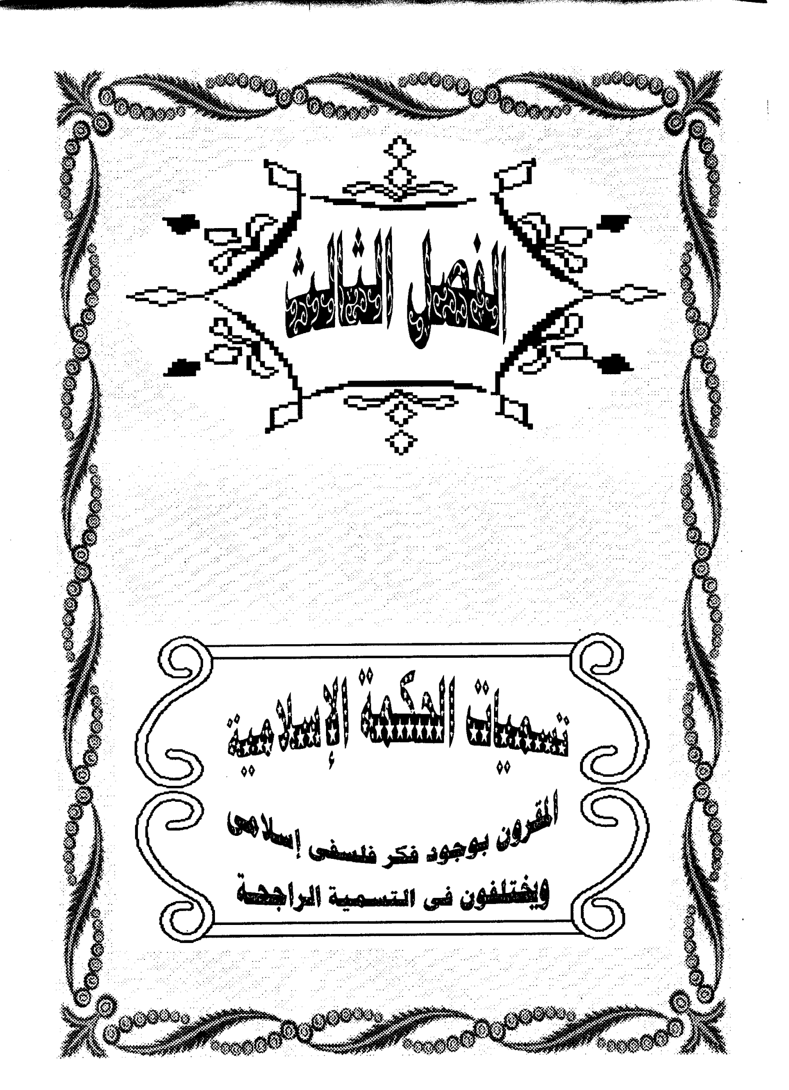
(٣) راجع الفقه على المذاهب الأربعة وأراء الفقهاء فى المسألة

(٤) راجع تفسير سورة الأنعام للدكتورين أحمد الكومى ، محمد سيد طنطاوى .

(٥) راجع شرح الشيخ الفشنى ص٣٧ ، والمواعظ السبعينية ص٤٥ ، وكذلك الترغيب والترهيب للعلامة المنذرى ، وجامع العوم والحكم الشيخ الإسلام ابن عبدالبر .

من اتجاه وكلها قائمة على الأصول الشرعية ، ولا مكان فيها لغير الأمور الشرعية .

إلى هنا نتوقف فى تعريف الحكمة الإسلامية على الناحية الشرعية ، أخذين فى الاعتبار أننا قد نلجأ إلى التفاصيل الدقيقة المتعلقة يبحث تلك الجزئيات ، التى وردت فى ثنايا التعريفات السالفة ، أو جاءت لاحقة لها كتوابع فكرية اقتضتها الضرورة ، فما هى تسميات الحكمة أو الفلسفة الإسلامية بالاعتبارات المختلفة ؟ ذلك ما سوف نلتفت اليه فى الفصل التالى إن شاء الله تعالى ، فهيا اليه والله المستعان .


الفصل الثالث
تسميات الحكمة الإسلامية
المقرون بوجود فكر فلسفى إسلامى
ويختلفون فى التسمية الراجحة

ساقط من اصل المصدر

عرضنا فيما سبق لمنكرى وجود الفكر الإسلامى وشبهاتهم ، وبينا فسادها ، ثم انتهى بنا الأمر إلى القائلين بوجودها وهم يذهبون إلى الإقرار بوجود فكر فلسفى إسلامى خالص ، وإبداع عقلى على العديد من النواحى(١) ، لكنهم لم يتفقوا على الاسم الذى يمكن إطلاقه على تلكم المباحث العقلية الفنية الدقيقة .

كما لم يتفقوا على المناهج المستخدمة فيها ، ولا الغايات التى تقف لها من حيث التسمية ، والإطلاق والاستعمال ، وأن كانت المعانى المتبادلة هى ذاتها القائمة فى الإفهام ، وبالتالى فهم يذكرون لها العديد من الأسماء ، ويطلقون عليها العديد من الإطلاقات(٢) ، بعضها يمكن مناقشته ، وقبول بعضه ، وبعضها الأخر يعتبر رفضه أولى من غيره .

من تلك التسميات والاطلاقات ما يلى :-

[١] **الفلسفة العربية** .

[٢] **الفلسفة الإسلامية**

[٣] **الفلسفة المسلمة** .

[٤] **الفلسفة فى بلاد الإسلام** .

[٥] **الفلسفة العربية الإسلامية ، أو العكس**

[٦] **الفلسفة المسلمة العربية** .

[٧] **الفلسفة القرآنية** .

[٨] **الفلسفة فى العالم الإسلامى ، أو الدول الإسلامية** .

[٩] **الفلسفة فى القرآن** .

[١٠] **الفلسفة الكلامية**

[١١] **الفلسفة الروحية** .

[١٢] **المباحث العقلية فى الإسلام** .

[١٣] **الحكمة الإسلامية**(٣) .

---

(١) يشترك فى هذا كثير من المستشرقين المنصفين ، وهو أيضا أصيل لدى المفكرين المسلمين .

(٢) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام جـ١ ص١٥٧ .

(٣) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص١٧٥ وما بعدها .

- **وأود الالتفات إلى أن تلك التسميات ليست محل اتفاق بين الدارسين** ، وإنما الجدل فيها واسع إلى الحد الذى يصعب معه الالتفاف حولها ، أو التسليم بها على ناحية التسمية أو الإطلاق ، باعتبار أن غير المسلم دائما ينظر إلى الحكمة أو الفلسفة الإسلامية بعين كارهة ، وغرضهم من ذلك الوصول إلى أنه لا يوجد فى الإسلام فكر منظم مبدع ، وأن المسلمين لا نصيب لهم من النظر العقلى الحر[1] ، ومن منهج غير المسلم الذى يجرى عليه محاولة تشتيت الفكر حتى يعجز القاضى العجول عن استصدار حكم لصالح الفكر الإسلامى ، يعبر عن أصالته واستقلاله ، أو يعبر عن مناطق الجدة فيه والابتكار مع الإبداع .

- **والملاحظ أن بعض تلك التسميات كانت أيضا من إطلاقات مفكرى المسلمين** ، سواء كانوا مقلدين لغيرهم من مفكرى الغرب ، فى التسمية والإطلاق ، ويمكن وصفهم بانهم " مقلدة الغرب[2] " وهم الذين يمجدون الفكر الغربى ، وكل الأسماء التى تجرى عندهم يحاولون إبرازها إلى العالم الفكرى ، وتوسيع نطاق المعرفة بها، حتى أنهم ليجعلونهم أعلى من مفكرى الإسلام تماما بل ويعتبرونهم القدوة التى يجب أن تحتذى ، مهما كانت سلبياتهم القصدية على الناحية العقدية والفكرية والأخلاقية .

أو كانوا غير مقلدين لكنهم بحاجة إلى توسيع مجال المعرفة والثقافة ، حتى يعرفوا أن الحكمة والفلسفة الإسلامية لها استقلال خاص ، وأن فلاسفة المسلمين لم يكونوا مجرد نقلة للتراث اليونانى ، بل كانت لهم أصالة فى تفكيرهم ، واستقلال فى مناهجهم البحثية مع وضوح فى آرائهم وكذلك كانت لهم فلسفة خاصة

---

(١) الدكتور إبراهيم بيومى مدكور – فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ص١٥ وما بعدها ط دار المعارف بمصر .

(٢) هذا الإطلاق من عندنا وهو الذى نراه مقبولا كوصف ملاحق لمن يقلدون خصوم الفكر الإسلامى .

بهم ، تصدر عن عقيدة إسلامية قوية لا تنقل نقلا عن فلسفة اليونان ، أو غيرهم[١] .

وحينئذ تكون معرفتهم لهذا الجانب واضحة ، فينتهى الأمر إلى أن التسمية التى يجب أن تطلق عليها على ناحية مقبولة ، لابد أن تكون من جنسها فى الموضوع وطرق المعالجة أيضا ، وليست بعيدة عنها .

❁ **وسوف نعرض لتلك التسميات ثم نناقشها ، حتى نرجح منها ما نراه متفقا مع الأصول الشرعية فى التسمية والإطلاق :-**

التسمية الأولى :– الفلسفة العربية

[أ] العرض :-

❁ **يذهب أصحاب تلك التسمية إلى أن كل ما كتب فى هذا الجانب هو من نتاج عقلى فكرى على سبيل الابتكار يقع فى :-**

[١] أن يكون ما كتب فيها باللغة العربية ، ولذا فهى تسمى فلسفة عربية باعتبار اللغة التى كتبت بها .

[٢] أن يكون من كتبها من العرب أنفسهم ، وهى تسمى فلسفة عربية باعتبار أن من كتبوها كانوا من العرب فقط وليس فيهم من هو غير عربى .

[٣] أن يكون ما كتب فى موضوعات عربية فقط وتعالج موضوعات لصالح البيئة العربية وحدها .

وما دام كاتبوها ، واللغة التى كتبت بها ، والموضوعات التى عالجتها بالعربية ، فمن المناسب أن تسمى بعد ذلك بالفلسفة العربية[٢] ، ، ثم أن تسميتها

(١) الدكتورة سهير فضل الله – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص١٩٦ .

(٢) الدكتور مصطفى رمزى – دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص١٣٧ .

بغير العربية يخرج من تعريفها أصحاب الأصول فيها ، وهم العرب أنفسهم[١] ، ويدخل فى التعريف من لم يكن عربيا ، وهى فوق ذلك فلسفة عربية ، لأن رجالها كانوا يكتبون آثارهم بالعربية[٢] .

ولذا فمن المناسب تسميتها فلسفة عربية ، وهم فى ذات الوقت يرفضون تسميتها فلسفة إسلامية[٣] ،بزعم أن كثيرا ممن ساهموا فى هذا الفكر لم يكونوا مسلمين ، ولا حتى نشأوا فى بلاد الإسلام ، اما التسمية بالفلسفة العربية فانه يسمح بدخول غير العرب طالما كانوا ناطقين بالعربية أو كابتين أو معالجين ، وهو أمر لا يمكن إغفاله .

[ب] المناقشة

◉ نحن نرى أن تسمية الفكر الإسلامى المبدع فى هذا الجانب بالفلسفة العربية فيها نوع من الحصر لهذا الفكر المتسع ، وتضيق للمسائل التى يتناولها، وإهدار لجهود كبيرة قام بها الكثيرون من مفكرى المسلمين ، وبخاصة أولئك الذين لم يكونوا من أصول عربية ، ونحن لا نرتضى تلك التسمية لما يلى :-

◉ **أولا : أن أغلب مفكرى المسلمين فى تلك الفترة كانوا من الموالي الذين دخلوا الإسلام حبا فيه وإيمانا به** ، وقد نشأ كثيرون من العرب نشأة علمية ، وقاموا بدور هام فى تاريخ الفكر الإسلامى ، وكذلك قام علماء فارس من الذين اعتنقوا الإسلام عن حق ويقين ، بدور بارز هام فى إقامة هذا الفكر وتدعيمه[٤] ، ولم يكن هؤلاء عربا ، فإذا جعلناها باسم الفلسفة العربية أخرجنا هؤلاء العظماء من

---

(١) راجع الدكتور محمد عبدالستار نصار - فى الفلسفة الإسلامية قضايا ومناقشات فى المشرق ص١٢ .

(٢) يورس دى ولف - تاريخ فلسفة القرون الوسطى نقلا عن الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص١٥٨ .

(٣) راجع المصدر السابق / فقد ذكر من أصحاب هذا الاتجاه موريس دى ولف صاحب كتاب تاريخ فلسفة القرون الوسطى ، وأميل برهيبه صاحب كتاب تاريخ الفلسفة ، لطفى السيد ، وجميل صليبا فى كتابه - الفلسفة الإلهية عند ابن سينا ومن أفلاطون إلى ابن سينا ص١٢ من المصدر السابق نفسه .

(٤) الدكتور على سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٥٦ .

دائرة الفكر الفلسفى الإسلامى ، وفى ذلك إنقاص لجهود كبيرة ، وإهدار لنشاطات عقلية واسعة ، كالفارابى[١] ، وابن سينا[٢] ، لم يكونوا عربا ، ومع هذا كان الفارابى هو المعلم الثانى فى الفلسفة ، وكان ابن سينا الشيخ الرئيس ، قمة من قمم الفلسفة الإسلامية أيضا ، والإسلام الحنيف هو الحصن الذى اعتصموا به والتزموه ، ولم يكن بينهم فيلسوف عربى الا الكندى[٣] فقط ، فالتسمية بالفلسفة العربية يخرج غير العرب من أهل الإسلام الحكماء الذين لم يكونوا عربا ونحن لا نرتضيه .

ثانيا : أنها تسمية غير جامعة لأن بعضا ممن ينتسبون للفكر الفلسفى لم تعالج موضوعاتهم باللغة العربية ، ولم تكتب بها ، وإنما كتبت باللغة التى يجيدونها ، والمفردات التى يتعاملون معها ، حتى صارت كأنها غريبة عن لغة العرب ، رغم أنها مكتوبة بحروف عربية ، وفى نفس الوقت لم تتقيد كتابتها ومعالجتها باللغة العربية لغة أو موضوعات[٤] ، وبنا عليه فهى تسمية غير جامعة من تلك الناحية .

---

(١) هو أبو نصر محمد بن طرخان المعروف بالفارابى ، نسبة إلى ولاية فاراب من بلاد الترك ، ولد عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م ، ثم نشأ فى عائلة مسلمة كريمة المنبت ، انتقلت فيما بعد إلى بغداد ، وقيل أنه عمل قاضيا فى صدر شبابه ، لكنه بعد هذ العمل مؤثرا تحصيل المعارف " راجع فلاسفة الإسلام للأستاذ سعد عبدالعزيزص٩ وما بعدها .

(٢) هو الشيخ الرئيس أبو الحسين عبدالله ابن سينا ، ولد فى بلدة بلخ من بلاد التركستان عام ٣٧٠هـ ، ويتنازع نسبه كل من الأتراك والفرس ، وهو من كبار مفكرى المسلمين ، عقيدة وثقافة ، وأنعم بشرف الإسلام فهو فوق كل شرف ، وما تزال مكانته فى الفكر الأوربى إلى يومنا هذا ، وهو أول فيلسوف مسلم يقدم مذهبا متكاملا متماسكا فى الفكر الفلسفى الإسلامى ، وفى نفس الوقت فقد رفض التبعية لمذهب المشائيين ، وهو من العلامات المتميزة فى الفكر الإسلامى ، راجع كتابنا - أوراق منسية فى النصوص الفلسفية .

(٣) هو أبو سيف يعقوب بن إسحاق الكندى ١٨٥-٢٥٢هـ الملقب بفيلسوف العرب الأول ، وهو أول من تفلسف فى الإسلام ، وأبدع فكرا كان مددا ينهل منه فلاسفة الإسلام الذين أتوا بعده ، وقد تميز بسعة الاطلاع على العلوم والمعارف ، كما تميز بملكات عقلية ، وقد جمع فى تصانيفه بين أصول التشريع والمنتج العقلى ،وكان متكلما على مذهب أهل الاعتزال ، ترك العديد من المؤلفات فى كافة فروع المعرفة الإنسانية.

(٤) الأستاذ وصفى عطا الله - الفلسفة الإسلامية ص١٧٣ - ط دار الأشقر ١٩٥١م .

۞ **ثالثـا : أنها مانعة ، لأن أغلب ما كتب فى الفكـر الفلسـفى الإسـلامى لم يكن باللغة العربيـة ،** وإنما كان بالفارسية ، أو الأردية ، أو غيرها من السنة المسلمين الذين أمكنهم الشرع الشريف من القيام بهذا الدور ، ودفعهم إلى التأمل والتفكير والتزام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولم يكونوا عربا ، كالإمام البخارى والغزالى والرازى ، والطوسى ، والجرجانى ، وابن سينا ، والفارابى[1] ،

وكذلك غيرهم من مفكرى الإسلام فى التفسير والحديث والفقه والأصول والعقيدة والأخلاق والتصوف ، وسائر العلوم والمعارف الإسلامية ، ولم يكونوا عربا ، وهم فى نفس الوقت كانوا من أجلة مفكرى الإسلام ، فالتسمية لها بالفلسفة العربية تسمية مانعة من دخول مفكرى المسلمين غير الناطقين بالعربية فى المسألة ، وذلك ما لم يقل به مسلم أبدا .

۞ **رابعـا : أنها لا تدخل فى حسابها الا الموضوعات المتعلقة بالبيئة العربية فقط** –من حيث المعالجة – وهى قليلة جدا ، سواء بفلسفتها أو فلاسفتها ، وذلك معنى ضيق جدا ، لأن الفلسفة الإسلامية تابعة للدين الإسلامى ، ولما كان الدين الإسلامى دينا عاما شاملا ، لا يتقيد بالزمان أو المكان ، وإنما هو رسالة عامة خالدة للأنس والجن ، فان الفلسفة الإسلامية قائمة على النصوص الدينية[2] ، وبالتالى فهى أعم وأشمل من البيئة العربية ، بل وأكثر أتساعا ، والتسمية بالعربية لا تكون مقبولة بل مرفوضة ومهجورة معا .

۞ **خامسا : أن اللغة العربية كتبت بها فلسفات كثيرة ليست إسلامية ،** بل ولا تمت للإسلام بشيء ، والعلاقة بينهما هى مجرد الاشتراك فى لفظ فلسفة ، وهذا الاشتراك اللفظى ، لا علاقة له بالمفهوم الفنى للفلسفة ، كما أن البيئة

---

(١) ذلك على سبيل المثال فقط ، وليس على الحصر ، وراجع المنهج لأحمد وغيرها من كتب التراجم والسير وإعلام الإسلام للشيخ الذهبى ، وغيره لتقف على هؤلاء الذين خدموا الفكر الإسلامى .

(٢) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص ١٩١ .

الإسلامية قد وجد فيها فلاسفة ليسو على الإسلام بوجه من الوجوه ، وكتبوا فلسفات أعلنوا عنها بأنفسهم ، وقطعوا الصلة بينهم وبين الإسلام تماما ، ومثلهم لا يمكن حسبانهم على الفكر الإسلامى أبدا[١] ، ولا يمكن أن ينتسبوا إلى العرب أيضا .

وربما يقال : أن تسميتها بالفلسفة العربية قائمة على النصوص الواردة ، من ذلك قوله ﷺ " يا أيها الناس أن الرب واحد ، والأب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى "[٢] ، وبالتالى فهى فلسفة عربية ، لأن النص الشرعى أمر بها ونبه اليها ، ولا تجوز مخالفة النصوص الشرعية حتى لو كان ذلك فى مجرد التسمية .

فاعتبار النبى محمد ﷺ كلا من سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، وغيرهم ممن تكلم العربية عربيا دليل على تسمية ذلك التراث الذى كتبه الفارابى ، والغزالى ، وابن سينا ، وأمثالهم باللغة العربية ، فلسفة عربية أولى من أية تسمية أخرى[٣] ، على أساس أنهم نطقوا العربية ، وتكلموا باللغة العربية ، وكتبوا مباحثهم باللغة العربية ، فهم داخلون فى التسمية ، وهى تنطبق عليهم .

والجواب أن هذا الحديث لا يمكن تفسيره الا بوقائعه التى ذكرتها كتب السير ، من أنه تصادف أن أجتمع فى مجلس واحد عدد من الصحابة فيهم من لم يكن عربيا ، وكانوا جميعا مسلمين ، وكان منهم سيدنا سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، ثم وقف عليهم قيس من مطاطيه ، ثم راح يعرض بأعجميتهم ، لعدم قدرتهم على استعمال الدين بالطلاقه والجودة التى يتمكن منهما أبناء النشأة والبيئة ، وقد استشعر سيدنا معاذ بن جبل وقوع الضيق

(١) الدكتور فاضل عبدالحكيم – دراسات فى الفلسفة الاسلامية ص٢١١ ط دار الرشيد .

(٢) الأستاذ محمد توفيق عبدالمقصود – الفلسفة العربية ص٩٣ .

(٣) الأستاذ سامى الكيالى – السهروردى – ص٨ – سلسلة نوابغ الفكر العربى ط دار المعارف .

عند هؤلاء المسلمين ، فأخذ بتلابيب قيس ، واقتاده إلى رسول الله ﷺ ، ثم أخبره بما قال قيس ، وما حصل لهؤلاء النفر من المسلمين .

فأراد الرسول الكريم أن يقطع دابر العصبية ، فنادى فى الناس قائلا ان الرب واحد والأب واحد ... إلى أخر الحديث[١] ، ويمكن فهمه على أن كل من استعمل الحروف العربية ، ولو كانت قليلة ، فهو عربى اللسان فقط ، فأطفال العرب الذين لا يجيدون استعمال الحروف العربية لصغر السن لا يمكن اعتبارهم غير عرب ، والعبرة هى الإسلام من الناحية الشرعية ، لذا قال " سلمان منا آل البيت "[٢] .

ومن المعلوم أن سيدنا سلمان ﷺ ، كان من أصل فارسى ، وما كان سلمان الا مفكرا على المنهج الإسلامى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وكانت له لمسات فنيه فى كثير من المعارك الإسلامية التى خاضها ، مما يؤكد قدرته الإبداعية ، فهو فيلسوف على الناحية الإسلامية ، ونطقه العربية لم يجعلها جنسا له ، إنما الذى ميز سيدنا سلمان عن غيره هو الإسلام .

ثم أن الجنس العربى ، واللغة العربية كانا موجودين قبل ظهور الإسلام ، ولم تكن هناك فلسفة بالمعنى الفنى[٣] ، اللهم الا خطرات فى مجال التأمل العقلى ، سواء فى الإلهيات أو القيم والأخلاق ، وعلى فرض وجود فلسفة عربية قبل ظهور الإسلام ، وكانت فعلا توصف بها ، فلا شك ان الإسلام لما جاءها قد قلب موازينهم ، وغير اتجاهاتهم ، وصحح مفاهيمهم ، وكانت المباحث الفكرية

---

(١) الأستاذ طه عبدالباقى - دراسات فى المثالية الإسلامية ص١٧١ .

(٢) جمع الجوامع ، أو الجامع الكبير جـ١ ص٥٤٦ ، وهو مروى عن عمرو بن عوف وأخرجه ابن سعد والحسن بـن شعبان .

(٣) الدكتور عبدالمعطى محمد بيومى - الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب جـ١ ص

التى جاء بها التأمل فى الكتاب العزيز ، هى وليدة الإسلام نفسه ، وبالتالى فهى فلسفة إسلامية وليست عربية .

فى ذات الوقت فان معالجة القضايا الفكرية التى هجعت اليها من الحكمة أو الفلسفة الإسلامية ، ومنها التوفيق بين قضايا الدين والعقل ، لم تكن الا وليدة النصوص الشرعية الإسلامية ، فتسميتها بالفلسفة الإسلامية ،أولى وتكون هى المقبولة وحدها على تلك الناحية لما سبق بيانه .

❁ **وفى تقديرى : أن الإصرار على تسميتها فلسفة عربية ، وعدم تسميتها فلسفة إسلامية يرجع إلى أحد أمور عدة ، أو هى كلها مجتمعة :-**

❁ **الأمر الأول :- عدم المعرفة التامة بالحقائق الثابتة ، التى جاء بها الإسلام الحنيف ،** وتأصلت فى أعماق المفكرين المسلمين بجانب الرغبة فى الخلط بين التراث العربى والحقائق الإسلامية ، ثم اعتبار أن سبق العربية لظهور الإسلام هو المرجح لتلك التسمية ، وقد أبنا فساده " لأنه لولا الإسلام ، ما كانت اللغة العربية هى وسيلة التعبير عن الفلسفة الإسلامية ، ولظلت لغة محلية ، معبرة عن البيئة العربية وحدها [1] ، لأن الإسلام لما جاء نقل اللغة العربية من الاستعمال المحلى إلى الاستعمال العالمى ، الذى هو إحدى خصوصيات الدين الإسلامى وهو العالمية .

❁ **الأمر الثانى :- التعصب للجنس والعرق وليس للدين ،** ولذا نجد ذلك واضحا لدى من يتعرض للفلسفة الإسلامية من غير المسلمين ، وهم فى نفس الوقت فربما يوجد فيهم بعض من أبناء العرب ، سواء كانوا من النصارى أو اليهود ، او غيرهم ممن كانوا من أصول عربية ، ولم يدخلوا الإسلام ، أو كانوا من أصول

---

(١) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام جـ٢ ص١٩٥ .

غير عربية ، ثم هاجروا إلى بلاد الإسلام فى الزمان القديم ، وتوارثوا العداء له (١) .

فرغم حمايته لهم إلا أنهم أجرعوا أبناءهم وأحفادهم الكراهية للإسلام ، فلما شب هؤلاء عن الطوق وصاروا عربا باللغة والإقامة ، راحوا يتعصبون للعربية فقط (٢) ، مع أنها ليست لهم بأصل وإنما هى لغة عرفوها ، وبلد أقاموها فيها ، مع احتفاظهم بدياناتهم الفاسدة ، ودفاعهم عنها ، ومحاربتهم الإسلام حتى يظل أمرهم على الفساد قائما .

◉ **الأمر الثالث :- التعصب ضد الدين الإسلامى نفسه** : والضغط المستمر على المفكرين المسلمين حتى يتنازلوا عن تأكيداتهم المستمرة بأن الدين الإسلامى لصالح الدنيا والآخرة ، وأنه دين عالمى الهى ونظام عام خالد ، وأنه الدين السماوى الوحيد الباقى ،الذى له من الشمول والعموم ما يغطى ماجبات النفوس ويشبع رغبات العقول والأجساد فى كل أمورها على الناحية الشرعية ، كما يعرض أمور الروح والوجدان ، وينطوى بين جنباته كل أجناس الأرض (٣) .

فإذا تنازل المفكرون المسلمون عن تلك التأكيدات المستمرة التى هى صلب تفكيرهم ، أمكن لخصوم الدين الإسلامى عزله من ميدان الحياة ، وفصله عن متطلبات الناس ، حتى يصير دوره فى المسجد فقط ، أو يتحول إلى مجرد نصوص تقرأ ، وعبارات تتلى (٤) ، ويتم الفصل فيه بين الدين والدولة ، فيصير الدين أمرا نظريا فقط ، كالحال فى المسيحية واليهودية يمكن القضاء عليه وتصير الدولة حاكما ومحكومين لا علاقة لهم بالدين ، وذلك ما نرفضه نحن المسلمين ، ويحاول

---

(١) الأستاذ صابر فرحات - خطر الأقليات فى البلاد الإسلامية ص١٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص١٩٥ .

(٣) راجع كتابنا - لما انتشر الإسلام جـ٢ ص٢١٧ .

(٤) الدكتور عبدالرشيد سالم الإنشاصى - العلمانية المصدر والخطر ص٢٦٥ ط الانشاصى بعلبك .

التأكيد عليه خصوم الإسلام ، ولو فقهوا أن الإسلام ليس كاليهودية أو المسيحية ، فربما تراجعوا عن شبهاتهم الكذوب ، وعولجوا من أمراضهم المستمرة .

ثم أن تسميتها فلسفة إسلامية لا يمنع من دخول الفلسفة العربية فيها ، لأن الإسلام شمل بلاد العرب والعجم ، كما شمل الإنس والجن ، أما تسميتها فلسفة عربية فقط فانه ينفى عنها المباحث الإسلامية تماما ، ويجعلها تقبل دخول الأفكار المسيحية ، واليهودية ، والبوذية ، والبرهمية[1] ، وكل ما كان من قبيل تلك الأفكار الساذجة ، طالما كان فى بلاد العرب ، أو كتب بلغتهم ، أو حمل أسماء من تسميات أفرادهم .

بل وفوق ذلك فان الفلسفة اليونانية والهندية والصينية ، وغيرها متى كتبت بالعربية فإنها تكون داخلة فى ذات المفهوم ، وذلك مما لا يوافق عليه أصحاب القول بأنها فلسفة عربية ، بل وربما لو أدركوا ذلك لغيروا مواقفهم ، واعترفوا بأنها فلسفة إسلامية خالصة أصيلة ، وليست فلسفة عربية فقط ، كما زعموا وما زالوا على مزاعمهم قائمين .

التسمية الثانية : الفلسفة الإسلامية

[أ] العرض :-

أصحاب تلك التسمية يذهبون إلى أن التعبير الأمثل ، والتسمية المتطابقة ، هما اللذان تكون الأبحاث الميتافيزيقية نفسها دالة عليه ، من غير اعتبار لشيء أخر ، بجانب أن يكون طريق معالجتها هو المنهج الإسلامى ، وفى ذات الوقت تكون الموضوعات القائمة فيها راجعة إلى الأصول الإسلامية ، والهدف منها هو

(١) فى تقديرى : أن المسيحية ليست ديانة الهية ، وكذلك اليهودية ، وإنما كانت النصرانية هى الديانة التى انقضت بنهاية عيسى عليه السلام ، واليهودية انقضت بعد موسى عليه السلام .

خدمة النقل المنزل – فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة –

❁ **إذن مرجع تلك التسمية إلى :-**

[١] أن ما تم تدوينه منها قائما على النواحى الإسلامية(١) .

[٢] أن القائمين عليها كانوا من أهل الإسلام وما زالوا مسلمين .

[٣] أن الموضوعات التى تعالجها قائمة على النصوص الإسلامية ، أو مأخوذة عنها(٢) ، فلم تلجأ إلى موضوعات مستوردة .

[٤] أنها أصيلة فى الفكر الإسلامى ، ولخدمة الدين الإسلامية نفسه ، بحيث لم تخرج عن الأصول العامة فيه ، سواء التى أمكن قبسها من النصوص مباشرة على سبيل المنطوق ، أو أمكن التعرف عليها من فهم النصوص من غير المنطوق .

[٥] أنها ناشئة فى ظل الدين الإسلامى نفسه ، واعتبارها أثرا من أثار الدين الإسلامى نفسه(٣) من غير التفات للملاحقات التى تقوم حوله من الخصوم .

[ﻫ] المناقشة :-

❁ **فى تقديرى : ان تلك التعليلات قد تكون مقبولة - من جانبنا - كلها أو يكون الغالب الأعم فيها هو المقبول ، لاعتبارات بعينها نذكر منها :-**

[١] **أن دين الإسلام ليس عقيدة فحسب** ، ولكنه بجانب ذلك يشتمل على نواحى الحضارة المختلفة ، وفى نطاق هذه الحضارة انبثقت الأفكار فى التعرف على الإله جل علاه والاستدلال عليه ومعرفة والكون والإنسان ، وكان الإسلام عاملا مهما فى دفع هذا الفكر خطوات متلاحقة إلى الأمام ، وفى

---

(١) الأستاذ نور الدين بن الحاج – قراءات فى الفلسفة الإسلامية ص١٧ ط الدار السلفية باكستان .

(٢) الدكتور السيد صبحى – الفلسفة الإسلامية بين الأنصار والخصوم ص٥٣ .

(٣) الأستاذ عبدالقادر السيد حسن – عوامل نشأة الفلسفة الإسلامية ص٢١ .

ظل النظام الإسلامى التقت أفكار الباحثين بغض النظر عن لغتهم ودينهم وبيئاتهم[١] ، ولكن ظل الإسلام هو الهادى والمرشد والموجه لهم ، وهى لذلك تسمى فلسفة إسلامية .

[٢] **أن النصوص التى اعتمدوا عليها فى جوانب الفكر الفلسفى كانت كلها إسلامية** ، وأن المفكر المسلم قرأ تلك النصوص وأستوعبها ، وأفاد من ذلك كله فى تكوين فلسفته الإسلامية ، التى تقوم أساسا على خدمة عقيدته الإسلامية ، وهى أيضا التى تدفعه إلى العلم والنظر ، والبحث الجاد مع التعقل ، بل والتفلسف ، فكانت له من وراء ذلك كله فلسفة إسلامية خاصة به ، متميزة عن غيرها من الفلسفات الأخرى .

وهى فى ذات الوقت تقف بجانبه ، فتؤكد ذاتها، وتثبت وجودها وأصالتها ، وتكون خير رد على من يحاول النيل منها ، أو تجاهل وجودها فى سلسلة الفكر الإنسانى[٢] ،التى لم تنقطع ، وهى لذلك تسمى فلسفة إسلامية ، وتكون التسمية قائمة على أسس مقبولة من تلك الناحية .

[٣] **أن القضايا التى تعرضت لها لم تكن معروفة لدى اليونان ، أو غيرهم** ، كإثبات قضايا العقيدة الإسلامية – الإلهيات والنبوات والسمعيات – واثبات علاقة الله تعالى بالكون ، والكشف عن استمرار نظام الكون من خلال ارادة الله تعالى ، وقدرته ومشيئته على النظام والأحكام والإتقان الذى يدركه كل من لديه مسحة من ذكاء ، ومسائل الغيب والتضاد ، والقدر ،والأفعال الإلهية وعلاقتها بالأفعال الإنسانية[٣] .

---

(١) الدكتور محمد عبدالستار نصار – فى الفلسفة الإسلامية قضايا ومناقشات جـ١ ص١١ بتصرف فى العبارة رأيته ضروريا .

(٢) الدكتورة سهير فضل الله أبو واقيه – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص١٩٩ .

(٣) راجع كتابنا – الإيمان بالغيب واثره على الفكر الإسلامى ص٥٦١ .

وما كان من قبيل الإنطلاقات العقلية التى دفعت اليها النصوص الإسلامية وحدها ، ولم تكن معروفة عند أحد قبلهم ، إذ كان أهل اليونان يبحثون عن إلههم فى المادة وصورها ، وكان اليهود يبحثون عن ذات الإله فى المادة المستجدة وأتباع المسيحية يبحثون عنه فى أسرته الثلانيه وذلك كله لا يمثل مباحث ميتافيزيقة ، بل كل ذلك يؤكد أصالة الفكر الإسلامى فى جوانبه المختلفة ، ويدعم موقف القائلين بأن التسمية المقبولة لتلك الباحث هى تسميتها بالفلسفة الإسلامية .

[٤] **ان الإسلام دين ودنيا ونظام وحضارة** ،وقد أثر ذلك كله على المفكر المسلم ، فأنتج دراسات متميزة ، مع تعدد مصادرها ، وتباين المشتغلين بها ، قد تأثرت تلك الدراسات ولا شك بالحضارة الإسلامية ، فهى إسلامية المنشأ كلها ، والظروف التى مهدت لها ، وإسلامية فى غاياتها وأهدافها ، وإسلامية بما استخلصه الإسلام فى باقتها من أنقى الحضارات ومختلف التعاليم[١] ، فاستنتج حضارة مستجدة متميزة لها خواص بعينها ، ولذا فهى تسمى فلسفة إسلامية .

[٥] **أن العنصر الفعال فى تركيبة الفكر اليونانى ، وغيره مما كان موجودا على الساحة الفكرية كان هو الإسلام الذى ضبط إيقاعاتها ، وهذب قواعدها وأصولها ،** وبالتالى فقد حرص الفلاسفة المسلمون على الالتزام به ، ومحاولة التوفيق بينه وبين الفكر الموجود ، وبين غيره من الأفكار الفلسفية[٢] ، بدءا من تناول المسائل والموضوعات إلى استعمال المناهج والبحث عن الغايات ، وكان ذلك كله من خلال الفكر الإسلامى القائم على النصوص والتوجيهات الإسلامية نفسها ، ولذا فهى تسمى من هذا الجانب أيضا فلسفة إسلامية .

---

(١) الدكتور إبراهيم بيومى مدكور – فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ص١٩ ط دار المعارف .

(٢) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى – الفلسفة الإسلامية ص١٨ .

[٦] **أن أصحاب هذا الفكر المتميز هم الذين سموها فلسفة إسلامية** وكما أنها نشأت فى بلاد الإسلام، وفى ظل دولته من غير نظر لدين أصحابها، ولا لغتهم، ولا نرى فى هذه التسمية موضع نقد يدعو للتفكير فى تبديلها[١]، "كتسمية، كما لا يوجد مركب أخر يحل محله، ويؤدى نفس النتائج المطلوبة فيغنى عنه، ويكون هو المعبر عن روح تلك المباحث ومحتواها على الناحية الفنية، ومن ثم فهى التسمية التى لا بديل عنها، وأعنى بها فلسفة إسلامية بالمعنى الاصطلاحى.

[٧] **أن إطلاق المصطلحات الخاصة أمر قائم فى كافة العلوم**، وهو من خصوصيات كل علم على حده، بل أن القاعدة قائمة على أنه لا مشاحة فى الاصطلاح، وما دام أهل ذلك الفن قد أطلقوا عليه اسم فلسفة إسلامية، فذلك شأنهم، وليس من حق آخرين تعديل المصطلح وإلا فمن واجبهم أيضا إيجاد موضوعات للمصطلح الذى استحدثوه كبديل لما قال به أصحابه، وكذلك المناهج المستخدمة، ثم الغايات المنتظرة، والا كان فعلهم نوعا من العبث، ومثله مرفوض فى الأبحاث العلمية، غير مقبول على النواحى الفنية[٢].

[٨] **أن هذه التسمية فيها العموم والشمول**، بحيث تستوعب كل الأفكار التى كتبت بعقول إسلامية وغيرها، فى موضوعات إسلامية، أو عولجت بمناهج إسلامية، أو حاولت التوفيق بين النصوص الدينية الصحيحة، وبين ما أنتجه العقل السليم، من غير إهمال للنصوص الشرعية، أو حجر على القدرات العقلية، مع البحث عن غاية نبيلة تحقق المصالح فى الدين والدنيا،

---

(١) الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص٢٦، وكثير من الدارسين يرجعون اليه، ونحن قد فعلنا فى هذا الجانب أيضا.

(٢) راجع كتابنا – قضايا حبيسه فى الفلسفة الحديثة، وكتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة وعلم الكلام جـ٢

وتعين على تفهم الميتافيزيقا التأمليه بطرق مأمونه[1]، ولذا فهى تسمى فلسفة إسلامية .

❁ **ونحن نرى : أن هذه التعليلات كلها تقع مقبولة فى دائرة التسمية** ، فهى فلسفة إسلامية ، لأن الإسلام دين وحضارة ، والنصوص التى اعتمدوا عليها إسلامية ، وكذا الموضوعات التى تعرضت لها ، وان تأثيرات النصوص الدينية على الفكر الإسلامى كانت هى العنصر الذى أصلح أخطاء الفلسفات الأخرى ، وأنتج فكرا جديدا ، وأن المصطلحات القائمة لا منازعة فيها[2] ، وما دام أصحابها قد سموها فلسفة الإسلامية فلا ممانعة فى الإطلاق من تلك التسمية[3] ، بهذا الاعتبار ، بل أن الأخذ بها يكون هو الأرجح متى أريد مقارعة الأدلة وحسم المشاكل التى تعترض التسمية .

التسمية الثالثة : الحكمة الإسلامية

❁ **وهذه التسمية قائمة باعتبارات كثيرة نراها من الأهمية بمكان ، وفى نفس الوقت فإنها ترجح غيرها مقبولة من وجهة نظرنا ، ثم هى فوق ذلك كله تجد أدلة نقلية ، وأخرى عقلية ، وثالثة تواضعية ، ورابعة تأليفية ، تؤكد ترجيحها على غيرها من التسميات التى سلف القول بها ومناقشتها ، أو التى لم تناقش بعد ، وذلك لما يلى .**

[١] **أنها تسمية نقلية** ، حيث وردت مادة الحكمة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وصفا لله تعالى ، أو فعلا من أفعال الله تعالى ، على الناحية التى تخصه جل علاه ، أو جاءت وصفا لكلامه تعالى – وهو القرآن الكريم كله أو لآيات

(١) ذلك ما نراه يجعل هذه التسمية راجحة على غيرها ، والأدلة تقدم عليه .

(٢) هذا من القواعد التى أقرها أهل العلم فى كافة فروعه من ان إطلاق المصطلح خصوصية أصحابه .

(٣) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص١٧٥ ط٣ ، ففيها جهد كبير حاولت فيه إثبات أن التسمى بالفلسفة الإسلامية يغلب كثيرا غيره ، بل هو الرأى الراجح إذا قورنت بها من تلك الناحية .

القرآن الكريم كل أية على حدة ، كما وردت تعبيرا عن تميز بعض الأفراد من غيرهم ، منحة من الله تعالى وتفضلا .

والملاحظ أنه قد وردت مادة الكلمة فى القرآن الكريم حوالى مأتين وخمس عشرة مرة[١] كلها لبيان وتوضيح العديد من المعانى الإسلامية ، وهذا يدل على أن هذه الحكمة الإسلامية موجودة فى النقل المنزل بلفظها ، والفكر الإسلامى بمعانيها ، وليست وليدة الفكر اليونانى أبدا ، وإنما هى استنتاج ضرورى لما نبه اليه الشرع الشريف فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

ﷻ فمن وود لفظ الحكمة والحكيم ، وصفا لله تعالى فى القرآن الكريم ، قوله تعالى ﴿" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم"﴾[٢] .

ﷻ وقوله تعالى ﴿" ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم"﴾[٣] ، وقوله تعالى ﴿" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما"﴾[٤] ، وقوله تعالى ﴿" يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فأمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما"﴾[٥] ، وهكذا فإنها قد وردت وصفا لله تعالى فى القرآن الكريم .

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - باب الحاء ص٢١٢/٢١٥ ط مكتبة الغزالى بدمشق .

(٢) سورة البقرة الآيتان ٣١/٣٢ .

(٣) سور البقرة الآية ١٢٩ .

(٤) سورة النساء الاية ١٦٥ .

(٥) سورة النساء الآية ١٧٠ .

ﷺ ومن ورودها فى الحديث الشريف ما روى عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " أن لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة "[١] ، وكذلك ما روى من أن رسول الله ﷺ قال " أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة "[٢] ، ومن الأسماء الحسنى " الحكيم " .

❁ قال العلامة الايجى : الحكيم ذو الحكمة ، وهى العلم بالأشياء على ما هى عليه ، والإتيان بالأفعال على ما ينبغى ، وقيل الحكيم بمعنى المحكم من الأحكام ، وهو إتقان التدبير ، وإحسان التقدير[٣] ، وهى فى أرقى صورها ومعانيها وصف لله تعالى .

۞ كذلك جاءت الحكمة ،وصفا للقرآن الكريم ،وآياته من ذلك قوله تعالى ﴿ " الر تلك آيات الكتاب الحكيم " ﴾(٤) ، أى هذه آيات القرآن المحكم المبين الذى لا يدخله شك ، ولا يعتريه كذب ولا تناقض وأى كتاب غير القرآن الكريم لا يكون محكما(٥) ، وقوله تعالى ﴿ " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " ﴾(٦) .

وبالتالى فالحكمة لفظ دينى نقلى وارد فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، فإذا أطلقها المفكرون المسلمون على بعض المباحث الفنية الدقيقة التى يقومون بها ، فان ذلك يعتبر أمرا مقبولا ، واتجاها يحمد لهم ، باعتبار أنهم اشتقوه

(١) فيض القدير جـ٢ ص٤٨٨ ، وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى والبيهقى .

(٢) جامع الأحاديث جـ٢ ص٤٤٥ ، أخرجه الترمذى ، وابن حبان ، والحاكم والبيهقى .

(٣) العلامة السيد الشريف الجرجانى - شرح المواقف فى علم الكلام - الموقف الخامس فى الإلهيات ص٣٦٥ - تحقيق الدكتور أحمد المهدى - مكتبة الأزهر .

(٤) سورة يونس الآية ١

(٥) العلامة الشيخ محمد على الصابونى - صفوة التفاسير جـ٥ ص٥٧٢ .

(٦) سورة هود الآية ١ .

من لفظ الحكمة الإسلامية التى هى من صفات الأفعال ، فنسبوا كل من يبحث تلك المسائل إلى الحكمة ، وعرفوها بأنها التشبه بالله تعالى على قدر الطاقة البشرية .

وإذا نظرنا إلى أن الاتباع للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو الفضيلة الإسلامية ، لقوله ﷺ " تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى "[١] ، فان تسمية هذه الأبحاث باسم الحكمة الإسلامية تكون مقبولة على تلك الناحية ، شريطة أن تلتزم نفس الأبحاث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، من حيث الاستدلال والغاية التى جاءت عليها آيات الذكر الحكيم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

◈ **وربما يقال** : وهل نجد فى القرآن الكريم أو الحديث الشريف الألفاظ التى يستعملونها كالجوهر والعرض مثلا ، أو الهيولى والاسطقسات الأربعة ، أو القدم والحدوث ، إلى غير ذلك من المفردات والمصطلحات التى تجرى فى أعراف هذا النوع من الفكر ، وتتردد بين أرجائه وتتناقل على ألسنة ومؤلفات أصحابه[٢] ؟

✍ **والجواب** أن ذلك السؤال يرد كذلك على كافة العلوم الإسلامية وغيرها ، فهل فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة الصحيحة ألفاظ أصول الفقه كالعلة ، والمعلول ، والدوران والحاجة ، وغير ذلك من المفردات التى وجدت فى كتب أصول الفقه بدءا من كتاب الرسالة للأمام الشافعى ، مرورا ببداية المجتهد ونهاية المقتصد ، وقبله المستصفى ، وبعدها المنهاج والمفتاح

---

(١) للحديث روايات وطرق متعددة ، وهو جزء من حديث طويل صحيح ، وروايه العرياض فيها زيادة على بعض الروايات ، وكلها صحيحة .

(٢) هذا اعتراض يثيره من يزعون حمايتهم للعلوم الشرعية ، وكأنهم وحدهم المعنيون بها، ويثيره من يرون حرمة العلوم العقلية على سبيل الدراسة و الاشتغال وهى اعتراضات جدلية .

والورقات[١] ، وغيرها مما هو معنى بدراسة أصول الفقه ويجرى على ألسنة المختصين به دراسة وتدريسا حتى صارت دراسته بالنسبة لأصحابه أقرب ما يكون إلى طرائق العبادة .

◈ وهل فى ألفاظ القرآن الكريم او الحديث الشريف الألفاظ التى يستعملها النحاة كلفظ الفاعل ، والحال ، والنكرة والمعرفة ، والاشتغال ، أو يستعملها الصرفيون ، كالجمود والاشتقاق والميزان والصحة والاعلال أو الابدال ، مما هو مدون فى مؤلفات النحاة وعلماء الصرف ، ويتعاملون به على ألسنة أصحابها ، وتجرى فى أعرافهم ، ونتعلمها منهم باعتبارها علوما شرعية ، لأنها تخدم أغراض الشريعة الإسلامية نفسها[٢] .

✍ بل أن ذلك يجرى أيضا على علوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف والفقه والتوحيد ، وغيرها من العلوم التى يعتبرونها إسلامية خالصة ، فهل فى ألفاظ القرآن الكريم مثل التفسير بالرأى والتفسير بالمأثور ، والمذهبى والاجتماعى ، أو فيه ألفاظ المكى والمدنى .

◈ وهل فيه ألفاظ الجرح والتعديل ، والمعل أو المعنعن ، وكذلك المتواتر والآحاد ، والعلة القادحة ، أو الجابرة[٣] ، إلى غير ذلك ممايتناوله العلماء على سبيل التداول فى تلك العلوم الشرعية وندرسه عندهم ونتابعهم فيه ، بل ونتمسك نحن به ؟

---

(١) وهى مؤلفات متفاوته فى الفترات الزمنية ، حتى لا يقال أن المؤلفات الأولى كانت خالية من هذه المصطلحات ، وإنما دخلتها بعد عصر التداخل الثقافى ، كما يسمونه ، أو عصر الاختلاط على ما يقولون .

(٢) والقاعدة أن الأحكام تتماثل متى كانت الموضوعات واحدة ، فما يجرى فى بعض تلك العلوم من إباحة الاستعمال يجرى فى باقيها والقاسم المشترك بينها قائم .

(٣) علم الجرح والتعديل ، وعلوم الحديث دراية ورواية ، أو سندا ، ومتنافيها الكثير من تلك المصطلحات التى هى قواعد تنظم دراسة العلم نفسه ، ولا يمكن الاستغناء عنها .

ان ذلك كله – كألفاظ – غير موجود فى القرآن الكريم ، وان وجدت بعضها ، فليس على سبيل الدلالة التى يقصدها أصحاب تلك العلوم الشرعية ، وبالتالى فالسؤال الوارد على استعمال المفردات فى الحكمة الإسلامية يرد مثله فى باقى العلوم الشرعية ، وحينئذ يكون الاعتراض فى غير محله .

والذى أميل اليه : أن مفكرى المسلمين استخدموا ألفاظا عربية الأصل ، أو النقل ، أو النحت والتواضع سواء استعملها غيرهم ، أم استقلت بهم وحدهم ، ولكنها فى النهاية استعملت فى الفكر الإسلامى بمعان خاصة به تتناسب مع طبيعة الفكر الإسلامى نفسه ، والموضوعات التى يعالجها ، والمناهج التى يستخدمها ، والغايات أو النتائج التى يحاول التعرف عليها أو الوصول اليها[1] ، وذلك قاسم مشترك بين كافة العلوم الإسلامية .

أما العلوم الأخرى فشأنها ما يتناسب معها ولسنا هنا فى مجال التعرض لها ، وإلا كنا كمن يضع قواعد غير قابلة للتطبيق ، ثم يحاول إلزام غيره بها ، مع أنهم لم يكلفوه القيام عليها ، أو لديهم قبول لها ، وذلك ما يبتعد عنه المفكر المسلم .

[٢] **أنها تسمية عقلية مقبولة :-** إذ العقل يقرر أن وضع الشيء فى موضعه نوع من الحكمة ، والسعى فى معرفة الله تعالى ، وإقامة الأدلة المتعددة عليها ، والدفاع عن العقيدة الإلهية نوع أعلى من أنواع الحكمة ، لأنها الحكمة الإلهية ، ثم أن البحث فى العالم الطبيعى المشاهد وعلاقته بالله تعالى واليوم الآخر ، بصورة موصلة إلى تعميق الإيمان بالله تعالى فى النفوس ، أو السير فى مجاهدة هذه

---

(١) وذلك من علامات الأصالة فى الفكر الإسلامى ، ويميزه عن غيره من الأفكار الأخرى .

النفس بغية إرضاء الخالق العظيم جل علاه ، عن طريق التأمل العقلى ، الذى تقوم به الحكمة الإسلامية هو أيضا الحكمة العامة[1] .

وفى نفس الوقت فان البحث فى العالم غير المشاهد عن طريق التأمل العقلى المسترشد بالنقل المنزل هو نوع من الحكمة التى يحكم العقل بأنها مقبولة وأرقى من غيرها ، لارتباطها بالميتافيزيقا التأملية مباشرة .

كما أن ذات العقل الإنسانى قد وصف بذات الحكمة ، فما من عقل سليم الا وهو حكيم ، وما من حكيم الا أنه صاحب عقل سليم ، وذلك مما نطق به الشعراء ، وتحدث عنه الحكماء ، وتناقله الأدباء من ذلك :-

۞ **قول أبى نواس :-**

أنى أنا الرجل الحكيم بطبعه ∴ ويزيد فى علمى حكاية من حكى

أتتبع الظرفاء أكتب عنهم ∴ كيما أحدث من أحب فيضحكا[2]

فرجاحة العقل ، وسلامة الفكر مع قدرة الفؤاد على التماس مناطق الخير والوصول اليها حرصا والتزاما ، أو التعرف على مواطن الشر مع الابتعاد عنها ، كلها دلائل لصالح العقل الذى يوصف بأنه الحكيم ، وتحسب له .

وقد عرف العربى هذا المعنى ، فأكد أنه مطبوع على وضع الأمور فى نصابها المشروع ، فهو حكيم بطبعه ، ومع هذا فقد علمته حكمته المطبوعه أن يكسب حكمه أخرى مصنوعة ، عمادها تتبع القضايا المطروحة فى أصولها القائمة ، سواء كان ذلك عن طريق الحكماء والأدباء ، أو عن طريق النبلاء

---

(١) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة وعلم الكلام ص١٤٥ ط الثالثة .

(٢) مجلة العربى الكويتيه – العدد ٣٣٥ ص١٠٧ أكتوبر السنة التاسعة والعشرون .

والظرفاء[١] ، وكأنه يتمثل الأثر القائم " الحقيقة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها لا يبالى من أين جاءت " :

قول أبى الأسود الدؤلي :-

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ∴ فالقوم أعداء له وخصومُ

وترى اللبيب محسَّدا لم يجترم ∴ شتم الرجال وعرضه مشتومُ

وكذاك من عظمت عليه نعمة ∴ حساده سيف عليه صَرُوم [٢]

فاترك مجاراة السفيه فإنها ∴ ندم وغِبٌّ بعد ذاك وخيم

فإذا جريت مع السفيه كما جرى ∴ فكلا كما فى جريه مذموم

وإذا عتبت على السفيه ولمته ∴ فى مثل ما تأتى فأنت ظلوم [٣]

يا أيها الرجل المعلم غيره ∴ هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى ∴ كيما يصحَّ به وأنت سقيم [٤]

وأراك تصلح بالرشاد عقولنا ∴ أبدا وأنت من الرشاد عديم [٥]

لاتنه عن خلق وتأتى مثله ∴ عار عليك إذا فعلت عظيم [٦]

---

(١) لأن الغاية هى التى تقوده ، وما دامت مشروعة ، فان الأمر فى هذه الناحية يكون مشروعا .

(٢) فالرجل يتحسس مواطن الضعف فى النفوس الهزيلة التى لا غرض لها الا الحسد والحقد ، ومحاولة هدم كل قيم نبيلة ، مهما كانت المحاولة محكوم عليها بالفشل ، أو فيها المحافاة للشريعة الإلهية .

(٣) وذلك من الآداب الكريمة ، لأن مجاراة السفيه تنزل بالكريم حتى يكون هو الأخر سفيها ، كما ان السفيه تجرى أخطاؤه على قلبه وجوارحه ، كما تجرى دماؤه فى عروقه فمن عاتب السفيه أو لامه فهو ظالم لنفسه.

(٤) وقديما قيل لا تكن كطبيب يداوى القلوب والطبيب مريض ، فان دواءه لن يفيد ، ومرضاه ربما يقع لهم الشفاء بعيدا عنه ، ولكنه فى كل حالاته لا يستفيد بما يقدم من دواء .

(٥) وقديما قيل : فاقد الشيء لا يعطيه ، وهل يأتى التفاح من الحنظل ؟

(٦) والقرآن الكريم اعتبر ذلك من المقت . قال تعالى ﴿ " يا أيها الذين أمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون " ﴾ .

ابـدأ بنفســك فإنــها عــن غيــها ∴ فــإذا انتـهت عنــه فــأنت حكيــم[١]

فـهناك يقبـل مـا وعظـت ويقتـدى ∴ بــالعلم منــك وينفــع التعليــم

لا تكلمــن عــرض ابــن عمـك ظالمـا ∴ فــإذا فعلــت فعرضــك المكلــوم[٢]

وحريمــه أيضــا حريمــك فاحمــه ∴ كيــلا يبــاع لديــك منــه حريــم[٣]

وهكذا بث الدؤلى فى الحكمة شعره دالة على الكياسة فى الرأى ، والرجحان فى العقل ، وسيطرته على نوازع النفس ، ومكامن الرغبة ، ونزعات الهوى ، وعوامل النقصان فى الإنسان ، ومحاولة التكمل بالأدب العالى ، والخلق الكريم ، بجانب المعرفة السليمة ، والعمل المتقن ، على أن يكون ذلك كله محكوما بالأصول الإيمانية ، محفوفا بالتعاليم الشرعية[٤] .

وبالتالى فان الحكمة من المفردات العربية والإسلامية ، فاستخدامها على تلك النواحى ضرورة شرعية ، وهو الذى عمد اليه المفكر المسلم والتزمه بحيث لا يخرج عليه ، والعقل الصحيح يشهد له أيضا ، وتكون التسمية لها بالحكمة الإسلامية قائمة على أصول مشروعة من جهة العقل أيضا .

[٣] **أنها تسمية تواضعية :-** تواضع أصحاب الفن نفسه فى العلوم الإسلامية بتسمية تلك المباحث المعنية بالحكمة ، وقسموها إلى نظرية وعملية ، وجعلوا كلا منها أنواعا ، وعنونوا مباحثهم بها ، حتى أن ابن سينا ألف رسائله تحت اسم

---

(١) إذن الحكمة هى الغاية السامية التى يتطلع اليها أصحاب النفوس الكريمة ، والعقول السليمة فإذا لم يوصف بها لم يكن حكيما .

(٢) وفى الأمثال : من حفر لأخيه حتما يقع الحافر فيه .

(٣) العلامة الحافظ زكى الدين عبدالعظيم المنذرى – الترغيب والترهيب من الحديث الشريف – الجزء الرابع ص١٢٧ الطبعة الثالثة – تحقيق الأستاذ مصطفى محمد عمارة ط دار احياء التراث العربى .

(٤) ونحن نرى الالتزام الشرعى هو نوع من الحكمة الإسلامية ، فكلاهما يتبادل الأخر .

" رسائل فى الحكمة والطبيعيات " فجعل لفظ الحكمة سابقا على غيره ، وكذلك فعل الكثيرون ، حتى انهم وصفوا من يقوم بدراسة تلك الموضوعات بالحكيم ، فقالوا حكيم العرب ، وحكيم زمانه ، وأحكم أهل زمانه[١] ، وكذلك تجرى كل الألفاظ وفيها الحكمة بهذا المعنى .

ولما كان الحكماء فى الإسلام يتميزون عن غيرهم بالفقه والمعارف الشرعية واللغوية ، فانهم ضموا اليها الاشتغال بالعلوم الطبية ، تشخيصا وتداويا وعلاجا ، وتصنيعا للدواء نفسه ، واشتهر ذلك عنهم حتى عرفوا بين الناس بالحكماء ، وصار الواحد منهم يطلق عليه لفظ الحكيم ويوصف به ، بل أن حتى أن هذا الوصف غلب لدى العامة على المشتغلين بالطب وحدهم ، وظهر عند المثقفين على أصحاب المعارف الإسلامية الراقية .

۞ **من ذلك أبو بكر الرازى ،** الحكيم المسلم ، الفيلسوف الواثق ، والطبيب المعروف ، الذى اشتهر بعلاج أمراض العيون[٢] ، وقد حفلت الآثار بكثير من صوره المحفوظه فى الارشيفات المعنية بهذا الجانب ، مما يؤكد فضل المسلمين على غيرهم ، وتميزهم على الدنيا كلها فى الجوانب الإيمانية والمعرفية ، ويثبت أنهم حكماء على ميزان الإسلام .

إذن الحكماء من أهل الإسلام تواضعوا على تسميتها الحكمة ، وأطلقوا على القائمين بها وصف الحكماء ، وهى فى ذات الوقت من المفاهيم الإسلامية من حيث الألفاظ والمعانى على الوجه الذى أشرنا اليه ، وفى رعاية الإسلام ، محفوظة بتعاليمه ، قائمة على نصوصه التى تم التفهم لمراميها والتعرف على أسرارها وما فيها .

---

(١) ذلك الوصف يوجد فى الكثير من المصادر الإسلامية فى مطالع المؤلفات التى تمت فى الماضى .

(٢) راجع أبو بكر الرازى وفلسفته - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة - قسم العقيدة والفلسفة .

وما دام أمرها كذلك ، فإن تسميتها بالحكمة الإسلامية تكون مطابقة للمباحث ذاتها[١] ، والإطلاق الذى يجرى عليها ، ولا تكون هناك ممانعة فى إطلاقه ، كما لا سبيل إلى التخلى عنه ، بل من الصواب والحكمة ذاتها التمسك بتلك التسمية حتى يكون بناء مستقلا عن غيره ، يصعب اختلاط غيره به ، أو تداخله معه فيه ، وهو الذى أرجحه من وجهة نظرى على الأقل لمسوغاته عندى .

بل أن لفظ الحكمة قد أطلق عليها من خصومهم أيضا ، وأن كان فى معرض الإنقاص من مكانتهم ، حتى أن سانتيلانا يقول : والعلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان ، بل وعلى أوهام اليونان ، حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الإسلام ، ولا مذاهب قدماء المتكلمين ، ولا بدع المبتدعين ، من لم يكن له بحكمة اليونان معرفة شافية[٢] ، وهو بهذا يعترف بوجود حكماء من أهل الإسلام ، ولا يكون المفكر حكيما الا إذا كان مبتكرا للمسائل التى تعرض لها على النواحى الفنية ، فقول سانتيلانا شاهد لنا بأن الحكمة لفظ متداول يطلق على نوع دقيق من المباحث الفنية فى مجال الميتافيزيقا التاملية والنقدية .

۞ **ونحن نرى:** أن اللغة التواضعية تجرى فيها التسمية بالحكمة الإسلامية ، كما تجرى على الناحية العقلية والنقلية على ما سلف بيانه ، كما اتضح لنا أن حكماء الإسلام قد عنى بتاريخهم وإنتاجهم الفكرى الكثيرون ، منها تاريخ حكماء الإسلام[٣] ، أخبار الحكماء ، ونزهة الأرواح ، وروضة الأفراح فى

(١) لا يطعن هذا على أصحاب القول بترجيح تسميتها الفلسفة الإسلامية لما استقام عندهم .

(٢) الدكتور عبدالحليم محمود – التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٢٣٢ وما عبدها .

(٣) العلامة المحدث الإمام البيهقى .

تواريخ حكماء المتقدمين والمتأخرين[١] ، وكذلك صنع ابن خلدون فى مقدمته ، وغيرها من الكتب التى جاءت على تلك الناحية ، وتؤكد ما ذهبنا اليه من تسميتها بالحكمة الإسلامية .

فإذا أضفنا إلى ما سبق أن التآليف التى تمت حول الحكمة الإسلامية قد التزمت المنهج الإسلامى آخذة فى اعتبار أصحابها تثبيت العقيدة الإيمانية والدفاع عنها ، والتأمل المستمر فى جوانب المعرفة ، ومحاولة التعرف على ما خفى منها ، بجانب دفع الشبهات التى ترد من الخصوم بعد بيان أوجه فسادها ، فهمنا أنهم جند يدافعون عن عقيدة الإسلام وشريعته ، كما يدافعون عن أرض الإسلام ، وفكره ، كما أنهم مفكرون حراس العقيدة ، وقد ارتضوا إطلاق لفظ الحكمة على تلك المعارف والتآليف التى يقومون بها ، ونحن لا نجد أفضل منها بالنسبة لهم .

ولا شك أن النص الدين الإسلامى هو الذى قد ألهم المسلمين ميتافيزيقاهم ، ولم يرد شيئا وراءها ، وأنهم خاضوا فى أدق المفاهيم الفلسفية ، وهو معنى الحكمة ، ثم أن الإسلام هو الذى غير من أوضاع الحياة العملية ، فدعا المسلمين إلى العلم والتجريب ، وقد نبغوا فى ذلك فأقاموا المنهج التجريبى وبرزوا فيه[٢] ، لأن ذلك من تعاليم الإسلام التى تحث على الأخذ بأسباب العلم فى كافة مناحى الحياة ، فكان من المناسب – من وجهة نظرنا – تسميتها بالحكمة الإسلامية .

ومهما يكن من أمر الحكمة الإسلامية فإنها تعنى المعرفة الكاملة بالله رب العالمين ، والعلم على وجه اليقين بما يمكن معرفته لخواص البشر من غير

---

(١) للمفكر الكبير الصوفى الفيلسوف الشهرزورى .

(٢) الدكتور على سامى النشار – الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٥٧ بتصرف فى العبارة .

الأنبياء[١] ، كما ان الحكيم المسلم هو شخص آمن بالله رب العالمين ، وصدق بأنبيائه ورسله وكتبه أجمعين ، وعمل قدر طاقته فى التزام شريعة الله تعالى مع خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد e ، ثم سما بملكته عن واقع غيره ، وأرتفع بعقله عن تقليد المذموم فأمده الله تعالى بنور من عنده ، حتى أدرك من مناحى الكون ما لا يدركه غيره ، وهو أقل درجات من النبى فى كافة النواحى ، وإن كان يماثله فى طبيعته البشرية .

التسميات الأخرى

❁ **فى تقديرى :** أن باقى التسميات الأخرى تجيء عليها انتقادات كثيرة ، ومناقشات مستمرة إذ أن بعضها يقع فيه الطول والتكرار ، وبعضها الأخر يجرى على غير ما قصده أصحابها ، أو جاء فى تآليفهم ، أو يلوح لفكر غير الذى نهتم به نحن المسلمين كمعبر عن الأصالة والجدة والإبداع فى العديد من نواحى الفكر الإسلامى ، وبعضها الأخير يقع فيه الخصوص الذى يؤدى إلى الإخلال بالمفاهيم ، أو يمثل نزعه غير مقبولة الهدف منها الفصل بين القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، كالتسمية بالفلسفة القرآنية ، فان أصحابها قصدوا فصل القرآن الكريم عن السنة النبوية المطهرة ، مع أن كلا منهما مصدر للتشريع الإسلامى مكمل للآخر ، ولا يقول بذلك مسلم أبدا[٢] .

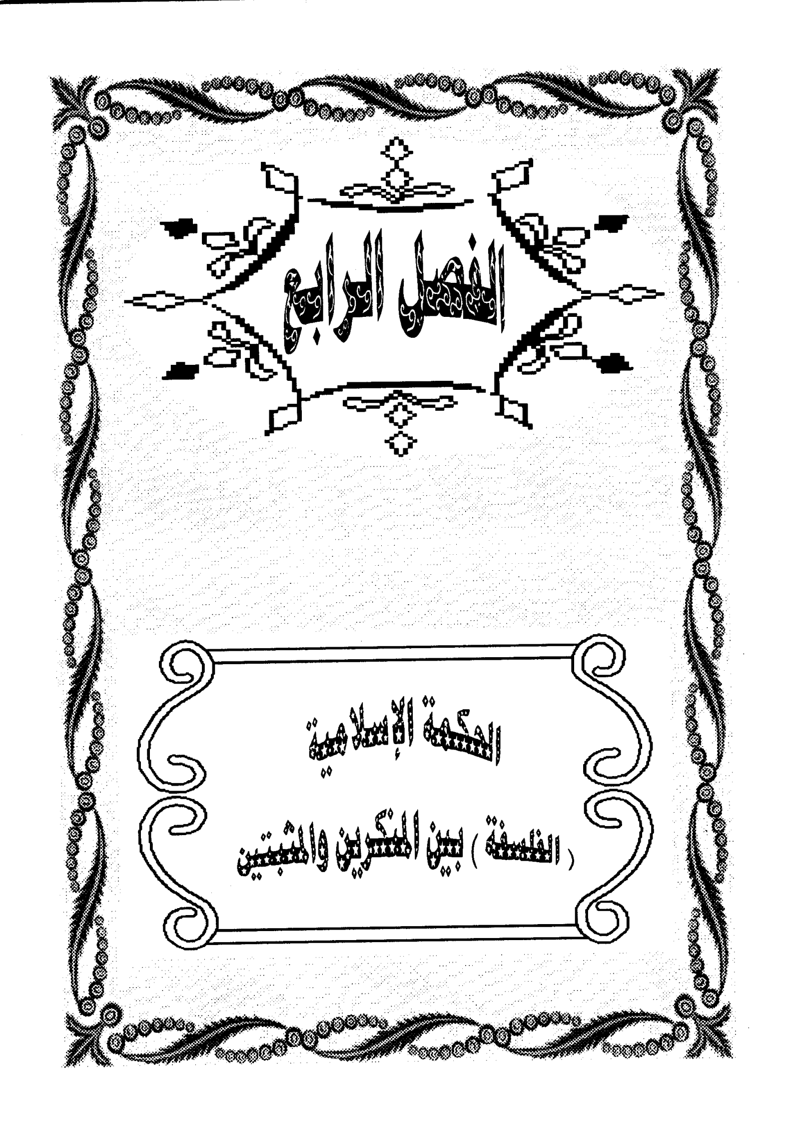
---

(١) هناك فروق كثيرة بين النبى والحكيم فى الإسلام ، ونحن نؤكد أن النبى أعلى بكثير من الحكيم المسلم ، ويكفى أن النبى مختار من الله تعالى ، وأنه مرسل لهداية خلقه ، وفوق ذلك فانه معصوم ، وما يأتى به هو معصوم أيضا .

(٢) الدكتور على سامى النشار – الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٥٧ بتصرف فى العبارة .

وقس على ذلك الحال فى باقى التسميات التى وضعتها لك فى صدر هذا الفصل ، فانك متى تأملتها فلن تجد فيها الا أوجه قصور كثيرة ، ولذا فأنا ندع عرضها لوقت آخر ، نجد فى العمر زيادة ، وفى الصحة اعتدالا ، وفى الوقت خيرا لأن شاء الله تعالى ، فذلك من أفضاله جل علاه .

وآمل أن يلهمك الله وإخوانك من أهل الخير الدعاء لى وللمسلمين – من أهل اله والعرفان الذين عرفوه فأحبهم وأحبوه ولك يعدلوا به غيره أبدا – بالخير والقبول ، وأن يوفقنى فى كل أمرى لما يحبه ويرضاه ، أنه نعم المولى ونعم النصير ، وما ذلك على الله بعزيز .



الفصل الرابع

الحكمة الإسلامية

(الفلسفة) بين المنكرين والمثبتين

ساقط من اصل المصدر

ساقط من اصل المصدر

تحدثنا عن الحكمة – الفلسفة – الإسلامية من حيث التعريف ورجحنا التعريف المشهور على الناحية الإسلامية ، وعرفنا أنها علم الأشياء بحقائقها بقدر الطاقة الإنسانية التى يأتى منها الأمر الشرعى فى اللغة[١] ، كما عرفناها على الناحية الشرعية بأنها التخلق بأخلاق الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٢] ،

وفى نفس الوقت تحدثنا عن الغاية من تقديم تعريفات لها على الناحية الشرعية وبينا أنها أصيلة فى الفكر الإسلامى وتكشف عن أصالة المفكر المسلم ، وعدم تبعيته لغيره ، وأنها تصوير للعقلية الإسلامية وتظهر استقلال المفكر المسلم فى المباحث التى تعرض لها ، واعتماده على بداية واحدة ، وقاعدة عامة ثابتة هى " الحقائق القرآنية ، وتعاليم الإسلام المتعلقة بالحياة اليومية[٣] والنواحى الآخروية .

كما تحدثنا عن تقسيمات الفلسفة اعتباراتها المختلفة من العموم والخصوص ، أو المكان والزمان ، أو هوية الفيلسوف نفسه ، وبان لنا أن – الحكمة – الفلسفة الإسلامية تتميز عنها بتعريفاتها الخاصة ، كما تتمايز بالوصف الخاص بها ، وهوية الفيلسوف نفسه الذى يقوم عليها ، والموضوعات التى تعالجها ، والظرف الذى ابتدأت فيه مع ترجيحنا للقول الذى رأيناه ، من أن الفكر الإسلامى فى ذلك الجانب يمكن وصفه بأنه فكر إسلامى حديث[٤] ، متى تصد به الجانب المادى النهضوى الحضارى ،

---

(١) العلامة الكندى – رسائل الكندى – كتاب الكندى إلى المعتصم فى الفلسفة الأولى ص١٠٤ – تحقيق الدكتور أبوريدة .

(٢) الدكتور محمد متولى إدريس – تفسير سورة النحل الآية ٦٦٥ .

(٣) شاخت وبوزورث– تراث الإسلام جـ٢ ص٦٦ ط عالم المعرفة العدد ١٢ .

(٤) راجع كتابنا – خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص٣٧ الطبعة الثالثة .

ويقال عليه أنه معاصر متى عولجت قضاياه بنفس المنهج فى العصر الراهن ، فهى حكمة مرنة تستوعب الزمان الذى وجدت فيه والأزمنة المستجدة أيضا .

ثم تعرضنا لذكر بعض فوائد الحكمة – الفلسفة – الإسلامية ، وبينا أن منها ما يتعلق بإثبات العقيدة والدفاع عنها على الناحية العقلية التى تأتى فى مجال خدمة الناحية النقلية ، باعتبار أن المفكر المسلم يرى ضرورة موافقة العقل السليم للنقل الصحيح[١] ،ومنها ما يتعلق بأنظمة الحياة المختلفة ، حتى تتحقق الفوائد العديدة ، والمصالح القائمة ، ومنها ما يتعلق بغيرها من النواحى الأخرى على النحو الذى أشرت اليه ، وعرضنا من الفوائد أيضا ما رأينا الحاجة ماسة إلى ذكره ، وألمحنا إلى أن هناك بعض الفوائد طويت فى بعض ما هو مذكور[٢] ، على النحو الذى يسر الله لنا أسبابه ، فعالجناه بقدر ما وفقنا الله تعالى اليه .

وهانحن نعرض هنا لهوية الفلسفة الإسلامية ، وبيان الآراء فى المسألة التى فرضها أصحابها فرضا ، والأسئلة التى وردت على جانب وجودها من عدمه ، أو جانب تسميتها من كونها عربية فقط ، أو إسلامية فقط ، أم

---

(١) كتب شيخ الإسلام ابن تيمية كتابا يحمل نفس الاسم يعالج به المسالة ، واسم الكتاب " درء تعارض العقل والنقل ، وتم تحقيقه وطبعه مستقلا ، كما طبع بحاشية منهاج السنة تحت اسم موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، وكذلك تعددت طبعاته ، وتعددت معها مسمياته والمحتوى ثابت .

(٢) راجع فى هذا الكتاب الفصل الخاص بالحديث عن فوائد الفلسفة الإسلامية التى ذكرناها بشيء من التفصيل هناك فارجع اليها ان شئت وأسألك الدعاء لنا بالقبول وما ذلك على الله تعالى بعزيز .

عربية إسلامية ، أو حكمة قرآنية[1] ، إلى أخر تلك الآراء التى نرى الحاجة داعية لتناولها .

كما سنحاول التعرض لبيان أصالة الفكر الإسلامى فى شتى جوانبه على وجه العموم والفلسفى منه على الخصوص ، حتى يكون المطالع للفكر الإسلامى فى هذا الجانب الإبداعى بمأمن من الانزلاق إلى أقوال المستشرقين أو متابعة من ينقل عنهم ، ممن يتهمون الفكر الفلسفى الإسلامى بأنه وليد الفكر الإغريقى أو غيره ، وهى اتهامات لا سند لها إلى الظن ، ولا تقوم اليقينات على الظنون أبدا .

قال تعالى ﴿ " وما لهم به من علم أن يتبعون الا الظن وان الظن لا يُغنى من الحق شيئا فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يُرِد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى "﴾[2] ، فالظن لا تقوم عليه قواعد مقبولة ، ولا ينقذ عقل صاحبه أو أحكامه من الاتهام .

والمطالع لما كتب حول هوية الفكر الفلسفى فى ذلك الجانب الفلسفى بأيدى المستشرقين المتعصبين ، ومن ينقل عنهم[3] ، يجد كما هائلا من التراكمات الفكرية أو التى تنسب إلى الفكر تحاول البروز فى الطرق

---

(١) راجع الرازى والحكمة القرآنية - دكتوراه بأصول القاهرة ، وكتابنا قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ففيه حديث طويل حول تلك المسألة .

(٢) سورة النجم الآيات ٢٨/٣٠ .

(٣) كالحال مع رينان ، تنمان ، وغيرهما ممن شهد تاريخ الفكر بأنهم ينطلقون من مراكز تعصب بغيضه ، ليس فيها شيء من الموضوعية ، بل هى الغلاف لذى يخبئ تحته الحقد الأعمى .

حتى تعوق حركة الحياة المستمرة ، بمزاعم قد لا تجد من أصحابها أنفسهم الا الاستنكار لها ، والاستهجان لما فيها ، وان لم يعلنوا عنه[1] ، **أما لماذا ؟**

✍ فلأنهم فى أحضان التعصب باتوا ، ولألبانه أرتضعوا ، ولأحكامه الفاسدة قرروا وأكدوا ، وسوف نعرض الآراء أولا ثم نناقش منها ما نراه يحتاج المناقشة ، أما ما نراه متهافتا من غير مناقشة ، فلا شك أن ضعفه وتهافته سيكونان من أدلة تساقطه ، ولا تكون بحاجة إلى عرضه أو مناقشته ، وإلا كان ذلك ضياعا للوقت فيما لا فائدة من ورائه **وسيكون ذلك كله فى حدود الإجابة على هذين المحورين** .

۞ **الأول : هل توجد فلسفة إسلامية ، أو حكمة إسلامية بالمعنى الغنى ؟** فإذا كانت الإجابة بنعم فما هو الاسم الذى يمكن قبول إطلاقه عليها ، هل تسمى فلسفة إسلامية ، أم فلسفة عربية أم غير ذلك من التسميات والإطلاقات التى وردت فى هذا الجانب ، ونالت عناية من المؤيدين والمعارضين كل على الناحية التى قصدها .

۞ **الثاني : أصالة الحكمة فى الفكر الإسلامى** : ذلك أن اغلب هذه المسائل التى يقع فيها الجدل ، تنحصر فى نفس المحورين ، وكم دارت حولهما المشاكل بين مؤيد ومعارض ، بين مقلد لغيره ومحاول إيجاد مزاعم ضدها تكون له على سبيل الاستقلال ، وكلما نهض الزعم الباطل من كبوته ، لاقاه الحق الواضح بدفعة جديدة تعيده إلى عميق الجب ، يتخبط فى كبواته .

وان حاول التعلق بالعديد من الشبهات ، فان الحق أقوى دائما وله فى كل حال اليد العليا ، التى تقطع الشبهات ، وهذا الذى صورناه هو الحال

(١) الأستاذ فوزى نصر خير الله - الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والاقتباس ص٩ ط دار الوفاء ١٩٥١ .

الذى يعيش فيه خصوم الفكر الإسلامى ومن يتابعهم ، حتى يومنا هذا ، وسنبدأ ببيان كل من المحورين ان شاء الله تعالى على النحو التالى .

❁ **المحور الأول :- وجودها : هل توجد فلسفة أو حكمة إسلامية ، وهل تسمى إسلامية أم عربية ، أم غيرهما ؟ وهل صلب هذا الفصل الذى نحن بصدده .**

❁ **يذهب الدارسون لتاريخ الفكر الإنسانى فى دراسة الفلسفة الإسلامية - من حيث القول بوجود الفلسفة أو الحكمة الإسلامية أو عدم الوجود لها - من نفس الناحية - مذاهب شتى .**

☆ **بعضها راجع إلي عدم قبول القول بوجود فلسفة إسلامية وحكمة إسلامية[1] ،**

وبالتالى حاولوا تسميتها بما غلب عليهم من غير اعتبار لشيء أخر ، وبمعنى أخر هم خصوم ونصبوا أنفسهم قضاة فى دعوى هم فقط المتقدمون بها ، وهم فقط الشهود فيها ، وهم فى ذات الوقت القضاة الذى يصدرون الأحكام عليها ، والمعروف فى الفطر والمستقر فى الأعراف السليمة ، أنه إذا كان الحكم خصما عليك ، فلن يقبل منك الشهود[2] .

ويمثل هذا المذهب المستشرقون ومن يتفق معهم أو ينقل عنهم ، حيث يقررون أن الفلسفة الإسلامية جزء من تيار الفكر الإغريقى ، وهى تستند بصورة دائمة إلى كبار حكماء العصر القديم مع الاعتقاد الراسخ بوحدة الحكمة ، وبوجود نوع من الإلهام عند الفلاسفة القدماء[3] الذين نهلوا من فكرهم وتمسكوا بما انتهت اليه آراؤهم .

---

(١) الأستاذ عبداللطيف محمد عبدالعاطى - دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص٧١ ط دار خالد ١٩٦٥م .

(٢) هو مثل مشهور فى الفصحى وصار مبدأ قانونيا معترفا به فى قانون الإجراءات ، ويعرف بمبدأ رد القاضى .

(٣) شاخت وبوزورث- تراث الإسلام جـ٢ ص٦٧ - ترجمة د/ حسين يونس .

☆ **وبعضها راجع إلي قبول فكرة وجود فلسفة إسلامية أو حكمة إسلامية** مع الاختلاف فى تحديد الاسم الذى يتناسب معها والوصف الذى يمكن أن يطلق عليها ، والموضوعات التى تعنى بمعالجتها ، والنتائج المترتبة عليها، والغايات التى تصل اليها وفوق ذلك المناهج التى يمكن لها استخدامها على نحو يؤدى إلى القول بالتميز لها عن غيرها[١] ، وهذا المذهب فيه اتجاهات يحكمها التعاطف ، أو الموضوعية ، ولذا فان الأحكام فيه تأتى على نفس المقدمات .

☆ **وبعض ثالث وهو مذهب أصحابها القائلين بها الداعين اليها ، المهتمين بتعريفها وموضوعاتها** ، كما كانت عنايتهم بمباحثها ونظرياتها ، بعد عرضها والدفاع عنها ، ورد الشبه التى ترد عليها من خصوم الفكر الإسلامى عموما ، والمستشرقين المتعصبين ومن يقلدهم خصوصا[٢] ، وخير من يعبر عن هذا المذهب هم المفكرون المسلمون الذين كانت لهم ابداعات فى هذا الجانب[٣] ، كالكندى والفارابى ، وابن سينا[٤] ، وابن باجة وابن طفيل وغيرهم من فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب[٥] على

---

(١) الأستاذة نوال فخرى – دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص١٤ الطبعة الأولى – المكتبة العصرية ١٩٧٥م .

(٢) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة وعلم الكلام ص١٨٧ ط الثالثة

(٣) الدكتور محمود خير الله عبدالموجود – التراث الفلسفى الإسلامى ص٩٣ ط دار الثقافة طرابلس ١٩٥٢م .

(٤) هم متقدموا حكماء الدين الإسلامى من حيث الترتيب الزمنى ، وهم يمثلون حكمة المشرق لدى الدارسين الذين لا يعتبرون الإمام الغزالى فيلسوفا ، أما من ينظرون اليه على أنه فيلسوف فالهم يعدونه منهم ، ولكل وجهة .

(٥) من أشهر متقدمى حكماء الإسلام فى المغرب الأطباء الفقهاء ابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد ، ثم من أتى معهم أو لحقهم وتاريخ الفكر الإسلامى غنى بهم – راجع تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المشرق ، وتاريخ الفلسفة الإسلامية فى المغرب .

السواء ، سواء كانوا من المتقدمين أم من المتأخرين ، سواء كانوا من المبدعين ، أو من الشراح والمحققين أو المعلقين .

ونحن سنعرض لتلك المذاهب حتى نقدم صورة وثائقية تكون شهادة للموضوعية والحيدة التى يتميز بها المفكرون المسلمون أصحاب الضمائر الحية ، والعقول الناضجة ، والأفكار النيرة ، الذين لم ينكروا إعجابهم ببعض تراث الآخرين فى النواحى المادية ، والأمور التى لا تتعلق فى بحثها بالأصول الشرعية ، كما لم ينقصوهم حقوقا ، بل أنهم نبهوا إلى مكانة الآخرين الفكرية ، ومنزلتهم العلمية فى هذا الجانب[1] ، حتى لو كانوا مخالفين لهم فى الاعتقاد ، لأن الإسلام شريعة العدل ، التى يطبقها المسلمون على أنفسهم قبل الآخرين .

---

(١) صنع ذلك الفارابى فى كتابه رأى فى الجمع بين الحكيمين ، وابن رشد فى مؤلفاته الفلسفية ، وغيرهم ممن أعلن احترامه لبعض فكر اليونان لعدم مخالفته الأصول الشرعية .

الأول : مذهب المنكرين لوجود حكمة أو فلسفة إسلامية وشبهاتهم(١)

هؤلاء ينكرون أن تكون هناك فلسفة أو حكمة إسلامية بالمعنى الفنى ، وإنما الذى يمكن قوله – من وجهة نظرهم – هو أن المسلمين تلقفوا ما وصلهم منقوصا من فكر اليونان ، وبخاصة أرسطو ، وأفلاطون ، عن طريق الأفلاطونية المحدثة ، أو الأفلوطينية المصرية ، ومن ينقل عنهم ، ثم قاموا بترجمة ذلك الفكر الإغريقى إلى اللغة العربية ، وأضافوا إلى الترجمة بعض الشروح والتعليقات ، التى لا تخرج عن إطار الفكر الإغريقى نفسه .

ولذا فهم مشاؤن قد أطبقوا على تقليد الآخرين ، وليسوا مبتكرين لأنماط فلسفية ، بل أنهم عادوا فى الأمر فحاولوا أن يطبقوا مذهب أرسطو على قواعد دينهم(٢) ، وقد حاول هؤلاء المنكرون تقديم شبهات على عدم وجود فكر إسلامى مستقل .

---

(١) المنكرون لوجود فكر إسلامى لا يعنينا من هم ، ولا جنسياتهم ، أو الزمان الذى وجدوا فيه ، إنما نهتم بالشبه التى اعتمدوا عليها ، فذلك أقرب فى القبول ، وأيسر عن عرض المزاعم ومناقشتها .

(٢) راجع – التراث الفلسفى الإسلامى ص٩٨ .

شبهات المنكرين ومناقشتها

❁ **لا شك أن المنكرون لوجود فكر إسلامى على هذا الجانب الإبداعى يركزون على بعض الجوانب التى يرونها تدعم موقفهم فى هذا الإنكار من تلك الجوانب التى ركزوا عليها ما يلى :-**

(١) عدم وجود قدرات إبداعية لدى العقلية العربية عامة والإسلامية خاصة[1] .

[أ] عرض هذا الزعم :-

يزعم هؤلاء أن العقلية العربية عاشت فى صراع مستمر لم يعرف التوقف بين متطلبات الحياة المعيشية ، وظروف البيئة الصحراوية التى فرضت نفسها عليهم فى أنماط الحياة ، فجعلتهم يلهثون خلف لقمة العيش ، وعليها يتقاتلون ، مما فرض عليهم الالتفات إلى الجانب العملى اليدوى ، والاكتفاء به وحده ، دون اهتمام بالجانب العلمى النظرى ، الذى يمهد للمعارف العقلية ، والدراسات الإبداعية الفكرية[2] ، وبخاصة الفلسفية .

فهى عقلية تمتص ما يلقى اليها دون أن يكون لها أدنى محاولة فى الإبداع ، إذ ليس من شأن العقلية التى تعودت امتصاص ما يلقى اليها أن تنتج فكرا أو تبدع ، لأنها لم تتعود عليه ، وليس هو من خصوصيات الملكات التى تحيط بأهلها .

---

(١) راجع فى هذا الشأن شبهات رينان وتنمان ، وكوزان وغيرهم من متعصبى المستشرقين خصوم الفكر الإسلامى .

(٢) الأستاذ بيومى نصر الله – العقلية العربية فى مفهوم المستشرقين ص١٦ .

ولما كان نبى الإسلام – عليه الصلاة والسلام – قد نشأ فى تلك البيئة ، وعاش بها حتى فارق الحياة ، وكذلك أصحابه ، فان هذه العقلية ذاتها هى التى أحاطت بهم من كل ناحية ولم تفارقهم أبدا ، فمن أين يكون لهم شيء من الإبداع ؟

ثم أن المحاولات الفكرية التى قام بها العرب – فيما بعد – متابعين الفكر اليونانى ، لم تكن على موافقة مع ذات الفكر اليونانى ، وإنما اتخذ العرب من تفسير أراء أرسطو وسيلة لإنشاء فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة ، المخالفة جد المخالفة ، لما كان يدرس عند اليونان[1] ، من فكر تميز به أوائل مفكريهم المنطقيين .

وهذا اعتراف منهم بوجود فكر فلسفى إسلامى فيه الكثير من العناصر الخاصة التى تميز بها الفكر الإسلامى وكشف عنه المفكر المسلم ، ولم يستطع المتعصبون من أهل الغرب ومقلديهم طمس معالمها المتميز ومهما حاولوا فان الفشل يلاحقهم .

ويذهب هؤلاء المنكرون إلى أن عدم وجود قدرات عقلية إبداعية تسمح بالتفلسف كان سمة العرب والمسلمين باعتبارهم من الجنس السامى[2] ، الذى يكتفى بالتقليد ، وليس عنده شيء من الابتكار أو التجديد ، لأنه لم يتعود عليه كما أن ملكاته العقلية لا تعينه عليه .

وقد بنوا على تلك المزاعم نتائج منها أنه من الخطأ وسوء الدلالة بالألفاظ على المعانى أن نطلق على فلسفة اليونان المنقولة إلى العربية لفظ

---

(١) الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص١٢ .

(٢) راجع العقلية العربية فى مفهوم المستشرقين ص٢٧ .

فلسفة عربية[١] ، وإنما هى فلسفة يونانية خالصة تمت عليها الترجمة الناقصة بأيدى العرب والمسلمين ، الذين ينتمون إلى الجنس السامى ، الذى لا يملك قدرات إبداعية فى مجال العلوم العقلية .

[ب] مناقشته :ـ

بيد أن ذلك الجانب الذى أقام عليه المنكرون مزاعمهم ، لم يسلم لهم أبدا فى شيء مما ذكروه ، بل وجهت اليه العديد من النقـودات القوية التى عصفت بأرجاء بنائهم المتداعى ، فجعلت أسافله أعاليه ، وظواهره خوافيه ، لأن العقلية العربية قبل الإسلام تميزت بثقافتها المتمثلة فى الآداب والفنون والتراجم ، وما كان من ذلك القبيل[٢] ، وقد كانت صدورهم مطابع متنقلة ، وشبكات معلومات ذاتية ، شهدت المعلقات بها ، كما أقر النابهون بأن حوافظ العرب جعلت منهم رواة ، وحملة علم ، وأصحاب تجارة[٣] تحتاج مراكز عقلية متميزة فى كافة مجالات الحياة ، رغم أنها كانت أمة لم تنل حظا كبيرا فى القراءة والكتابة .

ولا يأسف رينان وتنمان وغيرهما من تلك الأقوال الكاذبة ، وإنما يؤكدون على شهادتهم الزائفة ، ولا يحاولون التخلى عنها والاعتذار ، ومع ذلك فهم يندفعون فى شهادة الزور إلى أبعد مدى متخذين كل صور

---

(١) ارتست رينان – التاريخ العام للغات السامية – ص١٠ الترجمة العربية .

Renan : Histoire generale et systeme compare deslangus semetignes paris, p.١٠.

(٢) راجع كتابنا – حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث ص٤٥ ط٢ ، وكذلك سيرة ابن هشام ، والأصنام لابن الكلبى .

(٣) تحدث القرآن الكريم عن رحلتى الشتاء والصيف فى سورة قريش قال تعالى ﴿" لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "﴾

الكذب وسائل يقفزون بها إلى غرضهم التى هو التعبير الطبيعى عن العداء العنيف للعرب والإسلام والمسلمين أيضا .

❁ **يقول أحدهم** : ما يكون لنا أن نلتمس عند الجنس السامى دروسا فلسفية ... وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباسا حرفيا جديبا ، وتقليدا للفلسفة اليونانية[1] .

❁ **ويرد عليهم أحد العلماء بقوله** : الواضح أن هؤلاء المنتقصين للفكر العربى الإسلامى والمقللين من شأن العروبة والإسلام إنما يصدرون عن نزعة عنصرية حقيقية ، وعن دعوى غريبة ، ومن هؤلاء ارنست رينان ١٨٩٢م ، وليون جوتيه ، ويعتبر رينان بحق المسئول الأول عن إضفاء ما يزعم من عالمية على الرأى القائل ، بأن العقلية العربية عقلية جزئيات لا تعى الا المنثورات المتباعدة المتعددة ، ولا يمكنها استنباط قضايا عامة ، أو قوانين كلية ، أو نظم شاملة .

وعقلية العرب جبلت على هذا النحو من التفريق ، والفصل ، وهذه الفكرة فيما يزعم تشرح ظاهرة افتقاد التراث العربى الإسلامى لعنصر الأصالة والابتكار[2] ، اللذين يلزمان لإنشاء فكر فلسفى إبداعى على سبيل الإنشاء والتشييد ، أو الأسس الطبيعية وأمور التقعيد .

ولا شك أن التعصب يفقد صاحبه الموضوعية التى هى سمة البحث العلمى ، كما يفقده نزاهة الحكم التى هى أبرز سمات القاضى المنصف ، وفى نفس الوقت فانه يحكم على صاحبة بأنه قد وقع فى إهمال أدلة

---

(١)ارنست رينان – ابن رشد ومذهبه ص٧/٨ .

Renan : Averoes et d auroisme ptreface . p.٧.٨

(٢) الدكتور محمد كمال جعفر –تأملات فى الفكر الإسلامى ص٨٠/٨١ – مكتبة دار العلوم ١٩٨٠م .

الآخرين مهما كانت قوية وصحيحة ، ومثله لا يكون حكما موضوعيا ، ولا قاضيا عادلا ، وإنما هو شخص مريض يحتاج من بنى جلدته إدخاله مصحات العلاج ، ومثله لا اعتداد برأيه ، ولا يقبل حكمه .

كما أن العرب – القرشيين قبل الإسلام – الذين ولد فيهم رسول الله ﷺ كانوا حضرا مستقرين ، وما كانوا يرون العافية الا فى السلامة ، وفى الاستقرار والطمأنينة وراحة البال ، ولذا كانوا لا يشتركون فى قتال الا اضطرارا ، أو دفاعا عن مال ونفس[1] ، وقوم هذا شأنهم فلا شك أنهم يتميزون بالإبداع الثقافى والعلمى والتجارى ، كما تمكنوا من نقل أفضل الثقافات التى وقفوا عليها ، وحفظوا من الآثار أفضلها ، واقتنصوا القدرة على احتمال المكاره فى سبيل ذلك الهدف ، وكله من علامات الإبداع الفكرى[2] ، وسماته التى تميز بها العرب الجاهليون وبالتالى فهم أصحاب عقليات إبداعية لما سلفت الإشارة اليه .

❁ **فى نفس الوقت فانه من الثابت المعروف هو تكون الثقافة العربية فى صدر الإسلام من ناحيتين هامتين :-**

❁ **الأول :- ناحية دينية** :– آتية من دراسة القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف والفقه ، ومن انتشار الثقافة الإسلامية بين أهل الإسلام وأثرها فى عقولهم وأرواحهم .

❁ **الثانية : ناحية لغوية أدبية** آتية من جزيرة العرب منبع اللغة العربية ، ومولد الإسلام ، والعرب هم الذين حملوا لغتهم معهم حيث يسكنون ، وحيث يفتحون ، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ والقرآن عربى ، ودعاة الأمم الأولون إلى الإسلام عرب ، فمن الواضح بعد أن ينسب الدين

(١) الدكتور جواد على – تاريخ العرب فى الإسلام ص١٠٨ .

(٢) راجع كتابنا – حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث ص١١٢ .ط٣

واللغة ، وما لهم من فضل إلى العرب ، وهو ما يمكن تسميته الثقافة العربية[١] ، التى تنوعت روافدها ، كما تعددت النتائج المترتبة عليها ، وبناء عليه فلم يكن العرب كما زعم المستشرقون المتعصبون ، وإنما كانوا متميزين فى الثقافة والمعارف والعقلية الناضجة الواعية .

بل كان وراء تلك الثقافة العربية تقف غريزة باطنية فيها التطلع نحو اللامحدود ، فيما وراء الوجود ، وكان أصحابها يحيون حياة واقعية حسية ، وكانوا فى باطنهم ينظرون فى شيء أعلى من الواقع والحس والمادة[٢] هو التأمل الروحى والتطلع إلى الملأ الأعلى مع محاولة التعرف على ما خلف العالم المادى المحسوس .

وبهذا يظهر أن أول مزاعم المفكرين لا أساس له ، بجانب أنه شهادة موثقة على زيف قول الآخرين ، واثبات التميز والأصالة مع الاستقلال الفكرى للعرب الأقدمين ، والإبانة عن كل طرائق العلم ، طبقا لما جاء فى دين رب العالمين ، مع خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو الذى نؤكد عليه .

فى نفس الوقت ، فقد اتضح أن العقلية العربية لها القدرة على الإبداع الفكرى والإبداع العقلى ، كما هى قادرة على نقد الثقافات المتباينة والترجيح بينها ، ثم تقديم صور لمعالجة ما فيها من أوجه تصور تحتاج الإصلاح واستكمال ما وقعت فيه ، من أوجه النقصان ، وفوق ذلك فلما جاء الإسلام حرك تلك العقلية النشطة إلى بحث مسائل ميتافيزيقه خالصة مجردة فى ذاتها ، لها واقع معاش فى ذات الأمر ، كالجن والملائكة والسمعيات التى كانت مفرداتها توجد لها بعض الصور فى ذهن

---

(١) الأستاذ أحمد أمين - ضحى الإسلام جـ١ ص٢٨٩ ط٣ - دار النهضة المصرية

(٢) دكتور على سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٣٠ - دار المعارف الطبعة الثامنة .

العربى[١] ، وكان يتطلع باستمرار اليها عساه يبلغ فى الوصول اليها مبلغا ، وأعانه النقل المنزل على تفهم تلك التصورات الميتافيزيقية بطريق مأمون .

كما أن العربى قبل الإسلام عرف بعض الغيبيات وتطلع إلى معرفة حقائقها ، وكان للحنفاء فيها مجهود كبير ، وهى وان لم تكن معرفة على وجه التفصيل الدقيق ، فانه قد عرف عنها ما توارثته الأجيال من النبوات السابقة ، والتى كانت كلها فى جزيرة العرب وتناقلها الحنفاء ، وأصحاب المعارف ، وكانت الألوهية أكبر شواغلهم الفكرية التى دفعتهم إلى الإعلان عنها ، وان اتخذوا صورا ورموزا ، تقربهم اليها ، أو تدنيها منهم[٢] .

أجل كان ذلك الا من الأدلة القوية على تمتع الغربى بعقلية قادرة على الدخول فى ميادين الميتافيزيقا التأملية ، على وجه دقيق ، ينبئ عنه ما أثر فى قول الأعرابى حين حاول الاستدلال على وجود الله تعالى البعره تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، أرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، وسماء ذات أبراج ، والخلق فيهم أفواج أمواج ، وبعد الإعسار تأتى الإفراج ، آلا يدل ذلك على الخالق المفراج[٣] .

---

(١) والدليل ان القرآن ضرب لهم المثال فى طلع شجرة الزقوم بأنها كرؤس الشياطين فقال ﴿ " إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين " ﴾ سورة الصافات الآية ٦٤/٦٥ ، فلو لم تكن عندهم تصورات عن الشياطين فما كان القرآن الكريم سيضرب لهم المثال بها ، وكذا تصوراتهم عن الملائكة ، حتى ولو كانت أفكارهم عنها خاطئة ، فإنها مباحث ميتافيزيقية كانت لهم قبل الإسلام فهم على على تلك الناحية أصحاب عقلية ناضجة .

(٢) وكانت عبادتهم الأصنام بجرد وسيلة كما ذكر القرآن الكريم ﴿" ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى " ﴾ (سورة الزمر الآية ٣) .

(٣) الأستاذ صبرى فاضل – العقلية العربية التأملية ص١٣ ط دار طرخان ١٩٢١م دمشق .

والأمثلة على أن العقلية العربية المسلمة متميزة بالسعة والشمول والقدرة على الإبداع والابتكار واضحة ، بل ومتعددة بالغة حد التواتر ، ويشهد بذلك القاصى والدانى وأهل العرفان فى كل مكان وزمان .

(٢) تفرد العقلية العربية
بحب الأوهام[١] والأساطير[٢] والخرافات[٣]

[أ] عرض الشبهة :-

زعم المنكرون لوجود فكر فلسفى إسلامى فى العرب أنهم يمتلكون عقيدة تعبوية فيها الولع بالأوهام ، وحب العيش فى رحاب الخرافات ، وقبول الأساطير على كافة ألوانها وحكايتها على سبيل الفخر بها[٤] ، ثم توارثها الأجيال كأنها قواعد ثابتة لا يمكن التخلى عنها ، وقوم ذلك شأنهم فلا يمكن أن تقوم فيهم فلسفة جادة عمادها الإبداع الفكرى ، أما لماذا ؟

---

(١) الأوهام جمع مفرده وهم ، وهو الغلط والخطأ الذى يقع فى الذهن من الظنون الفاسدة والخواطر الكاذبة - راجع قطر المحيط - باب الواو والهاء .

(٢) الأساطير جمع أسطورة ، وهى الحديث العجيب الباطل ، الذى لا يعتمد الا على خيال صاحبه دون أن تقدم معه أدلة تعينه عليه - راجع أساس البلاغة للعلامة الزمخشرى - ط الشعب .

(٣) الخرافات جمع مفرده خرافة ، وهى الكلام المستملح المكذوب ، يقال هذا حديث خرافه ، ويصدقه فاسد العقل ، كما يحكيه فاسدة للتلهى وإضاعة الوقت - تاج العروس باب الحاء ، ويقال ان خرافة كان أحد رجال العرب ، وكان يسكن المدينة ، ولكنه تعرف مع الجن بشكل معاكس لهم ، وتجاوز حدوده معهم ، فأسرته الجن عاما وارته من ألاعيبها ما لم يكن معهودا له ، فلما انقضى العام عاد يحدث بما كان قد أرتاه ، وبلغ الخبر رسول الله ﷺ ، فقال لا تصدقوا خرافة ، ثم قص من أمره ما قص ، وصار كل أمر من هذا القبيل ينسب بخرافة ويتسمى به .

(٤) الأستاذ على عبدالتواب شاكر - العقلية العربية الجاهلية ص٧١

فلأن البحث الفلسفى غير عشق الأوهام والأساطير ، كما أن البحث الفلسفى يحتاج عمقا فكريا ، وبعدا تأمليا ، واتجاها عقليا يخوض جوانب الميتافيزيقا ، وهو ما يفتقده العرب[١] ، وبالتالى فلم تكن لهم فلسفة ، كما لا يمكن التصديق بأنهم أنتجوا فكرا فلسفيا مستقلا .

وفى نفس الوقت فإن العقلية العربية عقلية تعبئة وحفظ فقط طبيعتها قبول الأفكار والاحتفاظ بها ، وليس من شأنها الابتكار[٢] ، ومن كان شأنه التعبئة والحفظ فلن يتحول العقل معها إلا إلى مخزن آلى يحتفظ فيه بمخلفات يرى أصحابها عدم الاحتياج اليها ، أو عدم كفائتها فى الطفو على سطح الأحداث القائمة ، وصاحب ذلك المخزن لن يخرج عن إطاره إلى ما هو أبعد منه ، لأنه قد نصب نفسه حارسا أمينا عليه .

ولما كانت العقلية العربية قد توارثت ذلك الكم الهائل من الأوهام والخرافات ، والأساطير على مر عمرها السابق ، وأودعته الأجيال أمانة من السابقين إلى اللاحقين[٣] ، فقد حرص الجميع على عدم الخروج عليه أو التفريط فيه ، أو حتى الاتجاه إلى نقده وبحثه على ناحية فنية ، ليس لديهم القدرة عليها .

فى ذات الوقت فان الأوائل كانوا يدربون أبناءهم عليه ، ويعقدون لهم مجالس للتأكد من استيعابهم له ، كما كانوا يدربون على فنون العدوان وأساليب القتال ، وكيفية التعامل فى وقت الأزمات عن طريق الكر والفر ، والاقبال والادبار ، حتى لو أدى ذلك إلى مخالفة قاعدة عامة ، أو نقض

---

(١) الأستاذ بيومى نصر الله – العقلية العربية فى مفهوم المستشرقين ص٢٣ .

(٢) الدكتور فوزى عبدالعال – خطر المستشرقين على المسلمين ص٧١ .

(٣) أ.– فانتيوم – التراث العربى القديم ص٤١ – ترجمة وفاء منسى .

عرف مستقر[١] ، وعقلية ذلك أمرها لا يمكن أن ينسب اليها أى إبداع فكرى ، أو بحث فلسفى فى مجال الميتافيزيقا النقدية بصفة خاصة ، والتأملية بصفة عامة .

إنها عقلية عشوائية فيها الكثير من الجوانب السلبية التى عمادها العدوانية ، ولكن ذلك لا يمنع من امتصاصهم لأفكار الآخرين[٢] ، وحبهم لها ، وعنايتهم بها ، وهو نفسه ليس دليلا على إنتاجهم الفلسفى أبدا ، وإنما دليل على عدم قبولهم الإبداع الفكرى ، والابتكار الميتافيزيقى .

[*] مناقشة الشبهة :-

لا شك أن الخصم إذا لم يكن مسلما ملتزما ، فان جوانحه المعذبة ومشاعره الذاتية ، وداخله السيئ ، وضميره الخرب يدفعونه إلى تعمية عقله ، وتغطية فكره ، وإغلاق منافذ الرشاد فى وجه كل المناحى التى قد يأتيه منها النور ، أو يهتدى بها إلى الحق[٣] ، ومن كان ذلك شأنه ، فلابد أنه سيحاول فى البدهيات ، ويحاول إنكار الضروريات وينسب للأبرياء أحقر الاتهامات ، ويلقى بنفسه فى أعمق الكبوات ، ولن يستجيب لأهل الخير والحق والعدل ، مهما تكررت له الرجاءات ، وتعددت معه النداءات ، وهو الذى يمكن وصف أصحاب تلك المزاعم به . أما لماذا ؟ فلما يلى :-

❁ **أولا :- أن فكرة نسبة حب الأساطير والخرافات إلى العرب خاصة والمسلمين عامة سذاجة غير مقبولة** ، إذ ليست هى ميراث العرب وحدهم ، بل ان التاريخ

---

(١) العقلية العربية فى مفهوم المستشرقين ص٣٧ .

(٢) أ.- فانتيوم - التراث العربى القديم ص٥٢ .

(٣) راجع كتابنا - حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث ص٩٧ وما بعدها .

الفكر للإنسانية ذكر عن اليونان بالذات أساطير وخرافات يصعب الإلمام بها ولو على ناحية الحصر لأسمائها[١] ، فضلا عن موضوعاتها ، من ذلك أسطورة المعبد الحجرى ،والهرم العلوى ، والكون الأخر ، وسيزيف ، بجانب أو ناسيس وليزا ، ونارسيس ، وغيرها من الأساطير المشهورة عند اليونان ، ونقلت منهم إلى الشعوب المجاورة لهم ، أو التى تعاملت بشكل مستمر معهم[٢] ، لكنها ما تزال حاملة طابع الخيال الأسطورى الذى عرفته بلاد اليونان ، وكانت المرتع الخصيب له ، وقس على ذلك سائر الشعوب التى ارتضعت ألبان الخرافات ، ثم اجترتها خيالا عارما أو وهما قائما لا سند له فى شيء من الحقيقة ، ولم يكن هذا القدر من الخرافات أو الأساطير معروفا عند العرب أبدا ، وتاريخ الفكر شاهد على بطلان مزاعمهم ، وصدق دعوانا .

۞ **ثانيا : أنه على فرض معرفة العرب لشيء من الخرافات والأساطير والأوهام** ، فان نفس الشيء ثابت عن غيرهم من الأمم الأخرى ، فإذا انتفى عن العرب القدرة على الإبداع الفكرى ، والإنتاج العقلى لوجود شيء من الخرافات عندهم ، فان نفس الأمر ينسحب على بلاد الإغريق التى تكثر فيها الأساطير من باب أولى[٣] ، وحينئذ تكون سمة الإبداع الفكرى منتفية عن الجميع ، بل تكون تلك الابداعات الموجودة الآن كلها

---

(١) الأستاذ بدوى محمد عطا - دور الأسطورة فى الفكر اليونانى ص٣٥ .

(٢) الأستاذ توفيق عبدالغفور آدم - الأساطير اليونانية ص١٢١ ط الدار ١٩٤٦م .

(٣) راجع فى هذا الشأن على سبيل المثال : الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ،- د/ عبدالمحسن صالح - والتفكير المستقيم والأعوج - د/ محمد على الفرا : حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى -د/ محمد رجب النجار : الفكر الشرقى القديم ، بجانب ما ذكر فى هوامش الصفحات التى سلفت ، وكذلك فجر الإسلام وضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين .

مصدرها الوحيد هو الإسلام وحده ، لأنه الدين الإلهى الحق الوحيد الذى ظهر فى الدنيا كلها ، واستمر دون أن تنال منه عوادى الزمن ، أو حكايات الأوهام[١] ، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وبالتالى ترتد مزاعم المتعصبين من المستشرقين ومن يجرى معهم على تلك الناحية ، وتبقى الحقيقة قائمة فى وجود فكر إبداعى فلسفى للمسلمين على الناحية الفنية .

❁ **ثالثا :- أن العقلية العربية فى الماضى وظل الإسلام الحنيف قد ميزت بين مفهوم كل من الحقيقة والخيال منذ أول وهلة** حتى قالوا هذه حقيقة وذاك خيال فعلى فرض تأثرها بحب الأساطير على سبيل الحكاية ، فان ذلك لصالحها أيضا ، بدليل أنها جعلت ما كان من قبيل الحقيقة مستقلا بذاته ، وحاولت به قيادة بنيها ومجتمعها إلى ما فيه الصالح العام[٢] ، وجعلته قاعدة ثابتة ينقاس عليها .

❁ **أما الثالث ، وهو الذى من قبيل الخيال ، فقد نحته جانبا** ، بل ألقت به بعيدا عن مجال العناية والاهتمام ، وجعلته من باب الحكايات التراثية التى يتناقلها الصغار والعوام تهيئة لأذهانهم حتى تكون مستعدة لتلقى المعارف الأكثر رقيا ، والتى يقف جانب التجريد فيها أعلى من جانب التجريب ، وتلك مهمة تميز بها العرب قديما ، وشهدت بها محافلهم الأدبية ، ومعارفهم العلمية فى جانب البيئة والفلك ، ومطالع الشمس وبروج

---

(١) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام – الجزء الأول والثانى .

(٢) كانت معارف العلم عندهم فى هذه الناحية تفوق معارف غيرهم فى نفس الجانب ، بل أن العرب تميزوا على الجميع فيه ، تشهد بذلك المرويات عن الحنفاء وغيرهم . راجع – السيرة الحلبية والروض الانف ، وسيرة ابن هشام .

القمر[1] ، إلى غير ذلك مما هو من سمات العقلية العربية ويحسب لها على سبيل الاستقلال دون سواها من الأمم التى كانت موجودة ، فلما جاء الإسلام أعلاها قدرا ، وجعلها أكثر صفاء وثباتا ، وأبقى على الزمان خلودا .

❁ **رابعا :- عرف العرب قبل الإسلام الله تعالى** ، كما عرفوا أن له بيتا فى ألأرض ، وهو الكعبة المشرفة ، فزاروه فى بيته ، وحجوا اليها باستمرار ، وكانوا يتقربون اليه تعالى حسب فهمهم فيها ما وسعهم التقرب الذى هدتهم اليه عقولهم ، حتى أنهم كانوا يتقربون اليه أحيانا بربط أحد أبنائهم إلى الكعبة ، فيسمى ربيط الكعبة ، كما يسمى ضأن الله[2] ، ومنهم الغوث ابن مر ابن طابخه الذى عرف بأنه ربيط الكعبة ، وضأن الله[3] ، وتغنت أمه بأبيات كثيرة منها :

انـى جعلـت رب مـن بَنِيَّـة ∴ ربيطـة بمكـة العليـة

فبـاركن لي بـها إليَّـه ∴ وأجعلـه لي مـن صـالح البريـة[4]

ولا شك أن ذلك كله يمثل رصيدا فكريا يحسب للعقلية العربية ، بجانب التفكير العقلى فى مجال الميتافيزيقا التأملية الذى تبناه الحنفاء على مدار تاريخهم الطويل ، ولا يمنع ذلك من كونهم أصحاب فكر واقعى ، وأن الأساطير المركبة[5] ، قد فشلت فى تكوين حياتهم العقلية والفكرية

---

(١) الأستاذ محمد عبدالجواد غريب – العقلية العربية فى الماضى ص١٧٩ .

(٢) راجع كتابنا – أوراق مطوية فى التصوف والصوفية ص٤١٧ – الطبعة الثالثة ، وراجع سيرة ابن هشام جـ١ .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية – مجموعة الفتاوى المجلد الحادى عشر – التصوف ص٢١٧ .

(٤) العلامة الأزرقى – تاريخ مكة جـ١ ص١٣١ .

(٥) الدكتور محمد عبدالمحسن خان – الأساطير العربية قبل الإسلام ص٢١٣ .

والاجتماعية ، بل يؤكد أنهم كانوا أصحاب مباحث ميتافيزيقية راقية ، وأنماط فكرية روحية ، باعتبار انهم أبناء إسماعيل الذبيح بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم جميعا الصلاة والسلام .

ومن كان ذلك حاله فلا شك أنه سيتقدم كثيرا فى مجال خدمة الفكر الإنسانى والإبداع فيه ، كما سيتفرد بالنتاج العقلى الأصيل ، الذى يميزه عن كل فكر أخر ، وبهذا تبطل أوجه المنكرين ، كما يستقر فى الأعماق أن التعصب الجنسى مجرد فكرة خيالية مردها إلى الشعور بالنقص المركب الذى يحاول أصحابه التخلص منه لما فيه من مناقص تحيط بهم ، ومثالب من كل جانب تلتف حولهم[١] ، وذلك ما تشهد به الدراسات السيكولوجية قديما وحديثا ، وتبحثه تحت مفهوم " مركب عقدة النقص ".

❁ **خامسا : أن أصحاب العقلية العربية قد بعث فيهم رسول الله ﷺ** وكان بعثه ﷺ فيهم ، وفى كل أمم الأرض من بعدهم قاطية ، قال تعالى ﴿ " هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين "﴾[٢] ، ومهمة الرسول ﷺ – بعد تعريفهم بالله تعالى وتوجيههم إلى ما فيه مصالح دينهم ودنياهم – تقوم على إخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل ، والفقر والمشاعر الجافة إلى نور الإيمان بالله تعالى والعلم والمعرفة ، بجانب تزكية المشاعر الراقية وبسط الأمور التى تجعل القواعد الضابطة ميسرة ، حتى تكفل لهم حياة آمنة . قال تعالى ﴿ " كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد "﴾[٣] ،

---

(١) الدكتور على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٤٦ وما بعدها .

(٢) سورة الجمعة الآية ٢ .

(٣) سورة إبراهيم – عليه السلام – الآية ١ .

فالكتاب الحكيم هو القرآن الكريم ، والمبلغ به هو الرسول الكريم ، والمتلقون له هم أصحاب الدين القويم ، وعقلية ذلك لها شأنها ، فلابد أنها مبدعة قادرة على كافة ألوان العطاء الفكرى .

والمسلم الذى آمن بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا ، وبسيدنا محمدﷺ نبيا ورسولا ، يتكمل بالفضائل ، وتتهذب غرائزه بالتربية الدينية ، وتتسامى روحه بالامتثال ، ويتقوم طبعه بالأدب ، ويطهر قلبه بالدين ، ويعتدل سلوكه بالتقوى[١] ، وبالتالى فانه فى كل الحالات سوف يقفز بعقله ، ويسبح معه خياله ، ويجول بفكره فى مناحى التأملات التى تعينه على اختراق حجب كثيفة ، وحينئذ تكون له أفكار مستقلة ، وإنتاجيات عقلية متميزة فيها الإبداع والابتكار مع الأصالة ، وهو شأن المفكر المسلم ، وطبيعة تفكيره التى عجز أعداؤه عن التعرف عليها ، أو الوصول اليها .

❁ **والذى أميل اليه** : أن ديبور ورينان ، وكوزان مع تنمان ، وغيرهم ممن يحاولون إنقاص العقلية العربية والإسلامية قدرها ، ينطلقون من تعصب يقوم على فكرة تقسيم الناس إلى السامية ، والأرية ، وتميز الأرية عن السامية ، واعتبار أن السامية عقلية بسيطة ، والأرية عقلية متميزة ، وهى أفكار ساذجة ، لأن الناس جميعا من آدم ، وحواء وتفاوتهم فى طرح المسائل أو تناولها إنما هو تفاوت نسبى[٢] .

ثم أن تقسيم الناس إلى سامين وأريين غير منحصر ، وفى نفس الوقت لا يمكن اعتباره قاعدة عامة أو حكما كليا ، بل الأقرب القول بأن خيال جامح لعدو كالح ، كما أن ما اعتمدوا عليه هو مجرد فكرة خيالية لا يقبلها

---

(١) الدكتور إبراهيم على أبو الخشب - القرآن وشيجة المسلمين ص٨٠ - دار الفكر العربى .

(٢) راجع كتابنا - التفكير الإنسانى ومستوياته ص٣٧ .

العقل السليم ، حتى تكون قانونا عاما ، ومن الأمور التى رفضها المنهج العلمى التعميم ، الذى لا يقوم على أساس مقرر ، وإلا فما هى المبررات المقبولة التى تجعله يعطى هذا الحكم العام ، أو أنه فى هذا الحكم الغامض لا يتعامل مع ظواهر طبيعية تجمعها خصائص يمكن أن تشكل فى النهاية قانونا عاما يجمعها كلها ، ولكنه يتعامل مع كائن يفكر ويريد ، وليس للفرد أو لمجموعة من الأفراد يقطنون موطنا ما من الخصائص التى بها يتميزون عن سواهم الا فى حيز ما تمليه العوامل البيئية والوراثية ، وذلك فى نطاق ضئيل جدا .

كما قد ثبت أنه بعد الطوفان ظهر أبناء نوح ﷺ ، أنطلق أحدهما نحو جزيرة العرب ، بينما الثانى انطلق نحو أرض الفرس ، ثم صار أحدهما عربيا ، والثانى فارسيا ، وإبراهيم خليل الله كان أعجميا[1] ، فتقسيم الناس إلى ساميين وأربيين لا دليل عليه .

فى نفس الوقت فإن الإنسان بحكم ما ركب فيه من العقل يمكن أن يتوجه به إلى المشاكل التى أمامه لحلها يستوى فى ذلك من يقيم فى الشرق ، ومن يقيم فى الغرب ، والخلاف بين هذا أو ذاك ، إنما يكون فى وسيلة التفكير ، لا فى مواجهة المشكلة[2] القائمة التى يبحث كل لها عن حل يراه حاسما فيها .

---

(١) العلامة الجاحظ - رسائل الجاحظ جـ١ - تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون ط القاهرة ١٩٤٦م .

(٢) الدكتور محمد عبدالستار نصار - فى الفلسفة الإسلامية - قضايا ومناقشات فى المشرق ص١٧ .

(٣) وجود عقبات
تمنع المسلمين من التفكير العقلى الحر :

يبدو أن أعداء الإسلام كلما أعيتهم الحيل فى النيل منه ، أو الصد عنه ، لجأوا إلى التضليل المرة تلو الأخرى ، وهم فى كل مرة تنكشف ظهورهم ، وتنفضح عوراتهم ، ولا تستحى من فضائحهم عقولهم ، وأية ذلك أنهم كلما عجزوا عن تقديم شبهات مقبولة فى صرف الناس عن ابتكارات العقلية العربية والإسلامية وإنتاجها الفلسفى[1] ، حاولوا تقديم شبهات جديدة ، لكنها هذه المرة على الفكر الإسلامى نفسه ، لا على الفكر العربى وحده .

فهم أرادوا النيل من الإسلام ، ومن المسلمين معا ، وذلك بتقديم شبهات زعموها جديدة ، تقوم على أن سبب عدم وجود فكر فلسفى إسلامى هو :-

[أ] كتاب المسلمين المقدس الذى يعوق عن النظر العقلى الحر .

[ب] حزب أهل السنة والجماعة وهو حزب قوى تقليدى متمسك بالنصوص الدينية .

[جـ] سلطان أرسطو الذى استبد بعقولهم فلم يسمح لهم بالخروج إلى تفهم المشاكل الميتافيزيقية ، وإنما جعلهم يلتفون حول أنفسهم فقط .

[د] ما فى طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثر بالأوهام ، واندفاع لقبول النواحى المعلوماتية من غير مناقشة لها أو تفكير فيها .

ذلك كله - من وجهة نظر المنكرين – هو الذى حال بين المسلمين والتفكير العقلى ، حتى أن المسلمين لم يستطيعوا أن يصنعوا أكثر من تقديم شروح

---

(١) ذلك شأن أعداء الإسلام فى كل مكان ، وهم لم يتوقفوا عنها ، وإعادة عرضها ، وذلك شأنهم الذى درجوا فيه وقاموا عليه ، و لم يتخلوا عنه .

ناقصة لمذهب أرسطو ، وتطبيقه على قواعد دينهم الذى يتطلب إيمانا أعمى[١] ، لا يسمح لأحد بالخروج عليه مهما كانت مبرارته العقلية ، أو اتجاهاته الفكرية ، أو ملكاته العلمية .

❁ **يقول شيخنا**[٢] : لو أن الذين ينكرون على المسلمين إضافة جديد إلى الثقافات القديمة ، التى وصلت إليهم عمدوا إلى عمل تلخيص موجز لأصول الفلسفة العزوة إلى المسلمين ، ثم ردوها إلى أصول الفلسفات القديمة التى وصلت إلى المسلمين ، لكان فى ذلك الحجة البالغة التى لا ترد على صدق دعواهم أن المسلمين لم يضيفوا جديدا إلى الفلسفات القديمة[٣] ، يدل التجنى وإلقاء التهم على الأبرياء من غير أصول تقوم عليها ، أما وأنهم لم يفعلوا فقد بان تجاوزهم وخروجهم على القواعد العلمية والأخلاقية التى كان يجب عليهم الالتزام بها ، ان كانوا منصفين .

❁ **ونحن سنحاول مناقشة كل فكرة من هذه الشبهة على حدة ، لعل من يسيرون فى فلك المستشرقين ، ومن يجبرون عقولهم على العيش فى تحت عباءات الآخرين ، تقف الأمور لهم ، فربما راجعوا قراراتهم السابقة ، فتخلوا عن الأكاذيب التى ما زالوا يتفننون فى إتقانها وإجادتها ، وتركوا الأوهام ، وعادوا للحق ، والتزموا الصواب ، لما هو معروف من أن التمادى فى الباطل جريمة ، والرجوع للحق فضيلة ، وسيكون ذلك على النحو التالي :-**

---

(١) الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص٥ ، وقد نقلها سيادته ونسبها لأصحابها ، وقد نقلها عنه مع توضيح لبعض المفردات أو بسط فى العبارة .

(٢) هو الأستاذ الدكتور سليمان سيد أحمد دينا – رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

(٣) الدكتور سليمان دينا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص٣٣٩ .

[أ] مناقشة زعمهم إعاقة الكتاب الإسلامى المقدس للتفكير العقلى الحر[١] :

يبدو لى أن المنكرين لوجود فكر فلسفى إسلامى قد بلغ بهم العمى العقلى ، والحمق الخلقى درجة ما عادوا بعدها بالقادرين على التفرقة بين القرآن الكريم ، وهو كلام رب العالمين الوحيد ، الذى هو الوحيد كلام الله تعالى عن استحقاق وجدارة ، وبين الكتاب المقدس – عندهم – الذى يتمسك بالعهد القديم فيه اليهود ويعتبرونه دينهم ، ويتمسك بالعهد الجديد فيه المسيحيون ، ويتعتبرونه الحافظ لنصوص دينهم .

وهم جميعا ليسوا فيه على أمر سواء ، ولا فى عهديه على قدر مشترك ، بل كل منهما ينكر الأخر ، ويكذبه ، حتى صار كل منهما ليس مقدسا أبدا عند أصحابه[٢] ، فهم صنعوه بأيديهم ، وتناقلوه من غير اعلان عنه ، وتبادلوه تحريفا بالزيادة عليه ، أو الإنقاص منه ، أو التبديل المستمر فيه[٣] يشهد بذلك حالهم والأمور التى قامت عليها نصوص كتبهم ، وهم بأنفسهم معترفون بأنهم على الحقيقة مجترؤن .

وكتابهم المقدس – كما يزعمون – بعهديه هو الذى يحول بين المرء والتفكير العقلى ، لأن رجال اللاهوت عندهم فرضوا أفهامهم على عقول

---

(١) ذكرها شيخنا الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق ونسبها إلى تنمان – راجع التمهيد ص٥٤ ، واحتمع رينان معه عليها ، وكذلك جوبيبه ، راجع المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية للدكتور محمد يوسف موسى رحمه الله .

(٢) راجع ما كتبناه عن أنواع التحريف فى العهد القديم ، والعهد الجديد فى كتابنا – وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ص١٧ ط الخامسة .

(٣) راجع فى المسألة أدلة اليقين للشيخ عبدالرحمن الجزيرى وإظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ، والجواب الصحيح لم بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وكذلك الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للإمام القرافى – تحقيق الزميل الفاضل الدكتور بكر زكى عوض ، وكثيرون غيرها مما تناول ذلك الجانب.

الآخرين وضمائرهم ، واحتكروا وحدهم تفسير نصوص الدين ولم يسمحوا لأحد سواهم في القيام به مهما كان مستواه العقلي وغرضه الشريف وتقف الإفهام معه ، بل أن من حاول القيام به من خارج السلك الكهنوتي كان مصيره الطرد من رحمات الآب ، واعتباره هرطيقا مجدفا فتصدر عليه الأحكام المتنوعة التي يطلقها رجال اللاهوت أيضا فهم الخصوم والحكام معا ، وقد تصل الأحكام الصادرة ضدة إلى عقوبة الإعدام التي يتم تنفيذها في ميدان عام .

ومحاكم التفتيش دليل على ما ذهبنا اليه ، وهم لا ينكرونها ، ولا يحاولون التخلص من أثارها السلبية التي حطمت العقل عندهم ، وقتلت الفكر في نفوس أتباعهم ، وأحالت ديارهم العامرة في وقت ما إلى خرابات ينعق فيها البوم وتشأم فيها الغربان ، كما تحولت النفوس الآمنة هناك إلى مفزعات ، والعيون المستقرة إلى خائفات[1] .

❁ **وفي نفس الوقت كان رجال الدين عندهم يشغلون عقولهم بالخرافات ، ويلهون اتباعهم بالخيالات ، ويدفعونهم دفعا إلى الخروج عن مقبول الاحتمالات ، تحت اسم المعجزات التي كان يدبر حكايتها ، ويسعى في إذاعتها الخدم الخاص بالباباوات ، فإذا حاول آحاد الناس التعرف على أفكارهم ، أو مناقشة القضايا المعروضة عليه قالوا له :-**

☆ ما شأنك بهذا أو لست مؤهلا له ، ان دورك التلقي فقط من غير تفكير أو تأمل .

☆ خذ وأنت أعمى .

---

(١) راجع محاكم التفتيش ، والعصور الوسطى في كتابنا – قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة ص٣٧ وما بعدها ، وكذلك المصادر التي تعرضت لبيان ما جرى في محاكم التفتيش أو ذكرت بعض صور الاضطهاد الديني عندهم .

☆ هكذا الغ عقلك وسلم[1] .

☆ ما يقوله الآب لا يفهمه الا المعبأ من الرب .

☆ كلام الله أعلى من قدرات العقل[2] .

☆ ما يقوله الآباء هو المصدر الحق ، وان خالف الواقع ، فتكذيب الواقع أيسر من مخالفة ما نسبه الآباء إلى الرب[3] .

☆ **إلى غير ذلك مما هو معروف فى الفكر اليهودى والمسيحى معا** ، ويتناقله أفراد الشعب باعتباره من وصايا الكتاب المقدس ، لا يجوز الخروج عنها ، أو الانسلاخ منها وإلا كان صاحبها خارجا من الدين نفسه ، محكوما عليه بالطرد ، وذلك ما دعا ديكارت - الفيلسوف الفرنسى - إلى مهادنة رجال الدين فى أوربا ،ومحاولة التخفى بأفكاره التى تناهض الكنيسة من وجوههم ، وبخاصة بعد أن رأى نهاية جاليليو ، وبرونو على أيديهم ، والذين راحوا ضحية البحث عن الحقيقة التى يحرمها الآباء المسيحيون ، والحاخامات اليهود ، ولم ينشر كتابه - العالم الطبيعى - الا بعد موته تنفيذا لوصيته ، واحتراما لرغبته[4] ، ولو نشر فى ذلك الوقت فمن يدرى ربما كان مصيره هو نفس مصير من سبقه فى هذا المجال .

---

(١) الدكتور على محمد جبر - محاضرات فى علم التوحيد ص١٢

(٢) القس - بولس منشى - دراسات فى الكتاب المقدس ص٧١ .

(٣) القس إسكندر رزق - الآباء مصدر التعليم المسيحى ص٦٧ .

(٤) راجع كتابنا - قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ، وكتابنا - خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ، ترى ذلك بوضوح أثناء حديثنا عن ديكارت ، وأنه قد اقر بذلك فى حياته وكتبه فى سيرته الذاتية .

بل أن أصحاب تلك المزاعم الفكرية الكاذبة لما رأوها فى كتبهم التى بأيديهم حاجرة على العقل ، واقفة ضد إمكانياته ، توهموا أن القرآن الكريم كذلك ، وما دام العهدان - عندهم - قد فرضوا ذلك على كل المنتسبين إليهم ، فالقرآن الكريم فعل مع المسلمين به مثل ما فعل الكتاب المقدس فى أتباعه من اليهود والمسيحيين ، وهو توهم كاذب لا محل له ، بل مقايسة باطلة ظالمة ، وغير مقبولة على الإطلاق من جانبنا ، ومن جانب أهل الإنصاف فى المستشرقين[١] ، وذلك مما لا ينكره صاحب العقل الأمين الذى قرأ نصوص القرآن الكريم ومنها يدفع العقل إلى أعلى مراتب التفكير فى كل المجالات التى يتاح له التعرف عليها .

بيد أنى أرى أصحب هذه المزاعم قد نظروا - عمدا - إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فرأوا كلا منهما يدفع للبحث العقلى ، والتأمل النظرى ، والاعتبار فى ملكوت الله تعالى المشاهد وغير المشاهد ، كما يدفعان إلى كافة المباحث الميتافيزيقية والفيزيقية معا[٢] ، فغاظهم وجود ذلك فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وعدم وجوده فى كتبهم التى بأيديهم ، فحاولوا تلفيق الاتهامات الكاذبة إلى القرآن الكريم ، بدءا من تسميته الإلهية ، وهى القرآن الكريم قال تعالى ﴿ " أنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين" ﴾[٣] ،

---

(١) يقول وات Watt : نحن الأوربيين غير قادرين على الموضوعية إذ أحيانا تقلل من تأثير المسلمين علينا ، وتقلل من تأثيرهم على ميراثنا الثقافى - راجع وات Watt فى كتابه الإسلام على أوربا فى العصور الوسطى.

(٢) والآيات القرآنية فى هذا الشأن كثيرة منها قوله تعالى ﴿" قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " ﴾

(٣) سورة الواقعة الآيات ٧٧/٨٠ .

فتسمية القرآن الكريم إلهية لا يجوز العدول عنها إلى غيرها ، ولكن المتعصبين المستشرقين يحاولون تغييرها وتسميته بالكتاب المقدس ، حتى يتساوى مع كتبهم التى بأيديهم فى التسمية ، وحينئذ يجرى عليه – لا سمح الله – ما يجرى على كتبهم من نقدها ، وبيان أوجه القصور فيها ، وبيان أنها غير صالحة فى الانتساب إلى الله تعالى ، ولكن خاب مسعاهم ، وضل مسراهم ، وجعل الله حرائر أفكارهم أسراهم .

نعم لأن روح القرآن الإلهى هو الذى دعا إلى وضع منهج ومنطق فى كل خصائصه عن منطق ارسطو روح الحضارة اليونانية ، وبالتالى فالفلسفة الإسلامية الحقيقية تعبير عن روح الحضارة الإسلامية[١] ، التى حث عليها القرآن الكريم ، وطلب القيام بها ، ولا يوجد كتاب أخر الهى سواه منقولا بالسند الصحيح فى اللفظ والمبنى – المتن والمعنى سوى القرآن الكريم ، وبالتالى فمحاولة الكافرين نقل التسمية الإلهية للقرآن الكريم وجعلها الكتاب المقدس ، محاولة محكوم عليها بالفشل ، ومقايسة مقضى على أصحابها بالتهافت .

أما صلب القول ، فهو أن القرآن الكريم قد أخى بين النقل والعقل ، وجاءت مادة ع ق ل فى القرآن الكريم " حوالى خمسين مره[٢] ، كما جاءت مادة ف ك ر حوالى تسع عشر مرة[٣] ، وكذلك ماد ف ق هـ حوالى عشرين مرة[٤] ، وكل ما كان من هذا القبيل مثل العلم والفقه والفكر الذى يبين احترام العقول والأفهام ويطالب الألباب والضمائر بحسن الاستخدام ، ويحثها على محاولة التعرف

(١) الدكتور على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٥٩ .

(٢) الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب العين ص ٤٦٨/٤٦٩ .

(٣) المصدر السابق باب الفاء ص٥٢٥ .

(٤) المصدر نفسه باب الفاء ص ٥٢٥

الجاد لما فى هذه الأنام من حكم ومصالح ومنافع فيها الانتظام والانسجام ، ولم يحاول المفكرون فى الماضى التعرف عليها .

❁ **يقول أحد العلماء** " لست أدرى كيف يستبيح المستشرقون لأنفسهم إطلاق هذه المزاعم ، والعالم كله لم يعرف دينا من الأديان يعلى من شأنه العقل مثل الإسلام والقرآن الكريم شاهد على ذلك[1] ، بنصوص فيها الكثرة التى تتنوع ، ويؤكد بعضها الأخر فى الأذهان ، ويكرره عله ما يبلغ أعلى ما فى الإفهام فهل بعد ذلك يقال عليه أنه حجر على العقول ، أو ضيق فى النهى وحارب الأحلام .

❁ **ويقول أخر**" لقد فسح القرآن الكريم مجالا للنظر العقلى الاستدلالى فى العقيدة والبحث الاستقرائى فى الكون[2] " علويه وسفليه ، ظاهره وباطنه ، حتى أمر الروح طلب إليهم التعرف على أسرارها ، دون البحث عن حقيقتها ، وجاء هذا المعنى فيه على ناحية التأكيد ، فقال تعالى ﴿ " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا "﴾[3] ، ومن أوتى القليل فعليه أن يبحث عن الكثير ، ويجد فى طلبه ،والتعرف عليه ، مع المحاولة المستمرة فى الوصول اليه .

بل أن منطق العقل يقرر أن الكلام الإلهى ينزل على العقل البشرى ليفهمه ، ويتعرف أوامره ونواهيه وأحكامه وما يتعلق به كمرامية ، فهل يمكن بعد هذا أن يأتى القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح ،

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص١١١ .

(٢) الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى - واصل بن عطاء حياته ومصنفاته ص٣٩ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

ويطالبان العقل بعدم الفهم ، أى عاقل ذلك الذى يقول مثل هذا اللهم الا أن يكون بحاجة إلى مصحة عقلية ، ينزوى فيها مع أركان النسيان[١] ،

أن من يلغى عقله لا يستحق الوصف بأنه من العقلاء ، والدين الإسلامى الحنيف اعتق العقل الإنسانى من رقه ، وأعطى التفكير الإنسانى حقه ، ، فقال رسول الله ﷺ " تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذاته فانه لا تحيط به القدر "[٢] ، وفى رواية " تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا "[٣] .

والحقيقة هى التى تفرض نفسها على العقلاء ، يقول شيخنا " فليقرأ تنمان – وأمثاله – القرآن الكريم ، وليمسك قلما وقرطاسا ، ثم ليحصى عدد مرات ذكر العقل فى القرآن الكريم ، مصحوبا تارة بالثناء والتقدير ، ومأمورا تارات أخرى بالبحث والنظر والتفكير ، ثم ليقل لنا ماذا يستفاد من ذكر العقل مصحوبا بالشكر ، مأمورا بالبحث والنظر والتفكير مرات ومرات ، أيستفاد منه أن القرآن الكريم يعوق النظر العقلى الحر ؟ أم يستفاد منه شيء أخر ؟ ان الجواب على ذلك رهين بمقدار ذكاء تنمان[٤] ، ان كان لديه شيء من ذكاء وما أحسبه ومن تجرى معه قد وجد فيهم ذكاء .

---

(١) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام – الجزء الأول فقد عرضنا هناك لبيان حرية العقيدة والتفكير وأن ذلك كان من عوامل انتشاره .

(٢) راجع شرح العلامة الفشنى على الأربعين النووية ص٧٥ .

(٣) هذا المعنى جاء فى رواية كثيرة يستشهد بها أصحاب البحث فى العلوم العقلية .

(٤) الدكتور سليمان سيد أحمد دينا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص٣٣٩ – مطبعة الخانجى بالقاهرة .

❁ **تقول أحد أساتذتي**[١] " ان الحقيقة تفرض نفسها ، وتؤكد ذاتها ، ولا يغيرها قول كائن من كان ، فالقرآن الكريم بكلامه هو دعوة صريحة للعقل أن ينظر ويتعقل ، حتى أن لفظه أية التى منها تكونت سور القرآن الكريم ، فان معناها الحجة والبرهان ، أفيمكن بعد ذلك أن يقال : أن القرآن الكريم ينهى عن النظر العقلى ، أم أنه على العكس ، يأمر به وبغيره من عمليات عقلية أخرى ، هى من طبيعة التفكير والتعقل ، مثل النظر والتبصر[٢] ، ولا يمكن أن يهمل القرآن الكريم كلام رب العالمين شيئا من ذلك أبدا ، أو يحجر على العقل فيمنعه من تناولها ، وإلا كان مخالفا لما دعا اليه ، وأمر به ، وذلك شأن كتبهم التى صنعوها بأيديهم ، لا كتاب الله تعالى الذى هو حق كله لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه أبدا .

كما أن الواقع يشهد باشتمال القرآن الكريم على الكثير من الآيات التى تحث العقل على التأمل والنظر ، واستخراج النتائج من المقدمات والموازنة والترجيح بين الأشياء ، وقياس الأشباه والنظائر ، واستعمال البراهين اليقينية فى جدال الخصوم ، وما كان للقرآن الكريم أن يكون على

(١) هى الأستاذة الدكتورة سهير فضل الله ، تعلمت منها الكثير فى كلية البنات جامعة عين شمس ، وكانت مشرفة على رسالتى هناك " عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية " والتى حصلت فيها على تقدير " ممتاز " ، وكان أعضاء المناقشة والحكم :- أ.د/ محمد إبراهيم الفيومى عميد كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف آنئذ ، وهو شيخى ، أ.د/ كوكب مصطفى عامر استاذ الفلسفة الإسلامية بكلية بنات عين شمس ، أ.د/ سهير فضل الله المشرفة ، وما زالت نعم المشرفة ، وكذلك المرحومة أ.د/ فوقية حسين محمود أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية بنات عين شمس ، فلها أفضال كثيرة على ، وكم ساهمت فى الاشراف على العديد من أبحاثى ، وساعدتنى فى معرفة الكثير من الأنوار العلمية التى كنت بحاجة اليها فى التحقيق ، كمنهج ودراسة ، وفى الشرح والتعليق كنواح فنية .

(٢) الدكتورة سهير فضل الله أبو وافية – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص٢٤ .

خلاف ذلك أبدا ، وهو دستور الدين الإسلامى ، الذى جاء ليعود بالإنسانية إلى نظرتها الرشيدة ، وما العقل إلى قبس من قبساتها ، وشعاع من نورها[١] .

والقرآن الكريم عمل على تمكين العقل من أسباب المعرفة ، وحثه على الوصول اليها مع التفرع فى وسائلها ، ومحاولة الكشف عن مصادر جديدة ، وحينئذ لا يكون حجر عثرة فى طريق التفكير العقلى الحر ، كما زعم الكافرون ، يكون موجهها إلى أنماط التفكير الجادة الهادفة وذلك مما تشهد نصوصه به ، وأنه حرك العقل ،وحثه على السير فى كسب طرق المعارف ، ما دامت فى حدود إمكانياته العقلية المتاحة ، حتى لا يضل فى غيرها – غير المتاحة – أن حاول الدخول اليها .

من ذلك قوله تعالى ﴿ " هل اتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا " ﴾[٢] ، وفى الآية الكريمة حسب مفهومى حديث كبير عن فكرة الزمان ، وفكرة المعدوم ، وفكرة الوجود ، وفكرتى المكان والحركة ، وهى من أدق المشكلات الفكرية ، وأكثرها صعوبة ، وفى نفس الوقت كثر حولها الجدل ، ومع ذلك فالقرآن الكريم تحدث عنها ، وخاطب

---

(١) الدكتور محمد عبدالستار أحمد نصار – فى الفلسفة الإسلامية قضايا ومناقشات جـ١ ص٢١ ، وهو أحد أساتذتى الإجلاء ، أشرف على رسالتى للماجستير بأصول القاهرة ومعه أ.د/ محمد أبو الغيط الفرت ، وكان موضوعها " عقيدتا رفع عيسى عليه السلام ونزوله بين الإسلام والنصرانية " ونوقشت فى ١٩٨٢/٢/٢٤م ، وحصلت على الدرجة بتقدير " ممتاز " وكان أعضاء المناقشة أ.د/ محمد عبد الغنى مرسى شامة أمد الله فى عمره ، أ.د/ صلاح عبد العليم إبراهيم رحمه الله وجعل الجنة مثواه ، أ.د/ رشدى عزيز محمد من قرية ميت أبو على مركز الزقازيق شرقيه بارك الله فيه بجانب المشرفين ، والحمد لله رب العالمين .

(٢) سورة الإنسان الآيتان ١/ ٢ .

العقل بها ، وطالبه التأمل الجاد فيها ، ودفعه إلى ميدانها أنها دفعا حثيثا أمينا .

۞ **يقول الشيخ الصابوني** " قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان ، كان الإنسان في العدم ، ولم يكن له ذكر ولا وجود ثم أوجده الله تعالى ، ففي الآيات تذكير للإنسان بأصله ونشأته ، وبأنه كان شيئا منسيا لا يفطن له أحد ، وكان في العدم جرثومة في صلب أبيه ، وماء مهينا ، لا يعلم به الا الذى يريد أن يخلقه ، ومر عليه حين من الدهر ، كانت الأرض خالية منه ، ثم خلقه الله ، وأبدع تكوينه وأنشأه ، بعد أن كان مغمورا ومنسيا لا يعلم به أحد الا الله جل في علاه "(١) .

وجاء ذلك كله في آيات القرآن الكريم الذى يخاطب العقول ، ويحرك الإفهام ، ويدفع للتفكير عقلاء الأنام ، بل أنه في قضاياه التى تناولها قدم مناهج دقيقة وطرقا سليمة ، كما قدم معطيات تعتبر إرهاصات لنتائج يبحث العقل عنها ويجرى في طلبها .

فالقرآن الكريم حاور العقل حتى ينقذه من الضلالات والأوهام ، ويرفع عن كاهله ما يؤثر على قدراته ، أو يقلل من إمكانياته ، وكان ذلك في كل شيء بدءا من إثبات عقيدة الألوهية والوحدانية لله تعالى ، بعد إثبات وجوده تعالى ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى اجل مسمى "﴾(٢) .

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير جـ٢٩ ص٤٩١ بتصرف يسير في العبارة تستلزمه الضرورة .

(٢) سورة إبراهيم – عليه السلام – الآية ١٠ .

والمعنى أن كان هناك شك فى طريق معرفة الخالق جل علاه ، فان خلق الكائنات من العدم ، وإيجادها على النحو الذى تدركه الأبصار ، أو تفهمه العقول والأنظار لهو الدليل ذاته على وجود الله تعالى ، لأنه فاطر السماوات والأرض والخالق لهما من غير معاونة ، أو مثال سبق ، وإلا فمن الذى فطرها إن لم يكن الله تعالى .

وطالب العقل أن يقدم أدلة برهانية على ما يحاول اعتباره نتائج ، أما ما كان منها قد جاء من قبيل الظن ، فان القرآن الكريم نبه العقل إلى أخطارها ، وأنها لا تقدم نتائج معرفية مقبولة كما لا يمكن الاعتماد عليها فى قضايا الإيمان ، قال تعالى ﴿ " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولآباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون "﴾[١] .

ﷻ وقوله تعالى ﴿ " أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين "﴾[٢] ،

ﷻ وقوله تعالى ﴿ " هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين "﴾[٣] ،فالعاقل هو الذى يتأمل ما فى الكون ، وحتما سيجد أمره بينا موقوفا على خالق عظيم له كل صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام ، وهو الله رب العالمين ، فهل بعد ذلك

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٦٤ .

(٣) سورة لقمان الآية ١١ .

يمكن أن تقبل مزاعم المستشرقين وأمثالهم ممن يزعمون أن القرآن الكريم حجر عثرة فى طريق التفكير العقلى الحر .

بل ان القرآن الكريم قد حذر من إهمال العقل ، أو تركه لعبة فى أيدى الآخرين ، أو تقليدهم فيما انتهوا اليه من غير أن يكون له حق فى المناقشة ، فاعتبرهم أشر من الدواب ، وبين أنهم أشر لعدم استعمال الملكات العقلية ، التى خلقها الله لهم .

قال تعالى ﴿ " أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون "﴾[1] ، وبين أن عاقبتهم فى الدنيا وخيمة ، وفى الآخرة زنيمه ، لأنهم أهل عقل وتفكير لكنهم أهملوهما وارتضوا أن يكونوا أهل غفلة وجهل ، قال تعالى ﴿ " ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون "﴾[2] .

كما كشف القرآن الكريم عن طواياهم يوم يلقاهم العذاب فى الآخرة ، وقد وعدوا به ، لأنهم أهملوا استعمال تلك العقول ، قال تعالى ﴿ " وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير " ﴾[3] .

والمعنى لو كانت لنا عقول تنتفع بها ، أو كنا نسمع سماع طالب للحق ، ملتمس للهدى ، ما استوجبنا ذلك الخلود فى العذاب المقيم ، مع أن الله منحنا العقل الذى يفكر ، وأمرنا أن نستعمله بين طرائق استعماله ولكنا أهملنا ، وأرسل فينا الرسل مبشرين ومنذرين ، وجعل الكتب لنا

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٢

(٢) سورة يونس الآية ١٠٠

(٣) سورة الملك الآيتان ١١/١٠ .

موضحين مبينين ، لكننا ألغينا عقولنا ، وأهملنا تعاليم رسلنا ، ولم نلتفت إلى ما جاءت فى كتب الله بيننا ، فوقع ما كنا فى غفلة عنه ، وهو العذاب الأليم ، والعقاب المقيم .

بل أن القرآن الكريم نهى عن التقليد الأعمى[١] ، وذم أصحابه ، وكشف عن جهل المقلد ومن يقلده ، وأن كلا منهم الغى ملكة التفكير فى نفسه ، وأطاح بكل الأصول المشروعة خدمة له .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير " ﴾[٢] .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " وإذا قيل لهم أتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون " ﴾[٣] .

ﷺ كما بين الحديث الشريف ان المرء العاقل يستعمل عقله ، ولا يتركه لغيره يعبئه بما يشاء الثانى ، لا بما يتمكن منه الأول ، فقال ﷺ " لا تكن إمعة تقول أن احسن الناس أحسنت ، وأن أساؤا ظلمت ، ولكن وطنوا أنفسكم أن أحسن الناس أن تحسنوا ، وأن أساؤا فلا

---

(١) التقليد نوعان : أحدهما :- ممدوح مقبول ، وهو تقليد العالم بدليله لمن لم يتمكن من الوصول إلى الدليل ، وثانيهما : مذموم مرفوض ، وهو تقليد الجاهل وأصحاب المعارف الفاسدة الذين ليس لهم قدر من الكفاءة فى العلم أو الدين ، وقد عرض ذلك شيخ الإسلام ابن تتمية فى كتابة فتاويه . راجع كتابنا : أوراق مطوية فى التصوف والصوفية .

(٢) سورة الملك الآيةى ٢١ .

(٣) سورة البقرة الآيتان ١٧١/١٧٠ .

تظلموا "[١] ، لأن من يفعل ذلك يكون ذيلا لغيره ، يقـذف بـه إلى حيث المهاوى وطرق الضلال ، وذلك مما لا يوصف به المسلم أبدا ، أو العاقل أيضا .

وفى نفس الوقت كشف القرآن الكريم أن من يتبع عقل غيره ، من غير دليل يقف له على وجه اليقين ، يندم حين لا ينفع الندم ، وبالتالى سيدعو على نفسه بالثبور ، ومن اتبعهم وفى الباطل أطاعهم بالعذاب الأليم واللعن المستديم ، قال تعالى ﴿ " وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا "﴾[٢] ، ولكن ذلك لن يدفع عنهم العذاب الذى يعانون شدته ، ويقاسون من عنفه وقسوته .

بل ان الكثيرين من مفكرى المسلمين أفزعهم موقف المستشرقين الذى ينم عن جهل فاضح ، وضلال كالح ، بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نصوصا وتعاليما ، فراحوا يلفقون للإسلام الاتهامات ، وهو منها براء ، فعمد أهل الإسلام إلى بيان أن القرآن الكريم ليس كتاب نظريات علمية ، أو قوانين فلسفية ، ولا قواعد رياضية وإنما هو دستور الإسلام الخالد ، ومصدره الأول ، وفى نفس الوقت فانه شمل الأصول العامة لمصالح الدنيا ، وفصل كافة الأمور المتعلقة بالأخرى[٣] ، على النحو الذى يعطى العقل الفرص المتكررة للتأمل والتفكير .

---

(١) والحديث ورد بأكثر من طريقة وسبقت الإشارة اليها عند الاستشهاد به .

(٢) سورة الأحزاب الآيتان ٦٧/٦٨ .

(٣) ذلك واضح فى الآيات القرآنية ، وراجع الإنسان بداية ونهاية للدكتور صلاح عبدالعليم إبراهيم ، وقصة البحث بين المتكلمين والفلاسفة للدكتور عبدالمنعم شعبان ، وغيرها .

وكيف والقرآن الكريم هو آية الإسلام ، ومحبة ، وأن كل من تدبر القرآن وتفهمه يجده رسالة للعقل ، وشعلة للأجيال ، فعهد الله بحفظه ، لأنه أخر كتاب منزل ، ولم يختم الله رسالته بالقرآن الكريم الا بعد أن كمل العقل الإنسانى ، واصبح عليه أن يترك الخرافة جانبا ، ليدرك بعقله طبيعة الأشياء ، على النحو الذى وجهه اليه المولى الكريم[1] .

۞ وذلك مما حفلت به نصوص القرآن الكريم ، وأمكن التعرف عليه فى النواحى التالية :-

ففى مجال الحكمة إلهية :-

۞ **نجد أن القرآن الكريم قد ألمح اليها** :-

ﷻ قال تعالى ﴿ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "﴾[2] .

ﷻ وفى دائرة إثبات التوحيد وإبطال الشريك الواحد . قال تعالى ﴿ " وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون "﴾[3] .

ﷻ وفى دائرة إثبات التوحيد وإبطال الشريك المتعدد . قال تعالى ﴿ " لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا الله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم "﴾[4] .

ﷻ وفى دائرة إبطال ألوهية المخلوق وإثبات أنه مخلوق ولا يصح أن يكون خالقا ، قال تعالى ﴿ " إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة

(١) الأستاذ أمين مدنى – الثقافة الإسلامية وحواضرها ص٣٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

(٢) سورة الإخلاص بأكملها

(٣) سورة النحل الآية ٥١ .

(٤) سورة المائدة الآية ٧٣ .

انتهوا خير ا لكم إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا "﴾[١] ،وما كان من هذا القبيل فانه جاء فى القرآن الكريم على أتم البيان والتفصيل .

وفى مجال الحكمة الطبيعية

ألمح القرآن الكريم اليها تناولا وبحثا ونتائج ، وطالب العقل استمرار البحث فيها .

قال تعالى ﴿ " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون "﴾[٢] .

وقال تعالى ﴿ " والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان "﴾ إلى أخر ما فى السورة الكريمة[٣] من اتجاهات تدعوا للبحث فى العالم الطبيعى وتدفع العقل إلى التأمل فيه ، وتأخذ به إلى التفكير الجاد ، ثم تعيده إلى الأصول التى خلقه الله عليها ، من أخذ بالأسباب ، ومحاولة استحداث بعض الأنماط الجديدة ، والإمساك بالعلم الذى يغذى العقل ويجعله فى رقى مستمر ، وذلك واضح فى الآيات القرآنية لمن تأملها ، وعن أوهام العصبية البغيضة والجاهلية الظالمة وفى نفسه وأبعدها .

وآيات القرآن الكريم فى هذا الشأن كثيرة جدا ، يصعب حصرها فى هذا الكتاب الذى جعلناه مدخلا لدراسة الحكمة الإسلامية عموما ، لا بيان الحكمة الطبيعية فى الدين الإسلامى وفى القرآن الكريم خصوصا .

---

(١) سورة النساء الآية ١٧٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٤ .

(٣) سورة الرحمن راجع الآيات ١٠/ إلى أخر السورة .

ﷻ **وفى مجال الحكمة الطبية فى الجانب الوقائى** ،قوله تعالى ﴿ " يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين "﴾[١] ، فالقرآن الكريم يوجه إلى الوقاية من الأمراض القادمة عن طريق المأكولات ، وبين أن التزام إطلال المشروع من الله تعالى يقى صاحبه الأمراض التى يسقط فيها من لم يلتزموا نفس الحلال ، وهم المتبعون للشيطان وخطواته ، وقديما قيل درهم وقاية خير من قنطار علاج[٢] ، وذلك كثير فى آيات القرآن الكريم ، متى حاول صاحب العقل التعرف على ذلك الجانب الطبى الوقائى .

ﷻ **والجانب الطبى الوقائى أيضا** قوله تعالى ﴿ " يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين "﴾[٣] ، فالقرآن الكريم يوجه إلى أن المعدة بيت الداء ، والوقاية من أمراضها يم أن تتم فى الابتعاد عن الحرام ، وفى نفس الوقت عدم الإسراف فى تناول الحلال ، لأنه يؤدى إلى إحداث دهون وشحوم فى الجسم ، وتتحول تلك المواد إلى عبئ كبير على الجسم كله بدءا من القلب مرورا بالأمعاء ، وفى النهاية عمليات الإخراج والفضلات ، وفى ذلك وقاية للإنسان من تلك الأمراض[٤] .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٨ .

(٢) هو مثل فصيح وله شبيه عامى - راجع كتابنا الأمثال العامية والعربية .

(٣) سورة الأعراف الآية ٣١ .

(٤) الجانب الوقائى فيه أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ " ربوا أولادكم قبل ولادهم ، قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال ﷺ تخيروا أمهاتهم " وهو لون طبى وقائى للإنسان حتى قبل أن يولد ، كما أن الآذان والإقامة والعقيقة تقى المرء من أن تضره أم الصبيان ، لما ورد فى الحديث الشريف " إذا وضع المولود فأذن فى يمناه وأقيم فى يسراه ، ثم ذبحت له العقيقة لم تضره أم الصبيان " .

ﷻ **وفـى الجـانب الدوائـى العلاجـى** ، وردت آيـات عديـدة منـها قولـه تعالى ﴿ " وأوحى ربك إلى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون "﴾[١] .

وقد أثبتت البحوث العلمية ، والدراسات الطبية أن عسل النحل دواء ناجح لأمراض عديدة ، وفيه فوائد كثيرة ، فبه تعالج أمراض المعدة والجهاز الهضمى والكبد ، كما تعالج أمراض الجهاز العصبى ، وأمراض السكر المنخفض ، وأمراض الضغط المرتفع ، وأمراض القلب ، كما تعالج أمراض الجلد أيضا[٢] ، إلى غير ذلك مما عنى به المختصون فى المسألة ، وقد ألمحنا إلى بعضها من قبل[٣] .

وفى مجال الحكمة الأخلاقية :

ﷻ قوله تعالى ﴿ " أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير "﴾[٤] ، وذلك من الإشارات القرآنية التى أنزلها رب العالمين إلى القيم العالية التى يتمسك بها أهل الإيمان ، ومن يبتغون رضوان الله عليهم ويلتمسون بلوغ الدرجات العليا عنده فى الآخرة .

---

(١) سورة النحل الآيتان ٦٨/٦٩ .

(٢) الأستاذ على فكرى – القرآن ينبوع المعارف والعلوم جـ٢٦١ .

(٣) راجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات ص٣١٢ .

(٤) سورة لقمان الآيتان ١٧/١٩ .

❁ **يقول العلامة التوحيدى** " لما نهاه أولا عن الشرك وأخبره ثانيا بعلمه ، وباهر قدرته ، أمره بما يتوسل به إلى الله تعالى من الطاعات ، فبدأ بأشرفها ، وهو الصلاة ، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن بسبب الأمر بالمعروف ، الذى كثيرا ما يؤذى صاحبه من أهل السوء ، ودعاة الباطل[1] ، الذين لا هم لهم الا ركوب أكتاف الآخرين والاستعلاء عليهم .

وكذلك يفعل أصحاب الانفلات الأخلاقى الذين لا هم لهم الا المرتع الذى ينعمون به فى الدنيا ، حتى ولو كان ذلك فوق كل القيم النبيلة ، والأخلاق الرفيعة ، وهم فى سبيل ذلك لا يمنعهم ضمير حى ، أو يحجبهم عقل سليم ، أو يقف فى طريقهم دين قويم ، وفوق ذلك فهم لا يستمعون الا لصوت الرغبة الجامحة والشهوة المفرطة والانفلات ، وهم شر على كل الأفراد ، ومرض خطير فى آية أمة ، والصبر على مقاومتهم من حقيقة الإيمان[2] ، لأنهم من المكاره الواجب احتمال مقاومتها .

كما وجه القرآن الكريم إلى نفس القيم العالية والحكمة الأخلاقية كثيرا ، فنهى عن إمالة الوجه عن الناس تكبرا عليهم وترفعا ، أو تحقيرا لشأنهم وتجبرا ، أو تعاليا عليهم وتفاخرا ، لأنهم جميعا أبوهم آدم ، والأم حواء ، وكلاهما من طين وماء ، والعاقل من ينظر إلى أصله الذى خلق منه ، وسوف يرتد يوما اليه[3] .

---

(١) العلامة أبو حيان التوحيدى – البحر المحيط جـ٧ ص١٨٨ .

(٢) وفى تقديرى أن الانصراف عنهم وإهمالهم هو أيضا نوع من الصبر فى مقاومتهم ويؤجر صاحبه به متى كان غير قادر على دفعهم من طريق أهل الإيمان .

(٣) الأستاذ صبرى محمد خليل – من تعاليم الإسلام ص١٩٥ .

فمن كان من الطين فإليه يعود ، ومن ثم فان تكبره وترفعه عن مشاركة الناس أمورهم يحسب عليه فى باب المناقص الإسلامية ، وحسابه على الله تعالى رب العالمين ، ومن كان أصله من النار فحتما اليه يعود ، ثم الملتقى فى الآخرة والحساب عند الله رب العالمين .

ثم نبه القرآن الكريم العاقل وحذره حتى لا يميل خده عن الناس كبرا وتحقيرا لهم ، أو تفاخرا عليهم ، لأن ذلك من الخلق الذميم ، كما أن الإسراع فى المشى أو الإبطاء فيه على سبل التبختر والاختيال يفقد المرء احترامه ، ويجعله بين الناس منقوصا ، لأن العقلاء قد ألفوا التماثل ، وارتضوا التوافق[1] ، فمن حاول فرض نفسه على الآخرين ، أو الاستعلاء بنفسه عنهم فلا شك أنهم سوف يسقطونه من المكانة الذى حفظوها له ، وسيكون بينهم من المبغضين .

وفى نفس الوقت فان التوجيه القرآنى الكريم نبه إلى أن رفع الصوت فى غير حق ، أو الخروج به عن المقتضى يجعل صاحبه فى موقف غير محمود بين الناس ، وحينئذ سيكون أقرب شبها بالحمار الذى يخرج صوته فى هجعة الليل من غير أن يكون لذلك مدعاة ، فينكره صاحبه ويستحقره ، فإذا أصبح الصباح أثقله بالأحمال عقابا على ما صدر منه فى هذه الأحوال ، وذلك لا يليق بالعاقل ، كما لا يصح له أن يتشبه بالحمار فى رفع الصوت لغير حاجة أبدا .

❁ **قال العلامة القرطبى** " أخفض صوتك فلا ترفعه عاليا لأن رفع الصوت أمر قبيح ، لا يجمل بالعاقل فعله ، ورفع الصوت فى غير حاجة من صفات الحمير ، فمن رفع صوته كان مماثلا لهم ، وهو من المنكر القبيح، وهو

---

(١) الأستاذ عبدالمولى منصور توفيق – من الآداب الإسلامية ص٦٧ .

أقبح الأصوات أيضا ، لأن أوله زفير ، وأخره شهيق ، وليست له بعد ذلك قيمة[١] ، ولذا اعتبره العقلاء من التصرفات السلبية ، والأفعال غير المرضية التى يقوم بها من كانت أخلاقهم غير سوية .

في مجال الحكمة الاجتماعية

﴿ وردت آيات كثيرة وسور بأكملها[٢] ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير "﴾[٣] ، وهذا دفع بالعقل إلى مجال التعاون والتآلف والتآزر لبناء المجتمع الإنسانى القائم فى مفهوم الشعوب الحضرية والقبائل البدوية ، وقوله تعالى ﴿ " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان "﴾[٤] .

ومن ثم فان الآيات القرآنية قد بينت طرائق التعامل بين الناس ، وما ينبغى أن يفعله كل فرد تجاه الآخرين ، بدء من مفهوم الذكر والأنثى مرورا بالزوج والزوجة ، الأبناء والبنات ، الأحفاد والأجداد والجدات ، والوالدين والأصدقاء والأعداء ، كما بين علاقة الإنسان بنفسه أيضا[٥] ، سواء فى ذلك عقله وجوارحه أو عواطفه وضميره ومشاعره .

---

(١) العلامة القرطبى – الجامع لأحكام القرآن جـ١٤ ص٧٠ بتصرف اقتضته ظروف العبارة .

(٢) من ذلك سورة النساء ، وسورة الحجرات ، وغيرها من السور القرآنية التى جاءت فيها الحكمة الاجتماعية شاملة الفرد والأسرة والمجتمع كله .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٤) سورة المائدة الآية ٢ .

(٥) الدكتور محمد غلاب – الإسلام من خلال مبادئه التأسيسية ص١١٧ .

ثـم فـوق ذلـك بين علاقـة الأنظمـة الاجتماعيـة العامـة فـي علاقـات الحـاكمين بـالمحكومين مـن خـلال الحقـوق والواجبـات التـي متـى روعيـت جعلت المجتمعات كلها فـي الرقـي قائمـة[١] ، وعلـى قواعـد الخير منتظمـة ، بحيث تتحقق للناس جميعا المصالح المشـتركة ، وتربـوا فيمـا بينـها الفضـائل ، وذلك كله مما ألمح اليه القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح الشريف .

والقرآن الكريم ليس كتاب قوانين أو قواعـد علميـة ، إنمـا هـو كـلام رب العالمين ، كتاب هداية ودين والعقلية المسلمة هى التى حاولت التعـامل مع النصوص الشرعية واستخراج المبادئ الأساسية التى ألمحت اليها الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، بما يخدم مصالح فى الناس الدين والدنيا[٢] ، وذلـك ممـا اسـتقلت بـه العقليـة الإسـلامية ،ولم تقتبسـه مـن آيـة ثقافـات أخرى[٣] . أما لماذا ؟

فلأن تلك القواعد لم تعرف الا فى دين الإسلام وحده ، ولم توجد فى كتـاب معصـوم الا فـى القـرآن الكريـم ، وصحيـح السـنة النبويـة المطهرة ،وبالتالى فالثقافة والحضارة والحكمة ، أو الفلسفة التى تصدر عنـها لا يكون لها مفهوم الا أنها أصيلة فى الفكر الإسـلامى وحـده ، قائمـة على نصوصه ولم تلتفت إلى غيره .

أجل حرر الإسلام العقل من رقة ، وأطلق مـن انحلالـه ، ولـو ذهبـت استقصى الأوجه الممكنـة ، ربمـا خـرج الكتـاب عـن حجمـه كثيرا ، وفـى نفس الوقت فـان ذلـك يحتـاج سنوات بأكملـها ، وجـهود كثيرين تتضـافر

(١) الدكتور محمد الأفغانى - الاشتراكية المثالية فى الإسلام ص٢١ .

(٢) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام جـ١ ص١٧٥ وما عبدها .

(٣) إنما هى مأخوذة من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح ، وذلك ما لا ينكره الا جاحد .

حتى تبلغ غاية ، وهو دليل على أن القرآن الكريم يدفع إلى التحرر العقلى ، والتأمل الفطرى ، والانطلاق فى كافة العوالم الممكنة بحثا وتأملا وتطبيقا ، بعد مزيد التأمل والكثير من البحث والدرس[1] ، وبه تسقط كزاعم الكافرين ، وشبه المتعصبين من المستشرقين ومن يجرى معهم فيغضب رب العالمين .

لكن القرآن الكريم لا يسمح للعقل بتجاوز حدوده ، والدخول إلى الموضوعات التى لا حيلة له فى التعرف عليها ، أو الوصول اليها ، أو إصدار حكم قطعى فيها حتى لا يضل أو يشقى[2] ، وليس معنى ذلك أنه أغلق على العقول مجال البحث العقلى ، أو دفعهم إلى إغلاق النوافذ الثقافية نحو ثقافة بعينها ، وإنما معناه أنه طالبهم تحرى الحقيقة ، أينما كانت[3] ، من غير استناد إلى مصدرها ، متى كانت من منتجات العقل بشرط أن لا تكون معارضة لحكم الشرع ، قال تعالى ﴿ " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " ﴾[4] .

ولا شك أن سؤال المختص يعطى الأمر شيئا من اليقين النسبى على الأقل ، ان لم يكن اليقين المطلق ، طالما كان المسئول من أهل الشرع إذا تعلقت الأمور بالشرعيات ، أو كانوا من أهل التخصص ، ان تعلقت الأمور بالدنيويات التى لم يصدر الشرع فيها حكما قطعيا ، وانما منح العقلاء فرصة إقامة أحكامها طبقا لما يصلح معهم لها .

---

(١) الأستاذ عبدالكريم رضوان - دراسات إسلامية ص٨١ ط أولى دار رضوان ١٩٥١م

(٢) لأنه لو دخل اليها فلا يضمن الخروج بسلامة منها ، وكثيرون حاولوا ثم انتهت محاولاتهم إلى الفشل ، حيث الهلاك والضلال بل الكفر والإلحاد .

(٣) وفى الحديث الشريف الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها لا يبالى من أين جاءت .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٧ ، وسورة النحل الآية ٤٣ .

❁ **وفي تقديري** :أن القرآن الكريم قدر العقل الإنساني ، وأعلى منزلته في كل الأمور التي دفعه للبحث فيها ، وإحاطة في نفس الوقت بحماية من عند الله صيانة له ، ومحافظة عليه باعتبار أن العقل حجة الله على عباده ، وهو محط التكليف ، ولأن فاقد العقل لا تكاليف عليه ، كما أن العاقل قد يرفع عنه عبئ التكليف ، تحت ظروف معينة .

❁ **ففي الحديث الشريف** " رفع القلم عن ثلاث : النائم حتى يستيقظ ، والصبي حتى يبلغ ، والمجنون حتى يفيق "(١) ، وفي الأثر ما روى من أن رسول الله ﷺ قال " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه "(٢) ، والأحكام الشرعية التي استخرجها علماء الإسلام في هذا المجال هي قرارات كاشفة وقواعد ملزمة آمرة لمن تدبر النقل المنزل .

إذن حتى في هذه الحال فان القرآن الكريم يقدر العقل ويحترمه ، ويصون الإنسان المسلم نفسه ويحافظ عليه ، وقد كان المسلمون الأوائل من أكثر الناس تفهما لتنزيلات القرآن الكريم ، ومعرفة أسراره وأنواره ، لسلامة فطرهم ، وقربهم من عهد النبوة الخاتمة المباركة ، وصفاء قرائحهم ، وعدم انفتاح مظاهر الدنيا كلها عليهم ، فحرصوا على معرفة التوجهات القرآنية والإشارات النبوية وتطبيقها ، بل أنها قد سرت أنوارها إلى تلك النفوس فاطمأنت ، وانطلقت إلى ذات العقول فاستنارت ، وأحاطت بهم من كل ناحية فتحولت حياتهم إلى عيش رغيد ، ونعمة وفيرة من غير ان تقترب منهم ثقافة أخرى ، تؤثر في عقيدتهم أو شريعتهم ، أو تفرض ما لا يقبلونه على أخلاقياتهم(٣) ، من ثم فقد بان لنا

---

(١) الشيخ محمد رضوان عبدالباعث - دراسات في السنة النبوية ص١٣٧

(٢) الدكتور محمد حامد حسين - من وحي السنة المطهرة ص٤١ .

(٣) الدكتور عبد البديع رضوان - تأثير القرآن في النفوس ص١٨٧ ط مكتبة النصر .

أن الحكمة الإسلامية أصيلة ، والقرآن الكريم من أهم عوامل نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى[١] ، وليس كما يزعم الكاذبون أنه من عوامل تخلف المسلمين .

❁ **وربما يقال** : لماذا لم يسمح القرآن الكريم للعقل بالخوض فى الغيبيات ، وهى كثيرة وتمثل الجانب الأكبر من الميتافيزيقا التأملية ، وفى نفس الوقت طلب منه الإيمان بها ، فكيف يؤمن بما لا بحث له فيه ، أليس هذا من قبل ما ذكر فى المسيحية من قولهم ، " خذ وأنت أعمى "[٢] ؟ أو من باب التكليف بما لا يقبل ؟

❁ **والجواب أن القرآن الكريم قسم الحديث عن الغيبيات إلى :-**

❁ **القسم الأول: ما يمكن معرفته للعقل وحده من ناحية الاستدلال عليه** ، مثل معرفة إثبات وجود الله تعالى ، وبيان صفاته العظمى ، وما له تعالى من الجلال والجمال والكمال والإكرام ، على سبيل الاستدلال العقلى الذى تشاركه – نفس الاتجاه – الفطر النقية والقلوب الصحيحة ، وذلك بين فى آيات القرآن الكريم ، وكل ما يتعلق بقضايا العقيدة الإسلامية[٣] ، وأمكن لأهل الإسلام التعرف عليها .

❁ **القسم الثاني: ما لا يمكن معرفته بالعقل أبدا** ، كعدد أسماء الله الحسنى مثلا ، فان أقصى ما يمكن للعقل تصوره هو وصف الله تعالى ببعض الصفات والأسماء ، لا وصفه بكل ما وصف الله به تعالى نفسه ، وجاء ذكره فى الحديث الشريف ، من قوله ﷺ " ان لله تسعة وتسعينا اسما مائة إلا

---

(١) وسوف نعرض له بكثير من التفصيل عند حديثنا عن عوامل نشأة الحكمة الإسلامية ان شاء الله تعالى .

(٢) الأستاذ صبحى إبراهيم – دراسات فى الأديان ص٦٣ . ط دار الإخلاص .

(٣) راجع كتابنا – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص٨٧ ط٧ .

واحدا ، من أحصاها دخل الجنة "[١] ، وما يتعلق بالآخرة كالبعث والحشر والنشر والميزان والصراط ، والنعيم والعذاب ، إلى أخر ما جاء به النقل المنزل ، وخصه علماء الإسلام باسم السمعيات الدينية .

هذا القسم قد وقف القرآن الكريم فيه من العقل موقف الرافض له أن يلجه ، أو حتى يقترب منه ، ولم يكن هذا الموقف قائما على منع العقل من شيء فى مقدوره أن يصل إلى وجه الحق فيه ، وانما كان قائما على ما يخالف ذلك ، إذ أنه من القضايا التى لا يمكن للعقل بطبيعته أن يصل إلى الحق فيها ، وذلك مثل ذات الله سبحانه وتعالى من حيث طبيعتها على الحقيقة الذاتية[٢] ، وكذا صفاته جل شأنه ، ومثل الروح ، وطبيعة ما أعد الله تعالى لعباده الصالحين فى الجنة ، إلى غير ذلك مما ورد النقل المنزل الصحيح به ، مبينا عدم جدوى السؤال عنه ، لمعرفة كنهه ، وطبيعته[٣] .

كما أنه لا يمكن تصور تلك المسائل لكونها أعلى من إمكانياته ، والله لا يكلف العقل الا بما فى ملكاته حتى يحاسبه عليه ، قال تعالى ﴿ " لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "﴾[٤] ، فلو كلفه مالا طاقة له به ، فكيف يحاسبه عليه ، وقد اقتضت حكمته تعالى أن لا يحاسب الخلائق الا على ما كلفهم به ، ولا يكلفهم الا بما هو فى

---

(١) راجع شرح المواقف – الموقف الخامس فى الالهيات – تحقيق دكتور أحمد المهدى ط١ – والحديث تعددت رواياته .

(٢) لأنه لا يعرف الله تعالى على الحقيقة الا الله تعالى ، وهو اعتقادنا نحن المسلمين – راجع جواهر القرآن الكريم للإمام الغزالى ، وللفخر الرازى ، وراجع كتابنا الغزاليات فى الإلهيات .

(٣) الدكتور محمد عبدالستار نصار – فى الفلسفة الإسلامية قضايا ومناقشات جـ١ ص٢٢ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

إمكانياتهم ، حتى يكون الثواب والعقاب على جانب الطاعة والتكاليف معا ، أو العكس فى العقاب .

❁ **القسم الثالث :- ما يمكن معرفته بالنقل والعقل معا** ، وان كان دور النقل فيه يغلب دور العقل ، وذلك كمسائل القضاء والقدر ، والقسمة والنصيب، والرزق والأجل ، وما يستتبع ذلك فإنها أمور جاء بها النقل المنزل ، وتفهمها العقل الصحيح على سبيل التعامل معها ، ومحاولة اعتبارها مسائل يمكن التوافق معها ، أو السعى الجاد فى سبيل تحقيق أكبر قدر من الانضباط معها[1] ، وتفادى الخطر الذى يمكن أن يختبئ فيها .

❁ **القسم الرابع : ما يمكن معرفته للنقل والعقل معا** ، وان كان دور العقل فيها أكثر وضوحا من غيره كمسائل الأمراض التى تختبئ تحت طيات هذا الزمان والذى سيأتى أن شاء الله تعالى ، وأشار اليها النقل المنزل على سبيل التلميح لها لا التصريح بها ، والتقنيات العلمية التى تخرج من رحم العلم ، على سبيل الاستمرار المضطرد ، ويكشف عنها العلم حينا بعد آخر[2] .

كأمراض فقدان المناعة " الإيدز ، والسوبر إيدز ، والعظام الزجاجية والهشة " والأمراض المتعلقة بالفيروسات التى راحت تجوس العالم كله وتعلن عن نفسها باستمرار ، ويحاول العقل التعرف على أسبابها وطرق مقاومتها أو محاولة التفادى للأخطار الناتجة عنها ولكنها ما تزال عصية ، فتفيض مضاجع الآمنين ، وتهزم أفواج القائمين على العالم الذين يزعمون

(١) المهندس رحمى عبد اللطيف – دراسات قرآنية ص٩٧ ط أولى ١٩٦٣م .

(٢) الدكتورة ناهد القصبى – الهندسة الوراثية فى مجال العلوم التطبيقية ص٦٢ .

أنهم فيه من المتمكنين[١] ،وشبكات المعلومات والإنترنت ، والقارئ الآلى ، والتليفون المحمول ، والتليفزيونات المتقدمة إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بهذا الجانب المادى الذى تخطو فيه الهندسة الوراثية فى أعمال الهندسة ، خطوات واسعة[٢] ، وتقفز فيه من غير تمهل أو حيطة ، وكان فى الماضى القريب من مسائل الغيب .

وقد أشار القرآن الكريم إلى نفس الالماحات ، كما فيه قوله تعالى ﴿ " ويخلق مالا تعلمون "﴾[٣] ، وشأن العقل التعرف على تلك المخلوقات على وجه التفصيل التى يكشفها المنهج المعملى المستنير بين الفينة والأخرى ، ويطلق عليها مسميات من عنده يتواضع مع الآخرين على التعامل بها ، ولم يقف النقل المنزل له بمانع من بحثها أو تسميتها فضلا عن التعامل معها .

والقرآن الكريم أفسح للعقل أوسع مجال فى الأقسام الأربعة ، ولكنه فيما يتعلق بالقسم الأول[٤] ، حدد للعقل دوره ، فجعله يتأمل من غير ان يبحث فى الحقائق الذاتية ، التى لا يمكنه التعرف عليها أبدا من حيث الكنه والحقيقة وأن أمكنه فقط الاستدلال عليها ، وطرائق معرفتها .

أما القسم الثانى فقد كان من نصيب النقل المنزل[٥] وحده ، والقرآن الكريم هو الوحيد الذى يمكنه التعرف عليه ، لما هو معروف من أنه لا يعرف الله

---

(١) الدكتور عبدالمحسن صالح – الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ص١١٣ .

(٢) الدكتور أحمد مستجير – الهندسة الوراثية للجميع ص١٧ ، وراجع كتابنا : فى التيارات الفكرية المعاصرة ، وكتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .

(٣) سورة النحل الآية ٨ .

(٤) معرفة الله تعالى واثبات وحدانيته جل علاه .

(٥) وهو معرفة عدد أسماء الله الحسنى ، والصفات العظمى على النحو الذى ورد به النقل المنزل .

على الحقيقة الا الله ، والسنة النبوية المطهرة تفصل ذلك تفصيلا دقيقا ، ولا حيلة للعقل فى التعرف على شيء من ذلك أبدا ، فإذا منع القرآن الكريم العقل من الخوض فيه ، فان ذلك يكون حماية له ، لا حجرا أو عدوانا عليه .

❁ **أما القسمان الأخيران**[١] ، فان العقل تحرك فيهما بشكل مطلق من حيث التصور والتفهم ، والتأمل والتبصر ، والتفقه ثم فى التحليل والتركيب فى كل القضايا التى تعرض له أو تعرض عليه ، فهل بعد ذلك كله يمكن أن يزعم زاعم أن القرآن الكريم حجر على العقول، أو يدعى كاذب فاجر أن القرآن الكريم سبب تأخير ا لمسلمين[٢] ؟

ان الجواب قائم فى أن موقف القرآن الكريم على العكس من ذلك تماما ، وقد أشرت فيما مضى من سطور إلى ما يمكن اعتباره مجهودا متواضعا لى فى المسألة ، لكنه يدل على وجود مجهود وإمكانيات تحتاج الإعلان عنها ، خدمة للقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والإسلام الحنيف وبيان موقف القرآن الكريم من احترام العقل السليم .

❁ **يقول أحد العلماء** " أن الإسلام عقيدة وعبادة ونظام ، يتميز كل منها بالكمال والشمول ، فالدين إذا كان مجرد عقيدة وعبادة فقط ، لم يتصل من الإنسان الا بجانبه العقلى والروحى ، دون جوانبه العملية والنفسية ، ولم يكن له فى الحياة الإنسانية العامة وجود، والنظام بدون عقيدة ينبع منها ، ويقوم على أساسها نظام يفقد ركائزه النفسية والعقلية فى حياة الإنسان فردا وجماعة ، فضلا عن أن يكون هو النظام الوافى

---

(١) الثالث والرابع – ويعرفان بالغيب العلمى .

(٢) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام جـ٢ ص٦٥ .

بحاجاتها[١] ، والى هنا نتوقف وآمل أن تكون شبهة المستشرقين فى أن القرآن الكريم يقف حجر عثرة فى طريق التفكير العقلى عند المسلمين قد بان فسادها ، وبطلان مزاعم أصحابها وتهافت من ينقلونها أو يتحدثون بها .

[ب] مناقشة زعمهم أن وجود حزب السنة والجماعة المتمسك بالنصوص كان حجر عثرة على طريق التفكير العقلى الحر :-

[١] **من المؤكد أن أصحاب هذه المزاعم قست عليهم الديانات[٢] التى ظهرت فى بلادهم وكانوا من ضحاياها** ، وأثرت تلك القساوات فى نفوسهم إلى حد كبير ، لكنهم بدل أن يعلنوا الحقيقة القائمة ، ويذكروا أن المذاهب التى تفرض نفسها عليهم هى سبب تأخر أوربا ، فانهم يعكسون الأمور ، مع أن المؤكد هو اعتبار السلطان الكهنوتى فى أوربا سبب تخلفها عن العلم والمدنية وارتدادها إلى الخلف أبان العصور الوسطى .

حيث كان الرهبان يمشون على أيديهم ، وأرجلهم ، ويسكنون الكهوف وينامون فى المغارات ، ويأكلون أوراق الأشجار ، وينامون فى الأنهار والبحيرات الجافة ، ويتركون شعورهم تستطيل على شكل الإنسان البدائى[٣] ، وفى نفس الوقت كان أصحاب السلطان يجبرون شعوبهم على القيام بما يقوم به الرهبان باعتبارهم القدوة التى يجب أن يقتدى بها[٤] ،

---

(١) الدكتور عثمان عبدالمنعم عيش – عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص٣٢ – ط أولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م مكتبة الأزهر .

(٢) أرى ضرورة التفرقة بين الدين والديانة ، فالديانة تمثل من وجهة نظرى جانب الشريعة فقط ، التى ربما خرج عليها الأتباع ، أما الدين فهو أعم لأنه يشمل الشريعة والعقيدة والأخلاق .

(٣) الأستاذ عبدالوارث سلطان – مسيحية العصور الوسطى ص١٩٧ .

(٤) الدكتور كفاح الدين الغرباوى – دراسة فى النظام اللاهوتى ص١٣٥ ط دار الصفاء بكركوك .

وذلك مالم يعرفه المسلمون أبدا ، وبالتالى فالمستشرقون الذين يذهبون إلى ذلك الرأى يحكون عن أنفسهم والديانات التى فرضت عليهم ، لا عن الإسلام الدين الحنيف أبداً ، لأنهم لم يعرفون الا من خصومه الألداء .

[٢] **أن أهل السنة والجماعة مصطلح يقصد به : كل الملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ** ، القائمين على شرعه ، وهم فى نفس الوقت الذين يتساوى ذات المصطلح فيهم مع مصطلح السلف الصالح عندنا ، وقد كان أهل السنة والجماعة – وما يزالون يمثلون التسامح الدينى ، والالتزام الشرعى ، والنضج العقلى ، والتحرر الفكرى ، اتباعا للرسول الكريم ﷺ ، والصحابة والتابعين – رضوان الله عليهم أجمعين – وكل أهل العلم بالله من المسلمين ، وهم فى نفس الوقت الذين مارسوا الاجتهاد الفقهى على عهد رسول الله ﷺ ، واستمر ذلك الاجتهاد فى عصر الصحابة والتابعين وأهل العلم بالله تعالى إلى يومنا هذا[1] فهم من أهل العرفان بالله تعالى وأحكامه .

[٣] **أن الرسول الكريم ﷺ كان يسمح بذلك الاجتهاد الفكرى ويغذيه** ، حتى صارت لدى أصحابه وأتباعه غريزة وبات فيهم دافعا قويا ، ومن جاء بعدهم عرف تلك الملكة الدقيقة ، التى تقوم على تحليل الأمور ، واقتراح العلاج المناسب ، لما يعلم من أنهم سيتبوؤن مكان التشريع للإنسانية جمعاء ، فكان تدريبه لهم على أعمال الفكر ، والنظر فى الأمور ، وابداء الرأى ، وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم ذلك من رسول الله ﷺ ، ومن تعاليم دينهم الحنيف ، فانطلقوا على سجيتهم الفكرية يمارسون هذه

---

(١) راجع الدكتور عبد الكريم زيدان – المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص١٣٥ ، والدكتور محمد مصطفى امبابى – الحركة الفقهية ص١٧ .

المهمة الخطيرة ، ويتعلمون حرية الرأى والتفكير الجاد الهادف[1] ، إذن هم كانوا قادة فى التفكير والاجتهاد ولم يكونوا حجر عثرة فى طريقه أبدا .

ثم أن حرية الفكر قد مارسها الصحابة فى عهد الرسول ﷺ ، وقاعدة الاجتهاد قامت برعاية رسول الله ﷺ ففى الأثر الشريف : " أنتم أعلم بأمور دنياكم " ، والحديث المشهور عن إرساله ﷺ سيدنا معاذ بن جبل إلى اليمن حتى يعلمهم شرع الله تعالى ، وأراد الرسول ﷺ الاستبيان من المنهج الذى سيقوم عليه سيدنا معاذ إذا عرضت عليه مسألة ، فقال الصحابى الجليل أحكم بكتاب الله تعالى ، فقال ﷺ فإذا لم تجد ، قال معاذ فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فإذا لم تجد قال أجتهد رأى ولا ألو ، فقال ﷺ الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله "[2] ، وكان معاذ من حزب أهل السنة والجماعة ومارس الاجتهاد الفقهى فى عهد الرسول ﷺ ، فهل بعد ذلك يقال أن حزب أهل السنة والجماعة كان يمنع من حرية الفكر ؟!

[٤] **ان حزب أهل السنة والجماعة على المنهج الإسلامى قائم** ، بل أن مدرسة الرأى كان لها وجود فعلى قبل الإمام أبى حنيفة النعمان ، وكان لأصحابها من الاجتهادات الفقهية الكثيرة ، ما عرفه تاريخ التشريع الإسلامى فى أثناء وجود الرسول ﷺ بينهم ، كالحجاب ، واسرى بدر ، كما كانت لهم اجتهادات علمية ، ظهر بعضها فى وضع جند المسلمين قبل أبار بدر أم بعدها ، وحفر الخندق ، وكثير من هذا القبيل موثق المصدر ، مدون

(١) الدكتور سليمان دينا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص٣٤٤ .

(٢) الحديث مشهور ، وتذكره المصادر الفقهية وتستدل به وكذلك مصادر التاريخ والسير .

فى تاريخ المسلمين[1] ، يعرفه كل من يقرأ ، ويدركه كل من يفهم ، أما غيرهم فان الغشاوة فرضت نفسها عليهم ولسنا مكلفين بهداية أمثالهم ، إنما دورنا هو النضج والإرشاد .

بل لم يذكر التاريخ الفكرى العام أن حالة فكرية واحدة صحيحة تم الحجر عليها ، حال حياة الرسول ﷺ ، طالما كانت بعيدة عن أصول النقل المنزل ، حتى إذا انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، كان المسلمون على نهجه يسيرون فى حرية الفكر ممارسة له وتقديرا ، فى حدود ما أتيح لهم من معارف ، وما أمكنهم من تصورات عقلية رأوها تخدم النقل المنزل نفسه ،

وآية ذلك اختلافاتهم فى الكثير من المسائل احتمالية الدلالة ، وظل الأمر معهم لم ينقطع حتى الآن ، باعتبار أن طرائق النظر العقلى والاجتهاد الفكرى ، ليست على نمط واحد تجرى ، ومن ثم كان الاختلاف فى تناول الفرعيات ، وبعض الأحكام التى تتطلب كثرة التأمل والنظر والاستدلال ، مما يعرف باختلاف التنوع لا باختلاف التضاد[2] ، وهو موضع الاجتهاد العقلى وطريق الحرية الفكرية ، وكان أهل السنة والجماعة أكثر حرصا على القيام به ، والتشجيع عليه ، فهل بعد ذلك يتهمون بأنهم كانوا عثرة فى سبيل التفكير العقلى الحر .

۞ وفى تقديرى : أن هناك أمرا يجب الفصل فيه ، وهو يكشف عورة الخصوم الذين يدعون القيام بأحكام العقل ،ويبدو أنهم فقدوه ، وذلك الأمر الذى يجب فيه الفصل عندى يقع فى أحد أمرين :-

---

(١) راجع تاريخ العرب والإسلام ، تاريخ الأمة العربية ، الفتوحات الإسلامية ، وغيرها من الكتب التى عنيت بذلك الجانب عرضا وتفصيلا .

(٢) الإمام جلال الدين السيوطى - الإتقان فى علوم القرآن جـ٢ ص٥ .

الأمر الأول : أن حزب أهل السنة والجماعة - ونحن منهم - نتمسك بالنصوص الدينية ، ونعض عليها بالنواجز فى القضايا الدينية كلها على وجه الخصوص وغيرها على وجه العموم[1] ، لأن منزلها هو الله تعالى الذى شرع الدين نفسه فهو الأعلم به ، ونصوصه التى أنزلها هى نفسها التى تحفظ لنا ذات الدين ، وهى فى نفس الوقت الرصيد الوحيد الذى لا يمكن التفريط فيه ، وإلا فعلى أية نصوص أخرى يكون المعول – ان تركنا تلك النصوص الشرعية الموثقة فى مصادرها الشرعية – إذ حاولنا التعرف على العقيدة الدينية الإيمانية ، والإيمان محله القلب الذى يعتقد ويؤمن ويصدق[2] ، وذلك لا يجوز لأحد – مهما كان – غير الله تعالى أن يقول فيه رأيا أو يصدر عنه بيانا ، وإلا كان خارجا عن نطاق القبول لرأيه ، والاعتداد بقوله .

وسأضرب مثلا تقريبيا للمسألة مع الأخذ فى الاعتبار مفهوم الفارق ، لو أن شركة أدوية أنتجت نوعا من الدواء واستخدامه على النحو الأمثل يفيد مستعمله فتقع له النجاة ، حسب تعليمات الصيدلى الذى تنحصر عنده صناعته ، وقد دون التعليمات التى يجب التزامها ، لكل من يطلبه ويلتمس النجاة به من الهلاك الذى يقبل عليه ، أو يحيط به ، فهل يجرؤ مستعمله على إضافة مواد كيماوية أخرى إلى ذات المستحضر الطبى من عنده ، دون الرجوع إلى الصيدلى صاحبه الأصلى ، الذى تنحصر صناعته عنده ، وهو الوحيد الأعرف بها ، وهل يسمح له أحد بذلك أبداً[3] ؟

---

(١) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة وعلم الكلام جـ١ ص٩٧ .

(٢) الدكتورة سهير فضل الله – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص٥٠ .

(٣) هذا مما يشهد به الواقع ، ولا يجحده الا مكابر منازع ، ومثله لا يلتفت إلى قوله .

والجواب ان ذلك لن يحدث مطلقا وإلا فسد استعمال الدواء ومات مستعمله ولا تقع على الصيدلى مؤاخذة ، فهل يعتبر منعه من ذلك السلوك الفاسد نوعا من الحجر عليه ، أو غلق منافذ التفكير فيه ، أم يعتبر ذلك أحد حقوق الصانع الذى يعلم – وحده ما فى صنعته ؟ ولا يلزم عليه اتهام القائمين على تطبيق تعاليمه بأنهم حجر عثرة فى سبيل انطلاق الفاسدين .

وكذلك النصوص الدينية[1] ، فأهل السنة والجماعة متمسكون بها فى قضايا الإيمان ، لأنها وحدها مصدر العقيدة الإيمانية الصحيح ، والشريعة والأخلاق الإسلامية ، وهم بهذا التمسك يحافظون على القيم الإيمانية والعقلية التى منحهم الله تعالى إياها ، ولو أنهم فرضوا أنفسهم على تلك النصوص ، فأضافوا اليها وحذفوا منها – كما فعل أصحاب اليهودية والمسيحية فى كلام الرسل الذين بعثهم الله إليهم[2] – لأفسدوا النصوص ذاتها تماما ، كما يفسد الدواء إذا أضيفت اليه تركيبات دوائية أخرى ، لم يقصدها صانعه ، الذى حذر من إهماله ونبه إلى عدم تركها ، أو تجاوز تعليماته .

وبالتالى فان تمسك حزب أهل السنة والجماعة بالنصوص الدينية أمر لا مفر منه على الناحية الشرعية ، ثم ماذا فى النصوص الدينية التى يتمسك بها هذا الحزب القوى – بعدما يتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق ومصالح الدين والدنيا – أن فيها تقديرا للعقل السليم ، وثناء عليه ، وفيها أمر له بالبحث والنظر والتفكير فى ملكوت السماوات والأرض ، ومن أجل

---

(١) أقول التشبيه مع الفارق ، ولكنى أردت ضرب المثال حتى يقترب المضى من عقول أولئك الذيـــن يطلبـــون الحقيقة .

(٢) راجع كتابنا – وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ص٩٥ ط الرابعة .

تقدير النصوص نفسها للعقل ، فقد رأى أهل السنة أن ما يتعارض من النصوص مع العقل يصرف عن ظاهره إلى حيث يلتقى مع العقل[١] .

وبالتالى فتمسك أهل السنة والجماعة بالنصوص لمصلحة العقل نفسه ، وحرية التفكير والاستمرار فى التأمل العقلى ، بل والاجتهاد ، حتى يخرج العقل كل ما لديه من طاقة إبداعية فى كافة المجالات التى يمكن له أن يخوض فيها ، ويخرج بنتائج مقبولة ، لكن رينان وتنمان وغيرهما من عميت أبصارهم وبصائرهم لا يعرفون الا الكذب الفاضح والتلفيق الذى يكشف عن تعصب بغيض وكراهية للإسلام والمسلمين بلاحدود[٢] .

ثم أن القرآن الكريم قد حفظه الله تعالى ، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولن يقع فيه حذف أبدا ، ولن تتم عليه إضافة أبدا ، ولن يقع له شيء من التبديل ، مطلقا لأنه وحده كلام الله على ما هو عليه ، وأى شيء أخر غيره ، لو أضيف اليه ، أو حذف منه ، أو حاول الوقع فيه ، فانه يظهر كالنقطة السوداء فى الثوب الناصع البياض ، الذى يرفضه تماما – والتشبيه مع الفارق – قال تعالى ﴿ " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "﴾[٣] ، والسنة النبوية المطهرة حماها الله بحماية أهل الحديث لها ، وهى المصدر الثانى فى التشريع الإسلامى وكل منهما نتمسك به ندافع عنه وستظل على ذلك أن شاء الله .

❁ **<u>الأمر الثاني</u>:- أن حزب أهل السنة والجماعة يبحثون عن المعرفة التى دفعهم النقل المنزل اليها** ، ومحل تلك المعارف العقل لا القلب ، وهم فى هذا الجانب

(١) الدكتور سليمان دينا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص٣٣٩/٣٤٠ .

(٢) الدكتورة فاطمة السيد بلال – دراسات فى عقول المستشرقين ص٧١ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

قد انطلقوا إلى أبعد مدى طالما أن الدين الإسلامى نفسه قد دعا اليه فى العديد من النصوص ، التى سبقت الإشارة إلى بعضها[١] ، فى كل جانب تتعلق به المعرفة الإنسانية ، فى جوانبها النظرية والعملية ،

لذا لم نجد عجبا فى أن ينفتح المسلمون على ثقافات غيرهم ، وأن ينقلوا حضارتهم هم أيضا إلى الآخرين ، كنوع من التيار المعرفى ، لا التبادل الدينى ، والفرق بينهما كبير جدا ، باعتبار أن الإيمان هو التصديق القلبى ومحله القلب ، أما المعرفة فهى اقتباس عقلى شعورى قائم على الاختيار والتأمل ، ولذلك فالمعتقد والمعرفة أمران يختلفان من حيث المصدر اختلافا تاما[٢] .

وأنى أسائل هؤلاء الجدليين تقديم حالة واحدة ، وقف فيها أهل السنة والجماعة من التفكير العقلى فى الجوانب المعرفية موقفا معاديا ، أما إذا حاول الاعتماد على مجرد الاختلاف الفقهى فى المسائل الفرعية[٣] ، فذلك مردود عليه بالوجود العقلى للمذاهب الفقهية المشهورة فى العالم الإسلامى ، وكذلك امتداد هذه المذاهب إلى يومنا هذا .

مع ما فيها من إتاحة الفرصة للمسلم أن يأخذ منها ما يتناسب مع الحالات التى تكون مطابقة لقواعد المذهب ، الذى حاول أصحابه توصيفه فى حدود النصوص الشرعية ، الواردة فى القرآن الكريم ، ونصوص السنة النبوية الصحيحة ، بل أن وجود ذات المذاهب الفقهية هو من الأدلة على

---

(١) سبقت الإشارة إلى بعضها فى صفحات خلت من هذا الفصل ، فارجع اليها واسأل الله لى ولك التوفيق والسداد والستر انه نعم المولى ونعم النصير ، وما ذلك على الله بعزيز .

(٢) الدكتور جوستاف لوبون – الاراء والمعتقدات ص٨ .

(٣) الاختلاف الفقهى فى الفرعيات يعتمد على تفهم الأدلة الاحتمالية فى دلالتها ، والموائمة بين مفهوم النصوص والوقائع المستجدة ، وهو دليل على حرية الفكر أيضا .

أن حزب أهل السنة والجماعة كانوا من أشد أنصار حرية التفكير العقلى ، لا من خصومه كما يزعم المنكرون تقليدا للمتعصبين من المستشرقين .

بل أن زعماء المذاهب الفقهية أنفسهم كانوا من أكثر الناس التزاما بحرية العقل واحترامه ، بدليل أن كل واحد منهم كان يقول عن نفسه " رأى خطأ يحتمل الصواب ، ورأى غيرى صواب يحتمل الخطأ "[1] ، فهى تزكية للآخرين ، وتواضع من الفقهاء الملتزمين ، وهو نفسه الذى يقود إلى الحرية العقلية ويصونها ، طالما كانت فى الجوانب المعرفية ، ولم يكن فى النصوص التى جاءت فيها العقيدة الإسلامية ، وأعنى بها النصوص القطعية فى دلالتها ، لأنه لا اجتهاد مع النص القطعى فى دلالته[2] .

ولكن مشكلة المستشرقين قائمة فى أنهم يحاولون مقايسة ما لاقوه بأنفسهم من سيطرة السلطان الكنسى فى أوربا على اتباعه ، وتطبيقه على المفكرين المسلمين ، وبخاصة حزب أهل السنة والجماعة بالذات ، لأنه – من وجهة نظرهم – يضمن التفوق على غيره من ناحية الاتباع ، كما فعل المذهب الكاثوليكى فى أوربا المسيحية ، والمذهب الارثوزكسى فى الشرق ، والمذهب البروتستانتى فى ألمانيا على جهة الخصوص[3] ، مع انها مقايسة فى غير موضعها ، وبالتالى فهى باطلة تماما على كافة الوجوه .

[٥] من السذاجة الفنية ، والطفولة العقلية تحكيم الاتجاهات المنحرفة فى المسيحية ، وأتباع اليهودية فى المذاهب الفقهية الإسلامية ، واعتبار النتائج المترتبة عليها من المسلمات ، ثم يقال بعدها أن ذلك عقبة الكبرى فى سبيل التفكير العقلى . أما لماذا ؟

---

(١) راجع كتابنا – المدخل التام لعلم الكلام ص٤١٧ – الطبعة الثانية – حيث أن العبـارة وردت منسـوبة إلى أكثر من واحد من شيوخ المذاهب الفقهية الإسلامية على ما ذكر .

(٢) راجع فى تلك المسألة أقوال علماء أصول الفقه كالموافقات ونهاية السول

(٣) الدكتور توفيق الطويل – قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص٦٥ .

فلأن المذاهب الكنسية تختلف فى الأصول العامة لا الفرعية ، والعقائد المنقولة المتداولة عندهم ، وليس الاختلاف عندهم فى فهم الفروع ، لأنهم لا يعتبرون الدين نصوصا قابلة للفهم ، وإنما يعتبرون فهم الدين هو نفسه النص طالما كان من رجال اللاهوت ، يستوى فى ذلك الكاثوليك والارثوذكس ، وكان ذلك من أسباب ثورة القسس – زونجلى – وكالفن ، ومارتن لوثر – على الكنيسة ، وانشائهم المذهب البروتستانتى الذى حمل أفكارهم فيما بعد ، وصارت له كنائس مستقلة فى الغرب والشرق على السواء[1] .

ثم أنهم يختلفون فى عقائدهم ، من حيث العدد ، هل هى ثلاثة عقائد ، أم أربعة ، أم خمسة ، أم أكثر من ذلك ، حتى تصل عند بعضهم إلى سبع عقائد أو ثمانية[2] ، وهذا الاختلاف فى أصول العقيدة – عندهم – لا ينشأ عنه إيمان أو كفر ، إنما هى وجهة نظر ، ومع هذا فهم قد حجروا على العقول ، وحاكموا الأفكار ، وذبحوا العلماء ، ولم يسمحوا – بتجاوز هذا الخط إلى مجرد التفكير العقلى أبدا .

بل أن كل من حاول الخروج عليه اضطهدته الكنيسة ورجالها ، واصدروا أحكاما عليه ، تخرج به من دائرة القبول عندهم ، حتى سموا أصحاب هذا الاتجاه باسم " أصحاب النقد العصرى – وهم فى نظر رجال اللاهوت عندهم غير أمناء على كلمة الآب ، وغير مقبول فى وجه الرب[3] ، وفوق ذلك فان كل حزب من الثلاثة يضغط على عقول أتباع

---

(١) راجع – ايمان أو قضايا المسيحية الكبرى للقس الياس مقار ، وكذلك سيرة لوثر وغيرها .

(٢) راجع عقيدة القيامة فى المسيحية وموقف الإسلام منها للزميل الفاضل الدكتور رشدى الشحات ، وهى رسالة ماجستير مخطوطة بأصول القاهرة .

(٣) القس صموئيل مشرقى – الكتاب المقدس يتحدى مشاكل الاعتراضات ص٧ .

المذهب نفسه ، كما يحارب معطيات عقول الآخرين على ناحية الإيمان لا على ناحية المعرفة .

[٦] **أن حزب أهل السنة والجماعة ، لا يتمسك بالنصوص الدينية فقط ، كما يزعم المستشرقون - مجرد تمسك - وإنما يستنبط منها المناهج العقلية ، التى دعا اليها الإسلام نفسه** ، بدليل وجود الكثير من المفكرين والفلاسفة المسلمين ، ممن عرفهم التاريخ الفكرى العام من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا(١) ، فى المشرق ، وابن باجه ، وابن طفيل ، وابن رشد فى المغرب الإسلامى .

وهذا دليل كاف على أن الإسلام لم يحارب التفكير العقلى المنتج ، وأن حزب أهل السنة والجماعة كان ملتزما تعاليم الدين نفسه التى تطالب بالحرية العقلية ، وتدعوا إلى ممارستها فى حدود الأمور التى لا تتعلق بأصول العقيدة(٢) التى قد لا يصل العقل فيها الا إلى الشطط والضلال .

[٧] **أن مذهب أهل السنة والجماعة لم يكن حزبا سياسيا يملك سلطانا يفرض به حرمان الناس من التفكير العقلى ، وإنما كان اتجاها قائما على الناحية الدينية** ، من مراعاة للنصوص ، ومحاولة تفهم الوقائع ، وإنشاء مواءمة بين النقل المنزل وذات الوقائع المستجدة ، وفى ذات الوقت فان قراءة التاريخ تدل على أن خلفاء المسلمين وأمرائهم - وهم أهل السلطان السياسى - كانت لهم اتجاهات فلسفية مرتبطة بالنواحى الحضارية المتعلقة برقى الأمة فى الجانب المادى ، وقد شجعوا على ممارسة هذا الدور وكذلك فعل خلفاء

---

(١) راجع الدكتور عبدالمعطى محمد بيومى - الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب جـ١ ص١٢٨ ط أولى - دار الطباعة المحمدية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود - مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٧٥ .

بنى أمية ، وبنى العباس أيضا[١] ومن جاء بعدهم أبان النهضة والحضارة الإسلامية

فلو أن حزب أهل السنة والجماعة – كما يزعم الكاذبون – كان يملك سلطة يقهر بها التفكير الحر ، لحدث صراع بين السلطة السياسية متمثلة فى الخلفاء والأمراء من جانب ، والسلطة الدينية متمثلة فى أفراد حزب السنة والجماعة من جانب أخر ، وذلك لم يحدث أبدا ، وليس فى التاريخ الصحيح ما يؤدى إلى ذلك الصراع ، أو يدل على وجوده أصلا[٢] .

بل أن الخلفاء والأمراء أصحاب الرغبة فى التحرر العقلى كانوا يغدقون على أهل السنة والجماعة ، ويحتفون بهم ، وفى نفس الوقت كان الفقهاء يرون فى الأمراء نجدتهم فى الضائقات والمساعدة عند الأزمات ، ولم يختلف الحال معهم الا فى حالات نادرة جدا كانت تمثل نوعا من الصراع بين أصحاب التخصص نفسه فى محاولة للغلبة ورغبة فى الانتصار[٣] .

[٨] **أن أهل السنة والجماعة لم يشكلوا سلطة دينية تحارب الفكر باسم الدين** – كما رأينا عند المسيحيين فى العصور الوسطى – ، بل كان غاية فعلهم هو استنكار أن يكون للفكر الفلسفى القدر المعلى لدى أولى الأمر ، وأن يكون للفلاسفة من المكانة ما لا يمكن أن ترقى اليه مكانة الفقهاء[٤] .

---

(١) الأستاذ توفق سيد احمد – الحرية الفكرية فى ظل بنى أميه ص١٢٣ .

(٢) والظواهر القائمة لا تنقضها الحالات الاستثنائية التى يمكن إرجاعها إلى خلافات سياسية فقط .

(٣) ويمكن اعتبار خلافات الفقهاء والمتكلمين والصوفية من هذا النوع .

(٤) الدكتور محمد عبدالستار أحمد نصار – فى الفلسفة الإسلامية جـ١ ص٢٤ .

بل ربما كانت تلك المنزلة المستجدة مدعاة لأن تكون بمثابة تصديق سلطانى ، وإعلان رسمى بقبول كل ما ينقل عن الفلاسفة ، من مفكرى اليونان وغيرهم ، وحينئذ تختلط الأمور عند القارئ المستجد ، أو المثقف العادى ، وهو ما يخشاه أهل السنة والجماعة ، حتى لا يؤثر على العقيدة الإسلامية الصحيحة التى عرفها جميعا عن الله تعالى ورسوله ، وتلقوها من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

وبخاصة بعد أن دخل الكثيرون فى الإسلام ممن كان فى الماضى أتباع ديانات وثقافات مختلفة[١] ، وراح الناس يستمعون إليهم ، ويتعرفون على أفكارهم التى هى خليط ملفق من ثقافات متباينة لا تقوم – فى أغلبها – الا على الجانب النظرى ، وتغلب الحكاية على كل مرحلة فيها[٢] ، ولم لم يقصدوا بالحكاية التأثير عل الدين وإنما التسلى بالأخبار وتبادل الثقافات .

[٩] **أن حزب أهل السنة والجماعة فكره تقوم على الالتزام** ، وليست أشخاصا فيفرقون حينا من الزمان ثم يتلاقون ، بحيث تكون لهم صولة وجولة ، ولذا فان فكرة الالتزام هذه ظهرت فى المشرق الإسلامى والمغرب الإسلامى أيضا ، وانتقلت مع كل الفاتحين المسلمين ، لأنهم ليسوا غزاه يحملون ثقافات تقوم على العنصرية والعصبية والاستغلال ، وإنما هم هداة يحملون نصوص الدين الخاتم ، وأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وقواعد الإيمان التى ارتضاها الله رب العالمين[٣] .

---

(١) راجع كتابنا – عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٤٣٧ الطبعة الثالثة .

(٢) راجع فى المسألة – فجر الإسلام – ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين .

(٣) الأستاذ بركات خيرى النمر – المسلمون فاتحون لا مستعمرون ص١٥١ .

وبالتالى فهم مشاعل حضارية متحركة ، تهيئ للناس سبل معرفة الله تعالى بطريق يقينى ، وتهديهم لخالقهم العظيم ، وتمهد لهم أفضل الصور للحياة الدنيا ، وتعينهم على التعرف المستمر لصور النعيم المقيم فى الحياة الأخرى .

[١٠]**ان المستشرقين ينطلقون فى خصومتهم لجوانب الإبداع الإسلامى من منطلق تعبوى لا شعورى فرضته عليهم عوامل ذاتية فى الكنيسة نفسها** ، التى تحاول أن تظهر لاتباعها وجود عورات فى الإسلام والمسلمين[١] ، وهى تبذل فى سبيل ذلك كل ما يمكن دون التفات للحق والحقيقة ، حتى تجعلهم لا يلتفتون للإسلام إلا كرها له ولأتباعه ، ولا يتعاملون معهم الا انتقاصا وتجريحا ، مستغلين الكثافة العددية التى تظهر فى أوربا لغير المسلمين .

وفى نفس الوقت فهم مندفعون إلى ذلك التيار عن طريق الدعم الإباحى ، والتحلل اللاأخلاقى الذى يسمح لغير المسلمين بالسلوكيات المنحرفة ، واعتبارها نوعا من التميز والانطلاق ، أو ثقافة المتحضر فى مقابل تزمت المتأخر .

ثم أن التعبئة اللاشعورية التى يقوم بها جهاز الأعلام داخل أوربا ، وتسانده السلطة الكنسية من تحقير لشأن المسلمين ، وإظهارهم فى مظهر الجمود والتمسك بالظواهر والشكليات ، دون الاهتمام بالقواعد العلمية والعمليات ، والتركيز على الجوانب التى يعتبرونها سلبية ، ثم يضيفونها للإسلام والمسلمين .

---

(١) راجع فى هذا الشأن – الاستشراق لادوارد سعيد ، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى للدكتور محمود حمدى زقزوق ، المستشرقون للأستاذ نجيب العفيفى .

ولا شك أن كـل ذلـك جعـل رينـان وتنمـان ، وغيرهمـا يـهاجمون الإسلام والمسلمين ، ويبذلون فى سبيل ذلك ما أمكنهم حتى لـو كـان عن طريق الكذب والتزييف ، وإقامة والدعاوى الباطلة ، والاتهامات الساقطة ، وذلـك كله دليـل على الجـهل والتعصب الـذى يعتصـم بـهذا الصنـف مـن المستشرقين وأمثالهم ممن يكرهون الإسلام والمسلمين ، ويرفضـون كـل فكـر ينسب اليه ، حتى ولو كانوا هم اكثر الناس استعمالا له ﴿ " كـبرت كلمـة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا" ﴾[١] .

❁ **وفى تقديرى :** أن حزب أهل السنة والجماعة قـد تمتعوا بملكـات حافظة وعقول واعية مفكرة مع عقيدة صافية ، وإيمان عميق ، وأنهم قـد سـعوا إلى تفـهم المعـانى القرآنيـة والنبويـة ، واجتـهدوا حـول فهمـها ، والتعـرف عليها ، بـل قـادوا النـاس إلى البحـث العقلـى الحـر المتعلـق بالمعـارف التى يحتاجها المرء فى حياته العلمية والعملية ، كمـا انـهم فـى المسـائل الفقهيـة قد اجتهدوا وتوسعوا فيها[٢] .

والأكثر من ذلك انهم اعتبروا الاجتـهاد مصـدرا مـن أصـول التشـريع الإسلامى بعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة[٣] ، وأن ذلك كـان فـى القـرن الأول الهجـرى ، ولكنـه استمر حتى يومنـا هـذا ، وأظنـه سيستمر بـإذن مـا دام المسـلمون علـى شـرع الله قـائمين ، وعنـد حـدوده واقفين ، فتلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا فـهل بعـد ذلـك يقال : أن حزب أهل السنة والجماعة كـان حجـر عثـرة فـى طريـق التفكـير

---

(١) سورة الكهف الآية ٥

(٢) وكتب الفقه والأصول التى عنيت بذكر المذاهب الفقهية من الدلائل على ما ذكرنا .

(٣) راجع – الاجتهاد وأثره فى الفقه الإسلامى للدكتور توفيق صابر وكتب الأصول ففيها كلام طويل عـن در الاجتهاد فى الفقه الإسلامى .

العقلى الحر أم أنهم كانوا سبيلا للاجتهاد العقلى ، ومصدرا من مصادره فى الدعم المستمر والعطاء المتكرر .

[جـ] مناقشة زعمهم استبداد سلطان أرسطو بالمسلمين ، حيث لم يسمح لهم بالخروج عليه لتفهم المشاكل الميتافيزيقيه .

❁ لا شك أن تلك الفرية وان كانت أكثر تهافتا من غيرها ، فإنها دليل موثق على أن عقلية أصحاب تلك المزاعم مقلوبة تماما ، لما هو معروف من :-

[١] **أن ارسطو كان يونانيا ، ولم يكن مسيحيا،** ومع ذلك اعتبرته الكنيسة راعيها الأول ومعلمها الأوحد ، ومصدر قوانينها الطبيعية ، ولذا حاربت الكنيسة أحرار الفكر عندهم بحجة مخالفتهم تعاليم أرسطو التى كانت تتمسك بها الكنيسة إلى أبعد حد[١] ، وتعتبر الخروج عليها خروجا من الدين المسيحى نفسه ، وكان سلطان أرسطو على عقول رجال اللاهوت أعلى من سلطان الإنجيل نفسه .

وليس هذا فحسب بل أن رجال اللاهوت تعاونوا مع رجال السياسة على حماية المصالح المشتركة ، وصارت الكنيسة تردد أن الملك ظل الله فى الأرض ، وأنه لا يجوز الخروج عليه مهما كان ظالما أو جبارا ، لأنه فى كل الحالات كمرويض الوحوش ، ومن كان ذلك شأنه فجدير به أن يفعل بالشعب ما يراه مناسبا ، وليس لأحد من أفراد الشعب الخروج عليه ، أو مطالبته الاستقالة ، أو حتى تنبيهه إلى ما هو واقع فيه من الأخطاء ، ولو كان ذلك الخروج من الحاكم يمثل الظلم بعينه ، وكان ذلك هو دور

---

(١) الأستاذة فاطمة محمد صادق - الفلسفة اليونانية ص١٧١ .

الكنيسة فى العقد الاجتماعى بينها وملك البلاد عندهم حرصا على مصلحة الملك نفسه[١] ومصلحة الكنيسة أيضا .

وفى نفس الوقت كان الملك يعلن على الملأ أنه حاكم عليهم باسم الدين الذى تمثله الكنيسة ، فمن خرج على تعاليم الكنيسة فهو خارج على قوانين الدولة أيضا ، وبالتالى يعاقب على أنه مرتكب لجرائم الإخلال بالأمن العام والمال العام معا[٢] ، وأن رجال اللاهوت هم حماة الدين ، وهم رجاله ، وهم فى كل الحالات المثلون عن دين الله فى الأرض والمسئولون عنه أيضا .

فإذا كان الملك هو ظل الله فى الأرض ، فان رجال اللاهوت هم دين الله فى ذات الأرض[٣] ، وحينئذ يتلاقى ظل الله وهو الملك مع دينه وهم رجال الكنيسة ، كما يتلاقى الملك مع رجال الكهنوت ، ويحمى كل منهما مكاسب الأخر تماما ، فالعلاقة هى مصالح مشتركة تتطلب حماية متكاتفة من السلطة الدينية والأخرى السياسية .

أما العرب قبل الإسلام فلم تكن لهم معرفة بأرسطو ولا بغيره ، من أهل اليونان ، فاحتمال تسلل الثقافة اليونانية إلى البيئة العربية قبل الإسلام ليست له أدلة مطلقا ، يمكنه أن يقوم عليها ، وبالتالى يكون احتمالا ساقطا على هذه الناحية ، لأن العرب – قبل الإسلام – كانت تنحصر رحلاتهم فى حدود بلاد العرب ، وبعض البلدان القريبة جدا منهم ، وكانوا ينقلون

---

(١) الأستاذ فتحى رضوان عبدالمولى – تعاون السلطات فى العصور الوسطى ص٩٥ .

(٢) الأستاذة لهاد زعتر – الكنيسة والملك – مصالح مشتركة ص٣١ ط الوفاء .

(٣) راجع كتابنا – قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٨٧ .

لتلك البلاد ثقافتهم ، أما اقتباسهم ثقافات غيرهم ، فكان ذلك يتم فى حدود ضيقة جدا ، لا يتجاوز التعاملات اللفظية[١] ان وجدت . أما لماذا ؟

فلما هو معروف عند العرب من أنفة وعزة وشموخ ، وحب للعطاء ، وكره للأخذ ، وحتى لو أخذ العرب شيئا من ثقافة اليونان ، فلن يكون الا فى بعض مفردات التعاملات التجارية ، أما الجوانب المعرفية فلم يمكن للعرب ولع باقتباسها عن غيرهم ، نظرا لالتزامهم بما تفرضه عليهم البيئة التى تربوا فيها ، ودرجوا عليها[٢] ، ومن كان ذلك شأنه فان استقلاله عن غير أمر طبيعى ، وكذلك ثقافته ومعارفه .

[٢] **أن المسلمين فى عصر النبوة الخاتمة ، والخلافة الراشدة ، كانوا داخل نصوصهم الدينية وقد وجدوا أن فيها الغنية عن غيرها** ، مما جعلهم يكتفون بها ، فلم يفكر أحدهم فى الاطلاع على كتب الآخرين – من غير المسلمين – وبخاصة فى الجوانب المتعلقة بالميتافيزيقا والغيبيات[٣] ، حتى أثر أن سيدنا عمر بن الخطاب قد وقع له بعض الصفحات من كتب اليهود – مصادفة – فنظر فيها .

غير أنه ما ان راح ينظر فيها متأملا حتى دخل عليه الرسول الكريم ﷺ ، وبيد ابن الخطاب نفس الورقات ينظر لها ، فقال ﷺ " امتهوكون فيها يا ابن الخطاب ، والله لقد جاءتكم بيضاء نقية " فألقى ابن الخطاب ما بيده ، وقال ليتنى لم أعش إلى ذلك اليوم[٤] ، ولم يقرأ تلك الثقافات أبدا ،

---

(١) الأستاذ عبدالمولى جاد الرب – العرب قبل الإسلام جـ١ ص١٢٥ .

(٢) الأستاذ حامد عبدالجليل رضوان – دراسة فى أداب العرب ص٩٧ .

(٣) وذلك أمر مشهور عند العرب المسلمين ، وقد حافظوا عليه ، ولم ينفصلوا عنه ، وكانوا يدافعون عنه ، ويتقاتلون حوله لأنه أمر من صلب ثقافتهم .

(٤) الأستاذ ثروت أنور – العقلية الإسلامية ص١٧١ ط أولى – دار توفيق ١٩٤٦م .

وظل ذلك حاله وحال أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعه حتى قرابة نهاية الخلافة الأموية .

[٣] **أن المسلمين فى عصر الخلافة الراشدة ،كانوا مهتمين بالفتوحات الإسلامية ، ونشر الدعوة الإسلامية فى البلاد المفتوحة** ، ومحاولة التعرف على مفاهيم النصوص الدينية ، والمسائل الخلافية التى اشتجرت بين المسلمين ، وكذلك التكييف الشرعى لقتلة سيدنا عمر بن الخطاب ، وسيدنا عثمان بن عفان الحيى ، وسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه[1] .

وفى نفس الوقت فانهم اهتموا بالنصوص والقضايا الدينية ومجادلة الداخلين فى البيئة الإسلامية الواقعين تحت قيادتها من أهل البلاد المفتوحة ، كفارس وغيرها ، ولم يكن لديهم وقت يصرفونه فى دراسة العلوم اليونانية ، سواء مما تركه أرسطو أو تركه غيره ، فالزعم بوجود سلطان لأرسطو على عقول المسلمين لا أساس له[2] ، وإنما هو وهم وقائله لا يسمع له عاقل ، ومن يقع تحت سلطان الأوهام فهو ناقص العقلية فاقد الأهلية وأحكامه متهافته دنية .

[٤] **ان مفكرى المسلمين بعد عصر الخلافة الراشدة بدأوا يواجهون مشكلات كثيرة ، من أبرزها ما كان منهم من ردود على خصوم الإسلام الذين حاولوا بشتى الطرق إيجاد مشكلات يواجهون بها الدين الجديد** ، أو الإجابة على الأسئلة التى يكون مصدرها الجدل بين أهل الإسلام والخصوم من ناحية ، أو المحاولات

(١) راجع كتابنا - المدخل التام لعلم الكلام ص٤١٥ وما بعدها .

(٢) راجع الأستاذ خيرى عبدالجواد - الفلسفة الإسلامية ص٩٣ .

والمناظرات التى كانت تفرضها ظروف التجاور بين المسلمين وأهل الكتاب من ناحية أخرى[1] .

وفى نفس الوقت كانت الفتوحات الإسلامية قد اتسعت إلى حد كبير ، وازدادت الانفتاحيات الاقتصادية إلى الحد الذى جعل الخيرات تملأ البلاد ، وقامت الفرق الإسلامية التى تتجاور باسم الدين ، وتجادل تحت مسمى المحافظة عليه ، وتحاول كل منها إثبات أنها الأكثر حماية للدين نفسه من غيرها ، والأحرص على إبلاغه للعالمين بجانب حراسته وحمايته ، والأقدر على تفهم النصوص الدينية[2] ، مع المحافظة عليها والاعلان عن عدم التهاون مع من يفرط فيها .

ومن ثم فلم تكن لديهم فى تلك الفترة اية معرفة بأرسطو أو غيره ، وإنما كانت ثقافتهم نابعة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، والبيئة التى نشأوا فيها ، ولا دخل لفكر أخر غيرها ، وهى أعلى مراحل الخصوبة فى الفكر الإسلام ، وهى فى ذات الوقت الفترة التى تم التأسيس فيها للقواعد الضابطة التى سار عليها المفكرون المسلمون فيما بعد ، وكانت الحكمة من ثمرات تلك القواعد .

[٥] **ان حركة التقاء الفكر الإسلامى بالأفكار الأخرى بدأت مع أواخر عصر بنى أمية على يد مروان بن الحكم ٦٥/٦٤** وكانت قاصرة على بعض المباحث فى العلوم الطبية ، ثم على يد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان– ت ٨٥هـ– عندما ألمح إلى رغبته فى ترجمة بعض العلوم التى تتعلق بالنجوم والصناعات أو الكيمياء والطب فقط ، ومحاولة التعرف عليها

(١) الأستاذ صابر أيوب – دراسة فى الخلفاء الراشدين ص١٩٥ .

(٢) والآثار الإسلامية فى هذا الشأن كثيرة – راجع تاريخ الطبى ، والبداية والنهاية ، وتاريخ الأمة العربية ، وغيرها .

والاستفادة منها ، ان كانت فيها فائدة " إلا أن ذلك كان عملا غير منظم ، وكان مرتبطا بغايات فردية تقريبا[١] .

وفى نفس الوقت كانت هذه المحاولات الترجميه فردية تموت بموت القائمين عليها ، والمهتمين بها[٢] ، ومثل ذلك لا يكون له تأثير فى فكر كبير كشف عن نفسه فى كافة الميادين ، وهو الفكر الإسلامى الحر الأصيل ، كما أن تلك المحاولات لم يقدر لها الاستمرار أما لوفاة القائمين عليها ، أو نفرة الناس منه ، أو فقدان الدافع اليها ، أو إيجاد البدائل التى تغنى عنها ، وكان أخر خلفاء بنى أمية عمر بن عبدالعزيز فى تشجيع ذلك الالتقاء قد توفى ١٠١هـ .

[٦] **أن حركة الترجمة الواسعة قامت برعاية خلفاء بنى العباس ، وبالذات فى عهد المأمون** ، وكانت قائمة على ترجمة العلوم العلمية ، كالصناعة والطب والنجوم ،والعلوم العقلية من منطق وفلسفة وهندسة ، وغيرها ، وفى نفس الوقت فان علماء السلف كانوا يمنعون الخوض فيها ، ويرفضون التعامل معها ، وحرموا الاشتغال بها ، وحكموا بالكفر والضلال على من يتعاطاها على سبيل الاعتقاد لها[٣] .

أما إذا كان يقصد بها تمرين قدراته العقلية ، وإظهار تمكنه من العلوم الأخرى ، فذلك أمر طبيعى شريطة ألا يطعن ذلك على الفكر الإسلامى الأصيل ، وبالتالى فحتى هذه الفترة لم يكن لأرسطو أو غيره وجود فعلى ، أو فكرى عند المسلمين[٤] ، وإنما كانت حركة الالتقاء معنية بالعلوم

(١) الدكتور محمد عبدالستار نصار – فى الفلسفة الإسلامية جـ١ ص٤٦ .

(٢) الدكتور توفيق الطويل – فى تراثنا العربى الإسلامى ص٧٧ ط عالم المعرفة .

(٣) العلامة السيوطى – صون المنطق بالكلام عن فنى المنطق والكلام ص١٢ .

(٤) وبهذا يسقط القول بوجود سلطان مزعوم لأرسطو على عقلية العرب أو المسلمين .

الطبيعية وعلى الأخص التى لا علاقة لها بالقضايا الإيمانية ، إذ كانت عناية الخليفة أبو جعفر المنصور منصرفة إلى الطب والفلك والرياضة ، وهى لا علاقة لها بأرسطو من قريب أو بعيد .

[٧] **أن عملية الترجمة كانت تتم على أيدى السريان ، وبعض العرب المسلمين** ، واتخذت شكلين ، أما من الثقافة العربية إلى السريانية[١] ، أو من اليونانية إلى السريانية ، ثم إلى العربية[٢] ، وفى نفس الوقت فان المترجمين للعربية لم تكن لديهم الملكة الفنية الدقيقة فى معرفة اللغة العربية ، بجانب عدم تخصصهم الدقيق فى فنون الترجمة من اللفظ ، وبالتالى وقعت أخطاء فى الترجمة مما جعل خلفاء بنى العباس يعيدون النظر فى الترجمات التى تمت باصلاح ما فيها ، ، أو إعادة الترجمة من جديد[٣] ، إذن هم لم يثقوا فيما نقل إليهم من فكر يونانى أو غيره ، وإنما جعلوه من باب الاحتماليات المظنونة ، فأين سلطانه على العقول الإسلامية إذن ، كما يزعم الكاذبون فضلا عن أن يكون ذلك لأرسطو على الخصوص .

[٨] **أن الفكر الذى ترجم إلى البيئة العربية ، لم يؤخذ على مجال التسليم والقبول فى العلوم التى ترجم منها** – وهى علوم دنيوية فقط – وإنما انتقده المفكرون المسلمون نقودات كثيرة ، لكل ما وجدوا فيه اختلافا أصيلا عن نصوص الدين الإسلامى ، ولهذا لم يكتفوا بالشرح والنقل فقط[٤] ، وإنما النقد الجاد الهادف أيضا ، مما يؤكد أن العقلية الإسلامية كانت متميزة إلى أبعد حد ، ولها استقلال وأصالة عن الفكر اليونانى وغيره ، مما

---

(١) وهذا الشكل يمثل نوعا من تصدير الثقافة الإسلامية إلى الثقافات الأخرى ، وكان يقوم به عرب مسلمون .

(٢) وكان ذلك فى نطاق ضيق ويقوم به غير المسلمين لأغراض رأوها فى أنفسهم .

(٣) الدكتور محمد عبدالستار نصار – فى الفلسفة الإسلامية جـ١ ص٤٧ بتصرف .

(٤) الدكتور على سامى النشار – نشاة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٧٣ .

ترجمت بعض أجزائه إلى الفكر الإسلامى ، وأن ذات العقلية الإسلامية صدرت عن مفاهيم إسلامية خالصة قائمة على النصوص الإسلامية[١] ولم تصدر عن فكر أخر ، كما لم يكن لغير النصوص الإسلامية أى سلطان عليها .

وفى نفس الوقت فان الكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، والإمام الغزالى ، وابن تيمية ، والبغدادى ، وغيرهم من المفكرين المسلمين ، قد كشفوا أخطاء الفكر اليونانى ، وبالذات أرسطو الذى كانت النقودات اليه كثيرة ، وفيها القسوة والمرارة أيضا ، وسجلوا عليه مآخذ وزلات ، كما أن علماء الكلام فى الإسلام ، قد زيفوا كثيرا من آراء أرسطو[٢] ، وبينوا اوجه بطلانها .

كما أن فلاسفة الإسلام قد خالفوا رأيه فى مواضع كثيرة يصعب حصرها على وجه الدقة ، وما كان ينقص تنمان ورينان ، أو غيرها ممن يشاركونه التعصب الأعمى ، الا أن يطلع على التراث الفكرى الإسلامى ليعرف بنفسه ، بدل أن يلجأ إلى الابهام والتعمية ، واطلاق العنان لخياله الجامح ، حتى يشبع فى صدره رغبة كذوبا[٣] ، لأن المسلمين لم يقبلوا مذهب أرسطو ، لأنهم أدركوا أن هذا المذهب لا يمكن أن يتفق مع

---

(١) الدكتورة فوقية حسين محمود - مقالات فى أصالة المفكر المسلم ص٦ .

(٢) راجع التفكير الفلسفى الإسلامى ص٣٤٠ ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، والتفكير الفلسفى فى الإسلام وغيرها من تلك المؤلفات التى عنيت بذلك الجانب على الناحية المنطقية والفلسفية ، وراجع الرد على المنطقيين لابن تيميه ، وصون المنطق والكلام للسيوطى .

(٣) حرص المستشرقون غير الملتزمين على إشباع رغباتهم بالعدوان على الإسلام والمسلمين من غير التفات لأى اعتبار أخر ، فهم لا ينظرون الا إلى النيران البغيضة يشعلونها ، والعداوة ينشرونها .

التوحيد السلفى[١] الذى يميلون اليه ويعتقدونه ، فأين سلطانه حتى يكون له شيء على عقلية المسلمين ونفوسهم .

[٩] **ان المسلمين لو كانوا متابعين لأرسطو لجاءت أفكارهم صورة له ، ولكانت الفلسفة الإسلامية هى اليونانية** ، ولا نحصر الفرق بينهما فى العنوان فقط ، ولكن ذلك غير صحيح ، أما لماذا ؟ فلأن الفلسفة الإسلامية لا تبحث عن الله تعالى ، وإنما تستدل عليه ، فهى فلسفة تبدأ بالإيمان وتنتهى إلى الاستدلال العقلى[٢] ، أما الفلسفة اليونانية ، فهى تبدأ بالبحث عنه كأنه مفقود ، ثم تنتهى إلى الإنكار له جل علاه ، وبالتالى فهى فلسفة كافرة[٣] ، والفلسفة الإسلامية مؤمنة ، إذن الفلسفة الإسلامية غير الفلسفة اليونانية .

والفرق بين الإيمان والكفر هو نفس الفرق بين الفلسفة الإسلامية ، وغيرها من الفلسفة التى يزعم الجاحدون أنها صورة منها ، سواء كان ذلك منسوبا لأرسطو أو غيره من فلاسفة الإغريق الذين لم يعرفوا الإيمان ولم ينظروا اليه ، وكذلك تميزت الفلسفة الإسلامية فى كل الموضوعات التى تعرضت لها بالمنهج والغاية ، والقواعد التى تقوم عليها[٤] .

ثم أن الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى لم يتجاوز ما جاء فى القرآن الكريم عن الله سبحانه وتعالى ، باعتبار ذاته ، أو صفاته ، أو علاقته بالمخلوقات كلها على وجه العموم والإنسان على وجه الخصوص ، وذلك

---

(١) أوليرى – الفكر العربى ومكانته فى التاريخ ص١٦٦ – ترجمة تمام حسان – المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة وفيه أشارات ونقول كثيرة تؤكد نفس الفكرة .

(٢) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص٢٩٥ .

(٣) الأستاذة تمانى مصطفى – دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص٥٤ ط دار الإخلاص ١٩٦١م .

(٤) راجع ما كتبناه عن فوائد الفلسفة الإسلامية .

ما لم يعرفه أرسطو أو غيره من فلاسفة اليونان[1] ، فأين الدعوى التى أقاموها وهى ظنية من الأدلة التى أقمناها وهى يقينية ، ان كل عاقل يدرك أن الفلسفة الإسلامية لم يكن لأرسطو من سلطان عليها .

أما الاحتكام إلى مجرد استخدام ألفاظ مشتركة بين الفلسفة الإسلامية ، وغيرها ، ثم الزعم - بناء عليه - بان الفلسفة الإسلامية ، أو الفكر الإسلامى مأخوذ من غيره ، فذلك دليل على جهل القائل به ، وعدم قدرته على تفهم علم اللغة ، بل افتقاده إلى أبسط صور الثقافة التى تؤكد أن الألفاظ هى أثواب المعانى ، وأنها قابلة للتداول والانتقال من قوم لآخرين كمفردات لغوية دون انتقال للمعانى فيها[2] .

فإذا استعملت فى أكثر من لغة ، فليس ذلك دليلا على أنها نبات إحداها ، ودعى بالأخريات ، وإلا فان الأمر يمكن أن ينسحب على كل اللغات التى يتعامل بها الناس ، ومنها اليونانية ، والسريانية ، أو اللاتينية ، وغيرها ، وذلك مما لا يقول به أصحاب المزاعم أنفسهم ، فهل يقبلونه كقاعدة عامة ، تنطبق على لغتهم أيضا ، أم يسقطونه من مزاعمهم ، ذلك ما سنتركه للأيام ، وسوف نفضحهم ان شاء الله .

[١٠]**أن إعجاب بعض المسلمين ببعض ما تركه ارسطو غنما هو نوع من الموضوعية والحيدة مع الاعتراف لذوى الحقوق بحقوقهم** ، ولو كانوا مخالفين لنا فى عقيدتهم ، لأن العقيدة جانب يتعلق بالإيمان وهو ما نتحلى به نحن المسلمين ، لقوله تعالى ﴿ " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط

(١) الدكتور محمد البهى - الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص٣١ وما بعدها .

(٢) الأستاذ عبداللطيف السيد عبدالوهاب من ثمرات علم اللغة ص٣١ .

ولا يجرمنكم شنأن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى"﴾[١] ، فالعدل حق حتى لو كان مع الخصوم .

ثم أن هذا العدل المشروع لا يعنى الحب لأرسطو ، أو المتابعة الدائمة له ، أو حتى مجرد التعلق به ، فضلا عن أن تكون له هيمنة على عقولهم ، بدليل كثرة مناقشتهم لفكره ، ونقدهم له ، بل وهدمهم للكثير من الآراء التى يقول بها ، والإبانة عن أوجه القصور فيها ومحاولة إصلاحها ، وهى التى تغنى بها التابعون للفكر اليونانى[٢] ، ثم نسبوا هذا التغنى للمسلمين .

وفى نفس الوقت فان شيوخ المذاهب كانوا موضوعيين إلى أبعد حد فى التعامل مع الفكر المترجم ، والثقافة الوافدة ، والمعارف التى تحاول القفز إلى ميدان العالم الإسلامى ، ولذلك كانوا إذا وجدوا جانبا من هذا الفكر فيه صواب ، قبلوه على ناحية الصواب الموجودة فيه فقط ، محكمين الشرع فى قبوله ، ما دام لا يتعارض مع أصول الدين الإسلامى[٣] ، وفوق ذلك فانه – مع عدم تعارضه – يؤدى إلى مصالح دنيوية المجتمع بحاجة اليها ، والشرع الشريف حث عليها ونبه اليها[٤] .

أما إذا وجدوا فى الفكر الوافد إليهم بعض الخطأ فانهم عليه ينبهون ، وله يصلحون ، ثم يتعاملون معه على أنه فكر يصلح للاستعمال بعد الإصلاح إذ قبله ، أولا يصلح للاستعمال مهما تم فيه إصلاح وحينئذ

(١) سورة المائدة الآية ٨ .

(٢) راجع كتابنا : قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص٣١٥ .

(٣) راجع : لابن أبى أصيبعه – عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص١١٣ وما بعدها .

(٤) نبه قاضى قرطبه أبو الوليد ابن رشد إلى تلك المسألة فى كتابيه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، والكشف عن مناهج الأدلة .

يهملونه أبدا ، وهى نقطة مهمة جدا فى الفكر الإسلامى ، وسمة فنية من سمات المفكرين المسلمين الذين كانوا على أعلى قدر من الإبداع والإتقان .

أما إذا كان الفكر الوافد قد تغلب عليه جوانب الخطأ ، ولا تصلح معه المعالجة ، أو توجد فيه مخالفة للنصوص الشرعية ، فانهم يحذرون منه ، ويصدرون أحكاما تتعلق بتجريم متعاطيه ، بل ويعتبرون مجرد الاشتغال به مخالفة شرعية تستوجب عقوبة التعزيز التى قد تجاوز الحد ، فهم قضاة عدول ، وأطباء متمكنون ، وفقهاء بشرع الله يلتزمون فى القبول أو الرفض ، أو غيرهما [١] ، ونعم ما فعلوا .

ولذا لم نجد دراسة العلوم العقلية تتسع فى البيئة الإسلامية ، حتى تكون ثقافة شعبية ، وإنما ظهرت مقصورة على فئة من الناس ، كان منهم الفقيه[٢] ، والطبيب[٣] ، والرياضى[٤] ، والروائى[٥] ، والقاضى[٦] ، والأديب[٧] ، وبهذا يندفع ما زعمه الكاذبون من وجود سيطرة لأفكار أرسطو على الفكر الإسلامى أو المفكرين المسلمين ، أو أنهم كانوا فى فلك أفكاره يسيرون .

---

(١) الأستاذ فوزى مصباح الأشقر : أثر الفقهاء فى دراسة الفلسفة ص١٧١ .

(٢) كالإمام أبى حامد الغزالى فى المشرق ، وابن رشد قاضى قرطبه المالكى فى المغرب الإسلامى .

(٣) كالحال مع الكندى ، والفارابى ، وابن سينا فى المشرق ، وابن طفيل ، وابن باجه ، وابن رشد ، فكلهم اشتغلوا بالطب أيضا بجانب اشتغالهم بالفقه والحكمة .

(٤) كالكندى فيلسوف العرب - وابن جماعة ، وابن متوبة ، والاسخريوطى ، وغيرهم .

(٥) كالحال مع ابن سينا فى روايته الخيالية حيى بن يقظان ، والسهر وردى ، وابن طفيل ، وابن باجه فى رسالة الوداع .

(٦) الكثيرون من حكماء المسلمين كانوا فقهاء ، ولكنهم تميزوا بالمرونة العقلية عن غيرهم .

(٧) منهم الإمام ابن حزم الأندلسى ، وابن مسرة وغيرهما .

[د] مناقشة زعمهم مافى طبيعة العرب القومية من ميل إلي التأثر بالأوهام:-

عرضنا لشبهة المنكرين لوجود فكر فلسفى إسلامى التى قامت على انعدام وجود قدرات إبداعية لدى العقلية العربية الإسلامية ، وناقشناها ، وأبنا عن العورات التى حاول أصحاب المزاعم سترها عن أنفسهم – مع أنها لصيقة بهم – ونسبتها إلى العرب والمسلمين ، مع أنهم برءا عنها[1] ، وأبنا كذلك أن التاريخ الفكرى يشهد لصالح العقلية العربية ، ويعلن تميز العقلية الإسلامية عن غيرها ، وعدم دورانها فى فلك عقليات الآخرين[2] .

أما هنا فإننا نرى الواقع يشهد بكذب تلك المزاعم ، لأن الفكر العربى له قدم ثابتة ، فى العلوم والمعارف الإنسانية ، لما له من قدم فى الزمان قبل الإسلام ، وأن الأمة العربية كانت أمة مبدعة ، فاقت الأمم الأخرى فى الكثير من الجوانب المعرفية ، وأمة حالها هكذا ، لا يمكن أن ينسب إلى مجمل بينها ميلهم إلى التأثر بالأوهام ، لأن التأثر بالأوهام طبيعة الخواطر القلقة ، والمشاعر المضطربه ، وذلك لا ينتج معرفة أبدا .

ولعل تلك المزاعم قد تولدت عند هؤلاء الكاذبين من جهلهم بالتراث العربى ، بجانب تعصبهم الجنسى ، وعدواتهم المستمرة للإسلام ، وتعبئتهم اللاشعورية ضد المسلمين ، فهم بعدواتهم متبرعون ، ومثلهم يسقط من حيث يتوقع العلو ، وينهزم من حيث يظن الانتصار ، ويتعثر فى كل الخطوات التى يتبعن من خلفها السلامة ، وذلك شأنهم وهم فيه ساقطون .

---

(١) راجع بداية هذا الفصل ، فقد عرضنا لها هناك ، ثم ناقشناها .

(٢) الأستاذ أحمد على الملا – اثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية ص١٨٤ ، وما بعدها ط دار الفكر العربى بدمشق ط٢ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

لذا رأينا فيهم من يرد عليهم ، فيقول : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة فى الآداب عدة قرون[١] ، بل ان الحق انطلق من رينان نفسه ، رغما عنه ودون أن يدرى ، أو يعلن عن ذلك ، فيقول : أتخذ العرب من تفسير آراء أرسطو وسيلة لإنشاء فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة ، المخالفة جد المخالفة ، لما كان يدرس عند اليونان[٢] ، وما دامت مخالفة تماما لآراء أرسطو ، فهى بنت البيئة الإسلامية التى كشفت عن تميزها المستمر فى كافة المعارف الإنسانية ، لقيامها على الأصول الشرعية وليست عقلية تعبوية أو تميل إلى الأوهام كما زعم الكاذبون .

كما أن جوستاف لوبون يعلن تأثر العالم بالحضارة الإسلامية ، ويؤكد أنه " كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم فى العالم ، وأن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم ،فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التى اعتنقت دينهم[٣] ، والعرب هم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقى البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان ، والعرب أيضا هم الذين فتحوا لأوربا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية ، والفلسفية ، فكانوا ممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون ..

ثم يقول ، وظلت ترجمات كتب العرب – ولا سيما الكتب العلمية – مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمسة قرون أو ستة

---

(١) جوستاف لوبون – مقدمة حضارة العرب ص٣٠ نقلا عن التفكير الفلسفى ص٣٤٤ .

(٢) الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص١٢ .

(٣) نحن لا نوافق لوبون على أن الإسلام دين العرب وحدهم ، والا كان دينا خاصا بهم ، دينا محليا ، إنما الإسلام للعالمين ، دين عام خالد ، ختم الله به نبوات الأنبياء السابقين ، وجعل سيدنا محمدا خاتما للأنبياء والمرسلين والإسلام دين للبشرية ، وعالم الجن كلهم أيضا – راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام جـ١ ، ٢.

قرون ، وإذا كانت هنالك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب هم وحدهم تلك الأمة ، وعلى العالم الاعتراف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا[1] ، ان كان يريد الحق والتزامه ، والصدق واعلامه والعدل وأحكامه .

كما أن العالم كله اعترف بأن الكتب الطبية والعلمية والرياضية التى أنشأها المسلمون كابن سينا وكتابه القانون ، وغيره قد ترجمت إلى أوربا ، وأنها التى أيقظت أوربا من نومها الطويل ، وأفاقتها من غفوتها التى استمرت فترة كبيرة ، وأخذت بيديها الواهنتين ، وفتحت عيونها النائمة إلى الحضارة العلمية الحديثة ، حتى قر فى وجدان الجميع أنه لو لم يظهر العرب – والمسلمون – على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة عدة قرون[2] ، فلو كان فى العرب والمسلمين ميل للأوهام فهل كانت تظهر لديهم إبداعات كالتى ترجمها الأوربيون إلى بلادهم ، ورفعوا عليها حضارتهم الحديثة ، وإذا كانت أوهاما فهل تنبنى عليها حضارة أبدا ؟

فى نفس الوقت فان متعصبى الغرب يعترفون – طوعا أو كرها – بأن الفكر الإسلامى لم يدرس عندهم من كل جوانبه[3] ، وإنما الذى درس هو الذى وقع فى أيدى بعضهم فقط ، وربما نسبته إلى المسلمين غير صحيحة فى كله أو بعضه ، لأن الترجمة كان لها دور كبير فى نقل تراثات كثيرة وتبادلها ، مع عدم الاحتراز والأخذ بالأحوط أو التزام جانب الجادة[4] .

---

(١) جوستاف لوبون – حضارة العرب ص٢٩ ترجمة عادل زعيتر .

(٢) المصدر السابق ص٣٠ ، وراجع التمهيد لشيخنا الإمام الأكبر رحمه الله ص١٢ وما بعدها ففيها شـهادات وثائقية على اعتراف بعض مفكرى الغرب بأثر الحضارة الإسلامية .

(٣) الدكتور محمد عبدالستار نصار – فى الفلسفة الإسلامية فى المشرق جـ١ ص٥ .

(٤) الأستاذ بركات خيرى النمر – المسلمون فاتحون لا مستعمرون ص١٧٢ .

وكان الكثيرون ممن يقومون بدور التراجمة أول الأمر – معنين بسرعة الإنتاج أكثر من الجودة ، فى نفس الوقت فان كثرة الترجمات من العربية والى العربية أو العكس أدت إلى تداخل بعض الثقافات ، سواء كان ذلك بقصد أم بغيره ، وقد فطن أمراء العباسيين إلى تلك السقطات فأعادوا ترجمة البعض مما ترجم لإصلاح القصور الواقع فيها[١] ، وهو الأدلة على أن العقلية العربية والإسلامية كانت عقلية متميزة فيها التعلق الشديد بالحكمة والرغبة فى وزن الأمور بميزان دقيق مع الرغبة المستمرة فى فتح العديد من النوافذ الثقافية .

إذن متعصبو المستشرقين معترفون بأ ن الفكر الإسلامى ، لم يدرس عندهم من كل جوانبه المعرفية ، وبالتالى تكون أحكامهم عليه ناقصة لنقصان معرفتهم به ، ومثل تلك الأحكام تكون منقوصة إذا قصد بها التعميم ، أو إعطاء أحكام تجرى كقواعد عامة[٢] ، لأن شأن التعميم والقواعد العامة ، أن يجرى فيها الاستقراء التام القائم على تتبع جزئيات الفكر الإسلامى كلها ، وفى كافة فروعها ، ودراسة تلك الجوانب بالحيدة والموضوعية ، بعيدا عن التعصب والرغبة فى إصدار أحكام الإدانة ، والاكثار من التلويح بعلامات الاتهام .

❁ **والذى أقرره:** أن العقلية العربية والإسلامية أبدعت فى كافة المجالات النظرية والعملية ، وكانت لها إسهامات فعالة فى الكثير من النواحى المعرفية التى تعرضت لها ، وأن المفكرين المسلمين قدموا للعالم كله ،

---

(١) إذن لم يكن ذلك عن عقلية تعيش فى الأوهام وإنما عقلية تعرض نواحى الاعلام .

(٢) وريئان مع تنمان وكوزان ، وغيرهم معترفون به ، وشهاداتهم من الأدلة عليهم ، وبناء عليه ، فالمسألة لصالح المسلمين لا لصالح المستشرقين ، فهم قد سخروا أنفسهم لبيان فضل العرب والمسلمين من غير أن يقصدوا اليه

أوجه الجدة والوان الابتكار ، مع الظرافة فى المعالجة للقضايا التى تعرضوا لها ، كما ابتدعوا مناهج للبحث العلمى كانوا فيها القادة ، كما كانت لهم فيها الريادة[1] ، وأنهم فوق ذلك كله قد أصلحوا الأخطاء الفنية التى وقع فيها مفكرو اليونان وغيرهم قديما ،والغرب حديثا ، كما أنهم قدموا للبشرية خدمات علمية فيها التسامح العقلى ، والتسامح الدينى الأخلاقى بل والاقتصادى والثقافى[2] ، وأنهم كانوا فى ذلك كله منطلقين من الأصالة الإسلامية والعربية أيضا .

❁ **وأقرر أيضا :** القاعدة المشهورة فى الترجيح ، من أنه إذا تعارضت الأدلة تساقطت ، وأننا إذا طبقناها على كل مزاعم المستشرقين رأيناها بعضها يضرب الأخر حتى يوجعه إيلاما ، ويسقطه إسقاطا ، فالزعم الأول القائم على اعتبار أن وجود القرآن الكريم وتمسك العرب المسلمين به سبب تخلفهم هو نفسه ، ويؤكد تميزهم فيه ، بدليل هذا الالتزام القائم منهم على المحافظة الدائمة له[3] ، وعدم التهاون أو التفريط فيه .

وهو فى نفس الوقت يضرب زعمهم بأن القومية العربية فيها ميل للتأثر بالأوهام ، فمن اين يصدق العقل قدرتهم على التمسك بالنصوص الدينية ، وفى نفس الوقت تكون طبيعتهم التمسك بالأوهام[4] ، أن أى

---

(١) راجع كتابنا – أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ، وكذلك كتابنا خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة .

(٢) راجع مقالات فى أصالة المفكر المسلم للدكتورة فوقية حسين محمود ، ونشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام للدكتور على سامى النشار والتفكير الفلسفى الإسلامى للدكتور سليمان دنيا .

(٣) أعنى أنه ما دام المسلمون قد تمسكوا بالنصوص فلا يمكن وصفهم بأنهم يميلون إلى الأوهام لأن النصوص الدينية لا يمكن اعتبارها أوهاما أبدا .

(٤) وذلك يدخل فى إطار الجميع بين المتناقضين ، وهو محال عقلا ، وبالتالى فالمستشرقون يعتمدون على المحالات العقلية ، مما يجعل العقلاء لا يلتفتون إليهم أبدا .

عاقل يدرك سقوط متعصبى الغرب ، وعدم فطانتهم ومن ينقل عنهم ، بل ويؤكد جهلهم – حتى فى مزاعمهم – بالقواعد المنهجية المعمول بها فى مجالات البحث العلمى وانهم فى كل الحالات كانوا ينطلقون من التعصب البغيض والعداوات القائمة .

قس على ذلك كل المزاعم التى ذكروها ، أو تعرضوا لها ، ومن ذلك نستطيع القول بأن رينان نفسه قد أعترف بوجود فكر إسلامى ، وفلسفة عربية وإسلامية ، لها سماتها الخاصة بها ، ومميزاتها التى انفردت فيها عن غيرها ، مما جعل ريتر Ritter يصرح بأن الإسلام فلسفة من الممكن وبالتأكيد أن تسمى فلسفة إسلامية[1] ، وسواء نطق بها تنمان أو رينان وكوزان وغيرهم ، أم لم ينطقوا ، فان الواقع يشهد بما لدى المفكرين المسلمين من أصالة فكرية ، واستقلال عن كل من سواهم ، وبهذا ننتهى فى الحديث عن مزاعم المستشرقين المتعصبين الذين يرفضون أن تكون هناك أفكار إسلامية مستقلة عن غيرها من الفلسفات الأخرى ، ويؤكد وجود فلسفة إسلامية لها الاستقلال والتميز عن كل ما سواها من فلسفات أخرى[2] .

❁ **من هنا نستطيع القول بأن :** هناك حكمة وفلسفة إسلامية أصيلة من حيث الاسم ، كما أن هناك حكمة أو فلسفة إسلامية خالصة من حيث الموضوعات التى تعنى بها ، وهى حكمة أو فلسفة إسلامية متميزة باعتبار الاتجاهات والأصول الإسلامية التى تنطلق منها ، ثم هى فوق

---

(١) الدكتورة سهير فضل الله ابو واقية – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص١٥٨ .

(٢) وهو الأمر الذى نؤكد عليه ونراه الذى تدعمه الأدلة المقبولة ، أما أقمام الكندى والفارابى وابن سينا أو غيرهم بالمشائية فذلك حكم المتسرع .

ذلك كله فكر عقلى حر قائم على المنهج الإسلامى ، فى مجال إثبات الإلهيات والنبوات ، وتفهم السمعيات[١] .

كما أنها فكر إسلامى خالص فى مباحث الوجود والمعرفة والقيم[٢] ، ولا يمكن تسميتها الا بذات الأسماء والاطلاقات التى عرفت عند أصحابها بها ، وعولجت من خلالهم ، على سبيل المصادر الإسلامية التى استقروا عندها ، واود أن تكون شبهات المنكرين قد انقضت وأن تكون أذيالهم قد انقطعت ، وان يكون المفكرون لهم قد أفاقوا من غفلتهم ، وإلا فالعاقبة الخسران وسوف يلحق بهم ، أما الإسلام فسيظل عالميا باقيا ترفرف راياته على كل مكان يحتمى فيه المفكرون المسلمون ان شاء الله تعالى ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) وفى هذا رد واضح على المنكرين للفكر الإسلامى المستقل ، لأن اليونان لم يعرفوا تلك المباحث من إلهيات ونبوات وسمعيات .

(٢) والسؤال الآن : هل المنكرون وجود فكر إسلامى مستقل قدموا كشف حساب بما أنتجه العقل اليونانى ، وما أنتجه الفكر الإسلامى على سبيل الحصر فى المعنى والمبنى حتى يقولوا إن الفكر الإسلامى غير موجود ، أو يزعموا أنه وليد الفكر الغير إسلامى ، ان ذلك لم يحدث منهم وبالتالى فهم كاذبون فى كل مزاعمهم .

الثاني : مذهب القائلين بها وجودا ، وتعريفا ، وأصالة

عرضنا لبعض آراء المتعصبين من المستشرقين ممن ينفقون وجود فكر إسلامي مستقل ، كما ذكرنا الشبهات والمزاعم التي انطلقت منهم ، ورأينا فساد تلك المزاعم على النواحي التي وفقنا الله تعالى اليها وبيان فسادها ، حتى انتهى الأمر معنا إلى إثبات وجود فكر إسلامي مستقل في كافة النواحي الإبداعية ، وانه عند المقارنة بالفلسفات الأخرى يتميز عليها ويغلبها بالأصالة والابتكار والاستقلال[1] ، وذلك يجعله يسبقها جميعا في وصفه بأنه فلسفة مستقلة على جهة الإسلام أو أنه الحكمة الإسلامية .

كذلك تناولنا وجهة نظر القائلين بوجود فكر فلسفي إسلامي خالص ، ولكنهم يختلفون في التسمية التي يمكن إطلاقها على هذا النوع من التفكير العقلي المتميز ، وأنتهينا إلى أن وجود العديد من التسميات ليس دلالة على الوجود الفعلي لذلك الفكر الإبداعي الفلسفي المستقل فحسب ، ولكنه اعتراف واضح صريح بأن هذا الفكر الإسلامي متميز على غيره ، وكذلك أبنا عن التسمية التي نراها أوفى بالمقصود[2] ، كما ألمحنا إلى بعض التعريفات التي يغلب عندنا عدم كفاءتها في الاستقلال بالتسمية .

وها نحن نعرض لرأى أصحاب القول بالوجود والأصالة للفلسفة الإسلامية ، وبيان تلك النواحي والدوافع التي أدت إلى قبولها والقول بها ، ومرجحات تغلبها على غيرها .

---

(١) راجع في هذا الكتاب ما ذكرناه حول مزاعم المنكرين ومناقشتها .

(٢) راجع تسميات الفلسفة الإسلامية في هذا الكتاب ومناقشاتنا لها هناك وترجيحنا أنها الحكمة الإسلامية .

أولا : وجودها وتعريفها

يذهب أصحاب ذلك الرأى إلى أن الحكمة أو الفلسفة الإسلامية موجودة فعلا فى تعريفها وموضوعاتها ، كما هى موجودة فى الاسم الذى تتميز به[١] ، وأية ذلك أن المباحث التى تتناولها الحكمة الإسلامية تبدأ بالإلهيات ، وعلاقة العالم بالله تعالى ، على النحو الذى لم يكن معروفا عند غيرهم ، بل لم يكن له وجود أصلا فى الفكر اليونانى ، أو اليهودى ، فضلا عن أن يكون له أى مظهر أخر فى المسيحية[٢] ، وبالتالى فان الوجود الطبيعى للفلسفة الإسلامية تفرضه الموضوعات البحثية ذاتها كموضوعات معرفية قائمة على قواعد شرعية وأصول من النقل المنزل نفسه فى القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف .

ومن هذه الناحية فقد فرض الفلاسفة الإسلاميون أنفسهم على تاريخ الفكر الفلسفى الإنسانى ، فلم يقو أحد على أن يثبت فى ادعائه ضد هؤلاء بأنهم نقلوا عن اليونان ، إذ لم يقو على الإتيان ببرهان يؤكد دعواه تلك[٣] ، بل العكس من ذلك تماما ، فان الفكر الفلسفى الإسلامى تميز عن كل الأفكار الأخرى بوجوده الحقيقى ، واستقلاله الذاتى فى كل النواحى التى تعرض لها .

غير ان ذلك لا يمنع من استفادة الحكمة الإسلامية بعض المفردات والأفكار التى يراها المفكر المسلم مقبولة حتى لو كانت وافدة من غير البيئة

---

(١) الأستاذ أبو العلا محمد – الفلسفة الإسلامية ص٧ ط دار منير ١٩٧١م .

(٢) الدكتور عادل كرم – دراسات فى الفكر الفلسفى ص٩٧ ط الأولى ١٩٦٩م .

(٣) الدكتور عبدالمعطى محمد بيومى – الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب جـ١ ص١٢٨ ط الأولى ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م – دار الطباعة المحمدية .

الإسلامية ، وبالتالى فهو يضرب فى تراث القدماء بنظرة موضوعية ، محتكما إلى مبادئ الشرع ومنطق العقل ، الذى يعلن أنه لا قداسة لشيء غير نصوص الدين الإسلامى ، ولا عصمة لبشر غير الأنبياء ، ويدخل فى ذات القاعدة الفكر الوافد ، فما كان متفقا منه مع ظروف البيئة الإسلامية ، طبقا للنصوص الشرعية ، ويحقق بعض آمال أمتنا الإسلامية ، فان الأخذ به يكون مسألة شرعية[1] .

ولم يخرج مفكرو المسلمين على هذه القاعدة من تحكيم الشرع فى كل ما يعرض لهم ، وإنما التزموا بها إلى أبعد مدى ، فكان تعريفهم للحكمة الإسلامية قائما على نفس المفاهيم ، من أنها معرفة الله تعالى ، وعلاقته بالعالم المشاهد والغائب ، من خلال ما شرع الله تعالى ، وفى حدود ذات النصوص الإسلامية ،وقد تعرضنا لذلك فيما سلف ذكره .

إذن الحكمة الإسلامية موجودة فى الواقع الفعلى المعاش ، كما هى موجودة فى الفكر المتعقل نفسه ، وفى ذات الوقت فان تعريفها وموضوعاتها تجرى على ألسنة المختصين اعترافا بها ، وإقرارا لها ، وتأكيدا عليها ، وذلك يدفعنا إلى ذكر بعض الآراء التى انطلقت فى موضوعية معبرة عن أصالة الفكر الإسلامى مع وجوده واستقلاله ، سواء قصد بها أصحابها إنصاف الفكر الإسلامى وبيان استقلاله عن غيره ، أم يسر الله فجرت الألفاظ منهم كشهادات موثقة لصالح المفكرين المسلمين ، وأن لم يقصدوه بذلك .

---

(١) الأستاذ أشرف عبدالسميع - دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص٧٥ .

ثانيا: موضوعاتها

[١] **يذهب ارنست رينان إلي أن العرب المسلمين اتخذوا من تفسير أرسطو وسيلة لإنشاء فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة ، المخالفة جد المخالفة لما كان يدرس عند اليونان**[1] ،

فكان الفكر اليوناني عند المسلمين مجرد وسيلة يتوصل بها إلى إنشاء فلسفة إسلامية ضخمة مستقلة ، لها أصالتها فى كل ما تعرضت له من مباحث وقضايا ، كما صار وجودها حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها .

ورغم أن رينان من متعصبي المستشرقين الذين يحاربون الدين الإسلامي والفكر المنتسب اليه ، وينكرون أى وجود له ، ويعتبرون الفلسفة الإسلامية مجرد تقليد للفكر اليوناني ، واقتباس حرفى منه ، الا أن الله تعالى جعل العبارات تنفلت منه رغما عنه فتجرى فى بعض مفرداته مؤكدة وجود فكرى فلسفى إسلامى مستقل ، وهو الحكمة الإسلامية التى نعنى بها معرفة الله تعالى والعوالم التى خلقها الله تعالى وأخبر عنها فى الشرع الشريف ، وبالتالى فالحكمة الإسلامية فكر يتميز بالسيادة الملوكية ومن ثم فإنه أتخذ الفكر اليوناني وسيلة خدمية ، كما نتخذ نحن مواصلاتنا كوسيلة لأغراضنا المنوطة بها ، وأقلامنا وسيلة للتعبير الكتابى عن آرائنا ، والأوراق التى ندون عليها وسيلة لتصوير ما يجرى فى أفهامنا ،وليست الوسيلة كالغاية أبدا ، وليست الحكمة الإسلامية هى الفلسفة اليونانية على الإطلاق .

---

(١) أرنست رينان - ابن رشد ومذهبه ص١١ نقلا عن الفكر الإسلامي يرد على المستشرقين ص١٥٥ ، وربما ترجم إلى ابن رشد والرشديون - راجع نظرية المعرفة عند ابن رشد للدكتور محمد قاسم ص٢٠ - الطبعة الثانية - مكتبة الأنجلوا المصرية .

فلمـا انفلـت منـه اللفـظ ، ورأى أنـه قـد اعـترف بوجـود الفلسـفة الإسلامية واستقلالها راح يطويها فى مفهوم ضيق ، ويحصرها فى نمط فكرى واحد من الأنماط التى تجرى فى أفهام المفكرين المسلمين فأعلن أن الحركة الفلسفية الحقيقية فى الإسلام ينبغى أن تلتمس فى مذاهب المتكلمين وحدهم[١] ، وهو بهذا يعترف أيضا بوجود الفلسفة الإسلامية ، ويستعمل مفرداته ناطقة بها ، حتى قيل " لقد كان رينان أول من استعمل فى الغرب كلمة فلسفة إسلامية[٢] " دالة على أبحاث بعينها ، لها استقلال فى ذاتها وتمايز عن غيرها .

❁ **وفى تقديرى** : أن رينان تسقط آراؤه حول الحكم على الفكر الإسلامى ، وأن قبلت فإنها لا تكون إلا فى مجال التأكيد عليه وجودا ، باعتبار أنها شهادة حق اعترف بها العدو المتعصب البغيض . أما لماذا ؟

فلأن رينان لم يعرف الفكر الإسلامى من خلال نصوصه هو ، وإنما اعتمد فى أحكامه عن ابن رشد فيلسوف قرطبة على مصادر غير أصيلة أو موثقة ، لأنها لم تزد عن كونها " تراجم همجية أعتمد عليها ، وهى تتناقض مع النصوص الموثوق بها[٣] ، ومن كان ذلك شأنه فمن الخطأ الاعتماد على أحكامه ، وبخاصة إذا تعلقت بجانب التقييم للفكر الإسلامى ، والحكم عليه فى جانب الإلغاء .

---

(١) المصدر السابق ص٨٩ ط المكتب المصرى بالقاهرة .

(٢) الإمام الشيخ الدكتور مصطفى عبدالرازق - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص١٢ .

(٣) الدكتور محمود قاسم - نظرية المعرفة عند ابن رشد وتاويلها لدى توماس الأكوينى ص٢٠ الطبعة الثالثة - الأنجلو المصرية .

ونفس الشهادة تقدم بها المستشرقون "ديبور" حيث يقرر أنه كان في الإسلام رجال كثيرون لم يستطيعوا أن يردوا أنفسهم من التفلسف ، وأن اتشحوا برداء اليونان ، فانه لا يخفى ملامحهم الخاصة[١] ، التى تدل على عبقرية خالصة ، وتصورات مستقلة ، وحلول قائمة للمشكلات التى يمكن أن تطرأ ، وهو نفس المزلق الذى اندفع فيه رينان ، فأعطى شهادة وثائقية بوجود الفلسفة الإسلامية ، وان لم يكن ذلك من مقاصده أبدا .

[٢] **ذهب ريتر** Ritter **إلى أن الإسلام تميز بوجود فلسفته الخاصة به ، وهى لم تؤخذ عن ثقافات غير الثقافة الإسلامية** ، التى كان لها عمق فى قلوبهم ، وهيمنة على أفكارهم ، وحب يحرك عقولهم ، وهى بهذا لا يمكن أن تسمى بغير الفلسفة الإسلامية ، وفى نفس الوقت فلا علاقة لها بالفلسفات الأخرى الا فى التشابه الاسمى ، أو الاشتراك فى مجرد استخدام بعض الألفاظ كوسائل تعبيرية عن المفاهيم الإسلامية ، وقد اتخذ بعضها المسلمون دلالة على تمكنهم من فكر غيرهم فقط لا تقليدا لهم فيه[٢] ، ونحن نذهب إلى مثل ذلك الرأى فى هذه الناحية على وجه الخصوص .

[٣] **يقرر ديتاى** Detie **أن الغرب المسيحى مدين للعقلية العربية الإسلامية فى الكثير من المعارف** ومنها التى جاءت فى توسيع نطاق الجبر اليونانى ، والى هذه العقلية يرجع الفضل فى نشأة العلم الطبيعى الحديث ، الذى توسع فيه المسلمون كثيرا عما كان فى مدينة الإسكندرية ، كما قدموا العديد من المستحضرات الكيماوية ، وتقدموا فى الرياضة على سبيل التطبيق العملى فى مجالات التقدير الكمى[٣] ، وبهذا يثبت تمايز الفلسفة الإسلامية فى

---

(١) ديبور – تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٣٥ – ترجمة الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريده

(٢) الدكتورة فاطمة عبدالحليم أنور – الفلسفة الإسلامية عند المستشرقين ص٧٣ .

(٣) الدكتور محمد البهى – الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص١٤ ، ١٥ بتصرف فى العبارة .

موضوعاتها أيضا ، وأنها ليست مقلدة لتراث الآخرين من اليونان أو غيرهم .

[٤] **يذهب المستشرق بريفولت إلى أن الغرب كله مدين بعلمه وحضارته للعرب الإسلام ،** ليس فيما قدموه من كشوف علمية مدهشة لنظريات مبتكرة فحسب ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ، انه مدين لها بوجوده نفسه[١] ، فلولا حضارة العرب التى اكتسبوها من الإسلام ما كانت هناك حضارة فى العالم الغربى ، فبناء الحضارة العربية قائم على النصوص الإسلامية ، التى هى الإسلام بالمعنى الذى نؤكده على الناحية الشرعية ، وبهذا يثبت أن الفلسفة الإسلامية أصيلة فى تعريفها وموضوعاتها والغاية منها ، وأن الفكر الإسلامى لم يغلق نوافذ الثقافة الإنسانية عطاء وتصديرا أو أخذا واستيرادا ، لكن فى الحدود المسموح بها شرعا ، ومن غير تقديس للفكر الوافد ، وإنما النظر بعين فاحصة تفرق بين ما يمكن قبوله ، وبين ما يجب رفضه .

بدليل ان موقف مفكرى الإسلام من الحكم على التراث الأجنبى قد تناوبته مراحل واتجاهات متباينة ، فمنهم من ذهب إلى تحريم الاشتغال به ، أو الاكتساب منه ، فضلا عن تدريسه ، وصدرت عنهم فتاوى بشأنه امتدت إلى كافة العلوم العقلية يستوى فى ذلك المنطق أو الفلسفة[٢] ، لأنهم رأوا فى الاقتراب منه مضرة ، وهى وان لم تكن مؤكدة ، فان دفعها يكون

---

(١) المفكر الإسلامى العلامة - محمد إقبال - تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ص١٥٠ .

(٢) راجع الرد على المنطقيين ، صون المنطق والكلام ، والجواب الصحيح - حاشية ابن عرفة ، وكثير غيرهم ممن سلكوا هذا المسلك ، وما تزال تجرى فى أفهام الآخرين ممن يميلون إلى ذلك الاتجاه .

أمرا واجبا عندهم من باب سد الذرائع ، ودفع المضار مقدم فى الشريعة الإسلامية على جلب المنافع[١] ، وهى قواعد أصولية عندهم .

وهم قد اكتفوا بتعاليم الدين الإسلامى عن غيرها ، كما قد سلكوا مسالكهم العقلية فى حدود تعاليه ، واصطنعوا مناهج لهم مقتبسه من النصوص الدينية ذاتها حسب القدرات التى أمدهم الله تعالى بها ، ومكنهم منها[٢] ، فهم حكماء من أهل الإسلام ، وعلى طريقة الإسلام من تلك الناحية ، سواء اشتغل الواحد منهم بالفقه والأصول ، أو التفسير وعلم الكلام ، أو عنى بالمنطق والأصول ، أو الحديث الشريف ، وهم فلاسفة وحكماء مسلمون ، وفكرهم مستقل تماما عن غيرهم ، وبالتالى فالفلسفة الإسلامية موجودة فى نتاج هؤلاء ولها أصالتها بجانب الاستقلال أيضا وأبحاثهم دالة عليهم .

❁ **بينما ذهب آخرون :** إلى وجوب الأخذ بالثقافات الوافدة فى المسائل التى لا تعلق لها بقضايا العقيدة الإسلامية – الإلهيات – والنبوات ، والسمعيات – على جهة الإثبات لها مع جواز الأخذ به واستعماله على الناحية التى يمكن استخدامه عليها فى حدود تعاليم الشرع الإسلامى ، أما إذا كان فاسدا فانه يهمل ويهجر[٣] ، وهم أهل الإثبات للفلسفة

---

(١) راجع فى هذا الشأن – الأحكام فى أصول الأحكام ، أصول التشريع الإسلامى ، المنهاج ، نهاية السول المستصفى ، وغيرها من كتب أصول الفقه التى عنيت بوضع القواعد الأصولية مع تقديم أوجه المناقشات لها عرضا وتقريرا ، وبناء ودفاعا .

(٢) هناك العديد من الفتاوى فى هذا الشأن للإمام ابن الصلاح ، والامام النواوى – راجع حاشية العلامة الباجورى على شرح السلم ، وحاشيته على الجوهرة ، وكتابنا : المدخل التام لعلم الكلام .

(٣) راجع فى هذا الشأن – فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، الكشف عن مناهج الأدلة للإمام الفقيه المالكى الفيلسوف ابن رشد الوليد .

الإسلامية وأغلبهم كان من القائمين عليها ، ممن يعتبون بها ويبذلون جهودهم فى تناول قضاياها .

❁ **بيد أنه وقف فريق ثالث بين الاثنين** – فريقى التحريم والوجوب – موقفا أكثر تسامحا واعتدالا ، أنبنى موقفهم على النظر فى الثقافات الوافدة بعين فاحصة ، وعقل يرجح بين ما يمكن قبوله وشرحه والتعليق عليه وبين ما لا يمكن ذلك معه ، وسواء استفاد به هو أو لم تقع له فى بيئته استفادة به ، المهم أنه بقدم خدمة للإنسانية – من وجهة نظره – فى القيام بالشرح والتعليق ، وتوضيح الغوامض من غير التفات إلى الحكم عليها من الناحية الشرعية ، لأنه يشرح لأصحابها ما قاله أقدموهم فقط .

كما نفعل نحن فى العديد من ألوان الفكر الوافد على سبيل التحقيق والشرح مع التعليق ، وكذلك القصص والأخبار التى نقلت إلينا عن اليونان أو الهنود أو غيرهم[١] ، وكما نفعل فى قضايا الترجمة المتعلقة ببعض الروايات الأدبية ، كروايات شكسبير ، وموليير ، وأدباء الرومانسية فى الغرب[٢] ، والأناشيد الشعرية التى أنشأها أصحابها – كمعبر عن وجهة نظرهم – فى بعض نواحى الحياة التى يعيشونها[٣] ، والبيئات التى تحكمهم .

---

(١) كالحال مع الإلياذة للشاعر هو الإغريقى هو ميروس ، والالياذة للشاعر هيزيور، وكلاهما من شعراء بلادهم فى اليونان .

(٢) راجع للأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه كتابه ، وميض الأدب بين غيوم السياسة ، وهو أحد المشاهير فى القرن الماضى ، ولى الوزارات المختلفة ، كما تولى رئاسة الوزارة بالإنابة ، وهو والد الأستاذ / محمد ثروت أباظه الأديب المشهور ، وكيل مجلس الشورى ، والأستاذ الدكتور محمد شامل أباظه السياسى والاقتصادى المعروف ولد ١٨٩٨م ،وتوفى ١٩٥٤م بغزالة الخيس – مركز الزقازيق – شرقية .

(٣) كما فعل دانتى البيجيرى فى أثره الشعرى : الكوميديا الإلهية بأجزائه الثلاثة المطهر – الفردوس – الجحيم .

ولاشك أن الشراح في تلك الحالات إنما يشرحون النصوص التى ينقلونها ، ويضيفون اليها من نتاج خبراتهم وخلاصة تأملاتهم[١] ، فهم بالتالى يثبتون لأنفسهم الأصالة والاستقلال ، مع انهم فى ذات الواقع يشرحون ويعلقون لفكر غيرهم ، وبذلك تحقق الفائدة ، وهى الاعتراف بوجود فكر فلسفى الإسلامى إسلامى متميز ينسب لأصحابه القائمين عليه .

وينتهى بهم الأمر حتما إلى الإقرار بأن وجود لفظ فلسفة فى التراث الإسلامى – إذا استخدم – فانه يطلق على مجموع العلوم والمعارف الإنسانية ، من طب وهندسة وكيمياء ، بجانب الطبيعة والتنجيم ، وكانت الفلسفة الإسلامية ذات دلالة واقعية لذلك استوعبت مقتضيات التطور العلمى الذى ظهر فى مجال العلوم الجزئية ، فلم تنفصل هذه العلوم عنها ، وبقيت شجرة المعارف بين العلم والفلسفة فى الفكر الإسلامى مترابطة بفضل المنطلق الواقعى الذى وقفه المفكر المسلم ، فى الوقت الذى تجد فيه أن العلوم عند أهل الغرب قد انسلخت عن أمها الفلسفة ، فحدثت الفجوة عندهم بين الفلسفة والعلم[٢] وهذا ما يجعل الفكر الفلسفى الإسلامى متميزا عن غيره أيضا .

ثالثا : أصالتها

❁ **فى تقديرى :** أن مفكرى المسلمين قد أثبتوا وجود فكر فلسفى إسلامى متميز ، سواء فى المؤلفات التى أنشأوها لهذا الغرض ، أو الأخرى التى

(١) الدكتورة سهير فضل الله – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص١٦٦ .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص١٠ بتصرف .

جاءت شرحا وتعليقا ، أو ترجمة وتحقيقا للفكر الوافد ، كما أثبتوا وجود مفكرين مسلمين لهم أصالتهم الفكرية ، وليسوا أدمغة فارغة ، أو رءوسا معبأة بتراب الآخرين ، بالإضافة إلى أن مفكرى المسلمين لهم موضوعاتهم التى يعالجونها ، بعضها وليد المشكلات البيئية التى يعيشونها ، وبعضها الآخر ناشئ عن الصراع الحاد الذى ابتدأه المنتسبون للديانات بغرض مقاومة الفتح الإسلامى ، ومحاولة الإجهاض على تقدمه المستمر ، وغزوه للقلوب بسرعة مذهلة مع قناعة تفوق كافة التوقعات .

وفى نفس الوقت فانى أرى تأثر المسلمين بغيرهم – وبخاصة اليونان – فى القضايا المادية ، ، لم يكن الا نوعا من استرداد للثقافة التى نهلها اليونان من الشرق قديما حين كان فيثاغورس ، وبطليموس ، وغيرهما من مفكرى اليونان يوفدون فى مهمات علمية للشرق ، وبخاصة مصر للتعرف على ثقافتهم فى نواحيها المادية وغيرها ، حيث لم يقتصر مهمتهم على مجرد نقل الثقافة وإنما التنفيذ العملى لمتطلباتها والاستفادة منها ، حتى تخرجوا فى مدارسها ، ثم نقلوا علوم الشرق إلى بلادهم التى ازدهرت به .

فإذا حاول مفكر مسلم استرداد بعض معالم ثقافته التى انتزعها اليونان من أجداده ، فان ذلك لا يعتبر تقليدا أو محاكاة ، بقدر ما هو استرداد للحق الذى سلبه هؤلاء ، وقد استرد بعضه الأبناء[1] ، ومع ذلك فالمسلمون قد فهموا كيف يحتفظون بطابع الأصالة والابتكار فى فهمهم وتصورهم لتعاليمهم ، ذلك الطابع الذى جعل لكتبهم ورسائلهم جدة خاصة ، واستقلالا تاما[2] من الصعب جدا أن تقع المشابهة بينه وبين أى تراث أخر .

---

(١) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص١٩٧ .

(٢) الدكتور محمد البهى – الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص١٥ .

❁ **أضف إلى ما سبق عدم ثبوت إرسال المسلمين** – فى الماضى – بعثات علمية إلى اليونان أو غيرها للأخذ من علومهم ومعارفهم ، وإنما كانت ثقافات الآخرين هى التى تحاول القفز فوق أسوار الفكر الإسلامى ، وغزو أصحابه فى ديارهم[١] ، وكان لذلك أثره السلبى على المفكرين المسلمين الذين اعتبروا أن ذلك الغزو نوعا من العدوان الثقافى ، فلم يحفلوا به أخذا ، وإنما واجهوه مقاومة له ، وإصدار الفتاوى التى تحرمه وتصرف الناس عنه ، مع الاستغناء عنه بالأصول الثابتة التى هى جاء بها الشرع الشريف ، وأمكن لهم التعرف عليها من خلال النصوص المنزلة نفسها ، والتى صارت لهم بها مفاهيم إسلامية خالصة فى أمور الحياة[٢] وما يتعلق بالميتافيزيقا التاملية والنقدية أيضا .

كما أن عمليات نقل الفكر اليونانى وغيره إلى البيئة الإسلامية ، لم يقم بها أطفال لا يعرفون صحيحها من باطلها ، وانما قام بها من بلغوا مراتب متقدمة فى المعارف الإنسانية ، ولم يستقبلها أو يشجع عليها أطفال حتى يقال أنهم تأثروا بها ، وكونوا فلسفة يونانية تحت مسمى إسلامى ، وإنما الذى شجع على الترجمة – فيما بعد – هم بعض أمراء المسلمين الذين تميزوا بالعلم والحكمة وسعة الأفق بجانب التمتع بالتفقه فى الدين ، حتى أن بعضهم كان إماما للمسلمين ، ومن كان هذا شأنه فلن يغامر بمستقبله الدينى أو السياسى والاجتماعى حتى ينكب على التراث اليونانى ترجمة وابتلاعا ، وإنما سينظر اليه بعقل الفاحص المتدبر المثقف الواعى المسلم

(١) ذلك ما ثبت عندنا من خلال المراجعات الفكرية والنصوص التى أمكننا الوقوف عليها ، راجع كتابنا – قضايا حبيسه فى الفلسفة الحديثة ص١٥٣ وما بعدها ، وكذلك كتابنا – خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص٥٣ .

(٢) الأستاذ / على إبراهيم الديدمونى – مميزات الفكر الإسلامى ص١٢٧ ط أولى ١٩٥٢ .

الذى يملك زمام المبادرة ، ويتمتع بقدر عال من الحكمة مع الحصافة بجانب العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة[١] ، والقيم الأخلاقية الرفيعة .

إذن الأسس والقواعد التى قام عليها " الفكر الإسلامى تختلف عمقا وجذورا عن الأسس التى قام عليها الفكر اليونانى ، بل والفلسفة اليونانية[٢] " ، وكذلك المفكر المسلم القوى لا يخاف ولا يتردد فى الاطلاع على ثقافات غيره والتعرف عليها مع الأخذ بثمينها ، ودحض غثها الذى لا يتفق مع عقيدته ولا يستقيم مع إيمانه[٣] ، وذلك يثبت وجوده حكيما مسلما كما يثبت وجود فكره الإسلامى ، على أنه حكمة إسلامية خالصة ، تنسب إلى معتنقى الإسلام الدين الحنيف ، وتقوم على نصوصه ويعتنى بها المؤمنون به .

وعلى فرض أن الثقافة الإسلامية قد نفذت اليها تيارات فكرية مختلفة اجتمعت فيها وتفاعلت معها ، إلا أن الثقافة الإسلامية قد أنبتت نبتا جديدا طيبا لا هو باليونانى ، ولا هو بالفارسى ، ولا هو بالهندى ، إنما هو نبات عربى إسلامى له طابعه الخاص الذى لا يقلل من شأنه أنه قد يسير فى تيار الفكر اليونانى أو الفارسى أو الهندى بعض الوقت أو يتناول بعض المفردات ، لأن الفلاسفة الإسلاميين يخالفون اليونان – مثلا – فى المفاهيم والأدلة والغاية[٤] بجانب الموضوعات وطرق المعالجة أيضا .

---

(١) وصاحب تلك العقلية هو حكيم مسلم ، فثبت به وجود فلسفة إسلامية ، كما ثبت وجود مفكرين مسلمين ، هم الحكماء على لغة الشرع .كما يغلب على ظنى .

(٢) الدكتورة سهير ابو واقيه – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص١٧٥ .

(٣) المصدر السابق ص١٧٧ .

(٤) الدكتور محمد عبدالرحمن رحب – من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ص٣٥٢ نقلا عن الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب جـ١ ص٢٦ .

◈ كما أن الحكيم المسلم بمثابة رأس الميزان التى تعدل بين الموزون ، والموزون به ، وذلك يمثل اعترافا بوجوده وأصالته مع الاستقلال عن غيره ، وعدم تبعيته لشيء من ذلك أبدا بجانب الشواهد التى سبقت فى هذا الشأن ، أما كيف ذلك ؟

✍ فالجواب : أن أهل الإسلام فى نظرتهم للفكر الوافد والتعامل معه ، قد اختلفوا فى الحكم عليه إلى الحد الذى وصل مرحلة الصراع ، وصار كل منهم يحاول الحاق الهزيمة بالأخر دون اعتبار لشيء أخر ، وانحصر المختلفون فى فريقين .

❁ **الأول : عاشق للفكر المقلب** ، مأخوذ من قلبه اليه ، مربوط بأعماقه عليه ، منبهر بشموخ المكان الذى برز فيه ، مرددا فى هوس لا هوادة معه سيروا اسيرهم ، وكونوا مثلهم حذو الفعل بالفعل والأصل بالفرع ، لقد ملكوا الدنيا فسيروا خلفهم حتى تملكوها مثلهم ، إذ الحكمة قاضية بأن كل من سار على الدرب وصل[1] ، ومن تخلى عن طريق التقدم انفصل ، وذلك الفريق يحيط به العديد من الأنظار ، وتكمن فى أفكاره الأخطار .

❁ **الثانى : قابع فى أحضان الماضى** ، مأخوذ بنظمه ما بين يديه من تراق ، فينجى لجلال الزمان فى مهابة وتقدير ، يهتف بكل ما يملك فى استغراق وذهول ، هذا ما تركه الأجداد للآباء فلا يفرط فيه الأبناء ، وينتفى بين الحين والآخر ، بما جاشت به مشاعر فياضة :

أمسيت فى الماضى أعيشى كأنما ∴ قطع الزمان طريق أمسى عن غدى[2]

وإذا كان ولاء الفريق الأول لأعماق الزمان ، قد قضى على رغبتهم فى البحث والتأمل ، وجعلهم يحفرون فى أعماق الماضى عليهم اليه

(١) حكمة عربية تتردد فى المصادر – راجع كتابنا حكم وأمثال ص٤٣ .

(٢) رباعيات الخيام – ترجمة الأستاذ الشيخ الصاوى شعلان ص٨٧ ط أولى .

يبلغون ، فان انبهار الفريق الثانى لأقصى المكان جعلهم به وحده يهتمون ، دون التفات لمصالح أمتهم ، والظروف التى تحيط بهم ، والأخطار التى تقف حائلا أمام تقدمها ونهضتها ، وقد ظل كل منهما يصارع الأخر حول الحكم فى استقبال وافد يخطف الأبصار بريقه ، وقديم راقد يشد القلوب لذكراه[١] ، وكل منهما كان له تأثيره السلبى على الحياة العامة والفكر الإسلامى نفسه بصفة خاصة .

أما المفكر المسلم الحكيم القائم على شرع الله فانه نظر إلى مبادئ الشرع ، وفى نفس الوقت لم يهمل منطق العقل ، فوجدهما يلتقيان ولا يتنازعان ، تتعاملان ولا يتدابران ، فاخذ بكل منهما مقدما المفاهيم الشرعية على المنتجات العقلية ، واضعا فى اعتباره أن الحياة مهما طالت فهى قصيرة ، والآخرة مهما بعدت فهى قريبة ، والعوارض مهما علت فهى زائلة ، وان الباقى هو الله تعالى[٢] ، والفضل منه وحده .

وما دام الأمر كذلك فلن يغامر بالنقل المنزل حتى يجعله تحت سلطان العقل ، كما لم يهمل العقل فيجعله فاقد القيمة ، وإنما أعمله فى تفهم نصوص النقل المنزل موائما بينهما ، وان كانت الغلبة فى النهاية للنقل المنزل الصحيح على غيره[٣] ، مهما كانت قسوة الأنات الحائرة .

من ثم فان منكرى وجود فكر فلسفى إسلامى خالص ليس لديهم الا مزاعم تطل من رؤسهم وتصرخ فى أعماقهم وكأنى أسمعها تردد :

---

(١) الدكتور رفقى زاهر – محاضرات فى الفلسفة المغربية ص٥٢ .

(٢) كان الشيخ ابن سينا يتمثل ذلك بوضوح بدليل أنه كان يراجع القرآن الكريم من صدره فى كل يوم ثلثا ، وفى الأيام الثلاثة من عمره كان يراجعه كله ، وظل على ذلك – وبخاصة فى أيامه الأخيرة ، حتى لقى ربه ، ودفن بأسفل محراب مسجد – راجع كتابنا : أوراق منسية فى النصوص الفلسفية .

(٣) وبالتالى فهو حكيم فيلسوف له قواعد يقوم عليها ، وأصول ينطلق منها .

أكــاد أشــك فــى نفســى لأنــى ∴ أشــك فيــك وأنــت منــى

علــى أنــى أغــالط فيــك سمعــى ∴ وتبصــر غــير الشــك عينــى

❁ **أما أنا فأردد ما قاله الشاعر الذى هتف من أعماق وجدانه معلنا :-**

وأمــا أنــا بــالمصدق فيــك قــولا ∴ ولكنــى شــقيت بحســن ظنــى

ويجب أن نتذكر دائما أن الفيلسوف المسلم عند ممارسته لصناعة الفلسفة – كان قد تثبت بالعلوم الإسلامية من لغوية وشرعية ، بمعنى أنه كان يملك ناحية الفكر الإسلامى الأمر الذى جعله صاحب أصالة واضحة تعبر عن ذاته كمفكر مسلم ، فالفلسفة الإسلامية لم تنفصل عن الأسس الفكرية التى يهدف اليها الإسلام ، كما أنها فى نفس الوقت قامت على أصول العقيدة الإسلامية فجاءت واضحة متكاملة[1] ، فثبت بذلك وجود الفلسفة الإسلامية التى نرى تسميتها بالحكمة الإسلامية .

❁ **ونود الإشارة :** إلى أن الحكمة الإسلامية تستند فى أصولها على الوحى الإلهى – النقل المنزل – وهى من هذه الناحية موجودة بوجود الوحى نفسه ، ومعروفة بالنص عليها فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وأصيلة لقيامها عليهما فى الموضوعات التى تعرضت لها على سبيل التناول ، والمواقف التى انطلقت منها على سبيل الدراسة ، والنتائج التى توقفت عندها كمراحل تمهيدية ، أو نتائج أولية تعقبها مراحل جديدة ونتائج متوقعه ولو على سبيل التقدير .

❁ **كما أود بيان :** أن الإسلام الذى تنسب اليه الفلسفة الإسلامية أو الحكمة التى نحن بصدد الحديث عنها – قد يفهم بعدة معان منها :-

---

(١) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص١٣ .

❁ **الأول : الدين الذى ارتضاه الله تعالى للعالمين ، وبلغ به الأنبياء وبعث به المرسلين ،** ابتداء من سيدنا آدم ﷺ إلى سيدنا محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين[١] ، وجاء كل نبى منهم لقومه بشريعة قد تستقل فى بعض أحكامها عن غيرها ، أولا تستقل ، لكنها فى كل الحالات تأتى متناسبة مع الظروف التى يعيشها هؤلاء الأقوام ، ونحن نسمى ما يأتى مع كل نبى ديانة وشريعة ، ولا نسميه دينا مستقلا[٢] .

وظل الأمر كذلك فى النبوات السابقة حتى كانت النبوة الخاتمة الشريفة العامة الشاملة للإنس والجن ، وهى نبوة سيدنا محمد ﷺ فكان خاتما لها ، والرأس التى انتهى أمر شجرة النبوات بها ، وذلك هو المعنى الأول الذى يمكن فهمه متى أطلق لفظ الإسلام عليه .

❁ **الثانى : نصوص ذلك الدين الخاتم ، وهى دستوره الذى يعلن عنه ، وهو النقل المنزل** — القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة — ونحن نؤمن بأن القرآن الكريم ، ونصوص السنة النبوية المطهرة الصحيحة هما فقط النصوص الموثقة من قبل الله تعالى ، ولا توجد أية نصوص أخرى فى ديانات سبقت يمكن أن يقال عليها ذلك الحكم أبدا ، لما هو معروف من أن المنتسبين اليها قد حرفوا منها بالتبديل تاره ، والإضافة أخرى وبالحذف ثالثة[٣] ، وما زالوا على ذلك العهد بالتحريف قائمين .

❁ **الثالث : المحاولات التى يقوم بها المسلمون فى كافة فروع المعارف** لفهم نصوص الدين الإسلامى نفسه والاعتماد عليها فى التعرف على

---

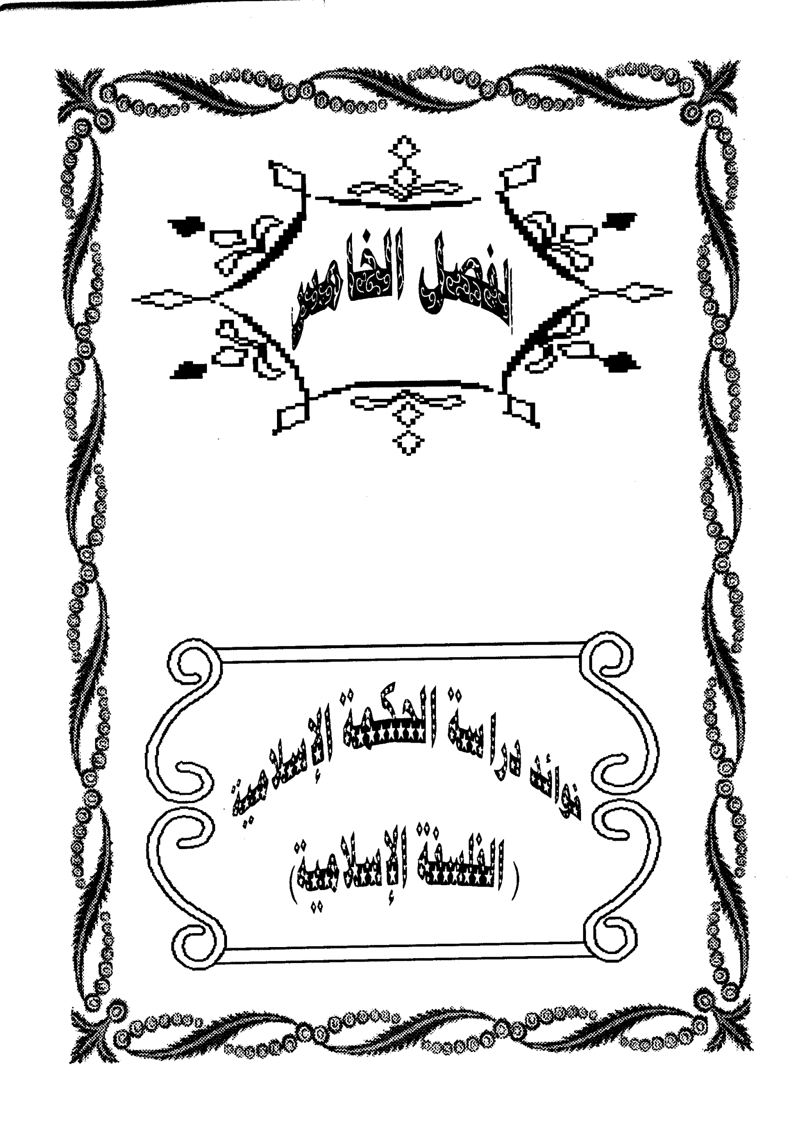
(١) راجع كتابنا : لماذا انتشر الإسلام جـ١ ص١٩٥ .

(٢) هذا ما ذهبنا اليه فى كتابنا - وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ص١٧/١٨ .

(٣) الشيخ رحمت الله الهندى - إظهار الحق ص٩٥ - الطبعة المحققة - وراجع أدلة اليقين للشيخ الجزيرى فى مسألة التحريف .

مناحى الحياة ، وكيفية معالجة الأمور من خلال المجهودات المستمرة للعقلية الإسلامية فى ذات النصوص الدينية ، ونحن نرى إمكانية تسميه الفكر الإسلامى . أما لماذا ؟

فلأنا نرى ضرورة التفرقة فى الإطلاق بين الإسلام كنصوص مقدسة محفوظة ، وبين الإسلام كأفهام فى ذات النصوص قد تصيب الإفهام الحق الذى جاء فى النقل ، وقد لا تصيبه فيظل الأمر قائما على الاجتهاد فى فهم النقل ، وذلك مما تتميز به الفلسفة الإسلامية ويؤكد أصالتها واستقلالها ، وفى نفس الوقت يقضى بعدم مشاركة آية فلسفة أخرى لها ، وهو الذى نذهب اليه ونؤكد عليه .


الفصل الخامس
فوائد دراسة الحكمة الإسلامية
(الفلسفة الإسلامية)

ساقط من أصل المصدر

ساقط من اصل المصدر

تمهيد

قد يظن البعض أن دراسة الفلسفة الإسلامية نوعا من الترف العقلى ، أو صورة من صور إضاعة الوقت والجهد ، فيما لا فائدة منه ، ناظرين إلى أن النتائج فيها غير مأمونة ، والعواقب غير حميدة ، والسلبيات فيها أكثر من كافة مظاهر الإيجابيات ، وهذا الظن ربما أنصب على الفلسفة الغير إسلامية ، كالإغريقية ، والصينية ، أو الهندية والوضعية التى وقع أصحابها فى أخطاء كثيرة ، وانتهت بهم دراساتهم فيها إلى نتائج غير مقبولة ، حكاها خصومها وأضافوا إليها ، وحينئذ يشوهونها ، ويلغون فيها فيفسدونها[١]، أو هى فلسفات فاسدة أصلا .

كما أن هذا الظن قد يمكن قبوله على بعض جوانب الفلسفة العامة فقط ، أو التجريبية ، أو اليونانية أو غيرها من تلك الفلسفات ، متى كان البحث فيها قائما على الخطرات الذاتية ، والاتجاهات الوجدانية ، من غير تقيد بالقواعد الصحيحة ، ومراعاة للنصوص السليمة ، أو كان البحث فيها متجها إلى بحث ذات الغيبيات بعيدا عن الاستدلال عليها ، أو محاولة استكناه الطرق الموصلة إلى معرفتها .

وبخاصة أن بعض العقول ربما استنكفت السير مع نور الوحى ، أو رأت فى التخلص من قيوده رغبة طموحة تسرى فى أعماق الأفئدة حتى تنطلق الغرائز فيهم على غير هدف فتقودهم إلى ما فيه الخسران[٢]، من ثم فان كل من ينظر إلى ذلك النتاج الفكرى ، والنتائج المترتبة عليه ، ربما حكم عليه بالعبث ، وأنتهى إلى أنه لا فائدة من دراسته ، بل وطالب بإلغائه وإهمال أمر القائمين عليه ، وقد يحكم عليهم بالكفر حتى لو كانوا مسلمين .

---

(١) الأستاذ أحمد أمين – ضحى الإسلام جـ١ ص٨ ط٨ – النهضة المصرية ١٩٣٧م .

(٢) راجع كتابنا – رياض الأشواق فى الميتافيزيقيا والأخلاق ص٦ – ط ٣ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

بيد أن بعض العقول قد تجد لذة فى تلك الاتجاهات التى جنح بها الهوى ، وبعدت عن تعاليم الله ، وخالفت كل القواعد السليمة والأنماط الصحيحة ، وحينئذ يظهر فيها أكثر من اتجاه ، وكل واحد منها يناقض الآخرين ويعاديها ، ويعمل على تقويض القواعد التى تقوم عليها ، ويحاول هدمها ، وإزالة ما فيها .

غير أن التفلسف هو " البحث عن حقائق الأشياء وأصولها وعلاقة بعضها ببعض[١] ، ومن تمكن من ذلك التفلسف فان أحكامه ستكون موضوعية ، ومثله لا يرفض الفلسفة ككل تقليدا ، أو معاداة ، كما لا يقبلها استسلاما أو محاكاة ، إنما سيتعامل معها بشيء من الحيدة والكثير من الموضوعية ، بجانب الرغبة فى الوصول إلى الحقيقية عن طريق مأمون[٢] .

ثم أن الفلسفة – الإسلامية – من وظائفها الهداية والإرشاد ، وبالتالى فهى تقوم بدور القيادة الفكرية التى تأخذ بيد الأمة إلى الأمام[٣] ، وما دامت الفلسفة لها وظائف ، فان لها أيضا فوائد ، وبالتالى فان الأحكام التى تصدر على الفلسفة بوجه عام تكون غير مقبولة على الفلسفة الإسلامية بوجه خاص ، ويكون من الصواب أن ننظر للفلسفة باعتبار أنها صورة للفكر على ناحية إيجابية تهدف إلى نتيجة ما ، بل هل الفكر الصادق نفسه[٤] ، المعبر عن حقائق الأشياء والتعريف بها .

ولاشك أن أى فكر يحتاج الكثير من التجديد المتواصل ، الذى يعتبر نوعا من الدعم للقيم الأخلاقية والروحية فى الحياة المعاصرة التى تهددها الأخطار على

---

(١) الدكتور عوض الله جاد حجازى ، الدكتور محمد السيد نعيم – فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص٦ ط٢ .

(٢) أشرنا إلى ذلك فى كتابنا – رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ، كما ألمحنا اليه فى كتابنا الغزاليات فى منطق التصورات .

(٣) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى – المدارس الفلسفية ص١١ .

(٤) أ.ا ميلر – المعلم الأول أرسطو ص١٣١ – ترجمة محمد زكى حسن – مكتبة الخانجى .

نحو لم يسبق له مثيل[1]، بشرط أن يكون ذلك التجديد محفوظا بالدين الإسلامى نفسه على سبيل التصريح به، أو التلميح له باعتبار المنهج المتبع وطرائق الاستدلال والغاية المنشودة.

ثم أن أصحاب الفكر المادى الذين ابتعدوا عن الروحانيات التى لا تحس بالحس، ولا باللمس، وترى بالبصيرة المدركة لا بالبصر الزائف، وغاب عنهم نور الإيمان بالغيب[2]، سوف يرفضون الفلسفة الإسلامية، لأنها الاتجاه الذى تبدو فيه الميتافيزيقيا التأملية، وهم خصومها، وفى نفس الوقت فسوف يضعون العراقيل فى طريقها بغية النيل منها أو التقليل من شأنها، ومثلهم لن نلتفت إليهم، لأن منكر البدهيات لا يثق أحد بعقله، كما لا يطمئن عاقل لحكمه.

۞ من ثم فأنا سنعرض لبيان فائدة الفلسفة، كما ستشير إلي بعض وظائفها، ونخص بالذكر هنا الحديث عن فوائد الفلسفة الإسلامية وحدها[3]، لأنها التى تعنينا فى هذا المقام، ومن المؤكد أن لها الكثير من الفوائد نذكر منها:

الفائدة الأولى
الاستدلال على وجود الله تعالي

ذلك أن معرفة الله تعالى تتم بالعقل والفطرة السليمة، وبناء عليه فإن الفيلسوف المسلم يستدل على عقيدته الدينية بمناهج عقلية، مستنبطا إياها من

(١) الدكتور محمود رجب - الميتافيزيقيا عند الفلاسفة المعاصرين ص٢١٢ ط٣ - دار المعارف ١٩٨٧م.

(٢) الأستاذ محمد محمد عبداللطيف ابن الخطيب - حقائق ثابتة فى الإسلام ص١٤٨ - الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - مطبعة الأفق - طهران.

(٣) لأن للفلسفة العامة فوائد، وهى غير الفلسفة الإسلامية، باعتبار تمايز الموضوعات، والأصول القائمة، والنتائج المترتبة، والمفهوم العام الذى يغلب على كل منهما.

النصوص الدينية ، التى صاغها فى عبارات منطقية بعد أن ينضم اليها غيرها من العبارات التى تقوم عليها ، حتى أمكن القول بأن الفلسفة الإسلامية فكرة عقلية ميتافيزيقية ، أنتهى المسلم بها إلى إثبات وجود الله تعالى وأزليته وأبديته[١] ، باعتبارها وسيلة ، كما أنها تؤدى إلى غاية محددة من حيث تعلمها ، إلا وهى معرفة الخالق سبحانه وتعالى[٢] ، وبهذا تتلاقى فيها الوسيلة والغاية معا .

ربما يقال: أن الاستدلال على وجود الله تعالى ليس مهمة الفيلسوف المسلم وحده، أو الحكيم المسلم دون سواه، لأنه قام بهذا الدور السلف الصالح، والمتكلمون من أهل الإسلام، بجانب المحدثين والصوفية والفقهاء، وأهل اللغة، وكل مسلم حسب طاقته، والإمكانيات التى يستطيعها، والظروف المحيطة به، ولم يكن ذلك من مهمة الفيلسوف المسلم وحده على ما هى الدعوى ؟

والجواب : أن كل واحد منهم قام بهذا الدور على ناحية معينة ، أما الفيلسوف المسلم ، فانه قام بها جميعا ، منطلقا من نصوص الدين الإسلامى نفسه التى دفعت به إلى ذات الأمر ، بحيث من تأمل النصوص الإسلامية ذاتها أيقن أن المفكر المسلم حاول القيام بها جميعا ، لأنها عرضت قضايا العقيدة كلها ، وأحكام الشريعة والقيم والأخلاق .

ومن قضايا العقيدة: إثبات الوحدانية لله تعالى بعد إثبات وجوده جل علاه، من ذلك قوله تعالى

[١] ﴿" وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو الله واحد فإياى فارهبون وله ما فى السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون "﴾[٣] ، ففى الآيتين

---

(١) راجع كتابنا - رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٥٠ ط٣ .

(٢) الدكتور عبداللطيف محمد العبد - دراسات فى الفكر الإسلامى ص٦٦ - ط الأنجلو المصرية ١٩٧٧م .

(٣) سورة النحل - الآيتان ٥١/٥٢ .

الكريمتين استدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته ، قائم على نفى الشريك الواحد ، وفى نفس الوقت التأكيد على وجود الإله الواحد جل علاه ، وأنه الواحد الذى لا اله سواه[1] ، وهو مالك السماوات والأرضين وغيرهما ، ومن فيها ، وهو الوحيد المستحق للعبادة الذى يجب أن يتوجه العاقل اليه وحده بها ، فهو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة وليس له شريك أو ولد .

ومن يتأمل ذلك النقل المنزل يرى أن المفكر المسلم أنتهى إلى أنه لو كان هناك إلهان على سبيل الفرض[2] ، فأما ان يتفقا أو يختلفا أو لا يتفقا ولا يختلفا[3] ، فان اختلفا لم يوجد العالم أصلا ، وبالتالى فان وجوده دليل على عدم الاختلاف ، فسقط فرض وجود الهين بينهما اختلاف فى القدرة والإرادة والخلق أو الإعدام .

وأما ان يتفقا بأن يوجدا العالم معا على سبيل المشاركة[4] ، فلا يكون كل منهما قادرا على وجه العموم ، وإنما يكون قادرا على وجه الخصوص ، ومثله لا يكون إلها ، وإنما يكون جزءا له ، ومن كان هذا شأنه لا يصح أن يوصف بالألوهية أبدا .

وأما أن يتفقا على أن يوجد أحدهما العالم فيكون هو وحده القادر الفاعل ، ويظل الثانى من غير إيجاد ولا إعدام ، فلا يكون إلها ، لأنه لو كان إلها لكانت له قدرة كاملة ، وإرادة عامة شاملة ، وحيث أنه لم ينفذ له قدرته ، فلم

---

(١) راجع كتابنا – منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ص١٧٥ .

(٢) هذا الفرض ساقط شرعا بالأدلة النقلية ، ولكن العقل يتصوره كناحية فرضية فقط ، ثم يعمل على هدمها تماما .

(٣) وبالتالى هى فروض ثلاثة فى المسألة . الأول : اتفاقهما ، والثانى : اختلافهما ، والثالث : اتفاق وأختلاف فى البعض الأخر .

(٤) راجع كتابنا – حبو الوليد فى علم التوحيد ص١٧٥ ط الرابعة : " فقد تعرضنا لتلك المناقشات بشيء من التفصيل على النحو الذى استفدناه من شيوخنا علماء الإسلام – رحمهم الله تعالى وألحقنا بهم فى الصالحين –"

يخلق ، ولم يعدم ، فإن الاعتقاد فى كونه إلها هو لون من الاعتقاد الفاسد ، وإذا ثبت فساده فقد أنتهى الأمر به إلى إثبات التوحيد وبطلان التعدد على سبيل التثنية[١] .

[٢] قال تعالى ﴿ " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم " ﴾[٢] ، وفى الآيتين الكريمتين استدلال على وجود الله تعالى ، ثم إبطال التعدد ، والانتهاء إلى توحيد الخالق جل علاه ، على الناحية النقلية والعقلية معا ، فإذا كنا قد أبطلنا وجود الهين اثنين على الناحية الشرعية والعقلية ، فان إبطال وجود أكثر من الهين باطل أيضا ، على ذات الناحيتين الشرعية والنقلية من باب أولى[٣] .

ولذا يمكن القول بأن نهج إثبات وجود الله تعالى عقليا ، وهو نهج القرآن ، ونهج المسلمين ، ما دام محكوما بنصوص القرآن الكريم ومبادئه العامة ، وأن الذين نهجوا المنهج الإسلامى وصدروا عنه ، وتحت لوائه اتبعوا المنهج العقلى ، فما أخطأوا ولا ضلوا ، لأنهم اتبعوا نهج القرآن نفسه[٤] ، وهم فلاسفة الإسلام الذين كان لهم جهد كبير فى الاستدلال على العقيدة الدينية فى كل أجزائها من خلال المنهج العقلى المحكوم بالنقل المنزل فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، بجنب المنتج العقلى السليم .

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٧٣/٧٤ .

(٢) الدكتور على محمد جبر – محاضرات فى علم الكلام ص٥٦/٥٨ ، ففيه عرض لهذه الأدلة ، وإبطال التعدد فى الآلهة واثبات الوحدانية المنزهة لله رب العالمين .

(٣) وذلك مما تشهد به الضرورة العقلية ، وتعلن عنه القسمة العقلية أيضا .

(٤) الدكتور سليمان سليمان خميس – نحو عقيدة قرآنية ص٤٨ – ط أولى ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م – دار الطباعة المحمدية .

فالاستدلال على إثبات وجود الله تعالى يتبعه إثبات وحدانيته تعالى ، وسائر الصفات على وجه الجمال والكمال ، والجلال والإكرام ، وما دمنا قد انتهينا إلى إثبات بطلان التثنية فى الآلهة ، فان إبطال التعدد هو الأخر واقع من باب أولى بحيث لا يبقى الا التوحيد الخالص لله رب العالمين ، وذلك ما يمكن فهمه من قول الله تعالى ﴿ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ﴾[١] .

[٣] قال تعالى ﴿ " وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " ﴾[٢]، وقوله تعالى ﴿ " ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم والوانكم أن فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون " ﴾[٣]، وتلك الآيات القرآنية يمكن أن يفهم منها ما يتعلق بالحكمة الإسلامية فى جانب الطبيعيات ، وعلوم النبات ، وعلوم الأجناس البشرية ، بجانب المسائل الكونية ، وذلك مما يعتبر دليلا على تفرد العقلية الإسلامية وأصالتها .

❁ وبذا يتبين لنا أن النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، قد دفعت المفكر المسلم إلى المزيد من التأمل والاستدلال على وجود الله تعالى ، مما يعتبر ذلك من أهم الفوائد التى نتجت عن جهود المفكرين المسلمين ، ومن أبرز النتائج على نضج الفلسفة الإسلامية ، واستقلالها عن غيرها من الفلسفات الأخرى .

---

(١) سورة الإخلاص ، وقد وردت فى فضائلها أحاديث كثيرة ، منها أنها تعدل ثلث القرآن الكريم – راجع تفسير القرآن الكريم للعلامة المحدث ابن كثير .

(٢) سورة الرعد الآية ٤ .

(٣) سورة الروم الآيات ٢٣/٢٢ .

الفائدة الثانية
الدفاع عن العقيدة الإسلامية

عرفنا أن المفكر المسلم ينطلق من احترامه لعقيدته الإسلامية ، التى تحملها اليه نصوص الدين الإسلامى نفسه ، وبالتالى فهو يحاول تفهم تلك النصوص ، وإعادة صياغة ما فهمه فى الموضوعات المتعلقة به ، من تأمل فى النقل المنزل ، والواقع المتعين ، دون أن يخلط بين الواقع الخارجى فى ذاته ، وبين الواقع المتعقل فى الذهن نفسه ، أو ذلك الواقع الخيالى[١] .

وسوف ينتهى المفكر المسلم إلى نتائج فيها الكثير من التوفيق ، ما دام اعتماده على النقل المنزل ، وغرضه بلوغ الحق فيما شرع الله تعالى ، وهو ما يميز الفلسفة الإسلامية عن غيرها من الفلسفات الأخرى ، ويجعلنا نؤكد أن الفلسفة الإسلامية هى ذاتها الحكمة الإسلامية ، ولا يمكن حملها إلى غير نفس المعنى والمفهوم .

❁ **ذلك أن الفلسفة اليونانية :** هى النتاج الفكرى اليونانى ، الذى يعتمد بالدرجة الأولى ، على أنسقه فكرية مسبقة ، معطيا بذلك مكان الصدارة للمتعقل – فقط – دون الموجود الخارجى المنفصل فى حقيقته عن الذات العارفة[٢] ، وبالتالى فالفلسفة اليونانية بحث حر ينطلق من بعض الأسس المتعقلة ، ولا ينتهى إلى نتائج محددة ، كما لا يعنيه كفيلسوف الوصول إلى غايات بذاتها ، بل كل إجابة مما وصل اليه تفتح أبوابا كثيرة من الأسئلة الجديدة ، والاعتراضات التى

---

(١) راجع هذه المسائل بالتفصيل لدى شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتبه – الجواب الصحيح ،والرد على المنطقيين ، درء تعارض العقل مع النقل ، منهاج السنة .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود – دراسات فى الفكر الإسلامى ص٩ – مطبعة إخوان رزيق ١٩٨٧م–١٩٨٨م .

لا تنتهى ، وذلك مما يجعل النفرة من الفلسفة اليونانية ، وغيرها من الفلسفات التى تماثلها قائمة مستمرة[١] .

❁ **أما الفلسفة الإسلامية** : فلما كانت تنطلق من نصوص الدين الإسلامى نفسه – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – فإنها راحت تدافع عن ذات العقيدة الإسلامية[٢]، وتعطى إجابات محددة مع نتائج مأمونة مستخدمة المنهج العقلى الذى يمكن تلمس بعض مظاهره فى الصور الآتية :–

[أ] **عرض قضايا العقيدة من خلال ما تدعوا اليه النصوص الإسلامية ذاتها** ، ومنها التأمل فى الكون علويه وسفليه ، وغائبه وحاضره ، محسوسه ومعقوله ، وهو ما يمكن أن نسميه عرض الأدلة ومطابقتها للقواعد النظرية فى طرائق الاستدلال على العقيدة الإسلامية[٣] ، وهو غير الاستدلال على وجود الله تعالى ، لكن كل منهما يتكامل مع الأخر ، وعلماء أصول الفقه يقررون وجود فوارق كبيرة بين الدليل ، ودليل الدليل ، وبين الدليل وطرائق التعرف على الدليل[٤] ، وكلها مباحث عقلية دالة على تمكن المفكر المسلم من قضاياه وقدرته على القيام فيها بأدوار جديدة .

---

(١) وذلك من معالم تحريم علماء الإسلام لدراسة الفلسفة الغير إسلامية .

(٢) راجع كتابنا – أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص٥٧ وما بعدها – الطبعة الثالثة .

(٣) عرض قضايا العقيدة غير الدفاع عن ذات العقيدة ، فالعرض يسبق الدفاع ، لأن من يجهل العقيدة ، لابد من عرضها عليه ، فإذا أنكرها أو حاول الجدل فيها حينئذ يكون الدفاع عنها امرا ضروريا .

(٤) راجع نهاية السول للعلامة الأسنوى والمحصول والتنعيم ، والموافقات والأحكام وغيرها من كتب علماء الأصول ، ستجد فيها جهدا كبيرا مشكورا .

[ب] **مناقشة آراء الملحدين، وبيان أوجه الفساد فيها** ، سواء عن طريق الجدل النظرى ، كما يفعل علماء الكلام[١] ، أو عن طريق الوجدان ، كالحال مع الصوفية[٢] ، أو عن طريق التأمل فى الملكوت طبقا للنصوص الدينية ذاتها ، وهو ما استقل به أهل الفكر الفلسفى الإسلامى أو حكماء الاسلام ، مع الالتزام بالوجود الخارجى المنفصل عن الذات العارفة[٣] ، وصار من المألوف القول بأن الغاية التى يقصد اليها فى تعلم الفلسفة الإسلامية ، هى معرفة الخالق سبحانه وتعالى عرضا ، ودفاعا ، بعد اعتقاد صحيح ، وهى فائدة تجعل المفكر يجد فى طلبها ، ويتمسك بها ، ولا ينازعه فيها من غابت عنه ، كما لا تعرفه عنها أحكام فيها بعض العجلة أو الكثير من التسرع .

وهم بهذا حكماء على المفهوم الشرعى ، فلاسفة على المفهوم الاصطلاحى الفنى باعتبار كل شخص يجعل الوكد من حياته ، وغرضه من عمره ، الحكمة هو فيلسوف[٤] ، وما دمنا ذكرنا أن الحكمة هى معرفة الله تعالى بالأدلة العقلية بجانب معرفة الخير ، والعمل به ، فإنها لا تنطبق الا على الفلاسفة المسلمين ، وهم فى ذات الوقت الذى يمكن إطلاق وصف حكماء الإسلام عليهم دون سواهم ، ممن يشتركون معهم فى التسمية ، أو إلحاق الصفة .

---

(١) أعتمد بعض علماء الكلام فى الماضى على مناقشة آراء الملحدين عن طريق المحاورات اللفظية ، أو ما يسمى بالجدل النظرى ، وكانت لهم فيه جولات موفقة ، ونتائج طيبة استفاد منها اللاحقون .

(٢) فعل ذلك بعض الصوفية فى الماضى حين كانوا يعرضون العقيدة الدينية أو يدافعون عنها ، كانت لهم الهامات موفقة ، وأعنى بهم الصوفية لا المتصوفة - راجع كتابنا : أوراق مطوية فى التصوف والصوفية ص٥٦٠ وما بعدها - الطبعة الرابعة .

(٣) الفيلسوف المسلم قام بتلك الأوجه كلها جاعلا إياها مراحل تلى الثانية الأولى ، وهكذا فى كل المراحل - راجع مقالات فى أصالة المفكر المسلم - دكتورة فوقية حسين محمود ص٧٥ وما بعدها .

(٤) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفى فى الإسلام ص١٧٣ - ط٣ - دار المعارف ١٩٨٩ ونسبة الشيخ للفارابى نفس المصدر .

❁ **ومن البديهى القول** : بأن الحكيم المسلم من أوليات تفكيره ، وأولويات واجباته هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية فى مواجهة الآخرين ، بالطرق التى يتسلحون بها ، والأخرى التى يتميز بها المفكر المسلم عن غيره ، وبالتالى فهو متفوق على غيره ممن يقاسمونه وصف الفلسفة أن وقع ذلك لغير المسلمين ، أو كان لمسلم لا يلتزم المناهج الإسلامية على ما سلف القول به ، أو الإشارة اليه .

ثم أن الفيلسوف المسلم مؤمن بالله تعالى على ما جاء به الحديث الشريف من حديث جبريل المشهور : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الأخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره[1] ، ولذا فان عقيدته الدينية تقوم على تلك الأجزاء ، التى تتكون منها العقيدة الإسلامية ، وتتكامل فيما بينها ، وهى التى ورد بها النقل المنزل .

❁ **والحكيم المسلم لابد أن يدافع عنها بعد أن يعرضها ، وإلا كان منطويا تحت جناح الاعتقاد فيها فقط ، ولذا نرى أغلبهم عرف الفلسفة بأنها :-**

❁ صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه ، وما عليه الواجب لتشرف بذلك نفسه ، وتستكمل وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية[2] ، أما غير المسلم ممن يوصف بأنه فيلسوف تقليدا ، فان السعادة القصوى عنده تنحصر فى اللذات الآنية الحاضرة ، وليس فى الآخرة المقبلة ، لأنه لا يؤمن بها ، وبالتالى سوف يحاول هدمها ان تمكن من ذلك ، ولن يتمكن أن شاء الله تعالى ، وذلك يستوجب من المفكر المسلم الدفاع عنها ،

---

(١) الإمام مسلم – صحيح الإمام مسلم بشرح النووى جـ١ ص١٥٧ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١ ص٩٦/٩٧م .

(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا – تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ص١٠٥ .

فيتمايز عن غيره باعتقاده ، وعرضه لعقيدته ودفاعه عنها أيضا[١] ، على ما سبق القول به .

أضف إلى ما سبق أن تلك الفائدة – الدفاع عن العقيدة الإسلامية لم تقتصر على عصر من العصور ، بل هو دور قائم وعلى المفكر المسلم أن ينهض به ، لأن إنكار وجود الله تعالى يرجع فى بعض الأحيان ، إلى ما تتبعه بعض الجماعات ، أو المنظمات الإلحادية من سياسة معينة ترمى إلى شيوع الإلحاد ، ومحاربة الإيمان بالله ، بسبب تعارض هذه العقيدة الإسلامية مع صالح هذه الجماعات ، أو مبادئها[٢] ، الخيالية التى وضعها لها من تخلوا عن العقيدة الإلهية ، واصطنعوا لأنفسهم عقائد نفعية ، لا أساس لها ، كما لا يمكن قبولها بجانب أنها عبثية ، غير قابلة للتطبيق ، مع عجزها عن الاستمرار .

وهنا يبرز – من جديد – دور المفكر المسلم ، لأنه الذى يتعرف على شبهات هؤلاء من منطقهم سواء كان تجريبيا ، أو نفعيا ، أو نظريا ، أو غيرهما من المناهج التى الجدلية يلجأ اليها أهل الإلحاد ، ويحتمون بها – ثم يرد عليهم ويبين تهافت أفكارهم ، وعدم سلامة المقدمات التى قاموا عليها ، وبطلان النتائج التى انتهوا اليها ، وهو بهذا يخدم العقيدة الإسلامية فى جانب الدفاع عنها .

ولهذا فان الواجب الشرعى يفرض علينا : ان نكون فى غاية الحذر والحيطة ، لنحول دون ما يقدم باسم العلم ، وهو ليس من العلم فى شيء ، ولكنه السم القاتل ، يقدمه قوم همهم أن يلبسوا الباطل ثوب الحق ، أو أن يلبسوا الحق ثوب الباطل[٣] ، ونمنعه من ن يصل إلى ديار الإسلام ، حتى لا يضل الاغرار به

---

(١) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام جـ٢ ص٧٥ ط٣ .

(٢) مجموعة من العلماء الأمريكان – الله يتجلى فى عصر العلم ص٣٣ – ترجمة الدكتور الدمرداش عبدالحميد سرحان .

(٣) الدكتور سليمان سيد أحمد دينا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص٣٦/٣٧ – طبعة الخانجى – الطبعة الأولى ١٩٨٧م

أو يفتنون ، ودور الفيلسوف المسلم هو كشف زيفهم ، وبيان ضلالاتهم ، والشبه التى اعتمدوا عليها ، وذلك مما يمثل دفاعا مستمرا عن العقيدة الإسلامية على ما سلف بيانه .

ثم أن ذلك الطريق الاستدلالى قويم فى تثبيت العقيدة ، وفى مواجهة الخصوم أيضا ، لأن معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له[1] ، وتفاوت أصحاب المعارف فيه أمر قائم ، فإذا كان الفلاسفة فيه هم السابقون فتلك فائدة ، تحسب للفكر الإسلامى ، كما تنعكس على المفكرين المسلمين ، وتأتى لصالحهم أيضا ، والأحكام الموضوعية قد تحدثت عن ذلك الجانب وأشادت به .

الفائدة الثالثة
معرفة الحقيقة

عرفنا أن من فوائد الفلسفة الإسلامية – الاستدلال على وجود الله تعالى ، والدفاع عن العقيدة الإسلامية ، ولا شك أن معرفة الله تعالى بالأدلة العقيدة ، وعلاقته تعالى بالكون الذى نعرفه ، والأكوان التى غابت عنا ، هو جزء الحقيقة التى يبحث عنها العقلاء ، ويجد فى طلبها الأذكياء ، ويحاول الوصول اليها النبهاء ، أنها المعرفة لذات الحقيقة المطلقة من غير اعتبار لشيء أخر بعدها ، فلتكن غاية الفلسفة الإسلامية المباشرة ، هى كشف الحقائق ، وغايتها البعيدة هى الإفادة من هذه الحقائق فى دنيا العمل[2]، طبقا لما شرع الله تعالى فى كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله الأمين سيدنا محمد ﷺ .

(١) الدكتور سليمان سليمان حميس – نحو عقيدة قرآنية ص١١ – دار الطباعة المحمدية – ط١ ١٣٨٨هـ– ١٩٦٩م .
(٢) الدكتور توفيق الطويل – أسس الفلسفة ص١٠٦ .

وبناء عليه فقد تمايزت الفلسفة الإسلامية عن غيرها من الفلسفات الأخرى فى هذا الجانب أيضا ، حتى صارت هى الأكثر ضرورة فى وجودها ، والتعامل معها – من وجهة نظرنا – إذا قويست بغيرها ، لأن القائم هو ان العلوم الأخرى قد تكون أكثر ضرورة من الناحية النفعية ، ولكن لا يوجد علم أكثر فضلا من الفلسفة الإسلامية[١] ، إذا قورنت الفلسفات الأخرى بها من هذه الناحية أيضا .

ثم أن الفيلسوف المسلم يعتمد فى مصادره الاستدلالية – على القواعد الشرعية القائمة على النصوص النقلية ، والمسلم المتدين الورع الذى قد نفذ فى كيانه الشعور العميق بأنه مخلوق ، يحاول دائما أن يخرج عن حوله وقوته ، وينسب الخير لله ، والشر لنفسه ، أو يريد أن ينسب كل شيء لله نسبة ميتا فيزيقية لا مادية[٢] ، باعتبار أن ذلك عين الحقيقة التى نبه اليها القرآن الكريم ، وذكرتها السنة النبوية المطهرة .

فإذا عدنا إلى مفهوم الحقيقة التى يبحث عنها العقلاء ، وجدنا أنها معرفة الله تعالى بأدلة نقلية ، أو نظرية ، أو عقلية[٣] ، أو معملية ، أو الأدلة الأخرى التى يكشف عنها رحم العلم ، آنا بعد أخر[٤] ، والفلسفة الإسلامية جديرة بهذا الواجب على الناحية العقلية التأملية[٥] ، كما هى به أولى على الناحية النقدية أيضا[٦] ، باعتبار أن العقل السليم والمنطق الصحيح لا يختلف أحدهما عن الأخر

---

(١) الدكتور محمد غلاب – الفلسفة الاغريقية ص١٨ .

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الفيومى – تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المشرق ص٢٧ – ط أولى – دار الثقافة ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

(٣) راجع كتابنا – الغزاليات فى الالهيات – ص١٣٧ طاولى ١٩٩٨م

(٤) راجع كتابنا – منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ص٤٥ .

(٥) تطلق الفلسفة التأملية على الميتافيزيقا التى تتعلق بالأبحاث فى الالهيات والنبوات والسمعيات ، ويرفضها أصحاب الوضعية ، ولهم سقطات ، وعليهم ملاحظات ، ونحن نرفض أفكارهم على هذه الناحية .

(٦) الميتافيزيقا النقدية اصطلاح يطلقه الوضعيون على فلسفة التحليل والتركيب ، وهم يقرون بها ، ويرفضون التأملية ، ونحن لا نقرهم على ذلك الإنكار .

فى النتائج التى يتوصل بها إلى معرفة الحقيقة فى كل منـها ، وان اختلفت الطرق فى الوصول إلى ذات النتائج ، لأن الاختلاف فى الطرق هو اختلاف فى الوسائل المستخدمة فقط .

كما أن معرفة الأصل الذى تقوم عليه الكائنات ، والمصير الذى ينتظرها ، والنهاية التى تجرى اليه ، هـو من الحقيقة أيضا[١] ، وبالتالى سيحاول كل عاقل الانطلاق من خلال تلك القواعد الآمرة التى جاء بها الوحى وأودعها أمانة فى عنق العقل حتى يكشف عن أوجه الجمال ، ويتعرف على مناحى اليقين ، وهو نفسه من أبرز مظاهر معرفة الحقيقة التى يتميز بها المفكرون المسلمون .

فإذا أضفنا إلى ما سبق أن الموازنة بين الأدلة الشرعية بحيث يرجح المتواتر غيره ، أو يمكن التوفيق بين كل منهما على الناحية الشرعية[٢]، هى أيضا نوع من الحقيقة والبحث عنها ، وبالتالى فان ذلك يمثل فتحا كبيرا فى مجال التفكير الإنسانى ، لصالح الإنسانية بعيدا عن الدفع بها إلى مجال السقوط ، أو التردى ، وهى فائدة يلمسها كل من يدرس الفلسفة الإسلامية ، بعين الإنصاف لا برغبة الجور والإجحاف .

۞ ربما يقال : أن معرفة الحقيقة أمر تشترك فيه كافة المعارف ، وتهدف اليه كل العلوم ، فما الذى تميزت به الفلسفة الإسلامية عن غيرها بحيث يحسب لها أو تنفرد هى به[٣] ؟

والجواب : أن الحقيقة التى تبحث عنها الفلسفات الأخريات هى الحقيقة النسبية فقط ، وهى تختلف من قوم لآخرين ، ومن فكرة لأخرى ، بل ومن علم نظرى

---

(١) راجع كتابنا – رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ط٣ ص٥٨ ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

(٢) هذا الدور يقوم به علماء الأصول ، أو الفقهاء ، وجمع من المتكلمين ، بجانب الفلاسفة المسلمين .

(٣) كثيرا ما أورد أعداء الإسلام ذلك السؤال ، وربما أورده أيضا من ينتسبون للإسلام ، ولكنهم ينتمون إلى مدارس لها اتجاهات تناهض الفكر الإسلامى ، وتحاول الإنقاص من قدره ، والتعليل من شأنه .

إلى علم تجريبى معملى ، أو أخر سلوكى ، أو حتى فى مجال علوم الحاسب والأنظمة المعلوماتية ، فإنها تبحث عن الحقيقة النسبية باعتبارها الهدف والغاية ، وفى ذات الوقت فان القصور الذاتى فى معارفها يفرض ذاته عليها[١]، فلا تستطيع الخروج عنه ، أو الفرار منه .

أما الفلسفة الإسلامية فإنها تستدل على الحقيقة المطلقة حقيقة الحقائق كلها ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وماله – جل علاه من صفات الجلال والكمال والجمال والإكرام ، وما يستتبع ذلك من أوامره جل علاه ، ونواهيه ، وسائر ما أخبر به فى القرآن الكريم ، وصح من سنة رسوله الكريم ﷺ[٢]، وذلك لا يوجد فى الفلسفات الأخرى على الإطلاق ، لما سبق القول به .

❁ **وربما يقال : أن أصحاب المذاهب الأخلاقية هم الآخرون يحاولون الوصول إلى معرفة الحقيقة ، وهم من هذه الناحية يقاسمون الفلسفة الإسلامية فى تحصيل تلك الفائدة ، وحينئذ لا تكون الفلسفة الإسلامية ، أو الحكمة الإسلامية هى وحدها المستقلة بمعرفة الحقيقة من هذه الناحية**[٣] .

✍ **والجواب** : أن هذه احتمالات فرضية فقط لم تثبت صحتها ، بل أن علماء الأخلاق لا يبحثون عن الحقيقة المطلقة ، وإنما يبحثون موضوعات تتعلق بالتكمل النفسى ، والتجمل الأخلاقى ، وذلك بعيد عن الحقيقة التى تبحث طرائق الاستدلال عليها الفلسفة الإسلامية[٤] ، والفرق بين هذه وتلك كبير لمن

---

(١) راجع كتابنا – التفكير الانسان ومستوياته ص٤١ – ط١ ١٩٩٧م .

(٢) الفلسفة الإسلامية لا تبحث ، وإنما تستدل ، أما الفلسفة اليونانية فهى تبحث لا تستدل ، وهى تبتدئ بالإلحاد ، وقد تنتهى اليه ، أما الفلسفة الإسلامية فإنها تبدأ بالإيمان ، ثم تنتهى إلى تقديم طرائق متعددة تنتهى بها اليه ، وذلك مميز قوى لا محالة .

(٣) الدكتور أحمد نور الدين – الفلسفة طريق الحقيقة ص١٧٥ – ط الأصدقاء ١٩٩١م .

(٤) الأستاذ عبدالوارث الكنعانى – طريق الفلسفة المنشود ص٩٧ ط أولى – مطبعة التهامى ١٩٤١م .

تأمله ، وسوف يأتى اليوم الذى تنطلق فيه الفلسفة الإسلامية معبرة عن غيرها ، كما كان الحال فى الماضى أبان فترة وجود الكندى والفارابى وابن سينا فى المشرق الإسلامى ، وابن باجه وابن طفيل ، وابن رشد فى المغرب الإسلامى أيضا .

۞ وفى نفس الوقت قد يحتج بأن الرسول ﷺ قال : " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا ، كتاب الله وسنتى " ، وقوله ﷺ : " أنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ، قال عليكم بكتاب الله وسنتى ، عضوا عليها بالنواجز "[١] ، وليس فى الحديث الشريف أن الفلسفة الإسلامية ، أو الحكمة الإسلامية مما يجب التمسك به ، أو أن التمسك بها من المأمور به شرعا .

✍ **والجواب** : هذا الاحتجاج إنما يتم على الفلسفة الإسلامية ، إذا أدعى أصحابها كفايتها عن النقل المنزل ، أو عدم احتياجها اليه ، وهذا الادعاء لم يقم أبدا ، بل العكس من ذلك هو الصواب ، لأن الفلاسفة من المسلمين ، كان اعتمادهم على النقل المنزل والاستدلال به ، وفى نفس الوقت فان مؤلفاتهم شاهدة على أنهم حاولوا الاستدلال على قضاياهم بالنصوص الدينية ، ومن أبرز الأدلة على ذلك ما ذكره الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه " الإشارات والتنبيهات " ، وكذلك فيلسوف قرطبة العلامة أبو الوليد ابن رشد فى كتابيه : مناهج الأدلة ، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الأتصال[٢] .

ثم أن القرآن الكريم ، والحديث الشريف نصوص دينية ، ولا بد لمن يتعرض لها أن يكون عارفا بها ، فاهما لما فيها من حكم وأسرار ، وذلك الدور من

(١) جامع الأحاديث حـ٣ ص٥٩٧ - أخرجه الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين .

(٢) راجع فلسفة ابن رشد - الدكتور مصطفى عبدالجواد عمران - ط الحلبى .

التعرض لها والمعرفة بها والفهم للنقل المنزل مهمة كبرى ، وغاية سامية يقوم بها المفكر المسلم ، الذى لا يستغنى عن النقل المنزل أبدا ، وسيظل أمر معرفة الحقيقة قائما فى أعماقه ، يتحرك به خدمة للدين الإسلامى الحنيف ، وذلك يحسب للمفكر المسلم ، ويعتبر من الميزات التى يستقل بها عن غيره .

الفائدة الرابعة
محاولة تفهم صور النعيم والعذاب

وردت آيات قرآنية عديدة وأحاديث نبوية كثيرة ، تحدثت عن ألوان النعيم فى الآخرة ، وكذلك ذكرت أصناف العذاب ، كما ذكرت مظاهر كل منهما على وجه الإجمال من العديد من المواقف ، أما التفصيلات الدقيقة فجاءت مجملة والتفاصيل التى معها كذلك ، وربما جاءت على سبيل التلميح باعتبار أن بعض العقول قد يصعب عليها تفهم المسائل الغيبية[١] ، وهنا يأتى دور المفكر الإسلامى ، وتبرز أهمية الفلسفة الإسلامية ، التى تحاول تقريب مفاهيم النصوص الدينية إلى تلك العقول ، وتجعلها قريبة المنال ، متى استطاع المفكر تصوير تلك المسائل على ناحية مأمونة ، من غير أن يدخل إلى مجال الغيب المنهى عن الخوض فيه على حقيقته ، وأن جاز له تأمله فقط .

❁ **مثال ذلك** : بعض النصوص الدينية التى تحدثت عن الصراط والحوض ، أو عن الأعراف ، والبعث ، والنشر ، والحشر ، والحساب ، والميزان ، وسائر القضايا الشرعية التى أوردها النقل المنزل ، وأعتبرها العلماء من الغيبيات ، وسميت لدى المتكلمين بالسمعيات[٢] ، التى جاءت على وجه العموم ، بحيث صارت

---

(١) راجع كتابنا – الغزاليات فى السمعيات شرح وتعليق – جـ٦ من المقاصد ص٣٧ .

(٢) الفرق بين الغيبيات والسمعيات كبير باعتبار ان الأولى أعم مطلقا ، والثانية أخص طلقا ، وهو ما يعرف بالعموم والخصوص المطلق – راجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات ص٢٥ .

العقول بحاجة إلى ما يجعلها قريبة من المفاهيم على وجه الخصوص، أو عرض المسألة على النحو الذى يستوعبه العقل الواقع له التخاطب بها .

۞ **من ذلك أيضا** : ما ذكره النص الدينى عن الصراط فى الحديث الشريف " يضرب الصراط على ظهر جهنم ، فأكون أنا وأمتى أول من يجوز[١] ، وفى الأثر أيضا ، يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأجوزه وأمتى ، لأنه ﷺ خير الخلق ، وأمته خير الأمم " روى الإمام أحمد عن المطلب بن أبى وداعة عن العباس عن رسول الله e قال : أن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فريقين فجعلنى فى خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بينا فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نفسا "[٢] ، وأمته خير الأمم أيضا ، وفى الأثر كذلك : يضرب الصراط بين جنبات جهنم فأجوز ومعى أمتى[٣] ، والأحاديث فى الصراط كثيرة ، ويمكن الرجوع اليها فى مصادر السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، بعد الآيات القرآنية الكريمة .

إلا أن المفكر المسلم واجهته صعوبة فى تصور كون الصراط ، أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ويمر فوقه كل البشر "[٤] ، اذ أنه ما دام الأمر كذلك فى الأخرة ، فكيف يكون صراطا واحدا يقف عليه كل الخلائق من المكلفين فى لحظة واحدة ، وهو بهذا الشكل من الدقة والاستمداد ، لابد أن العقل يسأل :

---

(١) الحديث مشهور ، وله روايات عديدة – راجع حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد ، كفاية العوام ، نور الظلام ، وغيرها من المؤلفات الكلامية .

(٢) الإمام احمد بن حنبل – مسند الإمام أحمد جـ١ ص٢١٠ ط الحلبى .

(٣) العلامة الفشنى – شرح الفشنى على الأربعين النووية ص١١٥ .

(٤) تلك قد تكون الصعوبة فى تصور الوصف ، لا فى الإيمان به ، لأننا نحن المسلمين نؤمن بالله تعالى ، وكل ما أخبر به الله تعالى ، إجمالا وتفصيلا ، لكن ذلك الإيمان يدفع المفكر إلى محاولة تفهم تلك المفردات على نحو لا يخرج عن مرامى النقل المنزل ، وذلك من فوائد الفلسفة الإسلامية وعليه اعتبرت حكمة .

هل سيقف الناس كلهم من آدم عليه إلى أن تقوم الساعة فى طابور رأسى أسفله من آدم ، أم العكس أن ذلك سوف ينتهى فى التصور فقط إلى أن الأعلى سوف يندك تحته الأسفل ، بحيث يصعب التصور لما ورد به النقل المنزل على ذلك النحو[١] ، إذا لم يتدخل المفكر المسلم بتقريب ذلك إلى العقل ، وتصوير المسائل على الناحية التى يتفهمها العلماء والعوام معا ، لقوله e " خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله "

أما الفلسفة الإسلامية فان المفكر المسلم يتصور جسم الصراط لا وصفه ، وحينئذ يحاول تقريبه إلى من يعرضه عليهم ، مع التفويض فى حقيقة الأمر لله رب العالمين ، فيقول له والتشبيه مع الفارق : أن الصراط أقرب شبها بأرض السباق فى العدو التى تقسم إلى حارات ، كل بحيث حجمه ورقمه فى أرض السباق التى تقسم طبقا لعدد المتسابقين عليها[٢] ، أما فى الآخرة فتقسم كل حارات الصراط بحسب الأعمال ، فمتى كان عمله صالحا كان الصراط معه متسعا له ، وبالتالى فهو يمر عليه فى هدوء ، ويصل إلى الجنة بأمان أن شاء الله تعالى ، وصاحب العمل السيئ سيضيق به صراطه حتى لا يمكنه التحرك فيه ، فيضطر إلى السقوط على أرضه ، ومثله لا يمكنه النجاة معه بأمان ، بل الوقوع فى المهاوى هو النتيجة القائمة ، كما ينتظره التردد بين جنبات النار عذابا له وعقابا ، ويطلق على كل طريق منها أنه صراط[٣] .

۞ **وربما يستأنس له بما ورد فى الأثر** : خط لنا رسول الله ﷺ خطا مستويا ، ثم قال هذا سبيل الله فاتبعوه ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال هذه

---

(١) لاشك أنها صورة محتملة ، وأن لم تكن على سبيل التأكيد ، فإنها مما يرد فى العقل على سبيل الفرض المحتمل لا الحكم الواقع والفرق كبير بينها .

(٢) هذا التصوير تقريبى ، وكثيرا ما يقال أن التشبيه مع الفارق ، ما دامت المسائل متعلقة باستخدام محسوس لتقريب معقول .

(٣) وذلك متعلق بتصوير الصراط لا بحقيقته ، وإلا كان الأمر متعلقا بالغيبيات المنهى عن الخوض فيها .

سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه[١] ، وبالتالى فكل إنسان له صراط ، وذلك الصراط يتسع له أو يضيق بحسب عمله ، وفضل الله تعالى ، وعليه يمكن حمل قوله تعالى ﴿ " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ﴾[٢] .

أضف إلى ما سبق أن بعض العقل الإنسانى قد يعجز وحده عن تصور تلك الأمور ، لكن بعض العقول قد لا تعجز عن تفهم معانيها ، أما من يعجزون عن تفهمها فانهم يكونون بحاجة إلى من يقر بها إليهم ويجعلها معرفة دانية من عقولهم ، وهو نوع من التوفيق بين النصوص الدينية ، والقواعد العقلية التى لم تقم على سند دينى ، ولكنها قد تحاول التعرض للقضايا التى يعرضها الدين نفسه ، فتكون الحاجة ماسة إلى عملية المواءمة بين النص الدينى والمنتج العقلى ، مع تغليب الدينى على غيره ، وترجيح الأدلة القطعية على الأخرى ، التى لا تقوم الا على مجرد الشبهات والظنون والأوهام ، وذلك من فوائد الفلسفة الإسلامية ، ويتميز به المفكر المسلم .

وهناك فرق بين تصوير النعيم والعذاب وألوان كل منهما ، ومظاهره التى يبدو فيها ، ومراحله التى تصاحبه على النحو الذى ورد به النقل المنزل ، وبين تصور العقل لذلك النعيم والعذاب ، فما ورد به النقل المنزل قطعى فى وروده ، أما دلالته فالأغلب فيها أنه احتمالى[٣] ، ولذا كان اجتهاد مفكرى المسلمين فى

---

(١) الدكتور أحمد السيد الكومى ، دكتور محمد سيد طنطاوى - تفسير سورة الأنعام ص٣٤٣ ط الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - مطبعة دار الجيل بالقاهرة .

(٢) سورة الفاتحة الآيتان ٥/٦ .

(٣) العلماء على أن القرآن الكريم قطعى الثبوت كله ، أما الدلالة فما يتعلق بالعقيدة فهو قطعى أيضا ، وما يتعلق بغيرها ، فمنه ما هو قطعى ، ومنه ما هو احتمالى - راجع للشيخ محمود شلتوت - الإسلام عقيدة وشريعة ، وكذلك الأحكام فى أصول الأحكام ، وغيرها من المؤلفات فى أصول الفقه .

المسألة ، فهم لم ينكروا النص الدينى ، ولكنهم يحاولون تفهم ذات النص المنزل نفسه ، ما دام احتمالى الدلالة على جانب يحتمله النص ، ويقبله أيضا العقل السليم ، ويدخل فى باب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول[١] ، وذلك الدور واضح يقوم به المفكرون المسلمون على مر عصور الإسلام الزاهية ، وما زالوا به يقومون ، بيانا وتفصيلا ، لخدمة دين الله تعالى .

والذى لا خلاف حوله – بين من يعتد بآرائهم – أن الفلسفة الإسلامية اصطنعت لنفسها منهجا عقليا خالصا مدعما بالنقل الصحيح ، لما ثبت لدى الفلاسفة المسلمين من أن صحيح النقل المنزل ، لا يخالف صريح العقل بل يؤيده ، ولم تجرؤ الفلسفة الإسلامية – على أيدى المسلمين – أن تخالف النقل المنزل بحال من الأحوال ، متى كان قطعى الدلالة بعد قطعية الثبوت[٢] ، لأن النقل القطعى الدلالة هو الرصيد الثابت للمفكر المسلم ، والميزان الدقيق ، والقاعدة الثابتة ، فهو الأصل الذى ينقاس غيره عليه[٣] ، ومن المؤكد أن تلك الفائدة مما تستقل به الفلسفة الإسلامية على ما سبق القول به .

ولا أبتعد عن الحقيقة إذا قلت أن تصوير النعيم وألوان العذاب ، أو تصوير الثواب والعقاب على النحو الذى يخاطب العقل والوجدان ، ولا يخالف النصوص الشرعية ، إنما هو دور مهم وللفلسفة الإسلامية فيه النصيب الأوفى ، حتى يمكن اعتبار متأخرى المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية ، وكذلك مفكرى المعتزلة

---

(١) ألف فى هذا الجانب كثيرون من علماء المسلمين – راجع : درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وكذلك الإمام الفخر الرازى فى كتابه – المطالب العالية – جـ٨ ، وكذلك له الأربعين فى أصول الدين –جـ٢ – تحقيق دكتور أحمد حجازى السقا .

(٢) قطعى الدلالة ، وهو ما لا يحتمل الا معنى واحد ، كأدلة وجود الله تعالى وصفات ذاته أما ظنى الدلالة فهو ما يحتمل أكثر من معنى ، وكل منها يتوارد عليه ، وأن تمايز أحدها على غيره ، فذلك ترجيح ، يقوم به المفكر نفسه .

(٣) راجع كتابنا – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام – جـ١ ص١٦٢ ط٣ ١٩٩١م .

داخلين فى عداد الفلاسفة المسلمين بهذا الاعتبار ، بجانب أصحاب التفسير بالرأى ، ومن كان على شاكلتهم يسير .

وكذلك فان الفلسفة الإسلامية ظلت دائما فى خدمة العقيدة والدين ، وأن فلاسفة الإسلام كانوا يتصدون لأعداء العقيدة الإسلامية ، ويتبارون معهم بالحجاج المنطقى ، ويوظفون المنطق الأرسطى أيضا فى حجاجهم ، وذلك الإفلاس حجج خصوم العقيدة من اليهود والوثنيين ، والملحدين ، طوال مئات السنين[1] ، وذلك أمر استقر ولا عبرة بمن يخالف القاعدة الصحيحة المستقرة ، فثبت أن تصوير ألوان النعيم وأصناف العذاب فى الآخرة من فوائد الفلسفة الإسلامية .

الفائدة الخامسة
تجديد الفكر وتحقيق السعادة

يعرف تجديد الفكر بأنه حركة عاقلة يقوم بها المفكر نفسه بفرض إعادة صياغة أنظمة الحياة بما يتلائم مع الظرف المستجد ، مع الأخذ فى الاعتبار الاستفادة من القواعد التى استقر أمرها ، بما يحقق مصالح الدين والدنيا فى حدود ما شرع الله تعالى[2] .

وذلك أنه قد ألف الناس الأخذ من الموروث ، وغالبيتهم على هذا الألف يسيرون ، وقد يصل بهم الأمر إلى اعتباره القاعدة الثابتة واعتبار غيره من قبيل الاستثناءات المرفوضة فإذا شذ عن ذلك الألف واحد بالزيغ اتهموه ، وبحاد الألسنة سلقوه ، وبأقصى حجارة البغض قذفوه ، وعذره أنه المفكر المبتكر ، وغيره

---

(١) الأستاذ سعد عبدالعزيز - فلاسفة الإسلام ص٦ مطبوعات الشعب ١٩٧٧م.

(٢) هذا التعريف الذى نقترحه هو ما نراه راجحا ، وهو تقريبى ، ويمثل وجهة نظر لنا فقط .

أصحاب العيون الغافية ، والعقول النائمة ، والوجدان الهيمان الذى يحطب بليل ، ويجمع ذرات الدقيق من بين متن الريح .

وربما استبد بهم ذلك الأمر فشمل كل جوانب الحياة أخذا عن الأجداد والأباء تقليدا ، حتى لو كان ذلك المأخوذ أمرا لا تقره القوانين العلمية ، ولا يستقيم مع القواعد الشرعية ، وقد يخالف النصوص الدينية ، حتى يصير عدوا لها ، وخصما غير متكافئ معها ، ومع كل هذا فهم بالآلف يتمسكون ، وعلى جناح العادة القائمة يطوفون ، وللعلماء يخاصمون حتى أنهم لمقدرات عقولهم يرفضون ، وفى نتائج العلم البديهى يجادلون .

وربما قد عناهم القرآن الكريم وأمثالهم بقوله تعالى ﴿ " وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله أن يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " ﴾[١] ، وهو ما يعرف باسم أوهام الجنس[٢] .

ونهى عن تقليدهم واتباع أنماط سلوكهم الحديث الشريف فى قوله ﷺ : " لا تكن إمعة ، تقول ان أحسن الناس أحسنت ،وان اساؤا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وأن اساؤا فلا تظلموا[٣] .

وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث البشير النذير ﷺ ذاخرة بالحديث عن الموروث الذى يصل حد الجور على التصرفات الطبيعية فى الأمور الدينية والدنيوية ، من اتباع لعقول الآخرين ، وفرض سلطان المتقدمين ، حتى لو كانوا أباء أو أجدادا ، من عير سند يعتمد عليه ، وبيان أنه لو كان صحيحا ، فلا مانع

---

(١) سورة الأنعام الايتان ١١٦/١١٧ .

(٢) راجع كتابنا - خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة : أثناء حديثنا عن فرنسيس بيكون وفلسفته .

(٣) ورد الحديث بصيغ متعددة ، وألفاظ متقاربة ، والقاسم مشترك ، بينهما واحد - راجع نحو عقيدة قرآنية للدكتور سليمان حميس ص٤٥ ط دار الطباعة المحمدية .

من قبوله بعد التأكد من صحته ، وعدم مخالفته القواعد الشرعية ، أما إذا كان غير صحيح ، فان إهماله أولى من إعماله ، والتخلى عنه أيسر من الدفاع عنه ، ولا عبرة بصدوره عن الآباء والأجداد ، أو كان متلقيه من الأبناء والأحفاد إنما العبرة بموافقته القواعد الشرعية من عدمه .

ﷻ قال تعالى ﴿" وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون "﴾[1] ، فالفكر لهم معاند ، والفهم فيهم جامد ، والسعادة بينهم مفقودة ، والتقليد الأعمى للفكر الهزيل قائم ، ومثلهم لا تجدى معهم موعظة ، ولا ينفع فيهم نصح ناصح ، مهما كان بليغا فطيما ، أو قويا متمكنا أمينا .

ولذا يواجه القرآن الكريم هؤلاء وأمثالهم إلى التأمل والتفكير من خلال تحريك مشاعر الفكر بصورة تتناسب معهم ، فيطلب منهم أن يقوموا على منهج التفكير فى أدنى صوره ، بحيث يمارسه كل واحد منهم مع نفسه ، بعيدا عن قسوة الموروث ، وسلطان العادة ، وأن يحاول كل منهم ملاقاة غيره فى الأمر الذى دعوا اليه ، فيعرض كل منهم نتائج فكره مع الآخرين ، وبعدها ينظرون فى النتائج التى وصلوا اليها ، أو تعرفوا عليها من خلال التأمل المتوالى فى النقل المنزل المعصوم .

ﷻ قال تعالى ﴿" قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ما سألتكم

(١) سورة البقرة الآيتان ١٧١/١٧٠ .

من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب "﴾[١].

۞ **يقول أحد العلماء** " فالله سبحانه وتعالى يدعو كل فرد من الجماعة – التى حبست نفسها فى الموروث الفاسد – أن يخلو بنفسه منفردا ، أو مع أحد ثم يفكر بعيدا عن تأثير الجماعة ، وتياراها الجارف فيما قررت الجماعة ، لأن ما تقرره العقلية الجمعية ليس هو الصواب دائما[٢] ، وان كان فيه بعض الصواب ، فان التمسك بالبعض الأخر الفاسد يلغى الكل معا ، ويجعل المرء ملكا – فى تفكيره – لغيره المساوى له ، أو ربما كان الأقل منه ، وذلك من آفات العقل الجمعى[٣] ، التى استولت على الكثير من العقل ، فأفسدت أغلب المسلمات ، وأزالت العديد من البدهيات على سبيل الإنكار والإهمال .

والمفكر المسلم قد نظر للآيات القرآنية والأحاديث النبوية بهذا المنظار الشرعى ، فأمعن التأمل فيها ، وأنعمه ، حتى بات الأمر فى أعماقه قويا ، انتهى به إلى أن التمسك بالألف والعادة يلغى الملكة العقلية فى التجديد والابتكار ، ويفرض سلطان التقليد على عقول العبيد ، وحينئذ تجمد العقول ، وتتوقف المصالح ، لأن حركة الحياة دائمة وتقلباتها مستمرة ، فمن وقف بعقله عند مرحلة القرون السالفة ، فلا شك أنه هالك ، ومصالحه سوف تنعدم ، وذلك مخالف لتعاليم الشرع الحنيف ، ومن ثم فلابد من إصلاحه .

كما انه سيفضى بالناس إلى النعاسه بدل السعادة ، والأمراض بعد الصحة ، وسيذوقون معه ألوان العسر ، بعد أفانين اليسر ، كما ان حركة الحياة مستمرة ،

---

(١) سورة سبأ الآيات ٤٦/٤٨ . س

(٢) الدكتور سليمان سليمان خميس – نحو عقيدة قرآنية ص٤٧ .

(٣) العقل الجمعى : مصطلح يقصد به ما تجرى عليه الجماعة بناء على فرضه من قبل غيرهم وان كان مخالفا لما يعتقده كل فرد فيهم ، على غير الحقيقة أيضا ، وأن تخالف مع مصالحهم الطبيعية .

ومن يحاول إيقافها ، فلا شك أنه سيحطمه تيارها الجارف ، وقوتها التى هى جزء من نسيج الأمر فيها ، فيتحول المجتمع كله إلى ذئاب متصارعة ، أو تماثيل جامدة[1] ، ومثل ذلك المجتمع ليس له الحق فى الاستمرار بساحل الحياة التى جعله الله فيها ليعمرها لا ليدمرها ، ويقيمها لا ليهدمها ، ويصلحها لا ليفسدها[2] .

ومن ثم فان الفلسفة الإسلامية أخذت العقول – طبقا لما فهمه الفلاسفة المسلمون من نصوص الشرع الشريف – إلى تجديد الفكر فى شتى جوانبه التأملية ، والاجتماعية ، والنفسية والاقتصادية ، التأملية والوصفية[3] ، بل وكافة أنظمة الحياة التى يقوم الفكر فيها بدور المنظم لها ، الموجه لإمكانياتها ، الموظف لقدراته فى طريق إصلاحها .

◈ وربما تسألنى تقديم نماذج لما تقول مما ورد فى القرآن الكريم ، أو جاء فى الحديث الشريف فى هذا الباب الذى يكشف معالجة النقل المنزل لتلك الجوانب ، ونوع المعالجة ؟

✍ **والجواب** : ان ذلك كثير جدا ، لكننى سألتقط لك بقدر توفيق الله تعالى فى مجال إثبات العقيدة الإسلامية ، وإبطال عبادة المخلوقين ، وبيان مظاهر القدرة الإلهية فى الكائنات التى يتعامل معها أصحاب العقول الواعية ، وتقع فى مجال ادراكاتهم ، وتتعامل بها ملكاتهم على النحو الذى يجرى فى أعماقهم .

[أ] *فى مجال إثبات العقيدة الإسلامية*

ﷻ قال تعالى ﴿ "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن رحمة ربك أم هم المصيطرون أم لهم

---

(١) الدكتورة سعاد إبراهيم متولى – دراسات فى الفكر الفلسفى ص١٧٥ – دار الفجر ١٩٧١م .

(٢) قال تعالى ﴿ " وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة " ﴾ (سورة البقرة آية ٣٠)

(٣) راجع كتابنا – رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٣٥ .

سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين "﴾[١] ، فمن قرأ تلك الآيات وأدار عقله اليها ، ثم تأمل فيها ، أدرك استحالة أن يخلق المرء نفسه من غير خالق يرجع اليه ، أو أن يخلق العاقل نفسه ذاتها وإلا كان متقدما عليها – باعتباره خالقها – ومتأخرا عنها باعتباره مخلوقا له ، وذلك مما تشهد البديهة بفسادة ، وتحكم الضرورة العقلية باستحالته ونكرانه ، وبالتالى يثبت الإيمان بالخالق الواحد رب العالمين جل علاه .

ﷻ وقال تعالى ﴿" قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا ان أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد ءاباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون "﴾[٢] ،

والمعنى أن رسل الله دائما يخاطبون فى المرسلين إليهم العقول الداعية ، والوجدانيات النقية ، ويحركون فيهم منابع الفكر إلى مراتع الإيمان ، فيقولون لهم أفى الله شك على سبيل التكذيب ، فمن الذى فطر السماوات والأرض إذن ؟ أن الذى فطرهن هو الله تعالى الذى ندعوكم إلى الإيمان به ، وهو سبحانه وتعالى يدعوكم اليه ، حتى يغفر لكم من ذنوبكم ، التى وقعتم فيها قبل أن تصلكم تعاليمه تعالى إليكم ، وهو سبحانه وتعالى الذى خلق ، ويغفر الذنوب فى الدنيا ، كما أنه سبحانه وتعالى الذى ينعم ويعاقب فى الحياة الأخرى ، التى تلاقونها فى الأجل المسمى عنده[٣] يوم لقائه جل علاه .

---

(١) سورة الطور الآيات ٣٥/٣٨ .

(٢) سورة إبراهيم الآيتان ١٠/١١ .

(٣) فالرسول يعرف الناس أمور الاعتقاد كلها أولا على وجه التفصيل ، وأمور الدين كلها على وجه التطبيق ، وأمور الأخرة كلها على الوجه الذى تتمكن منه العقول ، أو تحاول بلوغه وتحقيق الخطوات المتقدمة فيه .

فـإذا جـادل القـوم فـى بشـرية الرسـول الكريـم ، والتمسـوا رسـولا غـير بشرى[١] ، فـان الأمر ينقلب معهم ، ويقـال لهم : كيف تطيقونـه ، وتتعـاملون معه إذا كان ملكا مثلا ؟ بل كيف تعرفونه ، وأنتم بشر ، وهو غير بشرى ، أن ذلك غير ممكن لكم أنتم ، أما بالنسبة لله تعالى فالأمر واحد لأنه الخالق القادر جل علاه ، فلو كان الرسول بشرا فذلك أمر قائم عنده جل علاه ، ولو كان الرسول ملكا فذلك من شأنه سبحانه وتعالى ، لا راد لما قضاه ، أما الصعوبة فستقع عليكم أنتم وحدكم ، وهذا فـى حد ذاته كـاف لتوجيه الفكر فيهم ، ثـم تـأتى مرحلة الفضل الإلهى[٢] ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، بالنبوة والرسالة ، ثم يزودهـم بسلطان الوحى ، وخوارق العادات التى تقـف أمامـها رؤس العـاقلين صـاغرة ، وهامـات الكـافرين خـائرة ، لأن المعجزة مـع النبى دليـل التصديـق فـى دعواه الرسالة[٣] .

[ب] فى مجال إبطال عبادة المخلوقين

ﷻ قال تعالى ﴿" يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب "﴾[٤] ، والمعنى أيها العقلاء أن الذين تجعلونهم آلهة

(١) قال تعالى ﴿" ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون "﴾ (سورة الأنعام الآية ٩)

(٢) النبوة فضل من الله تعالى ، واصطفاء ومنح ليست باكتساب قدرات ، ولا استحقاق لتفوق فى الملكات ، وإنما هـى هبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده . قال تعالى ﴿" الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصـير "﴾ (سورة الحج الآية ٧٥) .

(٣) راجع كتابنا - عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٣١٥ ، والغزاليات فى السمعيات ص٤١١ ، والغزاليـات فى النبوات ص٥١٢ .

(٤) سورة الحج الآية ٧٣ .

تعبدونها ، وتبتعدون بها عن الخالق الواحد جل علاه ، انظروا أمرها بعقولكم ، هل أنتم الذين صنعتموها ، أم هى التى صنعتكم[١]؟

ان كنتم أنتم الذين صنعتموها بأيديكم ، أو صنعها الأباء والأجداد بمرأى ومسمع منكم ، فهى مصنوعة وأنتم شهود ، وليست صانعة كما تزعمون ، وهى مخلوقة ، وليست خالقة ، ثم هى عاجزة ، وليست قادرة[٢] ، ومثلها لا يعبده عاقل أبدا ، إلا إذا كان قد ألغى عقله ، وتخلى عن إنسانيته ، وانحدر فى عالم الحيوان الأعجم – الذى لن يقبل دخوله إلى عالمه – أحط الدرجات ومثله لا يستحق الحديث معه ، لأن منكر الحقائق الثابتة ليس داخلا فى جنس أصحاب العقل .

وان كانت هى التى صنعتكم ، فمن الذى أخبركم بهذا الصنع ؟ ، وإذا افترضتم أنها التى صنعت ، فالمناسب أن يستمر صنيعها قائما بينكم ، حتى يثبت فى الإفهام ، ويستقر فى الأذهان أمر قدرتها على استمرار الخلق والصنع ، وذلك مما تشهد العقول السليمة ببطلانه ، وتعترف الفطر النقية بتخلفه وإنكار بيانه[٣] ، والكل من العقلاء على هذا النحو يفكرون ، فان كنتم عقلاء فإلى ما ذكرنا انتبهوا ، وفيه تأملوا .

أما إذا جادلتم فى الأمر فها هى آلهتكم التى تعبدون ، لم يخلقوا – مجتمعين ، ولا فرادى – ذبابة واحدة كلها ، أو جزءا منها ، ولا بعض جزء إذا انكسر عنها ، وذلك واقع مشاهد ، وأمر معاش ، وحكم قائم ، لا يمكن لعاقل أن

---

(١) والاحتمالان فى مجال العقل واردان على سبيل الفرض العقلى والجدل الذى يراد به الأخذ بيد الخصم حتى يعرف الحقيقة الغائبة عنه ، فإما هداية تصل به إلى النجاة ، وأما غواية تمتد معه إلى الهلاك .

(٢) وهو الاحتمال الأول فى المسألة – أن تكون الآلهة التى يعبدونها مصنوعة ، وليست صانعة ، فتكون مخلوقة وليست خالقة ضعيفة وليست قوية ، فقيرة وليست غنية .

(٣) هو الأحتمال الثانى – باعتبار أن تكون هى الصانعة ، ولا بد من استمرار صنيعها ، فإذا عجزت ، فلا تكون صانعة ، وإنما تكون مخلوقة .

ينكره ، مهما كانت درجة تفكيره من السطحية ، أو عدم الدقة ، فضلا عن كون صاحب ذلك التفكير قادرا على التأمل ، وذلك غاية الوضوح والبيان .

[جـ] *مظاهر العجز فى المخلوقية*

بعد أن عرض القرآن الكريم على العقول الاحتمالات الواردة فى مجال ا بطال عبادة المخلوقين ، وجه العقول والأفكار إلى مظاهر العجز القائمة فى تلك الآلهة المدعاة ، وهى فاسدة وكلها باطلة ، لأن الإله الواحد الحق جل علاه هو الله تعالى رب العالمين ، أخذ بعقولهم إلى تلك الآلهة الباطلة ذاتها ، التى عجزت عن خلق ذبابة واحدة ، أو جزء ذبابة ، أو تعويض لبعض جزء ذبابة – فكشف عجزها عن استرداد ما تسلبه الذبابة الواحدة منها ، وتلقيه عليها .

ﷻ قال تعالى ﴿"وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه"﴾ كالأصنام ، فان أصحابها يعتنون بها ، ثم يأتى الذباب فيحط عليها حتى يغطى كل شيء فيها ، ويفرز فضلاته فوقها وبكل ناحية منها ، وهى عاجزة تماما عن دفعه ، أو إبعاده ، وهو بهذا قد سلبها القدرة الكامنة فيها ، وأزال الغلاف الذى كان يحيط بها ، فلو كانت آلهة ما سمحت لنفسها بذلك الذى يلقيه الذباب عليها ، وذلك من أدلة العجز فيها(١) ، ومدعاة الابتعاد عن عبادتها فضلا عن التصديق بها .

[د] *فى مجال إثبات مظاهر القدرة الإلهية*

ﷻ قال تعالى ﴿"كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء

(١) وهو الاحتمال الثالث ، إذا عددنا الأولين ، وهو احتمال مستقل فى باب عبادة المخلوقين أيضا ولكل ناحية ذكرناه عليها .

فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم "﴾[١]، وهو استدلال خالص ذكر شيئا مما يعده الناس نعمة، وهو ذات النعمة باعتبار الإنشاء من العدم، ثم أن نفس الرجوع اليه سبحانه وتعالى – الذى أنسأ فى المرة الأولى – عند البعث والحشر، والجزاء[٢]، فهو وحده الذى يجب أن يعبد، لا أن يكفر به، وأن يعتقد فيه وحده دون مشاركة لأحد سواه أبدا، ومن يفعل ذلك الكفران فلاشك أنه عاص مستوجب النيران.

ﷻ وقال تعالى ﴿" نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشآء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرءيتم النار التى تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم "﴾[٣].

ﷻ وقوله تعالى ﴿" الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون "﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٢٨/٢٩.

(٢) العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير جـ١ ص٣٦٣ ط الحلبى الأولى ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م.

(٣) سورة الواقعة الآيات ٥٧/٧٤، وراجع باقى آيات السورة الكريمة ففيها بعض مظاهر إثبات القدرة الآلهية على العديد من النواحى التى تدفع العقل إلى المزيد من التفكير، وكلها موصلة إلى معرفة الله تعالى.

(٤) سورة يس الآيات ٨٠/٨٣، وفيها تفاصيل كثيرة عن البعث وبيان العقيدة الإسلامية الصحيحة.

والمعنى أن الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر لا يمتنع عليه فعل ما أراد ، ولا يعجزه إحياء العظام البالية ، وإعادتها خلقا جديدا ، بل أن ذلك سيكون أمرا وارد فى قدرته تعالى[1] ، ولا شك أن الذى جعل الأشياء المتناقضة متآلفة ، وفى ذات الوقت فانه يخرج المتناقضات من بعضها ، كما أخرج النار من الماء ، فهو القادر على البعث والإحياء ، وهو الوحيد الذى يجب أن يتوجه الجميع اليه بالعبادة[2] السليمة ، مع العقيدة الصحيحة ، والتزام الشرع الذى شرعه جل علاه .

﴿ وقوله تعالى ﴿ " ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون " ﴾[3] ، سماع تدبر وتعقل ، بعد معرفة واستيقان ، فالعاقل إذا تأمل النسيج اللغوى الفصيح ، والتركيب الجمالى البديع فى الآيات القرآنية ، ثم نظر إلى العالم العلوى والسفلى ، ومنه نفسه التى بين جبينه ، ومن يعرفهم من المخلوقات ، وما فيهم من الاختلاف المنسجم انتهى إلى معرفة الله تعالى ، وذلك دليل قوى[4] ، على وجود الله تعالى ، وإثبات وحدانيته ، وكمالاته التى لا تتناهى وقدرته تعالى التى لا تحد .

---

(١) العلامة الطبرى - تفسير الطبرى جـ٣ ص٢١ وما بعدها ففيها أوجه كثيرة للاستدلال على وجود الله تعالى بهذا الدليل الكونى ، وقد فطن اليها مفكروا الإسلام فعرضوها على أحسن ما يكون العرض .

(٢) العلامة أبو حيان - البحر المحيط جـ٧ ص٣٤٨ ، وراجع النهر الماء أيضا .

(٣) سورة الروم الآيات ٢٢/٢٣ ، وراجع الآيات من قوله تعالى ﴿ " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله تعالى منيبين اليه ﴾ ففيها مظاهر عديدة يمكن أعتبارها أدلة مستقلة فى تعريف العقول بالله رب العالمين ، وهى أدلة عملية فى ذات الوقت متى حاول صاحب العقل النظر اليها بذلك الاعتبار .

(٤) راجع كتابنا - حبو الوليد فى علم التوحيد ص١٣٥ ط٤ .

ﷻ وقوله تعالى ﴿" فانظر إلى أثار رحمت الله كيف يحى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآيتنا فهم مسلمون "﴾[1]، وهو دليل يمكن توجيهه إلى إثبات بعض مظاهر القدرة الإلهية ، كما يمكن الاستدلال به على توجيهات القرآن الكريم فى مجال العلوم الطبيعية والكونية .

ﷻ وقوله تعالى ﴿" قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "﴾[2] .

والمعنى ماذا أنتم فاعلون ، لو جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة ، بحيث لا يحدث نوع من الضياء ، واستمرار ذلك الحال فيكم إلى يوم القيامة ، فمن هو ذلك الإله الذى يقدر على أن يأتيكم بالنور الذى يبين لكم حياتكم ، فيقع لكم به الضياء غير الله تعالى ، ان ذلك غير ممكن أبدا ، بل هو مستحيل .

بل لو انعكس الأمر معكم فكان النهار هو الدائم ، لا ينقطع فمن الذى يجعل معكم الليل بحيث تقع لكم فيه الراحة ، والسكنى والهدوء غير الله تعالى ، ان ذلك مستحيل على الكافة لأنهم جميعا مخلوقون ، أما بالنسبة لله تعالى فذلك من رحماته التى لا تحصى ، ومن آياته الكثرة التى منها الليل والنهار لتسكنوا فى الليل من هموم الحياة ، وتبحثوا عن الرزق بالنهار ، وهو من الأدلة على وجود الله

---

(١) سورة الروم الآيات ٥٠/٥٣ .

(٢) سورة القصص الآيات ٧١/٧٣ .

تعالى[١] ، ولا يمكن أبدا أن يكون هناك أحد غير الله تعالى يمكنه أن يفعل ذلك الا الله تعالى ، وهو الذى نؤمن به ونعتقده ، وهو دور المفكر المسلم أيضا .

[هـ] في مجال النظر للطبيعيات

۞ قوله تعالى ﴿ "ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون وله من فى السماوات والأرض كل له قانتون "﴾[٢] ، فالبرق ظاهرة طبيعية على حد تعبير القائلين بها ، يسوق للناس الترغيب والترهيب ، والخوف من الآثار المدمرة ، والطمع فى الخيرات القائمة التى من معالمها إحياء الله الأرض بالنبات بعد أن كانت جامدة .

۞ **ذكر العلامة الطبرى معنى الآية الكريمة ، فقال** : من آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته ، أن يريكم البرق خوفا من الصواعق ، وطمعا فى الغيث والمطر ، ونسب إلى قتاده القول : بأن البرق جاء خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم[٣] ، وكذلك المطر ينزله الله من السماء ، فينبت به الأرض حتى تصير ذات نبات وبهجة بعد أن كانت جامدة ميتة ، لا مظهر فيها لأى وجه من أوجه الحياة ، فمن تأمل ذلك بعقله أنتهى إلى الاعتراف الكامل ، والإيمان العميق بالله تعالى رب العالمين ، وذلك مما يحسب للمفكر المسلم ، وفى نفس الوقت يميزه عن غيره .

---

(١) الإمام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب الجزء الخامس والعشرون ص١١ ، وما بعدها ، وراجع أسرار التنزيل وأنوار التأويل له أيضا ففيهما خير كثير جاء على تلك الناحية .

(٢) سورة الروم الآيات ٢٤/٢٦ .

(٣) العلامة ابن جرير الطبرى - تفسير الطبرى جـ٢١ ص٢٢ .

ﷺ وقوله تعالى ﴿" قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أما يشركون أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلك خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون

أمن يهدكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيدوه ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل أدارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون "﴾[1].

ومن ينظر إلى تلك الآيات الكريمة فإنها أخذة بعناقه العقلى إلى التعرف على بعض مظاهر خلق الله تعالى المستمر فى الأمور من خلق العوالم الكونية العلوية والسفلية إلى تفجير باطن كل منها بما يخبئه ، وعدم اختلاط عناصر كل منها بالأخرى[2] ، حتى يقذف الإيمان فى القلوب الدعاء إلى الله تعالى ، ويعلن وجوده وتوحيده ، وأن ما قضى به تعالى حق وما قدره قائم ، وهو وحده الحقيق بالعقيدة والعبادة له الخلق والأمر ، كما أن المفكر المسلم يستطيع تفهم الفلسفة الطبيعية والكونية من تلك الآيات القرآنية .

ﷺ وقوله تعالى ﴿" فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا

---

(١) سورة النمل الآيات ٥٩/٦٦ .

(٢) الأستاذ توفيق عبدالعظيم - نظرات فى سورة النمل ص١٧٥ .

لكم ولإنعامكم "﴾[١]، ومن ينظر فى تلك الآيات القرآنيـة ، ويتـأمل خلـق الإنسان والطريقة التى خلقه الله عليها ، والأسباب التـى أحـاطت بـه – لا على أنها فاعلة أو أنها ضرورية ، وإنما على أنها مخلوقة لله تعـالى – يـدرك حتمـا انه موضوع معرفى ، يقع داخل دائرة النظر ، فى الأجسـام الطبيعيـة من ناحيـة ، ويقع فى دائرة المعارف العقليـة والنفسية والفكريـة مـن ناحيـة أخـرى ، وذلـك يوصـل إلى معرفـة الله تعـالى ، وسيظل يجدد فكره ، وتقـوى أدلتـه وبـه تتحقـق السعادة ، وهو ما هـدف اليـه الفيلسـوف المسـلم ، والحكيـم الـذى يؤكـد تـأثره بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، لا إرتضاعه أفكار الفلسـفة اليونانيـة علـى ما تذهب اليه خصوم الفكر الإسلامى .

۞ **يقول العلامة الصابونى** " فلينظر هذا الإنسان الجـاحد نظر تفكـر واعتبـار إلى أمـر حياته ، كيف خلقه بقدرته ، وييسره برحمتـه ، وكيـف هيـأ لـه أسـباب المعـاش ، وخلق له الطعـام الـذى بـه قـوام حياتـه[٢]، مـن الأرض الصلبـة الجـامدة الميتـه ، حيث صارت بأمر الله منصب عليها الماء ، فإذا هى تنشق بعـد صلابـة بالنبـات النـاعم الرقيـق ، الـذى ينمـو عليـها مختلفـا فـى أنواعـه وفوائـده ، التـى تغطـى احتياجـات الإنسـان والحيـوان وتحفـظ مظـاهر الحيـاة فـى الأرض ، فـإذا تفكـر العاقل فى ذلك اللون من الدلالة أمن بالله تعالى وأن كـان جـاحدا ، أمـا طريـق المفكر المسلم فانه يحقق خدمة لدينه .

۞ وقولـه تعـالى ﴿" فلينظر الإنسـان مـم خلـق خلـق مـن مـاء دافـق يخـرج مـن بـين الصلب والترائب انـه علـى رجعـه لقـادر "﴾[٣]، فـالنقل المنزل يوجـه العقـل إلى

---

(١) سورة عبس الآيات ٢٤/٣٢ .

(٢) العلامة الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير – المجلد الأخير – جـ الثلاثـون ص٥٢١ ط دار الرشـيد – سوريا – حلب

(٣) سورة الطارق الآيات ٥/٨ .

التأمل فى المادة التى خلق منها على سبيل الانسلال ، أنها مادة المنى الذى ينصب فى المرأة متدفقا من الرجل ، ويخرج من صلب الرجل وترائب المرأة متدفقا أيضا إلى مناطق استقباله ، فيتكون منه الولد بإذن الله تعالى ، وهو مادة مشتركة تخرج من صلب الرجل ، وعظام المرأة ، ومن تفكر بعقله أدرك ذلك[1] ، فأنتهى به أمره إلى معرفة الحقيقة ، وإدراك السعادة ، وهو دور يقوم به المفكر المسلم الأصيل وحده ، ويتمايز به عن الآخرين جميعا .

ومثل ذلك الأمر المعجز كثير فى مجال العلوم التى تجرى فى الناس مجرى الحس والحركة ، وهم يجدون فى طلبها ، بل والتعرف عليها ، ولا شك أن الله تعالى الخالق لتلك المادة لقادر على إنشاء الإنسان الكامل منها وحده وهو الله تعالى ، وذلك اليقين المعرفى بعد الإيمان القلبى السعادة ، ويجعل المرء المسلم يرضى بقضاء الله تعالى وقدره ، فينال السعادة فى الآخرة أيضا .

ﷻ وقوله تعالى ﴿" أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر ان إلينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم "﴾[2] ، والعاقل إذا انظر إلى نفسه كيف خلقت ، ثم تأمل الأجل وما فيها من العجائب والغرائب ، باعتبار القوة والصلابة مع المتانة ، ومع ذلك فهى تنقاد إلى كل ضعيف ، وهى فى العطش صابرة[3] ، والمنافع التى فيها كثيرة من ركوب ظهرها ، والاستفادة بإدرار ألبانها لنا ولأولادها ، والحمل عليها ، وأكل لحومها ، والاستفادة بألبانها على النواحى الأخرى ، أدرك أن خالقها هو الله تعالى الذى يجب أن يقف عليه كل عاقل ،

---

(١) الأستاذ سعيد محمد على - آيات الله فى الكون جـ١ ص١٩٣ ط الأنصار .

(٢) سورة الغاشية الآيات ١٧/٢٦ .

(٣) حتى عرف الجمل بأنه سفينة الصحراء ، لصبره على الماء مدة طويلة قد تصل إلى الشهر أو تزيد كثيرا .

وأن يخضع لأمره كـل من فى قلبه ذرة من إيمـان أو تفكير مستقيم[١]، وقد عنيت الدراسات العلمية بهذا الجانب بيانا أو شرحا وتفصيلا[٢]، وقد استفدت بتلك الدراسات العلمية كثيرا[٣]، وكذلك بفعل كل مفكر مسلم .

﴿ﷻ﴾ وقوله تعالى ﴿" لقد خلقنا الإنسان فى كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين "﴾[٤]، وفى تقديرى أن تلك النصوص القرآنية التى تحدثت عن خلق الإنسان كأحد الأدلة على وجود الله تعالى[٥]، مما لا يمكن للعاقل أن يجحدها، وإلا كان كمن يجحد البدهيات وينكر الضروريات، ومثله لا يلتفت أحد اليه الا بالنصح والإبلاغ، أو الهجر والافراغ، فما حاجة العاقل فى مصاحبة جاحد .

﴿ﷻ﴾ وقوله تعالى ﴿" إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيلا إما شاكرا وإما كفورا "﴾[٦]،

❁ **قال الشيخ الصابونى :** فى الآية الكريمة تذكير الإنسان بأصل نشأته، فقد كان شيئا منسيا لا يفطن له، وكان فى العدم جرثومة فى صلب أبيه، وماءا مهينا لا يعلم به الا الذى يريد أن يخلقه، ومر عليه حين من الدهر كانت الكرة الأرضية خالية من منه، ثم خلقه الله تعالى، وأبدع تكوينه، وأنشأه بعد أن

---

(١) الأستاذ منصور عبدالمتعال – نظرات فى سورة الغاشية ص٨٧ .

(٢) راجع ما كتبه الأستاذ على نجم الطويل – مظاهر الإعجاز القرآنى فى الحيوان ص٤١ ط١ الهداية ١٩٢٣م .

(٣) عرضت ذلك فى حلقات تمت فى تلفزيون القناة الرابعة عام ١٩٩٥م تحت عنوان " من مظاهر الاعجاز فى الحيوان "

(٤) سورة البلد الآيات ٤/١٠ .

(٥) من الملاحظ أن علماء التفسير قد بذلوا جهودا كبيرة فى المسألة ،بل وتخصصت دراسات قرآنية لهذا الجانب، وأخرى علمية تحت اسم الإعجاز العلمى للقرآن الكريم، وهى أمور على جانب كبير من الأهمية.

(٦) سورة الإنسان الآيات ٢/٣ .

كان مغمورا ، ومنسيا لا يعلم به أحد[١]، ثم يسر له أسباب الحياة فشق له سمعا وبصرا ، ومنحه عقلا وفكرا ، فمن الواجب على ذلك الإنسان أن يأخذ بالأسباب ، ويتعرف خالقها العظيم جل علاه ، ثم يمضى فى حياته حسب ما أمر مولاه .

❁ **إذن الفيلسوف المسلم نظر للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية نظرة يراها ضرورية لتجديد الفكر الذى تتحقق معه السعادة له وللبشرية** ، بحيث يرضى ذلك رب البرية ، وهو بذلك يتمشى مع التعاليم الدينية الإسلامية[٢] ، وتنتفى عنه مزاعم اتباعه للفلسفة اليونانية ، أو دخوله إلى ميادينها ، دون أن تكون لديه القدرة على الخروج سالما عن تأثيراتها السلبية[٣] ، وهى المزاعم التى يروج لها خصوم الفكر الإسلامى ، والناقلين عنهم ، لمجرد وقوع بعضهم على ظواهر قد يقال أن فيها بعض أوجه من التشابه بينهما ، ثم يصدرون أحكاما قائمة على أن السابق هو الذى يستفيد منه اللاحق ، وما دام الأمر كذلك ، فان الفلسفة الإسلامية قد استفادت من الفلسفة اليونانية ، بل أنها هى الفلسفة اليونانية ، وإن لم تكن قد تابعتها كل المتابعة ، لكنها انطلقت تعدوا خلفها كأنها أمها[٤].

❁ **ونحن نرى** : أن الفلسفة الإسلامية لها استقلال واضح فى اسمها ، وموضوعاتها ، ومناهج البحث فيها ، والنتائج التى يمكن التعرف عليها ، والمصادر التى يمكن الوصول بها اليها ، والتوجيهات التى تقودها ، والغايات

---

(١) العلامة الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير – الجزء التاسع والعشرون ص٤٩١ .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٧١ .

(٣) مزاعم كذوب يتناقلها خصوم الفكر الإسلامى – راجع كتابنا قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام – ص٧٥ ط٣ .

(٤) يردد ذلك الأب جورج قنواتى – راجع تراث الإسلام جـ١ ص١٩٧ وما بعدها – سلسلة عالم المعرفة ، ومن يجرى ذلك الطريق كثيرون ، وبعضهم تأمل لهم مراجعة أفكارهم التى نقلوها لثقتهم فيمن نقلوا عنهم .

التى تنطلق منها ، وذلك كله مما لا يشاركها فيه شيء من الفلسفة اليونانية ، أو الفلسفات الأخرى ، فثبت صدق ما ذهبنا اليه ، وعدم غلبه شبه القائلين بالتبعية[١]، كما بان لنا أن من فوائد الفلسفة الإسلامية تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية .

بل أن الظواهر القرآنية ، التى ذكرنا طرفا منها قد تعامل معها الفيلسوف المسلم ، محاولا إيجاد علاقة قوية بين الفكر الإسلامى ، والواقع المعاش فى كل من الميتافيزيقا التأملية ، والأخرى النقدية ، بحيث يتحقق فيها تجديد الفكر ، واستمرار ذلك التجديد ، بما يحقق السعادة لأفراد المجتمع المسلم خصوصا ، والمجتمع الموجود عموما ، وفى ذات الموقف يدفع إلى المزيد من التجديد ، على كافة الأنحاء ، دون التفات لقيود قد تغله عن الانطلاق ، أو حواجز تحول دون الوصول إلى الهدف ، إلا إذا كانت قائمة على قواعد شرعية[٢]، وحينئذ لا تكون حواجز بقدر ما هى حوافظ للعقل حتى لا يزل أو يضل .

بذا يدرك المفكر المسلم أن الفلسفة الإسلامية ، لها العديد من الفوائد ، وبالتالى تصير دراستها أمرا شرعيا على ناحية الدين نفسه ، ومن ينكر فائدتها ، إنما يعين خصوم الإسلام على الفكر الإسلامى ، وما أظن أحدا من أهل الإسلام يرضى أن يعين غير مسلم على الإسلام ، أو أهل الإسلام ابدا ، لقوله ﷺ " كل

(١) لو كانت الفلسفة الإسلامية وليدة أية فلسفة أخرى ، لما كان لها شيء من الاستقلال حتى فى التسمية ، وذلك باطل بداهة ، فثبت استقلالها على العديد من الوجوه .

(٢) لأن الفيلسوف المسلم يتمسك بالنقل المنزل ، ولا يخرج عنه ، ولكنه يحاول التعرف عليه بطريقة غير التى يقوم عليها الفقهاء وعلماء التفسير والأصول ، وغيرهما فى ذلك المجال .

المسلم على المسلم حرام ، ماله ودمه وعرضه "[١] ، وقوله ﷺ " المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم "[٢] .

وغاية الفلسفة الإسلامية هى معرفة الله تعالى ، مع التأكيد على أن فائدتها القصوى ، لم تكن فى يوم من الأيام أعظم من معرفة الله الخالق العظيم جل علاه ، أما الفوائد الأخرى ، فإنها تتضاءل أمام معرفة الله تعالى ، والدفاع عن العقيدة الإسلامية ، مع تثبيتها فى النفوس والتأكيد عليها[٣] ، وهو الأمر الذى ننتهى اليه .

۞ **وفى تقديرى :** أن الفلسفة الإسلامية – دون سائر الفلسفات الأخرى – هى وحدها القديرة على تجديد الفكر الإنسانى ، وتحقيق السعادة الدائمة ، لأنها تلتزم هداية رب العالمين ، وهو سبحانه وتعالى العليم ، وخلقه كله الحكمة ذاتها ، وقد أنزل القرآن الكريم ، وأرسل النبى الخاتم الأمين ، والفلسفة الإسلامية تلتزم النقل المنزل ، وهداية النبى محمد الخاتم المرسل ، وحتما سيكون تجديد الفكر عن طريقها مأمونا ، كما أن السعادة معها ستكون محققة الوقوع ، أما الفلسفات الأخرى ، فليست ملتزمة النقل المنزل ، وبالتالى فإنها لن تحقق النتائج المعقولة فى تجديد الفكر ، أو تحقيق السعادة ، بل ربما أوقعت أصحابها فى ضلال مبين وخلافات تشتد ، وصراعات لا تلين ، وذلك الفارق بين لمن أنصف ، ولم يجحف .

(١) المواعظ السبعينية ص٩٥ ، والترغيب والترهيب .

(٢) العلامة الفشنى – شرح الفشنى على النووية ص٣٧ .

(٣) راجع كتابنا – رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٧٧ ط٣ .

الفائدة السادسة
معرفة النفس الإنسانية والعالم الذى تؤثر فيه

المفكر المسلم يحاول التعرف على النفس ، وهى مما خلقه الله تعالى ، وتحدث عنه فى كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة النبوية ، سواء كانت تلك النفس فى الإنسانية ، أو الحيوانية ، أو غيرهما مما يقع عليه الوصف به ، أو تقع لها التسمية بها ، أو تجرى فى أعراف الناس وأفهامهم على المفهوم بأنها نفس .

۞ من ذلك قوله تعالى ﴿" الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى "﴾[١] ، والنفس هنا تقع على كل ما له نفس من إنسان وحيوان حتى الجان[٢] ، وغيرها ، مما يقع لها الموت ، أو تبتدئ معها الحياة ، أو حتى تخلق خلقا مستقلا[٣] ، مما لا تعرف حقيقة النفس فيها ، وإنما نعرفها بما بما ورد فى النقل المنزل عنها .

۞ وقوله تعالى ﴿" ونفس وما سوها فألهمها فجورها وتقواها "﴾[٤] ، ومن هنا ترد التسمية والإطلاق على النفس المكلفة التى تقع لها أعمال الخير ، أو تجرى معها أفعال الشر ، وتقع فى دائرتها النفوس الإنسانية والجنية من هذه الناحية ، كما أن فيها من أوجه الكمال ما يجعلها تتمايز عن غيرها بالعقل والمعارف[٥] ، التى

---

(١) سورة الزمر الآية ٤٢ .

(٢) الشيخ خالد حسن القوصى – النفس الإنسانية فى الآيات القرآنية ص٥٧ .

(٣) الملائكة يخلقهم الله تعالى خلقا مستقلا مستمرا ، لأنهم لا يولدون ، ولا يأكلون ، ولا يشربون ، ولكنهم مع ذلك يموتون – راجع تحقيق المقام للشيخ الباجورى .

(٤) سورة الشمس الآيتان ٧/٨ .

(٥) الأستاذ على فكرى – القرآن ينبوع العلوم جـ١ ص١٢٨ .

هى الفيصل الدقيق بين النفس والجسم ، ولم يكن بمقدور أحد أن يعرف العقل الإنسانى بها وأحوالها على وجه مأمون ، إلا النقل المنزل .

ﷻ وقوله تعالى ﴿" وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم "﴾[١]، وهى إحدى حالات لنفس الإنسانية ، وليست طبيعة ملازمة لها ، ولا يعرف ذلك الا المولى الكريم ، الذى خلقها وغيرها ، ومن أصدق من الله حديثا .

إذن النقل المنزل هو الذى كشف للعقل الإنسانى معارف النفس وميز له حدودها ، كما هيأ للعقل الطريق المأمون للتعرف عليها ، بجانب التعريف بألوانها المتعلقة بالكائنات المتنوعة من إنس وجان وحيوان ، كما عرفه بأحوالها التى تدور حولها ، من أمارة ، ولوامة ، ومطمئنة[٢] ، إلى غير ذلك من التفصيلات التى عنيت بها الفلسفة الإسلامية ، خدمة للنقل المنزل نفسه .

ﷻ وقوله تعالى ﴿" لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة "﴾[٣] ، فالنفس اللوامة تقف من صاحبها موقف العتاب على التفريط ، والمؤاخذة على ما وقع فيه من التقصير ، وذلك شأنها ، والسمة التى تميزها عن غيرها .

ولا شك أن العقل وحده يعجز عن الوصول اليها ، فكان النقل المنزل هو المعرف بها ، والمحرك للعقل نحوها[٤] ، وفى ذات الوقت فان المفكر المسلم حاول

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٣ .

(٢) راجع كتابنا - أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ص٢٣٥ - الطبعة الرابعة .

(٣) سورة القيامة الآيات ١/٦ .

(٤) الأستاذ شاكر نور الدين - دراسات قرآنية ص٢٧ ط الأنوار .

التعرف على مفاهيم النقل المنزل فى ذلك الجانب ، مما يعتبر بحق من فوائد الفلسفة الإسلامية التى لا يمكن أن تشاركها فيها أية فلسفات أخرى .

ﷻ وقوله تعالى ﴿" يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى "﴾[1] ، وهى النفس الزكية ، التى لم تسقط حول الملذات ، أو تقع فى الشهوات أو تجرى لها بعض المخالفات ، فكان من فضل الله تعالى على صاحبها أن أكرمه بنعيم الجنات .

ﷺ وفى الحديث الشريف : " أن روح القدس نفس فى روعى ، أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ، وتستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب "[2] ، والأحاديث الشريفة التى وردت فى النفس كثيرة لسنا فى مجال التعرض لها ههنا ، ولكنا أشرنا اليها حتى نحقق مصلحة مشروعة ، خدمة لكتاب الله تعالى ، وسنة نبيه الخاتم سيدنا محمد ﷺ ، وبين أن الحكمة الإسلامية أصيلة فى النصوص والعقول الإسلامية وأنها تناولت كل ما يمكن تناوله أو التعرف عليه فى كافة المعارف .

إذن النصوص الدينية دفعت المفكر المسلم ، إلى محاولة التعرف على تلك النفس ، وبات من المؤكد وجود العديد من الأسئلة حولها ، وراحت تلك الأسئلة تلقى على العقل المسلم إلقاء حثيثا أول الأمر ، ثم تتطور إلى البحث الذى لابد من إيجاد حدود له ، من غير جدل عنيف ، وتلك مهمة مستجدة تقوم بها العقول السليمة .

لما هو معروف من أن مفكرى الإسلام الأوائل كانوا يرون " أن طبيعة عملهم الذى رسمه القرآن الكريم لهم هو تحقيق الأفعال الإنسانية ، وتجنب المسائل

(١) سورة الفجر الآيات ٣٠/٢٧ .

(٢) تعددت رواياته والقاسم المشترك بينها واحد ، باعتبار المعنى القائم فيها .

الاعتقادية الجدلية[١] ، ويتحقق ذلك عن طريق العمل والممارسة ، إلا أن تلك المسألة لم تستمر طويلا ، إذ بات من المؤكد أن النفس تؤثر فى العالم الذى تعيش فيه ، وفى نفس الوقت فإنها تتأثر به ، والعلاقة بينهما قائمة على التبادل المستمر .

إذن فلابد من بحث النفس والتعرف على أنواعها ، والشكل الذى تؤثر به فى العالم ، أو يقع لها التأثر منه ، سواء كانت نفسا عامة ، أو كانت نفس خاصة ، وسواء كانت نفسا إنسانية ، أو حيوانية أو غيرها من الأنفس التى جاءت الإشارات اليها فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

لكن من الذى سيبحث المسألة من الناحية الميتافيزيقية ويكون بحثه مأمون النتائج ، لا شك أنه المفكر المسلم ، والفيلسوف الحكيم بصفة خاصة لذا رأينا الأسئلة حول تلك النقطة تتشعب إلى :-

- ما هى النفس التى ورد فى النقل المنزل الحديث عنها[٢] ؟
- هل هى نفس واحدة فى الإنسان كله بأخذ أفراده منها ، أم هى أنفس متعددة بعدد أفراد الإنسان نفسه[٣] ، ومثل ذلك فى الحيوان وغيرها ؟
- هل هى فى الإنسان والحيوان والجان واحدة ، أم تختلف نفس كل منها عن الآخرين باعتبارات تتعلق بذات النفوس وأنواعها ؟[٤]
- هل النفس هى الروح أم غيرها ، وما وظيفة كل منهما على وجه التحديد ؟

---

(١) الدكتور / على سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الاسم جـ١ ص٥٩ - دار المعارف - ط٨ .

(٢) راجع الشيخ محمد حسنين مخلوف - المطالب القدسية فى أحكام الروح وأثارها الكونية ص٣٧ ط الحلبى - ١٣٨٢هـ .

(٣) راجع الدكتور محمد سيد أحمد المسير - الروح بين الإسلام والفلسفة - دار الطباعة المحمدية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

(٤) راجع العقائد العضدية بشرح الجلال الديوانى ، والفتوحات الالهية فى نفخ أرواح الذات الإنسانية للشيخ الانصارى - تحقيق بدوى علام - إحياء التراث .

- هـل توجـد خزائـن للنفـوس ، وأخـرى لـلأرواح ، وثالثـة للعقـول ، ورابعـة للقلوب ، إلى غير ذلك مما هـو قـائم فـى تلـك المسـائل ويجـرى معـها فـى العقـل المفكر[١]؟
- هل هـذه النفس تـرد إلى عـالم الأنفس عنـد المـوت ، كمـا تـرد الـروح إلى عـالم الأرواح ؟
- هل ترد النفس إلى الجسم بعـد المـوت عنـد سـؤال الملكين ، كمـا تـرد الـروح ، وهل ترد ذات النفس إلى الجسم ذاته عند البعث ، وتصاحبه فى النشـر والحشـر والصراط والميزان ، والنعيم أو العذاب ، أم سترد اليه نفس أخرى[٢]؟

كل تلك الأسئلة وغيرهـا راحـت تلقى بظلالهـا على المفكـر المسـلم ، الـذى رأى أن مـن واجبـة محاولـة القيـام بتقديـم تفسـيرات لهـا ، أو العمـل على إجابـات تكون كافية لدى الناظر اليها ، وفى ذات الوقت يعمل على بيان قيمة تلك النفس ومنزلتها من الناحية الشرعية ، وأثرها فى العالم الذى تعيشـه ، وهـو العـالم المشـاهد مع الالتفات إلى أن النفس من العالم غير المشاهد ، ثم نقل تلك التصورات الذاتيـة إلى العالم الغائب ، مع الأخذ فى الاعتبار الفارق بين المشـاهد والغـائب فـى العـوالم التى خلقها الله تعالى .

إذن الفلسفة الإسلامية حاولت التعرف علـى مرامـى النقـل المنـزل وأهدافـه ، مع ملاحظة أن دين الإسـلام هـو حـرر الفكـر مـن رقـه ، وحـل العقـل مـن قيـده ، وأخرج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور البصر والبصيرة[٣] ، وبالتالى فـلا قيـود

(١) راجع العلامة الباجورى – حاشية تحقيق المقام على كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام – الطبعة الأخـيرة ١٩٤٩م .

(٢) راجع المطالب القدسية للشيخ مخلوف ، فقد تناول العديد من تلك الأسئلة ، وحاول تقديم إجابات لها .

(٣) دكتورة سهير فضل الله أبووفية – الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين ص٢٣ ط المكتب المصرى بالقاهرة

عنده يمكن فرضها عليه ، إذا ما حاول الفيلسوف المسلم التعرف على النفس لا من حيث الحقيقة الذاتية لها ، وإنما باعتبار آثارها المنبثقة عنها ، ونتائجه التى تأتى بعدها .

ولا شك أن الفلسفة الإسلامية قدمت تصورات موفقة فى ذات المسألة متى كان القائمون عليها قد التزموا النصوص الدينية ، كما قدمت ملامح لفكر جديد ، يتعلق بأنواع الأنفس ،والصور التى ترد عليها ، والنهايات التى تقف عندها ، والنتائج التى انتهت تلك المحاولات اليها ، قد فتحت أبوابا جديدة لخدمة النقل المنزل[1] ، على ناحية غير التى كان العهد بها لدى الأقدمين قائما ، وتلك ميزة تنفرد بها الفلسفة الإسلامية ، وفى نفس الوقت فإنها إحدى الفوائد التى اتسمت بها ، ولا يمكن تجاهلها .

بيد أن البحث الفلسفى الإسلامى قد أدى مع ذلك إلى إيجاد نوع من الطمأنينة فى النفوس بالنسبة لأولئك الذين يتسألون عن كيفية تحقيق أحسن وضع فى الحياتين[2]، وذلك يحسب للفلسفة الإسلامية كفائدة من فوائدها ، بجانب ما تقوم به الجهود الأخرى لعلماء المسلمين فى التفسير والحديث والفقه والتصوف والأصول واللغة وغيرها ، وكل المفكرين المسلمين على هذا النحو يسيرون .

الفائدة السابعة
التوفيق بين النقل والعقل

عرفنا ان الفلسفة اليونانية مأخوذة من فيلوسوفيا ، ومعناها : محبة الحكمة ، والفيلسوف عندهم : هو محب الحكمة ، ولا شك أن محبة الحكمة مفهوم يقصد

---

(١) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام حـ٢ ص١٨٧ .

(٢) دكتورة فوقية حسين محمود - مدخل إلى الفكر الإسلامى - ص١٨ مطبعة أخوان رزق ١٩٨٧/١٩٨٨م

به المعرفة فقط من غير اعتبار للعمل أو الإيمان[١]، وهى بهذا تكون نظرية لا عملية ، وكل أبحاث الفلسفة اليونانية لا تخرج عن كونها خطرات عقلية قائمة على التأمل النظرى فى معطيات اللغة ، ومنتجات الفكر .

كما عرفنا أن الفلسفة اليونانية فى الاصطلاح هى " مجموع النتاج الفكرى اليونانى الذى يعتمد بالدرجة الأولى على أنسقه فكرية مسبقة ، معطيا بذلك مكان الصدارة للمتعقل ، دون الموجود الخارجى المنفصل فى حقيقته عن الذات العارفة[٢] ، فصارت الفلسفة اليونانية بهذا الاعتبار بعيدة الصلة تماما عن الفلسفة الإسلامية ، التى تعنى بالنظره والعمل والإيمان ، بجانب التأمل العقلى ، والواقع الموجود فى الخارج ، المنفصل عن الذات العارفة نفسها ، وهو ما أخبرت به المفاهيم المستفاة من النقل المنزل .

وفى ذات الوقت فان القضايا التى تعرضت لها الفلسفة الإسلامية ، لم تكن قاصرة على نصوص بعينها ، أو مسائل ذات توجه مقصود ، وإنما شملت قضايا الوجود والعدم ، العالم المشاهد والغائب ، فى كافة ألوان المعرفة الإنسانية وغير الإنسانية ، طبقا لما وردت به الإشارات فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[٣].

وهذا الشمول الذى تميزت به الفلسفة الإسلامية جعلها تتعرض لكافة المعارف ، سواء المأخوذة من الفكر الأغريقى أو الهندى والصينى ، وسواء كانت مأخوذة من الفكر الشرقى فى الأمم الشرقية ، أو رحل إلى الأمم الغربية عن طريق وسائط كثيرين ثم ظهر فى الأمم الغربية – بالتناول والعرض ، أو التحليل

---

(١) الدكتورة نوال نصر – دراسات فى الفلسفة اليونانية ص١٧ ط مرزوق ١٩٧٢ .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٩ .

(٣) والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى هذا الشأن كثيرة .

والتركيب ، أو الدراسة والنقد على سبيل الاستفادة منه ، أو التعديل فى أوجه القصور التى تكون بحاجة إلى إصلاح[١] .

باعتبار أن الفكرى الإنسانى حلقات متواصلة بعضها يتكامل مع الأخر ، حتى تكون الحلقة قوية ، كما أن الفكر الإنسانى يلقح بعضه بعضا ، والاستفادة التى ترد على اللاحق من السابق محل القبول ، ولا يختلف فى هذه الاستفادة مفكر سواء فى الجوانب الرياضية ، أو الطبيعية والسياسية[٢] ، وأمثال تلك المعارف كفضائل الدم التى متى توافقت تمت الاستفادة منها دون اعتبار لجنس ، أو لون ، أو مذهب ينتمى اليه .

ومن الطبيعى أن تنتقل تلك الثقافات إلى كل البلدان على مستوى العالم متى توافرت أسباب النقل والدواعى اليه ، وحينئذ يحدث نوع من الاحتكاك بين المعارف الوافدة والمعارف الثابتة ، وربما يحدث التلاقى بينهما أو التنافر والصدام الذى يقع لأى منهما ، وتقوم على أثره النتائج التى هى بمثابة المستولدات من المقدمات ، وستكون الثوابت لدى أية أمة هى التى تحكم المسألة[٣] ، وترجح عند المنازعة ، وفى نفس الوقت تكون الثوابت هى القواعد التى تستقل بها عن غيرها .

والأمة الإسلامية كأية أمة تستطيع استقبلال المعارف التى ترد اليها من الأمم الأخرى فى الرياضة والفلك والطبيعة ، وما كان من هذا القبيل ، لكنها تتميز عن باقى الأمم ، بأنها أمة خاتمه ، أمة عاقلة متفتحة ، قائدها الدين الإسلامى الذى

(١) الأستاذ محمد توفيق – الفكر الفلسفى ص٥٧ ط الفجر ١٩٥٢م .

(٢) ذهب إلى ذلك الكثير من المفكرين المسلمين ، باعتبار أن الفكر الإنسانى كالهواء لا يعرف موطنا غير الصحة والنقاء .

(٣) راجع كتابنا – الغزاليات فى منطق التصورات ، والغزاليات فى منطق التصديقات ، التفكير الإنسانى أصوله ومستوياته .

يحث على طلب العلم ، ويدفع اليه دون التفات لاعتبار أخر من بعد المسافة ، أو الاغتراب فى الأوطان ، أو إفناء العمر فى طلب العلم الذى يقدم الخدمات المتواصلة فى شئون الحياة ، للإنسانية على وجه الإجمال ، ومستدلين بالنصوص الشرعية .

ﷻ من ذلك قوله تعالى ﴿ " يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير " ﴾(١) ، وقوله تعالى ﴿ " إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور " ﴾(٢) ، ومن الآثار قوله ﷺ " ان الملائكة لتضع أجنحتها على طالب العلم رضاء بما يصنع "(٣) ، وقوله ﷺ " اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد "(٤) ،وقوله ﷺ " اطلبوا العلم ولو فى الصين "(٥) .

ﷺ وعن معاذ ابن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عباده ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الإخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل فى الجنة .

---

(١) سورة المجادلة الآية ١١

(٢) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٣) هو مروى عند أبى الدرداء ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول " من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع ، وان العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء " (رواه أبو داؤد والترمذى) .

(٤) وهو أثر مشهور ، وله طرق كثيرة .

(٥) ذكره ابن عدى ، والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث انس ، وقال البيهقى ، متنه مشهور وأسانيده ضعيفة - راجع احياء علوم الدين للإمام الغزالى - جـ١ ص٩ - تقديم الدكتور بدوى طبانه - ط الحلبى

يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة ، سادة هداة ، يقتدى بهم ، أدلة فى الخير ، تقتفى أثارهم ، وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر لهم ، حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها "[١].

والنصوص الدينية الإسلامية دفعت أصحاب العقول السليمة للعلم تعلما وتعليما ، متى كان ذلك العلم نافعا فى مصالح الدنيا ، غير مؤد بصاحبه إلى الهلاك ، بغض النظر عن من يؤخذ منه ذلك العلم ، سواء كان مسلما ، أو غير مسلم ، باعتباره متعلقا بالأمور الدنيوية وحدها ، مع عدم الالتزام بها – المأخوذ من غير الإسلام – فى المسائل الدينية أو الروحية ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

أما إذا تعلق العلم بالأمور الدينية ، فان المسألة تتوقف على المسلمين الموثوق بهم على لغة العلم الدينى ، الراسخون فيه على الاصطلاح الشرعى ، لقوله تعالى ﴿" فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون "﴾[٢] ، وفى الحديث الشريف " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وإنما انا قاسم ، والله عز وجل يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله "[٣].

وطبقا لتلك المفاهيم ، فقد نظر الفيلسوف المسلم إلى المنتج العقلى بوجه عام فى العلوم الرياضية والطبيعية والميتافيزيقية ، فرأه قد يخالف النصوص الشرعية الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، رغم أن ما جاء عن طريق المنتج

---

(١) الإمام الغزالى – إحياء علوم الدين جـ١ ص١٢ – فضل العلم – قال العلامة صاحب المغنى عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار ، ذكره أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب ، وابن عبدالبر ، وقال ليس له إسناد قوى .

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢.

(٣) وهو من رواية معاوية والحديث متفق عليه قاله الإمام النووى – رياض الصالحين – كتاب العلم ص٤٤٩ .

العقلى قد يكون صحيحا على بعض نواحى العقل، بينما النقل المنزل صحيح كله، لأنه وارد من قبل الله تعالى، عن طريق الوحى المعصوم، وبالتالى فان قاعدة الترجيح تأتى لصالح النقل المنزل لكونه هو الوحيد المعصوم.

هنا يأتى دور الفيلسوف المسلم، وهو التوفيق بين المنتج العقلى الذى اعتبر بعضه صحيحا، وبين النقل المنزل الصحيح كله، حيث يجد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، قد تناولت المسائل التى تناولتها هذه الفلسفة، لكن مع فرق كبير فى طريقة التناول والعرض، ومن ثم يرى الفيلسوف المسلم أن من الواجب عليه هو التوفيق بين ما أتى به النقل المنزل، وبين ما صرح به العقل السليم، خدمة للعقل والنقل معا[1]، وان كانت خدمة النقل عنده ترجح غيرها ،إذا تمت المقارنة.

كما أن عملية التوفيق بين الوحى والنقل والعقل، أو بين النقل والعقل، التى تقوم بها الفلسفة الإسلامية هى ذاتها عملية الموائمة المستمرة بين العقيدة والحكمة أو بين الدين والفلسفة، وقد انتهت إلى أن الوحى لا يناقض العقل الصحيح، وأن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفس، وثبتت أمام الخصوم[2]، وأن الحكمة إذا اهتدت بأنوار الشرع صارت حكمة منشودة، وعلى بابها مقبولة، أما إذا خالفت الشرع، فهى مرفوضة، ولا يمكن إطلاق وصف الحكمة عليها، باعتبار ان الحكمة هى وضع الشيء فى موضعه، أو أنها التشبه بالأحكام الإلهية على قدر الطاقة البشرية.

---

(١) راجع كتابنا – رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٦٩ ط٣.

(٢) الدكتور إبراهيم مدكور – فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ص١٩/٢٠ – ط الثانية –دارالمعارف.

◈ وربما تساورك استفهامات تجرى فى أعماقك، أو تستقر فى حنايا فؤادك ، تفرض نفسها فى إلحاح ، وتكل فى تكبر وعناد ، تقوم على تصور النزاع الدائم بين الدين والفلسفة ، أو بين الوحى والعقل ، ولكن هذا التصور ليست له مبرارته المقبولة . أما لماذا ؟

✍ **فلأن أوجه الاتفاق بين النقل والعقل كثيرة** ، متى كان العقل سليما مستقيما ، والنقل صحيحا ، أما اوجه الاختلاف بينهما فهى قليلة جدا ، ويمكن إيجاد نوع من التدفيق بين نتائج وأدلة كل منهما على وجه مقبول .

◈ وهاك مثالا واحدا من أوجه الاتفاق أسوقه بين ناظريك ، وعلى أمثالها تقاس الأشياء عند من يعرف النظائر ، ويفارق بينها بالدلائل والقرائن :-

معرفة الله تعالي

[أ] النقل المنزل - الوحي

عرفنا النقل المنزل بالله تعالى عن طريق التأمل فى الملأ كله علويه وسفليه صغيره وكبيرة . قال تعالى ﴿" قل انظروا ما فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون "﴾(١) ، وقوله تعالى ﴿" ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون "﴾(٢)، وقوله تعالى ﴿" ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم "﴾(٣).

وهو ما يعرف بالدليل النقلى الذى تتواتر أشكاله وصوره فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ويطول ذكره لو حاولنا استقصاءه ، ويكفى فيه ما

---

(١) سورة يونس الآية ١٠١ .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٨ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٩ ، والعنكبوت الأية ٦ ، لقمان الآية ٢٥ ، والزمر الآية ٣٨ .

ذكرناه ، مع ملاحظة أنه قائم على الاستدلال بالأثر على المؤثر ، وهو دليل قوى يغلب غيره عند المقابلة .

[ب] العقل السليم والفطرة النقية :-

سئل الأعرابى عن أدلته على وجود الله تعالى ، وكيف عرف الله تعالى ؟ فأجاب الأعرابى بفطرته السليمة ، وعقله الصحيح قائلا : البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج[١] ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل كل ذلك العليم اللطيف الخبير ؟! وهو ما يعرف بالدليل العقلى الفطرى ، وهو فطرى من حيث اشتراك كل الفطر فيه قبولا وتصرفا وتأكيدا ، وعقلى لأنه يجعل العقل السليم بجانب الفطرة النقية يعلن توحيد الله تعالى ، وتفرده بالجلال والكمال والجلال والإكرام[٢] ، وذلك فوق الاعتقاد بوجوده تعالى .

۞ **وصفوة القول** : أن الله تبارك وتعالى قد جعل هذا الكون بدرجة من الكمال والإتقان ، تشهد بوجود من شيده وأتقنه ، ولا ينكر هذا إلا كل معاند أفاك ، أو جاحد لا عقل سليم له ، وهم الذين عميت بصائرهم فلم يروا الآيات البينات ، ولم يبصروا الشواهد التى ملأت الكون أرضه وسماءه ، هؤلاء وأمثالهم هم الذين يقول الله تعالى فيهم[٣] :﴿ " صم بكم عمى فهم لا يرجعون "﴾[٤] .

---

(١) الدكتور على محمد جبر – محاضرات فى علم الكلام ص٢٧ شركة الطباعة الفنية .

(٢) راجع كتابنا – الغزاليات فى الالهيات ص٧٥ ط أولى ١٩٩٧م ، وتم تدريسه بكلية التربية النوعية بالزقازيق لطالبات شعبة الفصل الواحد آنئذ .

(٣) الدكتور سليمان سليمان خميس – نحو عقيدة قرآنية ص١٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٨ .

وهكذا يتلاقى النقل والعقل مع الفطرة السليمة في الاستدلال على وجود الله تعالى، وإثبات توحيده، وهو ما تسميه توافق العقل مع النقل، أو توافق الحكمة مع الشريعة، وكل التفصيلات التى تأتى على هذا الجانب، فيها الموافقة التامة بين النقل والعقل، ودور الفيلسوف المسلم فيها هو الإمعان مع الإنعام، والتأمل مع الإتقان.

أما أوجه الاختلاف بين ظواهر النقل وإنتاج العقل فهى قليلة، تعرف باسم موهم التعارض بين النقل والعقل[1]، حيث ذهب الكثيرون من العلماء إلى أنه لا تعارض بين النقل الصحيح، والعقل السليم، لأن العقل حجة الله على عباده فى القيام بالتكاليف الشرعية، والأمور الإعتقادية، والنقل هو الوحى المنزل من قبل الله تعالى، الذى يخاطب ذلك العقل، بل هو الذى أقام العقل وقيمه، وجعله مناط التكليف، وطبقا لهذا فلا يختلف النقل الوارد من الله تعالى، مع العقل الذى هو نعمة الله، وإلا حصل تخالف بين النقل الوارد كنعمة مع العقل الذى هو نعمة[2]، وذلك مما لا تصح نسبته إلى الله تعالى.

ثم أن الفيلسوف المسلم يقدس الدين ونصوصه، ويحترم العقل، وما دام الأمر معه كذلك فانه سوف يقف بينهما يتأمل كلا منهما، ويحاول تفهم ما ترمى اليه الأهداف والنتائج التى ترد مع نصوص الدين ذاته، أو تأتى مع قدرات العقل المستقيم، فإذا بدا له شيء من موهم الاختلاف أو التعارض الظاهر فانه يعمد اليه حتى يوفق بينهما، دون أن يلوى النص لغير غرضه، أو يجبر العقل على قبول الظاهر الا إذا كان على وجه يمكن تأويله إلى ما هو أيسر منه، ويقع لهما أيضا نوع من التلاقى.

---

(١) راجع مقدمة دور تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق الدكتور السيد سالم.

(٢) راجع كتابنا – منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ص١٧.

فإذا تحدث العقل عن أمور غيبية لا علم له بها كان متجاوزا حدوده ، خارجا عن نطاق المسموح له به ، وحينئذ يخضعه الفيلسوف المسلم إلى سلطة النقل المنزل ، ويجبره على قبول ما نص عليه الدين ، باعتبار أنه منزل من الله تعالى ، وبالتالى فله سلطة التقديس بجانب اليقين فى كل ما تحدث عنه ، وفى نفس الوقت فان العقل ليس لديه من أمور الغيب ما يعينه على السباحة فى محيطه ويأمن السلامة ، قال تعالى ﴿ " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا " ﴾[١] .

إذن العلاقة بين النقل الصحيح والعقل السليم ، فيها العموم للدين والخصوص للعقل ، فيها السيطرة والسيادة للدين فى كل ما يتعلق بالغيبيات التى لم توضع أسبابه بين الناس ، وهو الغيب الذى أختص الله تعالى به من يشاء من رسله وأنبيائه ، مثل كيفية نشأة الكون ، وكذلك وجود اللوح والقلم ، والكرسى والعرش[٢] ، وما كان من هذا القبيل سواء جاء على طريق السمعيات الدينية ، أو ظل غيبا لا يعرفه إلا الله سبحانه وتعالى[٣] ، ولم يخبرنا عنه السمع المعصوم ، لعدم إطاقة عقولنا له .

❁ **وربما نستأنس** لما ذهبنا اليه بقوله ﷺ " أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان فلا تبحثوا عنها "[٤] ،وقوله ﷺ " أن الله فرض فرائض

(١) سورة الجن الآيتان ٢٦/٢٧ .

(٢) راجع كتابنا – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى اثناء حديثنا عن أنواع الغيب – الطبعة السابعة .

(٣) راجع كتابنا – الغزاليات فى السمعيات بشرح المقاصد ص١٧ ط الثانية ١٩٩٩م .

(٤) الإمام البيهقى – السنن الكبرى حـ١٠ ص١٢ ط أولى – حيدر أباد الدكن بالهند وبالهامش الجوهر النقى

فلا تضيعوها ، وحد حدودا فى تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تقربوها ، وترك أشياء من غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوها "(١) .

وهذا المسكوت عنه إنما هو من الغيب الذى لم يخبرنا بتفاصيله ، أو الحديث عنه السمع المعصوم ، ولذا فإنى أرى أن النقل فوق العقل الصحيح ، وارى ضرورة أن يخفض العقل جناحه للنقل المنزل ، ففى ذلك عصمة للعقل من الضلال ،وفرصة للنجاة من الهلاك ، ومأمن له عن الانزلاق ، وفى ذات الوقت فان العقل فى إنطلاقاته الأخرى ستقع له الإفادة التامة ، من متعة عقلية ، وراحة نفسية ، بعد صحة إيمان وسلامة اعتقاد ، وهو الذى حاولت الفلسفة الإسلامية القيام به ، والتأكيد المستمر عليه .

الفائدة الثامنة
الانفتاح الثقافى وكسر العزلة الفكرية

عاش المفكرون قديما كل فى مجال تخصصه فقط لا يوجه إلى غيره الا عرضا ، حتى إذا خرج عن مجال التخصص الذى وقف حياته عليه كانت التخصصات الأخرى بالنسبة له غريبة عليه ، فربما أنكر موضوعاتها ، أو حكم متعجلا على نتائجها ، أو تمسك بصحة تخصصه ، وعيب التخصصات الأخرى ، فتقع داخل المجتمع الواحد الاختلافات ، وتستمر النزاعات ، ولا يبقى داخل الجماعة الواحدة إلا الانتقادات الجائرة ، التى تعلن عنها أفانين الجحود ، وألوان الاتهامات(٢) ، وذلك ليس فى صالح أى من المجتمعات إذا استمر ، وإنما ستكون النهاية الأكيدة .

---

(١) العلامة أبو نعيم الأصفهانى - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ٩ ص١٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الأستاذ عبدالقدوس محمد الأسنوى - معالم الفكر المنغلق ص١٩ ط رؤف ١٩٢١م .

وكافة المجتمعات – المتعلقة – فى حدود تلك القاعدة تقبع ، وتاريخ الاضطهاد الفكرى من الشواهد القديمة على ما نذهب اليه ، كما أنه من أبرز الدلائل على صحة ما ندعيه ، سواء أكان ذلك داخل مجتمع بعينه ، أو أمتد فشمل مجتمعات فيها الاختلاط والتزاوج ، أو يحيط بها الجمود والانغلاق على النحو الذى ينتهى بأصحابه إلى الوقوف عند حد العزلة الفكرية[١]، وان كانت فى مجال بعينه .

بيد أننا لن نذهب بعيدا ونضرب فى الزمن الغابر ، ولكنا سنلتقط من الغرب المسيحى ، وبعض بلدان الشرق الإسلامى ، مع الأخذ فى الاعتبار أننا لا نقصد الدين الإسلامى على ناحية المقارنة ، بقدر ما نحاول التعرف على بعض جهود المفكرين الإسلاميين[٢] ، فالدين الإسلامى لا يقارن بشيء أبدا ، لأنه أعلى من الكل وهو فوق الكل ، فهو الدين الذى ارتضاه الله دينا عاما خالدا باقيا للجميع ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما عليها[٣]، والنبى الخاتم هو سيدنا محمد ﷺ [٤].

وبالتالى فكل ما يطلق عليه لفظ الدين غير دين الإسلام لا اعتداد به ، ولا التفات اليه ، ولا مقارنة له به ، والاشتراك اللفظى لا يعنى التطابق فى المفهوم ، وهذا مما تشهد به اللغة ،وفى نفس الوقت فان العقول السليمة تعترف به ، وتؤكد أنه لا علاقة له بالدين الإلهى إلا فى الناحية اللغوية فقط .

---

(١) راجع كتابنا – خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص٢٨١ ط٣ .

(٢) للتعرف على الفوارق بين الفكر الدينى والنصوص الدينية ، راجع كتابنا : أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص١٥ ، وكتابنا : أنسام حيية فى الأفكار الصوفية ص٣١ .

(٣) راجع كتابنا : لماذا انتشر الإسلام جـ١ ص٢٢١ ط٥ ١٩٩٨م .

(٤) قال تعالى ﴿ " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما " ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٤٠)

وكم أنبأت حوادث الدهر ان مفكرى أوربا المسيحية أنعزل كل فى مجال تخصصه ، حتى صار كأنه الوحيد الموجود فى الحياة ، بل راح كل منهم ينظر إلى الأخر نظرة ريبة واستنكار ، فلا هو على قناعة بما يلقى اليه من أصحاب التخصصات الأخرى ، ولا هو بالقادر على الوصول فيها إلى حكم مستقل ينال شيئا من القبول العقلى أو المنطق اليقينى ، ومع أنه فاقد القدرة على إصدار حكم فيها ، فانه ينعزل عنها ، ويعلن رفضه لها ، مهما كان على درجة من اليقين العلمى[١] ، وهو حكم بالرفض على أحكام الآخرين وعقولهم من غير أن يقوم على أسس مقبولة .

ولم يقف الحد بهذه العزلة على التخصصات المختلفة ، وإنما تجاوزها لا إلى الجنسيات ذاتها ، فمن كان من المصريين هجره اليونان ، ومن كان عن طريق الهنود تجاهله الرومان ، وما ورد على جهة حضارة الرافدين ، لم يجد مكانا له فى صدور أصحاب بلاد ما وراء النهر ، رغم تجاورهما إلى حد الامتزاج ، ومرجع ذلك كله إلى ضيق الأفق هناك ، والعزلة المفروضة من الداخل على سلوكيات بعض المفكرين ، وقد أمتد ذلك فشمل المسلمين وعقولهم[٢] ، حتى انتهى الأمر بهم إلى أن صار المجتمع الواحد مجتمعات متفرقة ، لا يجمع بينها الا الأرض التى يسكنون عليها ، والمنافع التى يتبادلونها ، ولا يمكن لهم التخلى عنها[٣] ، الا فى حالة الإكراه عليه من سلطة أعلى تفوق إمكانياتهم العادية ، ولم تكن مسألة الاستثناء الا فى حالات نادرة جدا .

أجل كانت لذلك الانغلاق الفكرى نتائج سلبية على المجتمعات التى يسودها والمفكرين الذين يعيشون فيها وأبسطها وجود عزلة فكرية ، بحيث لا

---

(١) راجع كتابنا : قضايا حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص٩٣ .

(٢) وقد نبه إلى ضيق الأفق الإمام الغزالى ، وبين أنه سبب أغلاط المفكرين - راجع الاقتصاد فى الاعتقاد - التمهيدات ص٧ ط الحلبى بدون تحقيق .

(٣) راجع كتابنا - حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد - جـ٣ ص٣٥ وما بعدها الطبعة الثالثة .

يكون للعاقل شعور بما يدور حوله ، الا شعور التخوف والتوجس ، وفى ذات الوقت فانه ينظر إلى المحيطين به نظرة شك واسترابة ، فلا هو بالواثق فى إمكانياتهم ، ولا بالقادر على قبول الاستفادة من نتائج أفكارهم[١] ، وهو فى ذات الوقت بأمس الحاجة إلى المصالح التى لها وجود مشترك فى حياة كل منهم .

وقد اعتنقت مجتمعات تلك الأفكار السوداء التى تناقلتها فلسفات ادعى أصحابها التقدم والعصرية ، وهى عصارة ضيق الأفق ، وانغلاق الفكر ، وعبودية العقل للأهواء ، فانتهى الأمر بذات المجتمعات إلى الحروب المستعرة على افرادها ، والمجتمعات المحيطة بها ، حتى ساد شعور عام بين الجميع ان كل فرد هو عدو للأخر ، وامتد ذلك الشعور العدائى إلى كل المجتمعات التى اعتقدت نفس الأفكار ، بحيث غلب على الجميع عنصر الأنا الذاتى فقط ، دون التفات للأنا الأعلى ، أو رغبات الأنا الأخر[٢] ، فى ذات المجتمع الواحد الذى يعيشون فيه ، وربما فى ذات الأسرة الواحدة .

۞ **أما الفلسفة الإسلامية فإنها رفضت الانغلاق الثقافى** ، الذى يدفع المرء إلى التقوقع ، كما حاربت الانعزال الفكرى ، لأن الإنسان مدنى بطبعه ، مجبول على التعامل مع غيره ، والتعايش مع الآخرين فى حدود البيئة التى تحتويهم ، والظروف التى تفرض عليهم ، لكن لما كانت الفلسفة الإسلامية قائمة على تفهم النقل المنزل فإنها لم تهمل الأخذ بالأسباب ، والاستفادة من الآخرين شريطة أن لا

---

(١) كان لهذا الأمر نتائج غاية فى السلبية تعرضت لها المجتمعات التى غلبت عليها العزلة الفكرية ، والانغلاق الثقافى ، حتى لو كان فى العصر الحديث ، أو فى القرن الذى ابتدأ أمس .

(٢) دكتورة وفاء محمد نصر – الأنا الذاتى والأخر ص٤٥ ط دار المتيم ١٩٧١م .

تعارض تلك الاستفادة أمرا شرعيا ، أو تخالف قاعدة دينية[١] ، أو تقفز على القيم الأخلاقية التى جاء بها الشرع الشريف ، واستقر بها العرف السليم[٢] .

۞ **أجل لم تعارض الفلسفة الإسلامية العلوم الرياضية فى الكم المنفصل**[٣] ، باعتبار أن تلك العلوم لا تعارض النصوص الشرعية ، وفى ذات الوقت فإنها تقدم مصالح ضرورية للبشرية فى الأمور الدنيوية ، وربما استفاد منها الكثيرون فى معرفة بعض الأحكام الشرعية ذاتها .

فعلم الحساب مثلا تعرف به مواقيت أداء الفروض ، وأنصبة الزكاة ، واسهم الميراث ، وغير ذلك مما يتعلق بالأمور الشرعية من هذه الناحية ، وكذلك علم الهندسة باعتبار تعلقه بالسطوح والأحجام ، فانه يفيد فى معرفة بعض الأحكام الشرعية كالأروش والديات ، وما يتعلق بأحكام المعاملات الشرعية ، والحدود والجنايات ، بل وفى كثير من أحكام الأسرة أيضا[٤] على النحو الذى عنى به الباحثون .

---

(١) الدكتور حسان فوزى - الفلسفة الإسلامية والارتباط الاجتماعى ص٢١١ .

(٢) لأنها تلتزم النصوص الشرعية ، وكل ما تدعو اليه الشريعة ، فان الفلسفة الإسلامية تعمل على تطبيقه ، وتوظيفه بالشكل الذى يؤدى إلى خدمة الشريعة الإسلامية نفسها ، وإلا ما كانت فلسفة إسلامية ، وما استحقت الوصف بالإسلامية أبدا .

(٣) الكم المنفصل هو علم الحساب والجبر ، أو علم الأرقام الحسابية ، والرموز الجبرية ، وسمى كما ، لأنه كمية أو معبر عنها ، ومنفصلا لأن كل واحد من مكوناته يمكن أن ينحل إلى أجزاء صغيرة جدا ، والكم المتصل هو علم الهندسة والطبيعة ، أو علم السطوح والأحجام ، وسمى متصلا لأن أجزاءه متصلة ببعضها ، لا يمكن الفصل بينها ، الا فى الذهن فقط على سبيل الغرض - راجع كتابنا : النسبية بين النقل والعقل .

(٤) الفقه الإسلامى عنى بكثير من تلك الجوانب الدقيقة ، وغيرها ، فارجع اليها فى مصادرها كالفقه على المذاهب الأربعة للشيخ الجزيرى ، الفقه على المذاهب الأربعة للدكتور حمزه النشرتى وزميله ، وكتب الفقه الإسلامى كثيرة بارك الله فيها وفى أصحابها .

وكذلك علم الطبيعة ، وعلم الأحياء ، وعلم الفلك ، وسائر العلوم المدنية ، التى لا تعارض الشريعة الإسلامية ، فان الفيلسوف المسلم هو الأخر يقبلها ويدعو اليها ، بل ويقوم بممارستها من غير اعتبار للمصدر الذى جاءت منه ، أو الجنسية التى انطلقت منها ، باعتبار أن ذلك من متعلقات الأمور الدنيوية ، والمصالح المشتركة التى يتقاسمها الناس فيما بينهم[١] ، فلم تغلق نفسها على ما أنتجته العقلية الإسلامية وحدها ، وإنما تجاوزته إلى غيره ، سواء كان آتيا عن طريق عقليات توافقها الاتجاه السلوكى أو تخالفها ، لأن العبرة بالنتائج المشروعة من عدمه[٢] .

❁ **وربما كانت النصوص الشرعية ، والممارسات الفعلية ، والسلوكيات الاعتيادية للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - هى جميعا الموجه للفيلسوف المسلم فى المسألة ،** حيث أن القائد الأعظم ، السراج المنير سيدنا محمد رسول الله ﷺ قد باشر ذلك بنفسه حال حياته المباركة ، فلم يحجر على عقل ، ولم يمنع الانطلاق فى فكر ، حتى فى أدق اللحظات ، وأصعب القرارات ، ما دامت الأمور لا تتعلق بالنواحى القائمة على النصوص الشرعية المباشرة ، وإنما تقوم على المسائل النظرية والقدرات العقلية ، والتجارب العادية ، والفوائد الضرورية فى النواحى المادية .

وأية ذلك موقف سيدنا رسول الله ﷺ فى غزوة بدر الكبرى ، حين استشار رسول الله ﷺ أصحابه أيكون معسكرهم بعد أبار بدر ، بحيث تكون المياه نحو العدو ، أم يكون المعسكر قبل ماء بدر ، فينقطع طريق إمداد المياه عن العدو[٣] ، فإذا استمرت المعركة ونفد الماء ، اضطر الأعداء إلى الاستسلام بشروط الله

---

(١) الدكتور طه جمال حسن - الفكر الإسلامى بين المؤيدين والمعارضين ص٥٧ .

(٢) راجع فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وكذلك مناهج الأدلة فى الكشف عن قواعد عقائد أهل الملة للإمام ابن رشد ، وكذلك كثيرون غيره من مفكرى المسلمين .

(٣) الدكتور محمود محمد زيادة - العرب وظهور الإسلام جـ٢ ص٢٩٥ .

ورسوله ، فلما رجح الرأى الثانى ، قام الرسول الكريم ﷺ ، وأصحابه بالممارسة الفعلية وضربوا خيامهم قبل الماء ، حتى كان الماء خلفهم فصار بمثابة الرصيد الدائم لإمداد جيش المسلمين بالماء ، وهو عنصر الحياة الوحيد فى الصحراء ، وكان ذلك من أحد عوامل انتصار المسلمين فى غزوة بدر الكبرى[١]، التى كانت أول معركة بين الإيمان والكفر ، ونصر الله فيها أهل الإيمان – سيدنا محمد وأصحابه –، وانهزم أهل الشرك .

كما أنهم فى غزوة الخندق[٢]، قد تم نفس الأمر ، ورأى الرسول الكريم ﷺ فكرة سيدنا سلمان الفارسى – رضى الله عنه – صائبة ، إذ كانت المسألة قائمة على كيفية الدفاع عن المدينة المنورة ، بعد أن وصلت الأخبار المؤكدة ، استعدادات الجيوش الكافرة لمهاجمة المسلمين فى ديارهم داخل المدينة المنورة ، رغبة القضاء عليهم ،والتخلص منهم ، وما دام الأمر يتعلق بالخبرات والتجارب الثابتة ، والنتائج المؤكدة ، فلا مانع من الأخذ بها من غير التفات إلى المصدر الذى جاءت منه[٣].

❁ **وربما يقال : أن المصدر هو سيدنا سلمان الفارسى الصحابى الجليل الباحث عن الحقيقة ، فهو مصدر إسلامى ، وليست فيه صوره انفتاح على ثقافة أخرى ، أو كسر لعزلة فكرية .**

---

(١) راجع تاريخ العرب وظهور الإسلام للدكتور محمود زيادة ، وكذلك الفتوحات الإسلامية .

(٢) تعرف باسم معركة الخندق ، لأن المسلمين حفروا خندقا حول المدينة من ناحية جيوش الأعداء حتى يمنعهم من الوصول إلى المدينة ومهاجمة المسلمين ، وتعرف كذلك باسم معركة الأحزاب ، لأن المشركين تحزبوا على رسول الله ﷺ والمسلمين ، وتعرضت للكثير من تفصيلات الموقف سورة الأحزاب .

(٣) راجع تاريخ الأمة العربية للدكتور عبدالفتاح شحاته – الجزء الأول ، وكذلك تاريخ العرب وظهور الإسلام للدكتور محمود زيادة .

✍ **والجواب** : ما ذكره سيدنا سلمان نفسه من أنهم فى بلادهم – فارس – كانوا يعيشون حالات حروب الحواضر المستمرة ، وأنهم كانوا يستخدمون ذلك النوع من الدفاع كوسيلة دفاعية ، فإذا حاول العدو اقتحام الخندق فان نسبة النجاح ستكون قليلة جدا ، وفى تلك الحال يمكن التعامل مع الأفراد القلائل الذين يتمكنون من عبوره ، ولن تكون النتائج لصالح المهاجمين أبدا ، لأنهم فى الغالب ندرة ، بينما سيكون القناصة فى الأماكن المرتفعة قادرين على اصطياد من يستطيع اجتياز المانع الصناعى الذى يقف سدا منيعا فى مواجهة الأعداء[1] ، وقاعدة صلبة للدفاع عن أصحابه .

أجل قاد الرسول الكريم ﷺ المسلمين للقيام بحفر الخندق ، وشاركهم العمل ، بل وتحمل أكثر من غيره حتى يظل هو القدوة النبيلة ، والقيمة العالية ، والمثال البشرى الذى تجمعت فيه ألوان الكمالات البشرية ، قال تعالى ﴿ " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا إيمانا وتسليما " ﴾[2] .

أجل تم حفر الخندق بأيدى الرسول ﷺ ومعه الصحابة الكرام ، يدفعهم للعمل فيه الحب فى الله ، والرغبة فيما عند الله ، فكانوا يمثلون سلاح المهندسين فى أرقى صوره ، كما انهم كانوا يتكاملون فيما بينهم مما يعتبر بحق صورة التلاحم المتكامل بين أفرع الجيش كلها ، وقد حقق الله وعده ، فانهزم الأحزاب ،

---

(١) وقد استفادت الجيوش الحربية فى العصر الحديث من هذا النوع التفنى فى الجانب العسكرى ، حتى عرف باسم سلاح المهندسين ، كما قامت العصابات اليهودية الصهيونية بناء خط بارليف بعد قناة لاسويس ، ولكن الله خيب أمالهم ، ونجحت العسكرية المصرية فى تدمير خط بارليف فى العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، وكان ذلك بفضل الله تعالى ورحمة منه جل علاه .

(٢) سورة الأحزاب الآيتان ٢١/٢٢ .

وانتصر المسلمون الذين سجلوا فى التاريخ العسكرى – مع الإيمان بالله تعالى – أروع صفحات الجهاد والبطولة والأقدام ، والحرص على الشهادة فى سبيل الله ، فوهب الله لهم أرقى الدرجات وحقق على أيديهم أعظم الانتصارات[١] ، وحاق بالكافرين سوء العذاب بعدما لحقت بهم الهزيمة والنكال مع الخسران .

كما أن الرسول ﷺ دخل مسجده الشريف ذات يوم فوجد أحد أبناء الصحابة قد سافر إلى بلاد فارس ، وتعلم صناعة المصابيح منهم ، ثم عاد فصنع مصباحا يستضيء به الناس فى مسجد رسول الله ﷺ ، فلما دخل الرسول الكريم مسجده ، ورأى ذلك النور الذى يخرج من المصباح ، وعرف الرسول الكريم ﷺ أمر صانعه ، قال الحبيب المصطفى ﷺ "اللهم نور قبره كما نور مسجدنا هذا"[٢] ، ودعا له بالبركة ، ولم يرفض المصباح ، لأنه قد استفاده صانعه من بلاد الكفر ، ما دام الأمر لا يتعلق بالناحية الشرعية ، وفى نفس الوقت فانه – كمنتج عقلى – يؤدى خدمة للشريعة الإسلامية .

۞ **والفلاسفة المسلمون على نهج رسول الله ﷺ قد سار أغلبهم ، فى السعى للاستفادة من الثقافات المختلفة** فى جوانبها التى تتعلق ببعض النواحى الدنيوية ، بل وما رسها ودعا اليها ، واشتغل بها ، فالكندى الأمير[٣] ، العربى المسلم الفيلسوف ، كان رياضيا بجانب كونه فيلسوفا وفقيها متكلما على مذهب أهل الاعتزال ، بل أنه

---

(١) وفى تقديرى أن المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وكذلك المسلمين فى الشيشان ، وكل إخواننا المسلمين المستضعفين يقومون بنفس ذلك الدور ، وسوف يحقق الله لهم الغلبة والانتصار ، كما سوف تظل رأية الإسلام عالية خفاقة ، فى الشيشان ، وفى كل مكان من بلاد المسلمين ان شاء الله تعالى .

(٢) لمزيد من التفصيلات يمكن الرجوع إلى كتابنا : لماذا انتشر الإسلام جـ٢ ص١٨٥ وما بعدها .

(٣) ذكر العلامة المؤرخ القفطى : أن الكندى هو أحد أبناء ملوك العرب فى قبيلة كنده ، وكذلك كان أجداده ملوكا عليها ، وبالتالى فهو أمير ، لأنه أحد أبناء هؤلاء الملوك – أخبار العلماء العلماء ص٢٤٠ وما بعدها .

استخدم المنهج الرياضى فى الاستدلال على وجود الله تعالى[١]، أيضا حتى صارت أدلته فى هذا الجانب من أبرز الأدلة العقلية ، التى لها وجود فعلى ، وتميز عن غيرها .

❁ **وقد كان الكندى صاحب رؤية خاصة ، ومنهج متميز ، اعتمد على طرائق الرياضة من الابتداء بالمقدمات ، حتى الانتهاء إلي النتائج التى يحاول الوصول اليها** ، أو يعمل على بلوغها ، والتأكيد عليها أن كانت معروفة له من قبل ، أو كشف ما يختبئ خلفها ان لم تكن معروفة له ، أو لم يسبق اليها[٢] ، باعتبار أنه الحق فى تلك المسائل ، كما أنه ميراث أجيال فكرية ، كل أسهم فيه بنصيب ، فاهمال الماضى العلمى – مهما كان امره – يستلزم إعادة الأمر إلى الماضى السحيق ، وذلك مالا تقبله العقول الصحيحة ، بل أن الكندى اعتبر رائد الفلسفة الإسلامية الإلهية[٣] من هذه الناحية أيضا .

❁ **كما صنع ذلك الشيخ الرئيس ابن سينا ، ومن قبله الفارابى فى المشرق الإسلامى ، وفعل بعدهم ابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وابن مسكوية ، وغيرهم من فلاسفة المغرب الإسلامى** ، وكانت توجهاتهم فى التأثير والتأثر قائمة بالأدلة الشرعية ومن خلالها .

---

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى – الكندى فيلسوف العرب ص١٤٦ وما بعدها ، حين يذكر ان الكندى اعتمد على المبادئ الرياضية التى كانت موجودة ، واتفق عليها أصحابها ، ثم استخدمها فى الوصول لاثبات التناهى فى العالم ، وراجع للدكتور الأهوانى – الفلسفة الإسلامية أيضا .

(٢) راجع المقدمة الرائعة التى قام بها الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريده لرسائل الكندى ، ففيها تحليل دقيق ، وكلام طيب عن فيلسوف العرب ، وراجع الكندى فيلسوف العرب أيضا .

(٣) راجع الكندى – رسالة وحدانية الله – وتناهى جرم العالم ، ضمن الرسائل التى حققها الدكتور أبو ريدة

بل ظهر أثر ذلك واضحا فى أوربا ، حين انتقلت اليها الثقافة الإسلامية ، وذلك مما اعترف به مفكروا الغرب غير المتقدمين[١] ، سواء فى العلوم الرياضية أو العلوم الطبيعية ، بما فيها منهج التجربة والملاحظة والاستقراء ، إلى أخر ما عرفه العلم الحديث فى هذا الجانب[٢] .

❁ **وربما يقال :** ما هى الميزة التى افترقت بها الفلسفة الإسلامية عن الفقه والتفسير والنحو والبلاغة ، وغيرها من العلوم الإسلامية الأخرى ، التى قامت أساسا على خدمة الدين الإسلامى نفسه ، بل أن بعض القائمين عليها بلغوا مراتب السبق والإمامة فيها ، وكانت لهم جهود متميز فاقت التصورات العادية التى ألفها الناس فى التفكير والتقعيد مع البحث والمقارنة فى الجانب التطبيقى أيضا .

✍ **والجواب** : أن أغلب القائمين على الفقه من غير شيوخ المذاهب ، وقفوا عند الألفاظ الشرعية ، ومدى انطباقها على ذات الأحكام الشرعية المأخوذ منها ، بحيث لا يسمح لنفسه بالخروج عنها إلى غيرها ، وهو ما يعرف باسم الدراسات المطابقة ، وعرف فى القانون باسم مطابقة النص على الواقعة[٣] ، القائمة حتى أن هؤلاء الفقهاء ربما أصدروا أحكاما يتعلق بعضها بالإيمان ، أو

---

(١) راجع : ما كتبته الباحثة - زجريد هتجه Zegreed Henga - فى كتابها شمس الله على الغرب ، أو فضل الإسلام على أوربا .

(٢) راجع فى هذا الشأن ما كتبه بريفولت فى كتابه بناء الإنسانية ، وما كتبه الأستذ وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى ، الدين فى مواجهة العلم ، إلى غير ذلك مما دونته أقلام المسلمين أو كتبها غيرهم ونقلها عنهم الكتاب المسلمون كشهادات حق فى مواجهة المتعصبين .

(٣) وهناك فى القانون ما يعرف بقاضى المطابقة ، لأنه يطابق بين الحالات القائمة فى القانون بما استقر عليه الأمر فى الأحكام التى تم تنفيذها - راجع الأستاذ محمد عمران -القانون بين قاضى المطابقة والملاءمة ص٢٣٥ .

الكفر على مخالفيهم الرأى ، لمجرد الاختلاف فى تكيف المسألة الشرعية ، أو التوصيف الذى تجتمع الآراء حوله – من وجهة نظره – عليه[١] .

ورغم أن تلك الحال لم تكن عامة فى كل الفقهاء ، إلا أن الأحكام التى كانت تصدر عنهم صار لها من العموم ما للقواعد الآمرة ذاتها ، بحيث أن تلك الأحكام بمجرد صدورها ، يحاول الجميع إذاعتها وتطبيقها ، كأنها فتاوى شرعية ، بل ومن اليسير أن تجد نقطة خلاف هامشية الأمر تنتهى إلى الزامات ونتائج يوصف المخالف لها بالكفر فى الدين ، والملة والنعمة .

وما مسألة جلد الإمام أحمد بن حنبل ، وتعذيب شيخ الإسلام ابن تيميه ، وتحريق كتب الإمام الغزالى فى المغرب الإسلامى ببعيدة ، وهى كلها من معالم التعصب للرأى ، ومحاولة فرضه بقوة السلطان ، بدل قوة المنطق والحجة والبرهان[٢] ، وليس ذلك من شأن أهل التسامح أبدا .

كما ان ذلك الأمر ربما انسحب إلى المفسرين ، والصوفيه ، والنجاة أيضا ، ولكنه قد يصل إلى الاختلاف العنيف ، أو ما تسمى بالعنف الدبى ، وما الأحكام التى أصدرها الإمام ابن الصلاح ، والنواوى ، وابن عرفه ، والبقاعى ، وغيرهم من فقهاء ، ونحاة ومفسرين على مخالفيهم الا مدونة فى المؤلفات التى صدرت عنهم ، وحملت فى الغالب الأعم أراءهم ، وفى نفس الوقت نسبت إليهم[٣] ، وفيها شواهد على ما ذهبنا اليه .

---

(١) راجع ابن الفارض والحب الإلهى للدكتور محمد مصطفى حلمى ص١٤٧ وما بعدها .

(٢) راجع كتابنا : أوراق مطوية فى التصوف و الصوفية ص٤١٥ وما بعدها ، وراجع محنة الإمام أحمد ، وكتابنا لمدخل التام لعلم الكلام .

(٣) راجع الإمام السيوطى – صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام جـ١ ، ٢ – تحقيق الدكتورة سعاد على عبدالرازق ط مجمع البحوث الإسلامية .

أما الفلسفة الإسلامية فقد نحت منحى أوسع من قبول للرأى الأخر ، والتعامل معه ، مع الأخذ فى الاعتبار أنه رأى قابل للصواب والخطأ ، وأنه لا عصمة فيه أبدا ، وفى نفس الوقت فانه لا يكون الا فى المسائل الدنيوية ، التى تخضع للتجارب والإمكانيات، وتجرى مع الناس دنياهم مع الالتزام بالقواعد الشرعية فى القبول والرفض[١] ، وتلك ميزة تفوقت بها الفلسفة الإسلامية على غيرها من العلوم الشرعية التى تخدم الدين الإسلامى نفسه .

❁ **إذن الفلسفة الإسلامية أوصت بضرورة الانفتاح الثقافى والعلمى** ، وفى نفس الوقت فإنها دفعت إلى كسر طوق العزلة الذى فرضته بعض الأفكار تحت إلحاح الأمور الشرعية ، كما ان الفلاسفة قد وضعوا ضوابط لذلك الانفتاح الثقافى ، وفى نفس الوقت فانهم خصوه بالجوانب التى تتعلق بالمسائل الدنيوية المادية .

❁ **أما الجوانب الروحية ، وما يتعلق بالعقيدة والأحكام ، فان الفلاسفة المسلمين لم يأخذوها الا من النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة** ، وكانت لهم فيه مجهودات كبيرة ، حفظها التاريخ لهم ، وما تزال تعلن عن نفسها حينا بعد الأخر ، مما يدل على عبقرية خالصة ، قائمة على الأصول الشرعية .

والى هنا نقف بالحديث عن فوائد الفلسفة الإسلامية ، على النحو الذى أمكننا التعرف عليه ، والوصول اليه فى كل ما سلف ذكره ، ولطالب المزيد الرجوع إلى المصادر التى أشرت اليها أسف صفحات البحث ، واسأل الله تعالى السلامة والنجاة فى الدنيا والآخرة ، أنه نعم المولى ونعم النصير ، وما ذلك على الله تعالى بعزيز .

---

(١) كان الإمام ابن رشد أكثر شرحا لقبول المسألة على الناحية الشرعية - راجع مناهج الأدلة ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وكذلك فعل ابن باجة ، وابن طفيل ، وفلاسفة الأندلس الإسلامى على وجه الخصوص .


الفصل السادس
عوامل نشأة
الحكمة الاسلامية

عرفنا أن الحكمة الإسلامية وليدة المحاولات الفكرية التى قام بها المفكر المسلم فى تفهم النصوص الإسلامية الغير قطعية فى دلالتها ، ولكن أغلب الدارسين لتاريخ الفلسفة ممن ينقادون لآراء غيرهم ، أو ينقلون وجهات نظر الآخرين من غير نظر فيها بعين نافذة أو تفهم للعواقب يذهبون إلى أن الحكمة الإسلامية أو الفلسفة الإسلامية قامت على الفلسفة اليونانية فى بغداد أيام حكم الخليفة المأمون(١) ، فهى وليدة الفلسفة اليونانية ، وليست معبرة عن الفكر الإسلامى .

وربما نستدل على أنهم أمعة وأنهم ينقلون حرفيا عن غيرهم ، فيرددون بأن أهم حادث فى تكوين الفكر الفلسفى الإسلامى هو لقاؤه بالفلسفة اليونانية ، ويزعمون أن هذا أمر لا ينكره الا مكابر(٢) ، وهى أحكام جائرة ، وتمثل وجهات نظر لم تقم على شواهد مقبولة بقدر ما هى ظنون وأوهام تناقلوها اعتمادا على أن تقليد الكبار فضيلة ، والتفكير فيما يقولونه أكبر جريرة .

ولو وقفوا عند ذلك الحد لكان شأنا يخصهم ، غير أنه لما انتقل الأمر معهم إلى الحكم على الفكر الإسلامى فى أحد جوانبه الإبداعية(٣) ، فان المسألة قد خرجت من وجهة النظر إلى الأحكام التى لابد من مقابلتها على سبيل المواجهة المفروضة ، وبيان فسادها ، وذلك يقتضى منا الحديث عن عوامل نشأة الحكمة الإسلامية ، لما هو ثابت عندنا من أن العامل الأساسى فى تكوين الفكر الإبداعى الإسلامى هو النقل المنزل نفسه .

---

(١) شاخت وبوذورث - تراث الإسلام جـ٢ ص٦٢ ط ثانية ١٩٨٨ - سلسلة عالم المعرفة بالكويت .

(٢) الأستاذ عبدالقادر عبدالقادر السيد البحراوى - أثر الفلسفة السينوية والرشدية فى أوربا أبان العصور الوسطى ص٢٠ - رسالة ماجستير - بكلية الآداب جامعة الزقازيق ١٩٨٠م .

(٣) والمعروف عندنا نحن المسلمين أن الفكر الإسلامى قائم على تفهم النقل الدينى الإسلامى ، وبالتالى فكل جوانبه إبداعية - راجع كتابنا التفكير الإنسانى أصوله ومستوياته

كما لقاء الفكر الإسلامى بالفكر الأخر لا يلزم منه تبعية أحدهما للآخر ، ولا تأثير أحدهما فى الأخر ، وإذا افترض فان النسبة كما هى متصورة فى استفادة الفكر الإسلامى من غيره ، فإنها أيضا متصورة فى تأثر الفكر الأخر بالإسلامى بنفس القدر ، والاحتمال الوارد فيهما واحد ، بحيث يمكن القول بأن الفكر الإسلامى هو الذى أثر فى الفكر اليونانى باعتبار أن الفكر اليونانى غير موثق فى مصادره ، أما الفكر الفلسفى الإسلامى فهو موثق فى مصادره الإسلامية التى لا يمكن لعاقل مهما كان مستواه الفكرى أن ينكرها .

ومن الدلائل عليه ان الفارابى الفيلسوف المسلم[1] ، وأقدم فيلسوف مسلم منظم بعد الكندى قد اتفق جلة الثقاة على أن فلسفة الفارابى فلسفة إسلامية خالصة لا غبار عليها رغم أنه قرأ الفكر اليونانى وفهم مضامينه ، ألا انه استقل عنه فأضاف الحكمة الدينية إلى مسائل الحكمة المنطقية ، وأدخل مسألة التوفيق بين العقل والوحى فى حسابه[2] ، ولم تكن معروفة لدى فلاسفة الإغريق أو غيرهم ، وإنما هى وليدة المحاولات الإسلامية الجادة فى ذلك الجانب الإبداعى .

۞ ولست أوافق الدكتور محمود قاسم[3] ، على أن الفارابى قد تأثر بأفلاطون اليونانى عند محاولته إقامة المجتمع المثالى ، وتقسيم المدينة الفاضلة باعتبار

---

(١)ذهب ابن خلكان فى وفيات الأعيان أن الفارابى توفى سنة ٣٣٠هـ الموافق ٩٥٠ ميلادية ، ويرجح أن يكون ميلاده فى ٢٥٩هـ الموافق ٨٧٢ ميلادية ، بعد خصم المدة التى عاشها من التاريخ الذى مات فيه ، وأغلب الناقلين عليه يسيرون ، غير أنى أرجح رأيا أخر سأفصح عنه ان شاء الله تعالى فى دراسة أخصها بالحديث عن الفارابى وحده كمفكر مسلم ، وحكيم مؤمن ظلمه بعض الناس حيا وقسوا عليه ميتا .

(٢) الأستاذ عباس محمود العقاد – التفكير فريضة إسلامية ص٥٦ الهيئة المصرية العامة ١٩٩٨م .

(٣) هو الدكتور محمود محمد قاسم من كفر الدنوهيا مركز الزقازيق محافظة الشرقية بمصر ، وهى قرية قريبة من قريتنا غزالة الخيس ، نشأ فيها وتعلم فى كتاتيب تحفيظ القرآن ، ثم التحق بالأزهر الشريف ، وأتم دراسته الجامعية بكلية دار العلوم ، ثم سافر إلى فرنسا وحصل على درجة الدكتوراه فى نظرية المعرفة عن ابن رشد ، عمل أستاذ بجامعة القاهرة ، وظل يرقى حتى صار عميدا لكلية دار العلوم ، وله العديد من الأبحاث العلمية المهمة ، انتقل إلى رحمة الله تعالى فى نهايات العقد السادس من القرن الماضى ، رحمه الله ، وطيب ثراه .

الأعضاء ، ومراتب الناس ، وتقسيم السلطة السياسية إلى رئيس ومرءوس[١] ، لأن الفارابى كان مستقلا تماما ، ويبدو أنه فى محاولته نفى التبعية عن ابن رشد انفلتت منه العبارة ، فأوقع فيها الفارابى وابن سينا ، وذلك ما نراه على غير قبول عندنا ، إذ نفى التهمة على برئ لا يلزم منه إلحاقها ببريء أخر ، وإلا فان نفيها لم يتم لا على الأول ولا على الثانى ، ولا على ألف غيرهم ، لأن المسألة لا تتعلق بأشخاص ، وإنما تتعلق بالأفكار .

فى نفس الوقت فـان تقابل الثقافات أمر طبيعى ، واختلاطها ببعضها أمر وارد ، لكن وجود قواعد ثابتة لكل منهما مما لا ينكره صاحب تفكير منظم ، لأن تلك القواعد فى الغالب الأعم تكون لصالح البيئة التى وجدت فيها هى والمفكر ذاته أولا ، وتعالج المشكلات التى يمكن أن تطرأ فى ذات البيئة ، فالثقافة الإنسانية وليدة بيئتها ، وأن نقلت إلى غيرها ، فإنها تكون غريبة عليها وتحتاج عنصر المواءمة بين الأصل الذى نشأت فيه ، والفرع الذى نقلت اليه .

بيد أنه من المعروف عدم وجود نظريات متكاملة فى الدين لدى اليونان ، إذ هم لم يعرفوا نعمة الوحى ، فكان التشاؤم ديدنهم ، وأفنتهم فكرة قصر الحياة ، وفناء الفردانية فناء كاملا ، فكان الدين اليونانى فى مجموعه دينا متخيلا ، وأساطير غامضة ، وتصورات مريضة[٢] ، لا يمكن أن يقوم عليها فكر فى منظم مجال الميتافيزيقا التأملية ، كما لا يمكن قبوله فى مجال الميتافيزيقا النقدية أيضا ، لعدم قيامه على قواعد ثابتة مطردة مستندة إلى أصول صحيحة على ناحية الشرع ، أو ناحية العقل الصحيح .

---

(١) يقول الدكتور محمود قاسم : " ومن الواضح أن الفارابى قد تأثر فى هذه المسألة بآراء أفلاطون " المنطق الحديث ومناهج البحث ص٣٦ .

(٢) الدكتور على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٢٩ .

بينما الفكر الإسلامى يقوم على النصوص الإسلامية وأعنى بها النقل المنزل ، وهى متكاملة ، صحيحة سليمة ، خالية من الخرافات ، وليس فيها شيء من الأساطير ، والفكر الذى يقوم عليها لا يمكن له أن يفترق عنها ، فثبت أن الفكر الإسلامى مستقل تماما عن غيره من أنواع الفكر الأخرى ، وتلاقى الفكر الغامض القائم على الأساطير والخرافات ، لا يمكن أن يؤثر فى الفكر الواضح القائم على الأصول الثابتة أبدا ، وإلا كان صاحب القول يريد اعتبار نفسه عضوا فى جماعة غير العقلاء[1] ، الذين لا هم لهم الا اثارة المشاكل ، وهدم القواعد الثابتة .

بل العكس من ذلك هو الصحيح ، فان العقل السليم يحكم باحتياج الفكر الغامض ذى التصورات الساذجة ، إلى الفكر الصحيح ذى القواعد الثابتة القويمة ، حتى يكون الثانى كالميزان للأول ، يزن به قضاياه ، ويضبط به نتائجه ، ويسترشد به فى معرفة المناهج التى توصله إلى الغايات المنشودة فى أمان ، بعيدا عن الهوى فى العثرات التى لا يضمن عدم السقوط فيها ، أو الكبوات التى لا علم له بمواطنها وأخطارها .

۞ ولذا فإنى أرى استقلال الفكر الإسلامى والحكمة الإسلامية عن غيرها فى كل من المصدر ، والمنهج ، والغاية ، والنتائج ، بجانب الموضوعات المطروحة للمعالجة ، عن كل فكر آخر تماما سواء كان ذلك الفكر منسوبا لليونان أو الهنود والصينيين أو غيرهم .

كما أن الدراسة المتأنية توضح مسألة دقيقة على قدر كبير من الأهمية فى المسألة ، وهى أن الرسول ﷺ حين بعثه الله رب العالمين ، نبيا ورسولا وخاتما ، لم يبعثه فى أمة غريبة عنه – رغم أن رسالته عامة ، ونبوته خاتمة كل الإنس

(١) لأن من ينكر البدهيات ، أو يجادل فى الضروريات لا يعتبر من جماعة العقلاء ، حتى وأن جالسهم ، أو أنقضى عمره بينهم .

والجن[1] – وإنما بعثه رب العالمين فى أمة تعرفه ويعرفها نسبا وثقافة ، صحة ودواء ، ديانة وسلوكا ، فهو واحد منهم وهو عضو فيهم ، لم يكن قد عرف ثقافة غير ثقافتهم ، ولا كان له علم بما يجرى عند غيرهم .

وفوق ذلك فقد كان ﷺ أميا على فطرته التى خلقه الله تعالى عليها[2] ، فاحتمال وجود أرضية لديهم تنشأ عنها ثقافة غير عربية أمر غير وارد ، ولا يوجد احتمال واحد يؤيده .

۞ ونحن نرى أن لفظ الأمي يأتي على معان عدة منها :-

[أ] الذى لا يقرأ له أحد أو يكتب ، وإذا قرأ له أحد أو كتب فهو لا يفهم ، فأميته قائمة على نقص فى القدرات العقلية التى هى ضرورة لمن يفهم ما يقرأ له ، أو يكتب ، وذلك المعنى يطلق على أصحاب الأعذار العقلية ، ولا يمكن نسبته إلى خير البرية ﷺ .

[ب] الذى يتبع أمه لصغر فيه عن المفارقة لها ، فهى مخدعه الأمن ، ومطعمة الهنى ، ومشربه الطارع ، وهى له كل شيء ، وإذا غابت عنه أو انفصلت أوشكت حياته على الفناء ، فأميته هى نقص فى الإمكانيات المادية ، وعجز الملكات الجسدية ، وهو حال الأطفال فى سن الرضاعة .

[جـ] الأمى الذى لم تلوث معارفه ، ولم تصب بالأرجاس عقيدته ، ولم تحدث اضطرابات فى عقله أو جسده أو فؤاده ونيته ، فهو أمى لأن فطرته ما تزال

---

(١) ففى الحديث الشريف ، إنما بعثت للأحمر والأسود ، وقوله ﷺ « وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة » ، وفى القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيراً ، وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " ﴾ (سورة الأنبياء الآية ١٠٧)

(٢) قال تعالى ﴿" الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إِصرَهُم والأغلالَ التى كانت عليهم "﴾ سورة الأعراف الآية ١٥٧

نقية كأنه قد ولد من أمه الآن مع قدرته على فهم ما يلقى اليه ، ومخاطبة من يحب الحديث اليه ، ومعرفته بحقائق الأشياء حتى يمكنه وزن الأمور المتقابلة ، والفصل فى القضايا المتشابهة ، وإصدار الأحكام المعقولة فى المسائل المتعارضة ، وقدرته على التوجيه للآخرين ومقارنتهم فى الأمور التى تصلح لهم حال دينهم ودنياهم ، وهو ما نفهمه من وصف النبى محمد ﷺ فى القرآن الكريم بأنه أمى فى قوله تعالى ﴿" الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعذروه وأتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون"﴾ .

[د] الأمى هو الذى لا يقرأ بنفسه ، ولا يكتب ، وان كان يفهم ما يلقى اليه على مستواه ويكتب له غيره تعبيرا عن ما يجرى فى أعماقه أو هواه كالعوام من الناس الذين لم يكتبوا أو يقرأوا ، ومكفوفى البصر الذين لا تمكنهم ملكاتهم البصرية من القراءة بأنفسهم ، ولكنهم فى نفس الوقت يفهمون وعلى غيرهم يملون ، وفيهم علماء ، وبينهم حكماء ، ومنهم فقهاء على شرع الله قائمون ، فأميته ليست عجزا فى آلة ، وإنما هى أمية ملكة .

فى نفس الوقت فان البعثة النبوية المباركة قد أحيطت بالوحى الإلهى متمثلا فى القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وفيهما الغنية ، ومعهما الاكتفاء للعقل والروح والوجدان فى كل المسائل التى يجد فى طلبها ، أو يسعى فى التعرف عليها ، وظل الحال كذلك - وسيظل ان شاء الله تعالى - مدة حياة الرسول ﷺ فى أصحابه وأستمر فى أصحابه من بعده يترى فى الخلفاء الراشدين[1] ، والصحابة الأطهار المكرمين والأتباع الأخيار المبرزين .

---

(١) راجع كتابنا - لماذا انتشر الإسلام جـ٢ ص١٩٥ وما بعدها ، ففيها حديث طويل عن التزام الصحابة منهجا متسقا مع النصوص القرآنية والحديثية فى تناول القضايا التى سمحت لهم الظروف بتناولها .

وهى الفترة التى برز فيها الفكر الإسلامى وانتصب ثم أستوى على سوقه غضا قويا أصيلا لغير الإسلام لم ينتسب ، وهو المفهوم الذى يمكن التعرف عليه من الحكمة الإسلامية فى المفهوم والدلالة من الرأس حتى العصب ، ونحن نذهب إلى هذا الرأى وتؤكد عليه ، نقف عنده مع تقديرنا لرأى المخالف .

« ومما لا خلاف عليه أن العرب نشأوا من بلاد أصحى سماء ، وأسطع فضاء من البلاد الأوربية ، وأنهم سبقوا أبناء البلاد الغائمة ،والأفاق المحجبة إلى رصد النجوم ، ومراقبة المطالع والمغارب فى القبة الزرقاء ، لأنهم على سهولة الرصد عندهم كانوا فى حاجة دائمة إلى توسم المطر ، وترقب الأنواء ، والخبرة بمواقيت الأدلاج والإسراء فى رحلاتهم الطويلة فى الصحراء[١] ، وكان لهم ولع بالعلوم والمعارف التى تمكنوا منها ، أو تطلعوا اليها »

ثم أن الجزيرة العربية كان قد نزح اليها اليهود قبل الإسلام ، ونشروا فيها التعاليم التى كانوا يعتقدونها ، ومنها « تاريخ عمرو خلق الدنيا[٢] ، ومن أمور البعث والحساب والميزان ونشروا تفاسير مفسريهم للتوراة التى بأيديهم وما أحاط بها فى كتابتها من أساطير وخرافات كالتى أدخلها – بعد – من أسلم من اليهود مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه وإضرابهما[٣] ، وكذلك كان لليهود أثر كبير فى نقل اللغة العربية ، فقد أدخلوا عليها كلمات كثيرة لم يكن يعرفها العرب من قبل ، ومصطلحات دينية ولفظية لم يكن لهم بها علم سابق ....» .

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد – أثر العرب فى الحضارة الأوربية ص١٦ . الهيئة المصرية ١٩٩٨م .

(٢) راجع كتابنا – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى فقد انتهينا فيه إلى اضطراب الآخرين القائلين بتقدير عمر الدنيا ، وبينا أنها آراء فاسدة على الناحية الشرعية ، وخاطئة على الناحية العلمية أيضا .

(٣) يذهب بعض المؤرخين إلى على عدم تعديل مسلمة أهل الكتاب ومعهم بعض من شيوخ المذاهب ، بينما يميل آخرون إلى التعديل ، ويفصل الباقون الأمر بأن ما كان من مروياتهم قبل الإسلام ، فهو القابل للتجريح ، أما بعد إسلامهم فقد صاروا من الصحابة الذين طالما عايشوا رسول الله ﷺ ، فما حكى عنهم مرفوعا ، فهو معدل للحديث الشريف " أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " – راجع درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وكتابنا عقيدتنا رفع عيسى عليه السلام ونزوله بين الإسلام والنصرانية – الطبعة الرابعة .

أضف إلى هذا ان اليهودية حلت بجزيرة العرب بعد أن تأثرت بالثقافة اليونانية تأثرا كبيرا ، لأنها ظلت قرونا طويلة تحت الحكم اليونانى الرومانى ، ولأنها كانت منتشرة فى الإسكندرية وعلى شواطئ البحر الأبيض حيث الثقافة اليونانية ، وكان من أحبار اليهود من تعلم الفلسفة اليونانية وتأدب بآدابها فتسربت تلك الثقافة إلى اليهودية ، كما تسربت اليها بعض مبادئ القانون الرومانى(١)، وبالتالى تكون علاقة التأثر قائمة بين الفكر اليهودى واليونانى لا بين الفكر الإسلامى واليونانى .

كما أن هذه الثقافة اليهودية لم يكن العرب يحفلون بها قبل الإسلام إذ كانوا ينظرون اليها نظرة تتناسب مع موقفهم من سلوكيات القائمين عليها ، وكان حرص اليهود على التملك والغلبة وتكوين قبائل خاصة بهم ، ومحاولة فرض سلطانهم على جزيرة العرب من العوامل التى نفرت العرب منهم ، وكذلك دفعت بهم إلى موقف الرفض لكل من ثقافتهم الدينية والأدبية ، بل معها التاريخية والقانونية التى هى خليط ممتزج بالثقافة اليونانية(٢) ، وغيرها من الثقافات الأخرى .

بل يذهب بعض الباحثين إلى أن الثقافة اليونانية لم تكن وحدها التى قبس منها اليهود ، وإنما كانت هناك ثقافات أخرى بعضها محدد الملامح بين المعالم ، والبعض الأخر مجهول الأصول التى قام عليها ، كما لم يكن اليهود وحدهم هم الذين قبسوا من اليونان ومن غيرهم ، وإنما قام الفرس فى الزمن القديم بترجمة بعض المؤلفات من المنطق والطب إلى الفارسية ، وقام عبدالله بن المقفع وآخرون بترجمة بعض هذه الأعمال فيما بعد إلى العربية(٣) ، فهى ثقافة مجهولة المصدر ولا

---

(١) الأستاذ أحمد أمين - فجر الإسلام ص٤٢ ط الهيئة المصرية العامة ١٩٩٦م .

(٢)الأستاذ أحمد أمين - ضحى الإسلام ص٣٣٠ بتصرف يسر ط ٨ مكتبة النهضة المصرية.

(٣) فردريك روزنتال - التراث القديم فى الحضارة الإسلامية ص٩٧ - ترجمة الدكتور عبدالله حسن المسلمى .

يمكن نسبتها إلى مصدر منها بعينه وإهمال غيرة وإلا كان نوعا من التحكم الذى لا مبرر له ، وفى نفس الوقت فلا دليل عليه .

وقد يفترض العقل انسلال تلك الثقافات إلى البيئة العربية ، وهو فرض محتمل على ناحية الانسلال فقط ، لكنه غير مقبول على ناحية الاستقلال بالتأثير فى هذا الفكر العربى التليد ، الذى قفز فوق كل اعتبار ، لما هو معروف عند العرب من حبهم لمعارفهم وتمسكهم بها وعدم قبولهم الانصهار فى بواتق الآخرين .

فى نفس الوقت فان الشرق والغرب قد اختلطا قديما فى الإسكندرية ، وامتزجت آراء روما واليونان والشام فى المدنية والعلوم والدين بآراء الشرق الأقصى فى ذلك – قبل الإسلام – من ثم نشأت قضية جديدة عمل على إيجادها بحث الغرب والهام الشرق ، وفى تلك الفترة اتصل الدين بالفلسفة اتصالا وثيقا[1] ، واختلط كل منهما بالآخر إلى حد الذوبان

بينما كان العرب أصحاب إمدادات واتصالات روحية حيث بحثوا القضايا الميتافيزيقية وكان منهم الحنفاء كزيد بن عمرو بن نفيل الذى أعتزل عبادة الأوثان ، وأمتنع عن ذبائحها[2] أو التقرب لها ، فضلا عن أن يعيدها ، أو يأكل من ذبائحها ، أو يعظم القائمين على عبادتها ، أنه لم يدخل يهودية ولا نصرانية ولا غيرها ، وفارق دين قومه ،ولم يقم بما كانوا يقومون به ، من عبادة لها ، أو تقدير واحترام ، فضلا عن أن يتنسك بها ، وأثر عنه – وهو شيخ كبير – أنه كان يسند ظهره للكعبة ، ثم يقول يا معشر قريش ، والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى .

---

(١) الأستاذ أحمد أمين – فجر الإسلام ص٤٣

(٢) العلامة أبو الفرج الأصفهانى – الأغانى جـ٣ ص١٢٣ وما بعدها ففيها حديث مستمر عن هذا المفكر العربى الجاهلى المتحنف .

وكان إذا استقل راحلته يقول اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه احب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحلته[1] ، وظل على ذلك الحال حتى مات قبل البعثة المباركة . فهل يمكن بعد ذلك أن يقال أن العرب تأثروا فى أفكارهم باليونان أو اليهود أو غيرهم ؟

كما أن زيدا هذا كان يشدو بقضاياه فى مجال الفلسفة التأملية - إن جاز التعبير - فيقول :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت ∴ له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها أستوى ∴ على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت ∴ له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هى سيقت إلى بلدة ∴ أطاعت فصبت عليها سجالا[2]

وهو اتجاه فى الفكر العربى لم يكن معروفا لدى اليونان أو فى بلاد الهند كما لم يكن ملموسا عند دعاة الفكر اليهودى الوثنى الذين حرفوا تعاليم الله تعالى لموسى عليه السلام واستبدلوها ، وارتضعوا الثقافات المختلطة من اليونان وفارس وغيرها ، وفى نفس الوقت فان ذلك الفكر العربى الخالص يمثل استقلالا – من البداية – للفكر العربى التأملى عن غيره .

نلمح ذلك فى رثاء ورقة بن نوفل لزيد قائلا :-

رشدت وأنعمت أبن عمرو وإنما ∴ تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله ∴ وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته ∴ ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها ∴ تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ولم تكن ∴ من الناس جبارا إلى النار هاديا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ∴ ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[3]

---

(١) العلامة ابن هشام – سيرة النبى محمد ﷺ جـ١ ص٢٢٥ – تحقيق الأستاذ الأبيارى وزميله

(٢) المصدر السابق جـ١ ص٢٣١

(٣) راجع الأغانى جـ٢ ص١٢٤ وما بعدها ، وسيرة ابن هشام جـ١ ص٢٣١/٢٣١ .

ورجل كهذا يتمتع بعقلية كهذه فيها النضج العقلى ، والتميز الفكرى الذى أنطلق فى مجال الميتافيزيقا التأملية ، كما انطلق فى مجال الميتافيزيقا النقدية ، ولا يمكن أن يجحد أحد حقه ، أو ينسب كلامه إلى غير أصله .

۞ وربما نستأنس له بما ورد فى صحيح الإمام البخارى ﷺ عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول :

يا معشر قريش والله ما منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، وكان يحيى الموءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها ، فيأخذها منه فإذا ترعرعت قال لأبيها ان شئت دفعتها لك ، وان شئت كفيتك مؤنتها[١] من غير مقابل .

فكان زيد مثالا للعقلية العربية الأصيلة والثقافة الدينية الإلهية ، والإلهام الوجدانى الذى أضاء جوانب النفس الإنسانية رحمة ومحبة ، ونورا ومودة ، حتى ذكر بعض أصحاب السير أن ابن زيد واسمه سعيدا سأل رسول الله ﷺ أنستغفر لزيد بن عمرو فقال النبى ﷺ نعم فانه يبعث أمة وحدة[٢] ، لأنه فى ذات الوقت كان يعيش وحده .

وكان فى العرب كثيرون من أمثال زيد بن عمرو بن نفيل ، وفيهم ورقة بن نوفل بن عبدالعزى[٣] ، وعمرو بن عبسه السلمى وكثير غيرهم ، وقد ظلوا على ذلك الحال من الاستقلال الفكرى والتأمل الروحى والانطلاق نحو الملأ يستشرفون ما فيه ، ويتطلعون اليه ، فكانوا بمثابة المنارات الفكرية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام من غير ان يتأثروا بثقافة اليهود أو اليونان ، أو الفرس ، كما لم تنلهم ثقافة النصارى ، وبالتالى فان الفكر الذى اعتنقوه كان عربيا خالصا .

---

(١) راجع فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى لشيخ الإسلام ابن حجر ص١٤٢ باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل .

(٢) شيخ الإسلام ابن كثير – سيرة ابن كثير ص١٦٢ – السيرة الحلبية ص١٤٧ .

(٣) هو ابن عم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها زوج النبى ﷺ .

فلما جاء الإسلام لم يعبأ العربى بثقافة اليهود ، ولا ثقافة دعاة المسيحية ، وبالتالى فانه لم يهتم بثقافة اليونان من باب أولى ، وإنما جعل اهتمامه كله بالنصوص الدينية الإسلامية فقط ، وكان المسلمون يبتعدون عن تلك الثقافات كلها – أول الأمر – التزاما بتعاليم الله تعالى فى كتابه ، وما جاء على لسان رسوله سيدنا محمد ﷺ من ذلك قوله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد[١] .

ومتى كان ذلك الشأن من ثقافة اليهود التى امتزجت باليونانية والوثنية المختلفة ، فان الأقرب للصواب هو الحكم بعدم تأثر الحكمة الإسلامية بالفكر اليونانى أو اليهودى ، ولا النصرانى ، وإنما كان تأثرها بالنقل المنزل وحده وبخاصة فى مراحله الأولى ، ثم أضيف اليه الفكر الإسلامى الذى قام به المفكر ا لمسلم فى فهم التعاليم الإسلامية ، ولم يخلطها بشىء أخر حتى يقال انه قد تأثر به ، أو كان أحد العوامل التى ساعدت على وجوده كفكر متميز له أصالة واستقلال .

فالإسلام الدين الخاتم له قواعده الثابتة فى كل ا لجوانب العقدية ، والتشريعية بل والأخلاقية أيضا جاءت بها النصوص الإسلامية ، وهى فى ذات الوقت قواعد عامة يقوم عليها النظام الإسلامى فى جميع جوانبه المألوفة والمستجدة تيسيزا على الناس ورفعا للحرج عنهم ، وإثباتا للحقوق والواجبات وذلك بغرض رعاية مصالح الناس عامة ، لأنه دين عالمى خالد .

إذن التشريع الإسلامى له حكمه خاصة به مستقلة عن غيرها ، تحقق العدالة المطلقة بين الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين فى الدنيا [٢] ، وتدفع لتحقيق

---

(١) وبهذا أخذ القائلون بعدم تعديل مسلمة أهل الكتاب ، ولكن الآخرون حملوا الحديث على معان أخرى ، كما انطلقوا إلى التأويل حسب القواعد التى ساروا عليها ، ويمكن الرجوع اليها فى مظانها

(٢) الدكتور محمد يوسف موسى – الإسلام وحاجة الإنسانية اليه ص٢٢٣ بتصرف يسير .

السعادة الدائمة فى الآخرة ، وذلك وليد النصوص الإسلامية التى هيأت العقل المسلم لبذل المجهود ، وأخذت به إلى حيث ضمنت له – انه هو التزم بها[١] – صدق النتائج مما حدا به إلى الاندفاع المتوازن نحو التفكير المنتظم والتأمل العقلى السليم .

بل صار التفكير المنظم بالنسبة للمسلم فريضة إسلامية ، وليس ترفا عقليا ، وقد مارسه المفكرون المسلمون حتى كان الواحد منهم ينبرى للطوائف الضالة فيبصرها طريق الهدى ، ويضع أيديها على ملمس العقيدة الساحر الذى به الفوز وعليه النجاح ، فكان أصحاب المذاهب ومن على شاكلتهم من أئمة الإسلام المخلصين صادقين فى دعواهم مؤمنين بالوصول إلى غايتهم مهما طال الأمد وأنفسح الطريق[٢] .

وما دام الأمر كذلك فان الحضارة الإسلامية وليدة ثمرات العقل المسلم وتأملاته المستمرة فى النقل المنزل ، وبخاصة النصوص الاحتمالية فى دلالتها ، وتجربة المسلمين فى مختلف نواحى الحياة الدنيا ، التى يستطيع العقل الإنسانى أن يدرك حسنها أو قبحها ، نفعها أو ضررها ، دون عجز أو قصورا[٣] ، باعتبار أن نتائجها على حكم الشرع مأمونة .

بيد أن تلك المسألة الفنية الدقيقة لم تقتصر عند المسلمين على جانب واحد من جوانب المعرفة الإنسانية ، وإنما شملتها من كل جانب فى الطبيعة والطب والموسيقى ، كما هى فى الأخلاق والحكم والأمثال أو الفقه والنحو والبلاغة والأدب ، أو فى مجال العلوم الفيزيائية والميتافيزيقية

---

(١) راجع كتابنا – لماذا أنتشر الإسلام جـ١ ص١٩٣ .

(٢) الأستاذ حفنى شرف – الحقيقة الكبرى فى الرد على الدهريين ص١٩ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – العدد الثانى والعشرون .

(٣) الدكتور محمد عمارة – الإسلام والعروبة ص٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

وفريضة التفكير جاءت فى القرآن الكريم شاملة العقل الإنسانى بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها ، فهو يخاطب العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم ، والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا ، بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له فى كتاب من كتب الأديان[١] ، التى سبقت ، ولم يحفل به أى كتاب أخر غير القرآن الكريم الذى هو كلام رب العالمين بلفظه ومعناه ، والحديث الشريف الذى هو كلام الله تعالى بمعناه .

من ثم فان الإسلام له رسالة بجانب العقيدة والشريعة هى إقامة نظام جديد ، سياسى واجتماعى ، يقوم على الترابط والتآخى والإيثار ، واستبعاد سيطرة الإنسان على الإنسان ، واستبدال سلطة الملك بسلطة الضمير والضمير هو الحى الصاحى فى الإنسان ، وهو الذى يوجه الإنسان فى كل تصرفاته ، وهو الذى ينظم المجتمع ويضمن قيام الأمة الفاضلة ، ولا يكون ذلك الا فى الضمير الإسلامى[٢] .

ومنطقة الضمير هذه من الدوائر الفنية التى تدفع المرء إلى دائرة التفكير حتى يعيد صياغة آرائه من جديد ، ولم يشر كتاب غير النقل المنزل ، كما لم يعرف فكر أخر هذه المنطقة الا الفكر الإسلامى ، لأنه الوحيد الذى تعرض لها ، وأبان عنها وكشف ما فيها .

ففى الحديث الشريف قوله ﷺ « استفت قلبك ، وأن أفتاك الناس أو أفتوك »[٣] ،ولا شك أن استفتاء المرء قلبه عملية خاصة به وحده ، خالصة اليه ،

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد – التفكير فريضة إسلامية ص١١ الهيئة العامة ١٩٩٨م .

(٢) الدكتور حسين مؤنس – دستور أمة الإسلام ص٢٠ ط الهيئة المصرية ١٩٩٨

(٣) أثر مشهور يجرى من الناس مجرى الحكمة القائمة فى الأمثال ، ويستدل به الكثيرون من الناس على المنطقة الخاصة بالإنسان نفسه ، وقد نجح بعضهم فى ذلك نجاحا ملحوظا .

فيها تحريك فكرى وقلبى معا ، إذ سيكون الضمير هو القاضى على ما يخرج من القلب ، والوازن بين المنتج العقلى ، والإلهام الوجدانى ، بحيث يكون المرء نفسه هو السائل لها ، وهو المسئول معها ، وذلك يؤثر على قراراته فيجعلها فى حدود الأصول الشرعية لا إهمالا لها ولا تجاوزا فيها .

وفى الحديث الشريف أيضا قوله ﷺ : « البر ما اطمأنت اليه النفس ، والإثم ما حاك فى الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »[١] ، والاطمئنان من سمات القلب ، كما أن الفزع من حالات النفس[٢] ، أما الحكم على نوع الاطمئنان أو الفزع فان القاعدة المؤسسة له هى الضمير الذى يوقظ صاحبه إذا غفل ، ويؤنبه إذا سها ، ويدفعه إلى الخير ، وينأى به عن جوانب الفساد والشر .

ومتى كان ذلك الضمير مزودا بطاقة إيمانية تغلب نوازعه المادية ، فانه يظل قائدا وحارسا يدفع صاحبه إلى الطاعات أداء والتزاما ،كما يدفعه عن المعاصى إهمالا لها وابتعادا[٣] ، مع الحرص على الأخذ بالأسباب التى جعلها الله قائمة فى الحياة وإسنادها إلى مسبب الأسباب جميعا هو الله تعالى .

فى نفس الوقت لم يعبأ الحكيم المسلم بالمواقف السالفة ، كما لم ترهبه الأسماء الكبيرة التى ملأت الساحة شهرة وذيوعا ، وبالتالى فهو يذهب فى نقدها بحرية تامة ، ويوجه إلى ما فيه إصلاح أخطائها ولا يمنعه ذلك من القول بما فيها من صواب ، لأن القاعدة عند المفكر المسلم هى التزام الحق بغض النظر عن قائله[٤] .

---

(١) الحديث مشهور وله روايات عديدة - راجع شرح الفشنى ، ورياض الصالحين .

(٢) الدكتور سليمان سليمان حميس - نحو عقيدة قرآنية ص٨٥ .

(٣) ها ما نراه قائما فى المفاهيم الصحيحة ، ومظاهر النصوص الإسلامية تؤكد ما ذهبنا اليه .

(٤) ومن الآثار المشهور فى ذلك قولهم أن الرجال يعرفون أن الرجال يعرفون بالحق بينما لا يعرف الحق بالرجال .

وأية ذلك أن الشيخ الرئيس ابن سينا نـاقش المسائل التى تركها اليونـان فى مبادئ الوجود والحكم عليها بأنـها مذاهب مستفسدة مثل المنسوب إلى ماليسوس ، وبرمانيدس ، من أن الموجود واحد غير متحرك سواء كان متناهيا أو غير متناه[١] ، وقد حقق نجاحات كبيرة فى نقوداته هذه أسفرت عن نتائج مهمة ، أدت دورها الكبير فى إصلاح تلك الملاحظات .

كما يقدم وجهة نظر مستقلة فى الموضوعات التى تناولها الأقدمون من اليونان والتى بان وجه فسادها عندهم ، كالطبيعة مثلا ، فيقرر رأيا مخالفا تمام المخالفة لفكر اليونان حيث يقول : الطبيعة تقال على وجه جزئى ، وتقال على وجه كلى ، فالتى تقال على وجه جزئى هى الطبيعة الخاصة بشخص شخص . . . . .

❁ **والطبيعة التى تقال على وجه كلى فربما كانت كلية بحسب النوع ، وربما كانت كلية على الإطلاق ، وكلاهما لا وجود لهما فى الأعيان ذواتا قائمة الا فى التصور ، بل لا وجود الا للجزئى.**

✪ **أما أحدهما** : فهو ما نعقله من مبدأ مقتضى التدبير الواجب فى أستحفاظ نوع نوع

✪ **والثانى** : ما تفعله من مبدأ مقتضى التدبير الواجب فى أستحفاظ الكل على نظامه[٢] ، فهو لم يخالف اليونان والأقدمين فقط ، وإنما قدم تصوراته الذاتية الدالة على تمكنه من القواعد التى يقوم عليها ، وذلك نوع من الجهد الفكرى المتواصل التى يقوم بها المفكر المسلم على سبيل الأصالة والاستقلال.

إذن التفكير الإسلامى قائم فى الحكمة الإسلامية ، التى عمادها النصوص الدينية الإسلامية ، وبالتالى فان عوامل نشأة التفكير الإسلامى هى إسلامية خالصة ، فيها الأصالة قائمة ، ويمكنك أن تلمس تلك الأصالة عند المقابلة بين

---

(١) الشيخ الرئيس ابن سينا – الشفاء – الطبيعيات – السماع الطبيعى ص٢٦ – تحقيق الأستاذ سعيد زيد – مركز تحقيق التراث ابن سينا الهيئة المصرية ١٩٨٣م .

(٢) المصدر السابق – السماع الطبيعى ص٣٩ .

الجماعة المتدينة ، والجماعة التى لا دين لها ، أو التى تعتصم من الدين بركن ركين ، كذلك تلمس تلك الأصالة عند المقابلة بين فرد يؤمن بالعقيدة الإسلامية ، وأخر معطل الضمير ، مضطرب الشعور ، يمضى فى الحياة بغير محور يلوذ به ، وبغير رجاء يسمو اليه[1] ، وهو نفسه الفارق بين الفكر الإسلامى ، وغير الفكر الإسلامى والفارق بين المفكر المسلم وغيره .

❁ **وفى تقديرى :** أن اتهام الفكر الإسلامى بالتبعية لفكر الإغريق أو غيرهم إنما يعبر عن رغبة تجرى فى نفوس خصوم الإسلام الذين لم ينالوه كدين ، فحاولوا النيل منه كفكر ، فقدموا أباطيل مموهة ، وشبهات مزوره ، فالمنافق العليم والعدو ذو الكيد العظيم ، قد يصور لهم الباطل فى صورة الحق ، ويلبس الإضاعة فى ثياب الحزم[2] ، وربما وقع عليه الأغرار فاعتبروه قاعدة وعليها أقاموا أوهامهم ، بينما الحق واضح فى استقلال الفكر الإسلامى عن غيره ، وقد ألمحنا إلى ذلك فيما سبق ذكره .

❁ **وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن نشأة الفلسفة الإسلامية يمكن أن ترجع إلى :-**

[أ] عوامل خارجية وهى :-

[١] اليهودية . [٢] المسيحية .

[٣] الفلسفة اليونانية [٤] المذاهب الفنوصية الشرقية

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص١٣ الهيئة المصرية العامة ١٩٩٩م .

(٢) العلامة الجاحظ - المعتزلى - ١٦٣-٢٥٥هـ ، ٧٨٠-٨٦٩م - رسائل الجاحظ جـ١ ص٢٩ تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون ط القاهرة ١٩٦٤م ، وهناك رسالتان فى أصول الدين القاهرة : إحداهما " الجاحظ مفكرا " والثانية " حقيقة الجاحظ المفكر " وهما فى قسم العقيدة والفلسفة رسائل للعالمية ، فارجع اليها إذا أردت التعرف عليه من هذه الناحية .

[ب] **عوامل داخلية وهى :-**

[١] العوامل السياسية [٢] العوامل اللغوية .

[٣] العوامل الاقتصادية[١] ،

❁ **ويذهب غيره إلي أن مجمل هذه العوامل يقع فى :-**

[١] الإسلام نفسه . [٢] ظروف المسلمين الفكرية .

[٣] اتصال المسلمين بغيرهم من أهل الأديان والأمم الأخرى[٢] .

❁ **ونحن هنا نحاول أن نقدم عوامل نشأة الفكر الإسلامى طبقا للقواعد التى أمكننا التعرف عليها والوصول اليها** ، ولا يقلل ذلك من جهود غيرنا ، وانما كل يقدم تصوراته حسب توفيق الله تعالى ، ولا يمكن اعتبار المخالفة خصومة ، فأننا لا نقبل فرض وصاية على عقولنا ، ما دامت المسألة مفتوح فيها باب الاجتهاد .

وإنما سنلجأ إلى نصوص ديننا الإسلامى الحنيف ، فذلك هو الراجح بالنسبة لنا والأساس الثابت والمصدر الأكبر ، وكيف نعتبر أنفسنا فى عداد أهل الفكر ، ثم نتقوقع فى نطاق ما يقول به الآخرون ونستمر فى التقليد لهم ما دمنا قد رأينا غير ما رأوا ؟

❁ **لذا فأنا نرى من أهم العوامل فى نشأة الحكمة الإسلامية.**

العامل الأول : النقل المنزل

[أ] القرآن الكريم :-

لاشك أن للقرآن الكريم ذوقا خالصا وروحا ذاتية تجعل من يطيل عشرته ومصاحبته ذا بصر يفوق من يتلقف آياته فى لحظات عابرة ليقيم رأيا ، أو يجتمع

---

(١) الدكتور على سامى النشار – نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص٥٩/٦٣

(٢) الدكتور عبدالمعطى محمد بيوى – الفلسفة الإسلامية فى المشرق والمغرب جـ١ ص٨٦/٩٣ الطبعة الأولى .

لفكرة وهمة كله مصروف إلى تأييد الفكرة التى ألقيت لها[١]، لا إلى التأمل فى الآيات القرآنية، وإطالة المعايشة لها، ومحاولة التعرف على أسرارها ومراميها التى جاءت قصودا[٢]، لمصالح العباد فى أمور المعاش والمعاد، التى هى أمور الدين والدنيا أو قضايا الدنيا والآخرة.

وقد فطن المتقدمون من أهل الإسلام لآيات القرآن الكريم وما فيها من الحكم والمصالح التى جاءت على جميع الأنحاء، حتى أن أى دارس للآيات القرآنية يواجه ذلك فى كل سورة من سور القرآن الكريم، بل لا أغالى إذا قلت: انها موجودة فى كل آية من آيات الذكر الحكيم، يعرف هذا من له إلمام بأبسط قواعد اللغة، وأيسر فنون الكلام واتجه للقرآن الكريم من غير فكر سابق، أو عداوة مسبقة.

غير ان الفطانة لدى متقدمى أهل الإسلام لم تقف بهم عند الجانب النظرى الترديدى القائم فى التلاوة المجردة[٣]، وإنما قفزت بأصحابها إلى المباشرة فى التعرف على الحكم والمصالح ذاتها من خلال بذل المجهود العقلى بغية الوصول إلى نتائج يمكن تطبيقها كقواعد عامة فى شئون الحياة العملية، والنظرية والأخلاقية أيضا بحيث تحقق فوائد لها قيمتها المطرودة.

فهم كانوا مهرة فى تلاوة القرآن الكريم، والتعرف على أوجه القراءات فيه، مع استعمال كافة ألوان التحسين، وكانوا ينعمون قلوبهم وعقولهم وأفئدتهم

(١) الدكتور محمد كمال جعفر - تأملات فى الفكر الإسلامى ص٤٨ ط١٩٨٠م دار العلوم.

(٢) القصدية هنا معناه ما يتعلق بمقاصد العباد ومصالحهم لانا نذهب إلى انتفاء القصدية والعرضية فى الأفعال لله تعالى باعتبار أنه تعالى لا يستفيد بطاعاتنا ولا يتضرر بمعصينا، وهذا لا ينفى أن الأفعال الإلهية غاية الأحكام والنظام مع الإتقان.

(٣) يذهب إلى ذلك الكثيرون من أعداء الإسلام، وبخاصة من ينتسبون لبعض الطوائف المسيحية - راجع مجلة الحياة جـ٢ ص١٧٥ وما بعدها حتى ص٢١٧.

بالتجوال فى رحابه ، فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « لو رأيتنى البارحة وأنا استمع لقراءتك ، لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داؤد »[١]

إذن كان اتجاههم نحو القرآن الكريم هو الاتجاه الأول الأساسى فى كل ما يتعلق بهم فى شئون الدنيا والآخرة ، فهو كتاب حكيم ، من لدن رب حكيم ، لنبى حكيم تستوعبه أمة حكيمة .

ﷻ **قال تعالى** ﴿ " الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" ﴾[٢] ، **وقال تعالى** ﴿ " تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعقلون بشيرا ونذيرا" ﴾[٣] ، **وقال تعالى** ﴿ " وأنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" ﴾[٤] ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى ذكرت أن القرآن الكريم كتاب الله الحكيم .

وفى نفس الوقت يقرر الحديث الشريف أن : كتاب الله تعالى « فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم والصراط المستقيم »[٥] ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه .

---

(١) صحيح الإمام البخارى ، وفى رواية بزيادة لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرته تحبيرا .

(٢) سورة هود الآية ١.

(٣) سورة فصلت الآية ٢/٤

(٤) سورة فصلت ٤١/٤٢

(٥) هذا جزء من حديث شريف فى التعريف بالقرآن الكريم وبعض فضائله ، ويذكر دائما فى مقدمات الكتب التى تعنى بدراسة القرآن الكريم وتفسيره وأحكامه .

من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به أفلح ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه أهتدى[١] ، ومن تمسك به من المهالك نجا ، ومن تخلف عنه سقط وكبا ، ومن عمل به بهدى إلى صراط الله المستقيم ، ورضى عنه رب العالمين أحكم الحاكمين[٢] ، هو الوحيد كتاب الله تعالى الباقى ، وهو الوحيد الصادق الذى لم يتغير أوله عن أخره ، ولا فواصله عن مطالعة تخيل الشك .

وقد ظل أمره على التواتر الذى وصل به إلينا ، بحيث لا يمكن الشك مطلقا فى أنه وصل إلينا ، الا كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ وراجعه معه رسول الوحى جبريل الآمين ، حتى أن المستشرق ديمومبين قال :« أن المنصف لا مناص له أن يقر بأن القرآن الحاضر هو القرآن الذى كان يتلوه محمد ﷺ[٣]، ومن كان ذلك شأنه فلا شك ان العناية به من أهل الإسلام تكون أشد تلاوة وتعبدا ، استلهاما وتأملا ، ولن يقبل المسلمون غيره بديلا لا فى أمور معاشهم أو قضايا معادهم ، ويأتى الحديث النبوى الصحيح بعد القرآن الكريم فى تلك العناية أيضا .

﷽ **وفى الأثر عن عمر بن الخطاب** ﷺ قال للنبى ﷺ : يا رسول الله أنا نسمع أحاديث يهود تعجبنا أفنرى أن نكتب بعضها ؟ قال ﷺ « أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى »[٤] ، وحينئذ سيرد على دعاة اليهودية الذين يكفرون بنبوة سيدنا محمد ﷺ زاعمين أنهم أتباع نبى[٥] ، وأنا لنبوة ما تزال فيهم قائمة .

---

(١) هذا جزء من قول ينسب للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه - راجع بلاغة الإمام على ص١١ للأستاذ طه محمد عبدالكريم ط١ ١٩٧١م .

(٢) الأستاذ محمد عبدالعظيم الطويل - دراسات فى القرآن ص١٧

(٣) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٣٩ .

(٤) العلامة الدهلوى - حجة الله البالغة جـ١ ص١٦٨ ط بولاق ١٢٩٤هـ .

(٥) عرضنا لتلك المزاعم وبينا فسادها - راجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات ص٣١٢ وما بعدها .

ﷺ **كما صح فى الأثر أيضا عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال** «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤنه محصنا بشب أن أهل الكتاب بدلوا وحرفوا كتاب الله وغيره، كتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو ن عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا ليسألكم عن الذى أنزل عليكم»[1] ،ومن المنطقى ألا نسألهم أيضا .

وذلك وأمثاله مما ورد فى الذكر الحكيم والحديث النبوى الشريف يؤكد أن القرآن الكريم هو الوحيد الخالى من الخطأ، السالم عن الخطل، صحيح النسبة المتواترة لله تعالى الباقى إلى يوم الدين، وهو كلام الله تعالى، ولما كان الكلام صفة المتكلم، فان الكلام الذى هو الصفة يظل باقيا لبقاء المتكلم نفسه، وهو الله جل علاه، ولا تكون هناك مناسبة للابتعاد عنه أو الاهتداء بغيره، سواء فى أمور الدنيا أو فى أمور الآخرة .

أضف إلى ما سبق ان القرآن الكريم قد ذكر لأهل الإيمان ما فعله أهل الكتب السابقة بكتبهم من تحريف وتبديل وإهمال، يقول الإمام الشافعى : « بعث الله سيدنا محمدا والناس صنفان ،أحدهما أهل كتاب بدلوا من أحكامه، وكفروا بالله فافتعلوا كذبا صاغوه بألسنتهم فخلوطه بحق الله الذى أنزل إليهم فذكر تبارك وتعالى لنبيه ﷺ من كفرهم[2] .

ﷻ **فقال تعالي ﴿**" وأن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون"**﴾**[3]، **ثم يقول ﴿**" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم

(١) صحيح الإمام البخارى جـ٩ ص١١١ .

(٢) الإمام محمد بن ادريس الشافعى - الرسالة ص٥٦ - تحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(٣) سورة آل عمران الآية ٧٨

يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون")﴾[١] ،

ولاشك أن ذلك كله يجعل اتجاه المسلمين إلى غير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من الأمور الغير قابلة للتصديق على الناحية الشرعية ، بل والعادية والعقلية أيضا ، بل يؤكد أن المفكرين المسلمين لم يخرجوا عن نطاق النقل المنزل الذى هو عمدتهم فى العقيدة والشريعة والأحكام ، وسائر المعاملات فى الدنيا والآخرة ، وأنهم التمسوا كافة قضاياهم من نصوصه ، لأنها المأمونة فى مقدماتها ، كما هى مأمونة فى خواتيمها ، ومأمونة فى كل جانب وعلى كافة الوجوه .

من ثم فان المسلمين لم يكن لهم اتجاه لغير القرآن الكريم ، ولم توجد رغبة عندهم تدفعهم إلى الابتعاد عنه ولو قليلا ، أو الاستغناء بغيره عنه مهما كان كثيرا ، وذلك أمر تعترف به كافة الدراسات العلمية المحايدة التى قامت على الجدية والموضوعية والتزمت قول الحق من غير نقل عن الغير أو الرضوخ ، لما تمليه الاتجاهات العنصرية .

❁ **والدارس المتأمل يرى أن القرآن الكريم وهو العامل الأول فى نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى ، أو الحكمة الإسلامية ، وقد جاء ذلك من وجوه :-**

الوجه الأول
وجود النص القرآنى القطعى فى وروده الاحتمالي فى دلالته

فالقرآن الكريم عرض أصول العقيدة الإسلامية فى نصوص قطعية الورود والدلالة[٢] ، التى لا تحتمل سوى معنى واحد ، تتفق على قبوله جميع الأفهام

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٩

(٢) قطعى الورود يعنى ثابت فى انه كله نازل من عند الله تعالى ، ويعرف لدى علماء الأصول باسم قطعى الثبوت والمعنى فيهما واحد – راجع أصول التشريع الإسلامى للدكتور على حسب الله .

بحيث لم يترك فرصة لكائن من كان أن يضيف اليها ، أو يحذف منها ، أو يبدل فيها ، أو يفهم غير ما ورد أو يعتقد غير ما جاء فى ذات النص القطعى فى دلالته كما هو قطعى ، والا كان واقعا فى الكفر والإلحاد .

وأما الفروع التى تلحق الأصول فقد جاءت فى نصوص قطعية الورود ، لكن بعضها قطعى الدلالة ، كعدد الأسماء الحسنى ، وبعضها احتمالى الدلالة[١] ، مع كونه قطعى الورود أيضا – كقوله تعالى ﴿" خلق السماوات والأرض فى ستة أيام"﴾ فان لفظ ستة أيام يحتمل من حيث المعنى أنها أيام فى علم الله تعالى لا نعلمها نحن ، كما يحتمل أنها أيام مما نفهم نحن ، ولكن مع الفارق بين أيام الدنيا وبين أيام ما قبلها وما بعدها ، على النحو الذى يمكن أن يتأمله العقل المسلم المفكر .

إذن الآيات القرآنية قطعية الورود ظنية الدلالة ، قد فتحت باب الاجتهاد الفكرى أمام العقل المسلم على أوسع منطقة فيه ، ودفعت العقل السليم إلى تأمل النص ذاته ، ومحاولة التعرف عليه حتى لو كان ذلك متعلقا ببعض الأمور السمعية ، كالجن والملائكة والروح والصراط واللوح ، والقلم والكرسى ، والعرش ، وما كان من ذلك القبيل لكن فى نصوص احتمالية الدلالة على ناحية المفاهيم التى يأتى فيها دور التصورات الذهنية واضحا .

۞ ودليل ذلك أن من يطالع تراث المسلمين فى كتب التوحيد والفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الشرعية يرى ذلك واضحا جدا ، بل بشكل لافت للنظر العقلى[٢] ، فهم جميعا

---

(١) احتمالى الدلالة معناه أن اللفظ الوارد يحتمل أكثر من معنى مع كونه قطعى الورود ، ويعرف لدى علماء الأصول بأنه احتمالى الدلالة ، كما يعرف بأنه ظنى الدلالة – راجع الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ، وجعل الجنة مثواه .

(٢) راجع مفاتيح الغيب والجامع لأحكام القرآن والمطالب العالية والأربعين فى أصول الدين وغيرها من المؤلفات التى عنيت ببيان ذلك الجانب على ناحية التفسير أو العقيدة أو غيرها .

مؤمنون بما جاء به النقل المنزل من عند الله تعالي مما سلف ذكره ، لكنهم يجتهدون فى فهمه ، وهو الجانب المعرفى الذى أكدنا عليه مرات عديدة ، وبينا فى أكثر من محاولة أن :-

[أ] **الإيمان عمل قلبى يتعلق بالعقيدة والشريعة والأخلاق** على الناحية النظرية المجردة فى بعضه ، والناحية العملية الخالصة فى بعضه الأخر ، والناحية المتكاملة من كليهما فى بعضه الأخير[١] ، وهذا يخص أهل الإيمان بالله تعالى رب العالمين المتبعين نبيه الكريم ، سيدنا محمد ﷺ فقط .

[ب] **العلم عمل عقلى يتعلق بالمعارف** سواء التى وردت إلى العقل عن طريق النقل المنزل[٢] ، أو تلك التى يأتى بها البحث الخالص من خلال العقل[٣] ، أو الحواس[٤] ،أو تقذف به التجربة كنتائج ضرورية لازمة[٥] ، أو يحكم به الحدس والإلهام الباطنى[٦] ، أو يرد على ناحية أخرى .

وهذا الجانب قاسم مشترك بين أهل الإيمان وغيرهم باعتبار ان كل عاقل يحمل قدرا من الثقافة التى تناسبه أو التى يمكنه التعرف عليها والتعامل معها ، حتى شاع ان كل فلسفة تقتصر فى جانب المعرفة على ما يجد فيها فقط ، بينما

---

(١) راجع ما سبق ذكره فى هذا الكتاب وأكدنا عليه مرارا حتى يثبت فى الإفهام .

(٢) وهى المعرفة النقلية . راجع كتابنا رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق جـ١ ص٧٥

(٣) وتسمى المعرفة العقلية باعتبار ان العقل هو مصدرها الاكتسابى ، والا فالفرق كبير بين العقل كموضوع معرفى ، وبين العقل كحاكم على المعرفة ذاتها ، وبين العقل كوسيلة ومصدر من مصادر المعرفة . راجع صدر هذا الكتاب الذى بين يديك ، واسأل الله لى ولك الخير والتوفيق والسداد .

(٤) وتسمى المعرفة الحسية ، باعتبار أن الحس هو مصدرها ، وهو الحاكم فيها ، وهو فى ذات الوقت الموضوع المعرفى الذى يكمن فى المسألة وكثيرون يؤمنون بالمعرفة الحسية ، ويرفضون ما سواها - راجع كتابنا الإلهيات عند ابن سينا أثناء عرضنا لموقفه من الحسيين هناك .

(٥) وتسمى المعرفة التجريبية ، باعتبار ان التجربة هى التى تكون حاكما فيها

(٦) لما هو معروف من أن الحدس والإلهام الباطنى أحد مصادر المعرفة الإنسانية ، ولكنها غير الهام الوحى للفرق الكبير بينهما - راجع تفسير مفاتيح الغيب عند شرحه لقول الله تعالى وأوحى ربك إلى النحل ، وقوله تعالى ﴿" وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه "﴾

لا تحفل ولا تقر ببقية المنابع الأخرى[١] ، أو الجوانب المعرفية الأخرى التى قد تقف عليها الفلسفات الأخرى .

والمسلم إذا نظر إلى السور القرآنية وجد سورة بأكملها تتحدث عن الجن[٢] ، فهو حتما واجد آيات كثيرة فى القرآن الكريم تحدثت عن الجن أيضا من هذه الناحية ، لكنه ان بحث فى كتب العقيدة أو التفسير مثلا فسوف يرى اجتهادات المفكرين المسلمين فى كل ناحية من النواحى المتعلق بالجن ، بدأ من التعريف بهم ، وهل هم أجساد لطيفة نارية قابلة للتشكل بالأشكال الحسنة وغيرها[٣] ، أم هم جواهر مادية فيها كثافة غير مدركة ، فمكنهم الله من التشكل بالأشكال القبيحة[٤] ، أم هم أجساد منقدحة من جمرة مشعة الأنوار يخرج من أنوارها الملائكة ومن نارها الجن[٥] ، إلى غير ذلك من الوجوه الفكرية والاتجاهات العقلية التى أحاطت بأصحابها من خلال تفهمهم لآيات القرآن الكريم .

ولاشك أن هذه التعريفات للجن تمثل اجتهادات فكرية لفهم النقل المنزل الذى جاء فيه ذكر الجن ، ففى الحديث الشريف قوله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجن من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[٦] ، فالحديث قد قد ذكر المادة التى خلق منها الجن ، ولكنه لم يقدم تعريفا لها ، فكان من هذه الناحية

---

(١) الدكتور مصطفى غلوش - البعد الرابع فى نظرية المعرفة ص٦ الطبعة الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠م .

(٢) سورة الجن ، وهى مكية ، وترتيبها بين السور القرآنية فى المصحف الشريف رقم ٧٢ وعدد آياتها ٢٨ ، وهى قد نزلت بعد سورة الأعراف على الرأى الراجح عند علماء التفسير من أهل الإسلام .

(٣) راجع حاشية العلامة الباجورى ، وتحقيق المقام فى علم الكلام ، والطوالع ، وغيرها من كتب علم الكلام .

(٤) راجع الأربعين فى أصول الدين للعلامة الفخر الرازى ، وكذلك نفع الذوات الإلهية .

(٥) الأستاذ محمد توفيق عبداللطيف - دراسات قرآنية - الجن - ص١٧ ط٢ ١٩٣٥م

(٦) راجع كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى - أثناء حديثنا عن الأصول الغيبية التى يجب الإيمان بها

احتمالى الدلالة ، وكانت الاجتهادات التى قام بها مفكرو الإسلام من الضرورات التى لا غنى عنها .

وفى ذات الوقت فان النقل المنزل هو الذى دفعهم إلى ذلك الاجتهاد وألزمهم إياه لا فى تقديم تعريف لها فحسب ، وإنما فى محاولة التعرف عليها ، وأنواعها وظروفها وأعمالها بجانب وظائفها ما دام النقل المنزل قد أشار اليها تلميحا أو تصريحا بها فى نصوص قطعية الورود لا قطعية الدلالة ، بل اعتبروا ذلك من القضايا التى لابد منها على الناحية الشرعية ، فمن قصر فيها مع قدرته عليها صار آثما .

وكذلك الحال مع الملائكة ، والصراط ، والميزان ، وسائر السمعيات التى أجتهد المفكرون من أهل الإسلام فى تقديم تعريفات لها ، ومحاولة إعطاء بعض التوضيحات والتصورات لتقريبها إلى الإفهام[1] ، ولم يكن لغير أهل الإسلام مثل تلكم التصورات كما لم تكن لديهم القدرة على اجتياز النصوص – عندهم – إلى محالة التعرف على ما تهدف اليه تلك النصوص أو الغايات التى تحيط بها ، أو جاءت هى مبينة لها .

الوجه الثانى : ضرب الأمثال[2]

بيد أن الأمر لم يقتصر على مجرد الحديث عن الأمور السمعية ، وإنما جعلها العالم المشاهد فى قياس واحد يقرب كل منهما الأخر للأفهام عن طريق المقايسة التى تجئ فى ضرب الأمثال الدال فيها المشاهد على الغائب ، والقريب دال على

---

(١) راجع كتب علم الكلام فى هذه المسائل ، ومنها المطالب العالية ، وكثيرا من الرسائل الجامعية عنيت بذلك أيضا .

(٢) قام زميلى الفاضل أخى الأكبر الأستاذ الدكتور / على يوسف إبراهيم السبكى الأستاذ بكلية أصول الدين بالقاهرة ببحث الأمثال فى القرآن الكريم وأثرها فى الدعوة إلى الله تعالى فى رسالته العالمية الدكتوراه بجامعة الأزهر ونال بها الدرجة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٨٠ ، وهو أخى وحبيبى ومن أهل العرفان من بلدة البهو فريك مركز أجا بالمنصورة دقهلية أمد الله فى عمره ، وبارك فى أثره .

البعيد ، والواقع دال على ما يمكن أن يتحقق فيه الوقوع المطلق أو النسبي كل على جهته التي تجئ منها ، وتتمكن الإفهام من التعرف عليه عن طريقه وهو ما يعرف بضرب المثال ، كما يعرف بالقياس الشبيه عند علماء الأصول ، أو القياس مع المفارقة لدى علماء التفسير ، ونحن نلتقط بعضه على النحو التالي .

[١] فى أمر النشأة الأخرى

ﷻ **من ذلك قوله تعالي** ﴿" يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج "﴾(١) .

فالعقل المفكر المسلم إذا نظر للآية الكريمة يراها قد ضربت المثال للبعث فى المستقبل – بالنشأة الأولى ، وهى الخلق من تراب ثم التطورات التى تمت بعده حتى وصل إلى الخروج من رحم أمه طفلا يبلغ أشده ، وربما تنتهى حياته فى سن باكرة بعد اشتداد عوده ، وصلابة أحماله وعموده ، سواء كان ذلك الانتهاء بعد الخروج من رحم الأم مباشرة أو بعد أن يمتد به الأجل حتى يبلغ سن الضعف والوهن والشيب وتبدأ عملياته العقلية فى الذبول والتلاشى ، كما كان فى طفولته الأولى(٢) . **قال تعالي** ﴿" وأن عليه النشأة الأخرى "﴾(٣) ، التى ستكون كما

---

(١) سورة الحج الآية ٥

(٢) فى تقديرى أن الخلق الأول هو إحياء على غير مثال ، فهو بعث أول بالمعنى القائم على التحريك والاثارة وايجاد الحياة من العدم ، فالخلق من أمثال الله تعالى والبعث من أفعال الله تعالى ، وكلاهما من الناحية اللغوية بقصد الأخر فى المعنى وربما رجع اليه من ناحية بعينها .

(٣) سورة النجم الآية ٤٧ .

كانت النشأة الأولى على نحو من الأنحاء المقبولة شرعا ، ويمكن للعقل أن يتعرفها عقلا أيضا .

وكذلك ضرب مثالا أخر للبعث الثانى بالأرض الهامدة التى لا نبات فيها ولا حياة ، يهجرها الإنسان ، ويفر من سكناها الحيوان ، فهى من الحركة السكانية خالية ، ومن الحركة الطبيعية خالية ، ومن أصحاب الانطلاق العقلى خالية ، وبالتالى فهى هامدة لا يسمع منها صوت ، ولا يرى فيها من خيال ، فاقت المقابر سكونا ، وتميزت عنها غموضا[1] ، حتى صارت الوحشة طابعها ، والاستغراب فى الإقامة بها سمة بارزة فيها .

فإذا أنزل الله عليها الماء انشقت أرحامها بالنبات ، وظهرت فيها أنواع الحياة المختلفة ، التى تعين على الإقامة فيها ، والبقاء بها ، وإمكانية التعايش داخلها ، حينئذ يلجأ اليها الإنسان فيستقر فيها ، والحيوان فيقترب منها ، ويعيش فى نواحيها ، ولكثرة ما فيها من حياة متنوعة تظهر فيها ألوان المباهج وأفانين الحياة انها تتحول بفضل الله تعالى من أرض هامدة إلى أرض متحركة بالخيرات عامرة .

۞ **وقوله تعالى** ﴿ " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون " ﴾[2] ،

۞ **قال العلامة القرطبى** : « نبههم الله تعالى بهذا على إحياء الموتى وذكرهم على توحيده وكمال قدرته ، بالأرض الميتة أحياها بالنبات وإخراج الحب منها ، فصاروا من الحب يأكلون ، وبه يتغذون ، وعليه يتعيشون[3] ، وكذلك البعث يكون على أرض هامدة فيقع عليها التبديل ويتم ذلك البعث الجديدة والنشأة

---

(١) الأستاذ رضوان محمد صقر - دراسات فى القرآن الكريم ص١٣٥ .

(٢) سورة يس الآيات ٣٣/٣٥ .

(٣) الإمام القرطبى - الجامع للأحكام القرآن جـ١٥ ص٢٥ .

الثانيـة علـى أرض جديـدة ، **قـال تعـالي** ﴿ " يـوم تبـدل الأرض غـير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار " ﴾[١] ،

من ثم فان العقل المفكر المسلم راح يتأمل النقل المنزل على كل ناحية ، فـانطلقت الأسئلة عنـده تبحـث عـن إجابـات بعينـها وكلاهمـا – الأسـئلة والإجابات – قـد انطلقـت كلـها مـن النقـل المـنزل ذاتـه باعتبـار ورود النـص الاحتمالى فى دلالته ، فالبعث أمر حتمى عندنا نحن المسلمين لأنه جزء الأصل الخامس من أصول العقيدة الإسلامية عندنا التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة تفصيلا .

ﷺ **من ذلك قوله** ﷺ « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الأخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »[٢] ، فالإيمان باليوم الأخر قائم فيه شأن البعث أيضا ، لكن كيف يكون البعث ، هل عن عدم محض ، أو عن تفريق تام ، أو عن عدم وتفريق معا ، أو عن لا عدم ولاعن تفريق ، إنما عن خلق مستجد تماما[٣] ، ذلك كله دفع بالمفكر المسلم إلى أن يجتهد فى بحثها بغرض تقديم إجابات محددة لها ، وكثرت الاجتهادات فى المسألة حتى نشأ عن ذلك تفكير خاص يتعلق بتلك المسائل هو من خصوصيات الفكر الإسلامى وحده لا من نتاج أحد غيره ، ومن نتاج المفكر المسلم .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٨ .

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى ، وهو معروف باسم حديث جبريل الأمين ، لأن الرسول ﷺ كان جالسا مع جمع من الصحابة ، ثم طلع عليهم من حيث لا يدرون رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر غير معروف لأحد منهم ، ثم جلس إلى رسول الله ، واسند ركبته إلى ركبتى النبى محمد ﷺ ووضع يديه على فخذى رسول الله ﷺ ثم راح يسأله : ما الإسلام ، ما الإيمان ، ما الإحسان ؟ والرسول ﷺ يجيب فلما فرغ وانصرف قال الرسول ﷺ لأصحابه أتدرون من السائل قالوا الله ورسوله أعلم فقال ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم ، ويعرف بحديث عمر بن الخطاب أيضا ، لأنه الراوى الأعلى للحديث على ما هى عبارة المحدثين .

(٣) راجع ذلك بالتفصيل فى كتابنا – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى

[٢] عرض عذاب أهل النار :ـ

قال تعالى ﴿" هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق "﴾(١) ، فالنقل المنزل فى هذه الآيات وأمثالها يصور بعض مظاهر عذاب أهل النار التى تحيط بهم وتنتظرهم فى الآخرة من ملبس ومأكل ومشرب .

فثيابهم مقطعة على جهة التفصيل من مادة النار التى إذا لمست جسما قابلا للاحتراق أذابته ، وفى نفس الوقت فان هذه الثياب ليس واسعة بحيث تمكنهم من الهرب ، ولا ضيقة ، وإنما هى على قدر التناسب مع كل فرد من أهل النار وعلى جهة الأحكام والإتقان ، كما نقطع نحن الأثواب على جهة التفصيل والإجادة لكل من يلبسها فتصير ثوبا خاصا به(٢) ، مع الأخذ فى الاعتبار أن التشبيه مع الفارق ، باعتبار القياس مع الشبيه والمفارقة .

فى نفس الوقت إذا أدخلوا النار ولبسوا أثوابهم ، صب عليهم من أعلى رؤسهم ماء الحميم شديد الحرارة التى تبلغ حد الإذابة ، فيقع الانصهار التام للرءوس ، ثم يمتد أثره حتى يصل إلى الأمعاء سواء شربوه أو أدخل أجوافهم رغما عنهم ، فتخرج تلك المادة النارية على الخلايا الجسيمة ، فتحرقها تماما ، حتى تبلغ فى جسم كل منهم مبلغ الانصهار التام الذى لا حيلة لهم فى الفرار منه ، أو الهرب والتخفى بعيدا عنه .

وفوق ذلك فلهم مقامع من حديد تحبسهم عن الحركة والانطلاق ، إذا حاول احدهم الخروج عن عذاب النار أعاده مقمعه إلى نفس العذاب الذى كان

---

(١) سورة الحج الآيات ١٩/٢٢

(٢) الأستاذ رضوان محمد صقر - دراسات فى القرآن الكريم ص١٤٧ ط دار خيرى ١٩٣٧م .

فيه ، وخرج منه بل سيبقى فى جهنم خالدين فيها أبدا ، ويظل فى عذاب الحريق دائما ، وهم إذا حاولوا تصور ذلك فلم تسعفهم ملكاتهم يجدون القرآن الكريم **قائلا** ﴿ " انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا "﴾[١] .

فشرابهم سيقطع أمعاءهم ، وعذابهم سيقطع أجسادهم ، والماء المنصب من الحميم سيذيب ما بقى من عظامهم ، وكلما انقضت حياتهم على هذا الشكل أعيدت مرة ثانية لتلقى العذاب الأليم من غير انقطاع له ، أو نهاية تعقبه لقوله تعالى ﴿" فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لمن يريد "﴾[٢] ، فالعذاب معهم قائم لا ينقطع عنهم .

هنا يأتى دور العقل فى تأمل النقل متسائلا :

- هل الثياب لها أطراف وجيوب وأكتاف كالملابس والثياب التى نرتديها نحن فى الحضر ، أم هى أزار ورداء كالتى يلبسها أهل البداوة ، أم هى قطعة واحدة تغطى صاحبها كما تغطى العباءة الفضفاضة جسم من يختبئ تحتها ، أم غير ذلك كله ، وإنما هى أثواب تتناسب مع الأجسام التى ستكون لها يوم القيامة[٣] ؟ والعقل يتصورها على نحو من الأنحاء .

- وهل هى جزء من النار التى أعدها الله للعاصين عقابا فى الآخرة ؟ أم هى نار مستخلصة من الأولى قطعت أجزاء تتناسب مع كل فرد من العصاة ، وهل هى

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩ .

(٢) سورة هود الآيتان ١٠٦/١٠٧ .

(٣) هذه أسئلة واردة على العقل ، وكلها تحتاج إجابات ، ولأنها فى نصوص قطعية الورود غير قطعية الدلالة فقد وجد المفكرون المسلمون فيها دافعا إليهم حتى يبذلوا المزيد من التأمل حولها فكان ذلك من العوامل التى أدت إلى نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى من وجهة نظرى .

فقط العذاب بحيث يكون مفهوم دخول العاصين النار هو دخولهم هذه الأثواب التى صنعت لهم من النار ، أم أن دخول أخر فيه لون من العقاب المستجد ذلك وأمثاله مما يدفع المسلم المفكر الفاضل المتمكن إلى التفكير المستمر فيه والتأمل له ، ومحاولة تقديم إجابات مستمرة على الأسئلة المتوالية التى ترد عليه .

❁ **والحكيم المسلم صاحب العقيدة السليمة لا يجد ممانعة فى القيام بهذا الدور** بل على العكس من ذلك تماما فانه يجد القرآن الكريم قد رفع مستوى العقل إلى درجة يستطيع فيها التفكير الصحيح بما حارب من خرافات ، وبما على النظر فى الكون فاطلق العقل من أساره ، وأخذ بيده ليشرف على العالم من مرقب عال ... ثم كان للمسلمين الفضل الأكبر على المدنية الحديثة ... ولولا هذه المدنية الإسلامية التى ظهرت فيما بعد فى بغداد ، وقرطبة ، والشام وصقلية ، لما بلغت المدنية الحديثة من الرقى مبلغها الآن[١] .

وأعتبر الشرع الشريف ذلك من العلم المطلوب كفريضة على كل مسلم ومسلمة يتمكن من القيام بها ، وفى الحديث الشريف طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[٢] ، وذكر عن الإمام الشافعى أنه قال : طلب العالم أفضل من صلاة النافلة[٣] ، لأن أداء النافلة سنة من السنن ، أما طلب العلم فهو فريضة ، والفرض مقدم على السنة شرعا ، فكان تقديم طلب العلم على النافلة مقبول شرعا كذلك .

[٣] عرض نعيم أهل الجنة :-

---

(١) الأستاذ أحمد أمين - مجلة الرسالة - العدد ص١٤٧ مقال بعنوان الإسلام كعامل فى المدنية

(٢) الإمام ابن باجه - المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم جـ١ ط٨١ - دار الحديث - تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ، ومجمع الزوائد جـ١ ص١٩٩ تنزيه الشريعة المرفوعة جـ١ ص٢٧٨

(٣) العلامة ابن عبدالبر - جامع بيان العلم وفضله جـ١ ص٣٠ - دار الفكر

قص القرآن الكريم علينا بعض مظاهر النعيم لأهل الجنة فى الآخرة ، سواء فى ملبسهم أو مأكلهم ومشربهم وحليهم ، وما يتعلق بهذه المظاهر التى أنعم الله تعالي عليهم بها ، وجاءت بها النصوص الدينية - النقل المنزل - فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من ذلك :-

قوله تعالي ﴿" ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد "﴾(١) .

وهم فى الجنة ينعمون بخيراتها المتعددة التى فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ومنها تلك التميزات التى تقع فى ذات الجنة لأهل النعيم تفضلا من الله تعالى ونعم أجر أهل الإيمان .

قال تعالي ﴿" والذين أمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين "﴾(٢) ، فلفظ الغرف الوارد فى الآية الكريمة يأتى على معان متعددة ، ومن هذه الناحية فهو لفظ احتمالى الدلالة ، من ثم كان على المفكر المسلم أن يبذل طاقته الفكرية حتى يقدم تعريفا للغرف يتوافق مع ما يعتبر العقل وفى ذلك خدمة للنقل المنزل نفسه ، وذلك مجهوده الذى لم ينله من غير النقل المنزل ذاته ، ولم يكن لليونان و غيرهم أمر معرفة به.

لذا رأينا من شيوخنا محاولات كثيرة حول ذات اللفظ أقربها قبولا – من وجهة نظرنا – أن الغرف هى أماكن فى أعلى الجنان ، رفيعة العماد والبنيان ، ساكنها يتمكن من التمتع بما فيها من حور وولدان ، تجرى من تحت أشجارها وقصورها أنهار تسر القلب وتفصح للعيان ، نعمة عظيمة من ربنا الرحيم

(١) سورة الحج الاية ٢٤

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٨

الرحمن ، صاحب الفضل والجود الحليم المنان[١] ، فذلك من أنعمه العظمى ، وفضله الفينان ، وفوق ذلك ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم [٢] .

فالنقل المنزل ورد فيه الشغل لأهل الجنة كلفظ له أكثر من معنى مما يجعل العقل يتساءل هل فى الجنة عمل وهى دار الجزاء ، وهل العمل هناك معرض للإصابة والخطأ فيقع لصاحبة به الأجر كما يقع عليه الوزر ؟ أم أنه غير ذلك ؟ إلى غير ذلك من الوجوه [٣] التى يمكن أن تأتى على العقل الإنسانى كمطروح معرفى ، يبحث عن إجابات له ، من ثم فان التفكير فيه يكون قائما على النقل المنزل ، وتلك خصيصة من خصائص المفكر المسلم ، ولا يمكن اعتباره مستفيدا إياها من غير النصوص الدينية الإسلامية أبدا .

وأية ذلك ما ذهب اليه العلامة أبو حيان فى مفهوم الشغل الوارد فى الآية الكريمة فقال : والظاهر ان الشغل هو النعيم الذى قد شغلهم عن كل ما يخطر بالبال ، ثم ذكر ما حكى عن ابن عباس ﷺ أنه قال فى معنى الشغل الوارد فى الآية الكريمة أن أصحاب الجنة قد شغلوا بافتضاض الأبكار ، وسماع الأوتار عن أهاليهم من أهل النار ، فهم شغلوا عنهم حتى لا ينتقضوا بهم[٤] ، وهى محاولة من جانب المفكر المسلم لتفهم المعنى الوارد فى النقل المنزل على لفظ الشغل القائم فى الآخرة ، لأهل الجنة على سبيل النعيم .

وكذلك فهمهم لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم ، فمفسر والمأثور يقولون أن معناها سلام كريم واقع عليهم من ربهم الرحيم مستدلين بالحديث المروى عند بعض أصحاب السنن ، من قوله ﷺ « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ

---

(١) الشيخ محسن عبدالرحمن شاكر - تفسير سورة العنكبوت ص١٢١ ط ١ ١٩٥٨م

(٢) سورة يس الايات ٥٥/٥٨

(٣) العقل المسلم الذى يتأمل النقل المنزل ترد عليه تلك الأسئلة ، ويحاول تقديم إجابات لها ، على ناحية شرعية أيضا .

(٤) العلامة أبو حيان - البحر المحيط جـ٧ ص٣٤٢

سطع عليهم نور ، فرفعوا رءوسهم ، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة» فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم : قال فينظر إليهم وينظرون اليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم[١] .

من ثم فان تصوير لون ذلك النعيم قد وردت فيه مفردات لفظية هى قطعية فى ورودها احتمالية فى دلالتها ، ولأن المفكر المسلم لا يلتفت فى ثقافته أو إثبات عقيدته ، أو التزام شريعته بالدرجة الأولى ألا إلى النقل المنزل ، فقد حاول تقديم جهوده في ذلك الشأن فكان له من وراء ذلك إبداع فكرى مستقل به عن جميع الثقافات الأخرى .

ﷻ **ومن ذلك أيضا قوله تعالى** ﴿ " مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير أسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم "﴾[٢] ، فالقرآن الكريم عرض من أنعم أهل الجنة التى أكرمهم الله تعالى بها جريان الأنهار المتنوعة فى مصدر كل منها ، وتنوع النهر الجارى ذاته ، ومن ثم فالمفكر المسلم راح يسأل فى معنى الآسن الوارد فى الآية الكريمة ، هل هو الذى لا تتغير رائحته ، أم الذى لا يتوقف عن الجريان ماؤه ، ام هو الثابت فى جهة الجريان على الاستمرار حتى يمتع العين والقلب ، كما يريح النفس والوجدان ، أم غير ذلك من الوجوه .

والأسئلة التى دفعت المفكر المسلم للبحث عن إجابات لها ، يمكن للعقل ان يتعرف عليها ، ويتفهم مراميها ، وبخاصة أن الأثر المروى عن سيدنا عبدالله بن

---

(١) العلامة ابن كثير – المختصر جـ٣ ص١٦٧ وأخرجه ابن أبي حاتم ، ورواه ابن ماجة فى سننه ، وعلق شيخ المحدثين ابن كثير عليه بقوله وفى إسناده نظر

(٢) سورة محمد الآية ١٥

مسعود ﷺ يقول أن أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك[١] ، ولا شك أن المفكر المسلم متى انطلق فى تفكيره من ذات النصوص الدينية فى القرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح ، فان أية محاولة انتسابه لغير ذلك تكون محاولة مقضى عليها ، ومحكوم فيها بعدم التوفيق .

كما أن أنهار الجنة متعددة ، فهى كذلك غاية التنوع منها أنهار من لبن لم يتغير طعمه بطول الجريان ، ولا يفسد فى طبيعته بالاستمرار فى الجريان ، ولكن العقل المسلم يتساءل هل اللبن الأخروى كاللبن الدنيوى فى تركيباته البروتينية أم يختلف عنه فى هذه الناحية ، وهل الأنهار الجالية بالألبان مثلا تكون مصادرها هى نفس مصادر الأنهار الجالية بالماء الأسن ، أم أنها تجيء من مصادر أخرى ، لكنه لا يخرج من ضلوع الماشية ، على ما ورد به الأثر[٢] .

وكذلك الحال مع الأنهار التى تجيء من خمر لذة للشاربين ، والأنهار الأخرى التى تجيء من العسل المصفى الخالص من الشوائب ، فهو غاية فى صفاء اللون والرائحة ، لم يخرج من النحل ، ولم يخالطه الشمع ، ولا شيء من فضلات النحل أبدا ، ولا شك أن ذلك كله من العوامل التى هيأت الفكر الإسلامى ودفعت اليه وقام عليها .

ﷻ **وكذلك قوله تعالي ﴿** " ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا" ﴾[٣] .

ﷻ **وقوله تعالي ﴿** " فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا

---

(١) الإمام ابن كثير – مختصر تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٣٢ .

(٢) ففى الحديث المرفوع أنها أنهار اللبن فى الجنة لم تخرج من ضلوع الماشية .

(٣) سورة الإنسان الآيات ٥/٧ .

ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا"﴾[1]،

ولا شك أن من يتدبر آيات القرآن الكريم بتأمل وعناية، فسوف يجد تلك الملامح غاية الوضوح والتأكيد، كما أنه حتما سيجد عرضا للنفس الإنسانية والروح، بل والعقل والفكر بجانب السمع والبصر، وكلها جاءت فى نصوص قطعية الثبوت احتمالية الدلالة. ولذا فإنى أميل إلى أن ذلك الجانب كان من العوامل الأساسية فى نشأة الفكر الإسلامى

الوجه الثالث
إخراج الأضداد من بعضها وتآلفها[2]

ذكرت بعض آيات القرآن الكريم ألوانا متعددة من الأدلة على إثبات وجود الله تعالى وتفرده جل علاه بالوحدانية، وانصراف الأمور كلها فى الكون اليه تعالى وحده، ومن تلك الألوان المتعددة ما يجعل القلب والعقل والنفس والوجدان ينطلقون فى ميدان البحث العلمى – النظرى والعملى – بأوسع ما يمكنهم الوصول اليه، والأخذ بأسبابه والتعرف عليه، سواء كان ذلك فى الكونيات أو الأجرام السماوية، أو الزاحفات والمنتصبات الأرضية .

وكان إخراج الأضداد من بعضها أحد تلك الوجوه القرآنية التى أوقفت العقل عند بابه يطرقه على استحياء حينا بعد أخر، من ذلك قوله تعالى ﴿" الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون"﴾[3]، فالعقل إذا نظر إلى

---

(١) سورة الإنسان الآيات ١١/١٨

(٢) الوجه الأول : تصوير بعض عذاب أهل النار، والوجه الثانى : تصوير بعض نعيم أهل الجنة، وذلك الثالث : يخالف الوجهين السابقين من حيث الموضوع فقط .

(٣) سورة يس الآية ٨٠ .

الآية الكريمة وتأمل فيها جيدا ، وراح يسأل أن الشجر الأخضر فيه ماء هو سر حياته ، ولو لم يكن فيه الماء لكان جافا يابسا ، فكيف تخرج النار الحارقة من الماء الباردة أو العكس ، بمعنى كيف يختبئ النار الحارقة فى العود الأخضر الرطب ، أن الأمر فى غاية الغرابة ، ويحتاج بذل المزيد من الجهد العقلى للتعرف عليه .

هنا استجمع العقل المسلم إمكانياته وانطلق فى ميدان البحث بأقصى ما يمكنه الوصول اليه ، فإذاه يجد العرب أنفسهم يتعاملون بنفس تلك المفاهيم فى حياتهم العملية ، وأنهم تعرفوا على نوعين من النبات المنتشر فى الصحراء أحدهما يسمى نبات المرخ ، والثانى يسمى نبات العفار ، وأن كلا منهما نبات صحراوى زاحف متسلق ، ويوجد بنسب متفاوتة ، وفى مسافات قد تتباعد أو تتلاقى[١] ، لكنها موجودة فى الواقع ، ولها ٱثار ظاهرة .

وأن هاذين النوعين من النبات إذا تلامسا أو تماسا حدثت بينهما ظاهرة الاشتعال التى تعرف بحرائق الغابات ، وإذا حدث بينها تماس أو تلامس من فاعل قاصد يحدث عنهما نار يمكن استخدامها ونقلها ، وتصير أجزاء هذين النوعين من النبات – المرخ والعَفّار – كأعواد الثقاب عندنا ، أو الولاعات التى نستخدمها فى حياتنا اليومية ، وطالما كان فى أجزاء النوعين شيء من الماء فان استعمالها لاستجلاب النار يظل قائما – رغم أنهما أخضران ، فيهما الماء – فإذا جفا من الماء بطل استعمالها تماما من هذه الناحية[٢] التى ذكرها القرآن الكريم مرتبطة بالفائدة منها .

---

(١) الدكتور بدر الدين عبداللطيف – النباتات العلمية فى القرآن ص١٢٥ .

(٢) راجع كتابنا " الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ، ففيه حديث طويل حول تلك النقطة ، وراجع الإنسان فى القرآن بداية ونهاية القسم الثانى – رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة للمرحوم الأستاذ الدكتور صلاح عبد العليم إبراهيم – استاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

وفى الأمثال العربية : كانوا يقولون " فى كل شيء نار ، واستمجد المرخ والعفار "[١] ، وفى أمثالهم أيضا استورى النار من المرخ والعفار[٢] ، وإياك النار فهى كامنة فى المرخ والعفار[٣] ، إلى غير ذلك من الأمثال التى تدعو إلى التعرف عليها والاستفادة من فوائدها ، أو الاحتراز من أخطارها .

مع هذا لم يكن العربى قديما يعرف أنهما ضدان – العود الأخضر والنار – وأن كلا منهما يخرج من الأخر ، فلما نزل القرآن الكريم بالحديث عنهما وعلاقتهما القائمة ، لم يسع المسلم المفكر الا البحث التجريبى حتى يصل إلى معرفة حجم تلك العلاقة ونوعها والأسباب التى تدفع اليها ، والنتائج التى تعقبها ، فلما انتهى إلى ذلك الإعجاز هب قائلا :-

جمع النقيضين من أسرار قدرته ∴ هذا السحاب به ماء ونار[٤]

❁ **وأقول ناظما :-**

سبحانك اللهم أنت القهار ∴ أنت الواحد القادر المختار
أنت جمعت بين النقيضين ∴ تجاور بالوجود الماء والنار
فالشجر الأخضر ينمو منسلا ∴ يلاعب أعطافه المرخ والعفار
بهذا نطعم ألوان خير ∴ وبذا تستضيىء الجنبات والدار[٥]

إذن المفكر المسلم تأمل الآية الكريمة على الناحية الشرعية فعرف أن الله تعالى قادر على إحياء العظام البالية وإعادتها خلقا جديدا[٦] ، وأن البعث أمر واقع فى الآخرة ، كما هو قائم فى النشأة التى نحن فيها ، وتكون النشأتان – الدنيا

---

(١) الأستاذ محمد بك جلال – الأمثال فى الفصحى – ص٢٢٧ ط القاهرة ١٩٢١م .

(٢) الإمام أبو حيان – البحر المحيط جـ٧ ص٣٤٨ .

(٣) الشيخ محمد عبدالجوادى – الأمثال العربية – باب الهمزة ص١٩ .

(٤) هذا من الشواهد العربية فى كتب البلاغة ، كما يستشهد به النحاة فى باب العطف .

(٥) هذا من قصيدة طويلة كنت قد وفقت اليها قبل سن الأربعين بكثير ثم نشرت فى ديوان : سياحة تأملية ، وهو الديوان الخامس عشر ، وكان قد طبع عام ١٩٩٦م .

(٦) العلامة ابن جرير الطبرى – تفسير الطبى جـ٢٣ ص٢١ .

والآخرة – متماثلتان بالنسبة لقدرة الله تعالى ، وأنها جميعا عنده تعالى سواء ، بدليل أنه جل شأنه يخرج بقدرته العظيمة من الشجر الأخضر نارا تحرق ذات الشجر ، إذا انطلقت اليه ، وفى الأمثال : غارس أشجارا لفتنة نار تأكل نفسها[١]

۞ **وذهب العلامة ابوحيان** – رحمه الله – إلى القول بأن الله تعالى ذكر لهم ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة ، وبعثه من جديد ، ألا وهو إبراز الشيء من ضده ، وذلك أبدع شيء هو اقتداح النار من الشجر الأخضر ، الا ترى الماء يطفئ النار ، ومع ذلك خرجت النار مما هو مشتمل على الماء[٢] ، وذلك مما تعنى به الحكمة التأملية وبناء عليه يكون المفكر المسلم مستقلا عن غيره ، يقوم فكره على الأصول والقواعد العامة القائمة فى النقل المنزل ، وهو المعنى الذى نقصده بأصالة الفكر الإسلامى وعدم تبعية الآخرين وإبداع المفكر المسلم وعدم وقوعه فى قيود أسر الملحدين .

كما تأمل الآية الكريمة على الناحية العملية أيضا فوقف به البحث التجريبى إلى ظواهر علمية لا يمكن إغفال دورها فى الحياة العامة ، وحاجبات الناس اليها على وجه من الضرورة التى لا بديل عنها ، فالإنسان يأكل ويشرب ، ويحتاج فى مأكله ومشربه إلى نار يطهو بها طعامه ، وهذه النار لا يمكن جعلها ثابتة فى مكان بعينة على سبيل التأبيد ، والا فإنها سوف تحتاج وقودا مستمرا ، كما يصير طلبها نوعا من المشقة غير المحتملة ، لأن الناس يغدون ويروحون ، فبقاؤها فى مكان معين ينتهى إلى أضرار يصعب علاجها ، ويفقدها أحوالا هم بحاجة اليها .

وبالتالى فلابد من محاولة التعامل معها والتفكير فيها حتى تكون منقولة مع الناس أينما ذهبوا تيسيرا لهم فى طلبها ، وتحقيقا للمصالح المنتظرة معها ، وذلك لا يكون الا باستخدام الجهد العقلى المستمر والبحث الفيزيائى الذى لا يتوقف ،

(١) راجع كتابنا – حكم وأمثال باب الغين .

(٢) العلامة أبو حيان – البحر المحيط – الجزء السابع ص٣٤٨ ، والنهر الماد أيضا ففيه تعليق مفيد .

فكان ذلك مما قام به المفكر المسلم فى هذا المجال أيضا ، وقد نجح فيه أيما نجاح ، وكان ذلك كله من الجهود التى كانت له على سبيل الاستقلال .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿"وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون"﴾[1] ، ففى الآيتين الكريمتين حديث عن ظواهر كونية بعضها متعلق بالأجرام العلوية كالسماوات السبع بما فيها من بناء محكم متقن مع الاتساع وتوالى الأعداد .

لكن المفكر المسلم بدأ يتساءل :

- هل السماوات مرفوعة بأعمدة مرئية ، أم هى مرفوعة من غير عمد أصلا ، أم هى مرفوعة بأعمدة غير مرئية ؟

- ثم هل هى سماوات متطابقة بعضها فوق بعض فوق ليس بينها فواصل ، ام هى طباق بين كل سماء والأخرى فراغ ، لكن هل هو مسافة زمانية أعنى مدة ، أم مسافة مكانية أعنى مساحة وما مقدارها وحجمها ووزنها ان وجدت[2] ، ما دام لها العديد من النعوت التى تلحق الأجرام العلوية ، وتقع فيها العقول حول التأمل المتواصل طبقا لما جاء به النقل المنزل[3] ، ومرجع ذلك كله إلى مجيء الألفاظ القطعية فى دلالتها داخل النقل المنزل .

---

(١) سورة الروم الآيتان ١٨/١٩ .

(٢) بناء على أن كل جسم له امتداد وله وزن وعمق وطول وعرض إلى غير ذلك من الأبعاد .

(٣) الآيات القرآنية فى هذا الشأن كثيرة جدا .

◈ كما أن الأرض هى ضد السماء باعتبار الأعلى والأسفل فالأرضون سبع ، لكن هل هى أيضا سبع فوق بعضها ، أو هى طبقات متراكمة ، أم هى طبقات ترابية متنوعة فى الألوان والخصوبة والنماء[١] .

◈ **إلى غير ذلك من الأسئلة التى حاول العقل المسلم تقديم إجابات لها على ناحية من النواحى المقبولة** ، وما أظن أن هناك ثقافة غير إسلامية يمكن أن تكون قد تناولت هذه الأسئلة ، أو حاولت التعرض لها ، وما دام الأمر كذلك فان الحكمة الإسلامية أصيلة فى التراث الإسلامى وقائمة عليه .

وفى نفس الوقت فان الآية القرآنية ذاتها تحدثت عن الزمان كفكرة لها وجود واقعى ، وفرقت بين مفهوم الزمان باعتباره فكرة ومفهومه باعتباره واقعا فعليا ، فتحدث الآية التى قبلها عن المساء والصباح ﴿" فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون"﴾[٢] ، ولاشك أنهما – المساء والصباح – طرفا اليوم والليلة ، فكل يوم يبدأ بالصباح وينتهى بالمساء ، وكل ليلة تبدأ بالمساء وتنتهى بالصباح ، وكل منهما ينازع الأخر فى مطالعه كما يواليه فى البداية والنهاية ، أو الابتداء والانتهاء يدرك ذلك من له ادنى إلماحه عقلية إيمانية

◈ **كما أن الآية التى توالت بعد السابقة هى قوله تعالي** ﴿" وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون"﴾[٣] ، قد جاء فيها الحديث عن ثلاثة أوقات بين وقتى المساء والصباح ، فتكون الأوقات كلها خمسة ، راجعة فى مفهومها لمواقيت أداء الصلاة نفسها ، عندنا نحن المسلمين طبقا لما أمرنا به رب العالمين ، **وعلمنا رسولنا الكريم ، من قوله ﷺ** « صلوا كما رأيتمونى أصلى »[٤] ، **وهى** :–

---

(١) الأستاذ توفيق عبدالسميع – دراسات قرآنية ص٥٧ .

(٢) سورة الروم الآية ١٧ .

(٣) سورة الروم الآية ١٨ .

(٤) الأمام النووى – الأزكار ص١٩٥ .

[١] وقت العشاء : حين تمسون [٢]وقت الفجر : حين تصبحون

[٣] وقت الظهر : حين تظهرون [٤]وقت العصر وهو داخل مفهوم حين تظهرون .

[٥] وقت المغرب : وهو وقت العشاء

بيد أن إخراج الله الحى من الميت(١) مثل إخراج النبات الحى من الأرض الجامدة الميتة ، وإخراج الدجاجة من البيضة المنفصلة التى لاحس فيها ولا حركة ، لهو من أوضح الأدلة على إخراج الأضداد من بعضها مع عدم فساد واحد منها(٢) ، فالله تعالى أخرج النار المشتعلة من العود الأخضر ، وأخرج كذلك النبات الحى من الأرض الميتة ، وذلك وأمثاله مما دفع المفكر المسلم حتى يضرب فيه بقوس الفكر ، وسهام التأمل عله يبلغ فى المسالة مبلغا .

وهو فى كل حالاته حريص كل الحرص على إشباع قدراته العقلية ، وجوانحه النفسية ، ومن ثم فهو يواصل تأملاته التى لم تنقطع ، وفى كل مرة يتقدم للأمام خطوة ، فإذا استوثق من خطوته التى قطعها ، والنتائج التى توصل اليها ، قفز إلى ما بعدها فى ثبات مدعوم بالنصوص الدينية(٣) ، والتأملات الإسلامية التى سبقته فى نفس الميدان ، وهو فى كل حالاته حريص على إرضاء الله تعالى مع إشباع رغباته للبحث العلمى أيضا ، وذلك مما يمثل نوعا من الاستقلال الفكرى الذى يتمتع به المفكر المسلم .

أجل كما يخرج الله تعالى الأضداد من بعضها فانه تعالى يدخلها أيضا فى بعضها ، مع عدم تلاشى أى منهما فى الأخر ، فهو سبحانه وتعالى يكور الليل

---

(١) قوله تعالى ﴿" يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى "﴾ والآيات فى هذا الشأن كثيرة .

(٢) لأن الفساد يتنافى مع الحكمة الإلهية لقائم فيها أمر الإبداع أيضا .

(٣) وبهذا الاعتبار يتمايز المفكر المسلم عن اليونان وغيرهم تمام التمايز .

على النهار ، ويكور النهار على الليل[١] ، ويولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل[٢] ، ثم يخرج أحدهما من الأخر ويجعل ذلك أية من آياته . **قال تعالي** ﴿" وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون"﴾[٣] ، **وقوله تعالي** ﴿" لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون"﴾[٤] .

من ثم فان إخراج الله الأضداد من بعضها – سواء فى النواحى الميتافيزيقية المتعلقة بالكونيات كالليل والنهار ، أو فى المتعلقة بالفيزياء كما عرضنا بعض النبات ، وإخراج الله النار من الشجر الأخضر ، أو المتعلقة بالفلك كالشمس والقمر إلى غير ذلك مما ورد فى القرآن الكريم على تلك النواحى – هو العامل الأساسى الذى شغل المفكر المسلم وجعله يتجاوب معه ، ودفعه إلى المزيد من التأمل فى كافة جوانب الميتافيزيقا التأملية ، والنقدية معا ، بل والفيزيقية أيضا على النحو الذى ورد ذكره فى الدراسات المتخصصة التى قاموا بها على وجه الإبداع مع الإجادة والإتقان حتى كانوا بحق أسبق الناس اليه .

❁ **ومن المؤكد أن المفكر المسلم قد قسم الموجود إلي قسمين :-**

✪ **الأول : الموجود الخالق والذى لا مثيل له ولا شبيه ولا شريك ، وهو الله سبحانه وتعالي** الذى له كل صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام ، وهو المنزه عن الولد والصاحبة والحاجة ، فهو سبحانه الخالق القادر العظيم ، وهذا القسم ليس محلا

---

(١) قال تعالى ﴿" خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى الا هو العزيز الغفار"﴾ سورة الزمر الآية ٥ .

(٢) قال تعالى ﴿" ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير"﴾ سورة الحج الآية ٦١ ، وقال تعالى ﴿" يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور"﴾ سورة الحديد الآية ٦ .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

(٤) سورة يس الآية ٤٠ .

للدراسة من حيث ذاته ، أو حقيقتة الذاتية ، وأكد أهل الإسلام على أنه لا يعرف الله تعالى الا الله[١] .

كما أن الأحاديث النبوية الصحيحة الشريفة قد نهت عن بحث هذا الجانب من حيث ذاته ، ولكنها نبهت إلى البحث فيه من حيث الاستدلال عليه ، ففى الحديث الشريف « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »[٢] وتفكروا فى مخلوقات الله ، لا تفكروا فى ذات الله فانه لا تحيط به القدر .

✪ **الثانى :- الموجود غير الخالق ماديا أو غير مادى** ، وهو الكون أو العالم أو ما سوى الله تعالى سواء مما عرفناه عن طريق النقل المنزل وحده ، أو عن طريق البحث العقلى وحده ، أو الإلهام الحدسى أو بهم جميعا ، أو لم نعرفه وإنما ظل مطويا عنا قائما فى علم الله تعالى وحده ، وهذا التقسيم هو محل البحث العقلى والاجتهاد الفكرى بما فيه من تجريب ونظر ، أو أعمال العقل والفكر إلى أخر ما ينهض فيه دور البحث العلمى[٣] .

وقد عنى به الحكيم المسلم وتفرد بالبحث فيه ، وذلك فى حد ذاته يؤكد أصالة الحكيم المسلم فى عقيدته والأحكام المتعلقة به ، كما ينتهى إلى أن المفكر المسلم والفكر الإسلامى قاما على النقل المنزل الذى لم تعرفه أمة من الأمم غير أمة الإسلام وهو من الأدلة على أصالة الحكيم المسلم ، وعدم تبعيته لغيره وأصالة

---

(١) هذا مما يؤكد عليه مفكروا الإسلام - راجع عجائب القرآن ، وكتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .

(٢) سبق الاستشهاد بالحديث فى صفحات من هذا الكتاب ، فارجع اليها هناك ، ونسأل الله تعالى السلامة ونرجوك خالص الدعاء فهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير .

(٣) راجع مناهج البحث عند مفكرى المسلمين للدكتور على سامى النشار وغيرها مما عنى ببيان ذلك الجانب .

الفلسفة الإسلامية وعدم انطلاقها من غير النصوص الإسلامية[١]، وهو الذى أكدنا ونؤكد عليه .

بل أن من يتأمل آيات القرآن الكريم على أية ناحية يقصدها فانه واجد فيها مطلبه فى كافة النواحى ، ان لم يكن على سبيل التصريح به ، فان طريق الإشارات القرآنية والتلميح الدقيق إلى المفاهيم هو الذى سيكون بديلا لما لم يصرح به ، ويؤدى نفس النتائج فى المستجدات ، أو التأكيد على المسبوقات[٢]، وذلك من العوامل التى ألهبت حماس المفكر المسلم ، وألهمته السعى الدؤوب عله يتعرف عليها فى الواقع المعاش بعد أن تعرض لها النقل المنزل نفسه ، فكان تعرض المفكر المسلم لها نوعا من العبادة لله بعد الاعتقاد فى صحة ما دعاه اليه ، وكلفه التعرف عليه .

۞ **وفى تقديرى:** أن ما صرح به القرآن الكريم من قضايا ميتافيزيقية كفكرة الزمان المقدر فى علم الله الأزلى ، والزمان الفلكى ، فإنها قد حدث بالمفكر المسلم لاستنتاج فكرة الزمان البيولوجى الفيزيقية ، وهكذا فان كل فكرة ميتافيزيقية تعقبها أفكار فيزيائية ، وأن كل نتائج فيزيائية داعية للتعرف على الميتافيزيقا التأملية من باب أولى .

۞ **وآية ذلك مما ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالي** ﴿" قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل

---

(١) عرضنا لذلك فى صدر هذا الفصل ، وكذلك تناولنا هذه المسألة فى العديد من المؤلفات التى أعاننا الله تعالى على إخراجها .

(٢) الإشارات النقلية فى هذا الشأن كثيرة وتوفيق الله يجعلها ميسرة لطالبها .

تسكنون فيه أفلا تبصرون"﴾[١]، فالآيتان تحدثتا عن ظواهر كونية عديدة، بعضها فلكي، وبعضها فيزيائي على سبيل التصريح بكل منهما .

ثم المحت إلى ظواهر كونية أيضا لكنها فيزيائية خالصة داعية للبحث العلمي، وهي الظلمة الدائمة القائمة في لفظ سرمدا بعد ذكر الليل، فالسرمدية هنا منصبة على مفهوم الظلمة التابع للفظ الليل، وكل من الآيتين تناولت نفس المفاهيم من الليل والنهار والظلمة والنور على سبيل التبادل القائم فيهما، وهو معنى التحليل العلمي في المنهج التجريبي الذي يتغنى به دعاته في العصر الحديث متناسين دور مفكري المسلمين في المسألة رغم أنهم الأسبق اليه، والأحرص عليه، والأكثر دقة فيه .

ثم تأتي خلفهما أية تجمع نتائج كل منهما على سبيل التركيب، فيقول الله تعالى ﴿" ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون "﴾[٢]، وهو النتيجة التي يقف عندها صاحب التجربة المعملية ينتظرها أملا أن تحقق له من النتائج ما يفتح الباب الموصد دونه على سبيل منهج التركيب الذي يجمع النتائج لا منهج التحليل الذي يقسم الأجزاء على النحو الذي جاءت به الآيتان اللتان سبقتا .

في نفس الوقت فأنا لا أزعم أن القرآن الكريم كتاب نظريات علمية أبدا، وإنما أميل إلى أن الإشارات القرآنية هي التي ظلت تدفع بالمفكرين حتى اهتدوا إلى تلك المباحث العلمية، سواء كان ذلك في الجانب الفيزيائي أو الميتافيزيقي، وأنهم لم يقبسوا حكمتهم الا من النقل المنزل نفسه كمصدر ثابت أصيل، ثم ثقافتهم العربية التي كانت الدعامة الثابتة عندهم قبل الإسلام، وأحد الركائز التي وقفت لهم حتى أمكنهم بها تفهم النصوص الدينية ذاتها .

---

(١) سورة القصص الآيتان ٧٢/٧١ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٣

❁ **يقول أحد الباحثين** « أن نوع الحكمة التى تحاول الفلسفة الإسلامية أن تأخذ بها ، كانت من حيث القصد على الأقل حكمة دينية ، وهذه هى خاصيتها ، فهى تشتمل على عناصر دينية مأخوذة من القرآن الكريم ، لكنها بدلا من اقتباسها كعناصر دينية فإنها تسعى فى إخلاص إلى التوفيق بين الدين والعقل بقصد إعطاء الدين صفة علمية ... وهكذا استطاعت أن تصل إلى العقول المؤمنة ، أو على الأقل تلك العقول التى ترغب فى التوفيق بين عقيدتها وبين العقل والعلم[١] .

وكان منطلقها هو النقل المنزل ، وهو نفسه مصدرها الأساسى الذى تقوم عليه ، وهو الموجه لها والدافع الذى لم يجد العقل الإسلامى مصدرا أوثق منه يطمئن اليه ، فى بحث تلك المسائل الميتافيزيقية التى تقع فى جانب الغيبيات أو ما وراء الحس المعرفى[٢] ، وكذلك المسائل الفيزيقية التى لم يكن للعقل بها معارف سابقة ، وأنما كشفها له النقل المنزل فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وهو يحاول الوصول اليها على نحو من الأنحاء العلمية فى جوانبها النظرية والتطبيقية .

ومن ثم فان الحكمة الإسلامية قائمة على القرآن الكريم ، وأن النصوص الإسلامية التى جاءت بعضها احتمالية الدلالة كان لها النصيب الأوفى من دراسات مفكرى الإسلام على الناحية العقلية[٣] ، وذلك مما جعل تلك الحكمة أو الفلسفة الإسلامية "وحدة مستقلة" لا سبيل إلى إنكارها على الرغم من اختلاف الأماكن التى ظهرت فيها ، والمؤلفات التى صنفت فيها ، كما أن نفس الملامح الأساسية الموجودة عند فلاسفة المسلمين فى المشرق هى بعينها الموجودة عندهم

---

(١) شاخت وبوزورث - تراث الإسلام جـ٢ ص٧٣ ط٢ ١٩٨٨م .

(٢) راجع كتابنا - رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص١٣٧ .

(٣) لأن العقيدة مكانها القلب ، أما المعرفة فمكانها العقل ، وهذا الفرق كبير لمن تأمله .

فى المغرب ، ونقطة البداية عندهم جميعا واحدة ، هى الحقائق القرآنية وتعاليم الإسلام المتعلقة بالحياة اليومية[١] فى العالم المشاهد ، وكذلك عالم الغيب .

وفى نفس الوقت فان الإشارات الواردة فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد أمكن للحكيم المسلم الواعى أن يتدبرها مرات ، فإذا هى تتحدث عن دقائق فنية تعتبر البدايات الواقعية والأسس القويمة فى كافة العلوم والمعارف الإنسانية ، من ذلك تلك التى جاءت فى النسبية

[١] **باعتبارها فكرة متعلقة بالمكان فى قوله تعالي** ﴿" سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير"﴾[٢] ، فلفظ الليل متسع يمتد ساعات طويلة ، لكن معجزة الإسراء والمعراج قد استغرقت جزءا منه تجرى فيه النسبية الزمانية ، أما قوله تعالى " من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " فيمكن أن تجرى فيها النسبية المكانية باعتبار أن من والى يحددان مطالع البداية والنهاية بهذا المعنى ، لكن أفسحا الفرصة للنسبية المكانية ، وقوله ﷺ « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة»[٣] ، وقوله ﷺ « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة »[٤] ، إلى أخر ما يمكن التعرف عليه كإشارات ورموز للنسبية المكانية بالمعنى الفنى الدقيق ، فما بين قبره ﷺ ومنبره مسافة مكانية تجرى فيها النسبية المكانية بالنسبة للجالس فيها ، أو الذى يأتى اليها راغبا فيها ، وكذا ما يتعلق بها من هذه الناحية ، وقد نبه اليها النقل المنزل الصحيح .

[٢] **أو جاءت فى النسبية كفكرة متعلقة بالزمان من ذلك قوله تعالي** ﴿" وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى

---

(١)شاخت وبوزورث - تراث الإسلام جـ٢ ص٦٦ ط٢ ١٩٨٨م .

(٢) سورة الإسراء الآية ١

(٣) هذا الأثر شائع مشهور ، وبعض الروايات تزيد عليه بعض الألفاظ أو تختصر فيه .

(٤) الإمام الطبرانى - المعجم الصغير - الجزء الثانى ص١٢٢ .

للذاكرين")﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿" ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا")﴾[2] ، وقوله ﷺ « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينها إذا اجتنبت الكبائر"»[3] ، وهذا واضح جدا لمن تأمله ، والمفكر المسلم من أكثر الناس حرصا عليها وقد وفق منتسبا إياها من النقل المنزل نفسه اليها فكان من الضرورى الاعلان عنها .

[٣] **أو جاءت فى بيان النسبية الكلامية المتعلقة بالحكم العام على الفكر نفسه وإثبات صدقه من عدمه ، ومن ذلك قوله تعالي** ﴿" قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين")﴾[4] ، وقوله تعالى ﴿" قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم")﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿" ومن أصدق من الله حديثا")﴾[6] ، وقوله تعالى ﴿" ومن أصدق من الله قيلا")﴾[7] ،وذلك من الدلائل على ان المفكر المسلم لم يكن له من مصدر يأخذ منه ثقافته الا النقل المنزل الذى أشبع نهمه للبحث بطريق مأمون بعد أن رسخ فى أعماقه العقيدة الإيمانية الصحيحة .

[٤] **أو جاءت عن بيان النسبية فى القيم الأخلاقية ، والملكات الأساسية التى تمثل مصالح لأصحابها يصعب التخلى عنها أو التفريط فيها ، من ذلك قوله تعالي** ﴿" وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور")﴾[8] ، ففى

(١) سورة هود الآية ١١٤ .

(٢) سورة الإنسان الآية ٢٦

(٣) شرح العلامة الفشنى ص٢٣٥ ، وله شواهد كثيرة وفيه روايات متعددة أيضا .

(٤) سورة النمل الآية ٦٤ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٠ .

(٦) سورة النساء الآية ٨٧

(٧) سورة النساء الآية ١٢٢

(٨) سورة فاطر الآيات ٢٢/١٩ .

الآية الكريمة بيان النسبية فى الملكات كالبصر والعمى ، وكذلك النسبية فى مفهوم الظلمة والنور إذ ليس كل منهما نفس الأخر ، والظل والحرور ، فالفاصل بينهما باعتبار المكان نسبى ، أما الفاصل بينهما باعتبار الأجسام فقد تم مجيئه على الملكات ، وهكذا فلا يستوى الأحياء بشرع الله والأموات عنه وليس أهل الشرع أو أهل الخروج فى الأمر سواء عليه .

[٥] **أو جاءت فى بيان مستوى النسبية الطبيعية فى الحركات والأصوات التى تقع فى عالم الفيزياء من ذلك قوله تعالي** ﴿" وأقصد فى مشيك وأغضض من صوتك أن أنكر الأصوات لصوت الحمير "﴾[١] ، فالسير تجرى بداخله مفاهيم النسبية المكانية باعتبار أن المشى يكون فى مكان ، وتجرى منه أيضا النسبية الحركية القائمة فى السير نفسه كعملية حركية ، والتى تعرف بالميكانيكا فى جانبها الديناميكى ، أو الاستاتيكى[٢] ، ويعنون بها الحركة المنتظمة .

۞ **وفى مجال الحركة المنتظمة أيضا قوله تعالي** ﴿" وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء أنه خبير بما تفعلون"﴾[٣] ، وقوله تعالى ﴿" والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم"﴾[٤] ، وقوله تعالى ﴿" لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون"﴾[٥] ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى جاءت متحدثة عن الحركة وانتظامها ، مرشدة إلى بعض قوانينها التى جد العلماء المسلمون فى التعرف عليها واستخراجها ، ثم وضعها فى قوالب ومفاهيم يمكن

---

(١) سورة لقمان الآية ١٩

(٢) عرضنا ذلك الجانب فى كتابنا النسبية فى الفكر الإنسانى فراجعها ربما تجد خيرا وأسألك الدعاء فذلك فضل الله .

(٣) سورة فاطر ٨٨

(٤) سورة يس الآية ٣٨

(٥) سورة يس الآية ٤٠

الانتقال الفكرى بها إلى العقول فى مستوياتها المختلفة ، وذلك دور لم يغفل عنه المفكر المسلم بل قام به على أكمل وجه .

ﷻ **وفى مجال البيولوجيا الحيوانية يذكر القرآن الكريم طرفيها على وجه التحديد الفنى ، وهما الذكر والأنثى ، قال تعالي** ﴿" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"﴾(١) ، وقوله تعالى ﴿" فلينظر الإنسان مما خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب"﴾(٢) ،

ﷻ **وقوله تعالي** ﴿" أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى"﴾(٣) .

وهذا مما يشترك فيه الكائن الحى على وجه العموم والإنسان العاقل كمفكر أصيل هو الذى توجه اليه الخطاب ، حتى يتفهم ما فيه ، وهو داخل فى ذلك المجال المزدوج من باب دخول الأخص تحت الأعم أو من باب ذكر الخاص بعد ذكر العام ، **لأن الله تعالي قال** ﴿" ومن كل شيء خلقنا زوجين لكم تذكرون"﴾(٤) ، ولما كان الإنسان والحيوان فيهما الخلق الثنائى المكون من الذكر والأنثى ، فأيهما أيضا يدخلان فى عموم قوله تعالى ﴿" ومن كل شيء خلقنا زوجين"﴾ (٥) .

فالماء يتكون من ذرتين ضروريتين على سبيل الإجمال ، أحدهما خفيفة قابلة للاشتعال ، والثانية كثيفة قابلة للتجمد ، والتراب يتكون من ذرتين أساسيتين ،

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

(٢) سورة الطارق الآيات ٥/٧

(٣) سورة القيامة الآيات ٣٦/٤٠

(٤) سورة الذاريات الآية

(٥) وهذا المعنى يستمر فى كل الكائنات الموجودة فعلا ، والتى تعرف عليها العقل ، أو مازال يبحث فى أمرها - راجع الإسلام فى عصر العلم للدكتور محمد الغمراوى ، والإسلام فى عصر العلم للأستاذ محمد فريد وجدى .

وكل منهما تتكون من ذرات هى الأخرى فيها الثنائية قائمة على مفهوم العلاقة بين الذكر والأنثى ، وأعنى به مفهوم الخصوبة والقدرة على الإنتاج ، التى تتحرك فيها تلك العلاقة تحركا واضحا يدركه العقل السليم والفطرة النقية .

۞ **ولذا يقال** : أن الأرض لها رحم يخرج منه الحب والنبات ، كما أن للمرأة رحما يخرج منه الأولاد والبنات[١]، وضرب الله الأمثال لإحيائه تعالى الأرض الموات بالماء هو نفسه المعنى القائم فى إحياء الله تعالى رحم المرأة العاقر بوليد يعبر عن إمكانيات أمه فى الخصوبة مهما كان سنها متقدما فتتحول من امرأة ميتة فى رحمها إلى سيدة حية به ، فيها رغبة شديدة وإمكانيات عالية ، لتكون أنثى كاملة فى عالم الإنسان .

نلمح ذلك كثيرا وقد ذكر القرآن الكريم علينا أطرافا منه نذكر منها : زوج نبى الله زكريا عليه السلام التى بلغت وزوجها من الكبر عتيا ، ولم تكن المرأة قد رزق منها زوجها ، أو رزقت منه بولد[٢]، ورغم تقدم كل منهما فى السن بجانب جفاف رحمها عن العمل ، الا أن نبى الله زكريا عليه السلام دعا ربه قائلا ما حكاه القرآن ﴿" رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء"﴾[٣] ، **وقوله تعالى** ﴿" وأنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب وأجعله رب رضيا"﴾[٤]،

---

(١) راجع الأعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، والإسلام يتحدى للأستاذ وحيد الدين خان .

(٢) هى اليصابات ابنة عمران أخت حنه بنت قافوذ ابن قنبل أم مريم والدة سيدنا عيسى عليه السلام لأمها - راجع كتابنا وميض النصرانية بين غيوم المسيحية .

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٨

(٤) سورة مريم الآيات ٦/٥ .

فأرسل الله الملائكة تخبر نبيه الكريم زكريا عليه السلام ، أن الله أكرمه واستجاب لندائه ، وأنه أحيى رحم زوجه العاقر بوليد اسمه يحيى ، وحقق الله تعالى للرجل أمل فؤاده فحملت زوجه ، ثم وضعت بعد الحمل وليدها يحيى[١] .

❁ **ولذا يقول العلماء أن الله تعالي سماه يحيى لأن رحم أمه أحيي به**[٢] ، **حتى ذكر البعض من أهل التفسير أن ذكريا عليه السلام سأله أحاد الناس لم سميته بيحيى ؟ فقال النبى سميته بيحيى ليحيى ، وهى عبارة تحمل معان كثيرة منها :-**

✪ **الأول : ليحيى الله به رحم اليصابات أم يحيى** ، ويظل خصبا سواء تحقق الحمل مرة أخرى بعد ذلك الحمل أم لم يتحقق المهم أنه يظل حيا عندها ، وهو أحد المعانى المقبولة فى التسمية بيحيى .

✪ **الثانى : ليحيى به الشرع** فيكون هذا الوليد نبيا كريما كأخواته من الأنبياء والمرسلين ، يحيى بشرع الله ما أماتته النفوس الهزيلة ، أو أضاعته العقول العاجزة عن تفهم شرع الله تعالى ، أو التى انصرفت عنه بكبر أو عناد

✪ **الثالث : ليحيى هو فيمتد به العمر ، ويبارك الله تعالي فيه** ، حتى يكون حاملا لواء التبليغ ، وأمانة الشرع التى جعلها الله تعالى من المصطفين من عبادة ليكونوا رسل الله تعالى إلى أقوامهم .

---

(١) راجع كتابنا - عقيدتنا رفع عيسى عليه السلام ونزوله بين الإسلام والنصرانية جـ١ ص٣٧ ط الخامسة ١٩٩١م ، وكتابنا وميض النصرانية بين غيوم المسيحية جـ١ ص١٨ .

(٢) راجع تفسير المنار للشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا حول تلك البشارة فى سورة آل عمران ، وكذلك تفسير القرطبى والطبرى وابن كثير ، ففيها كلام طيب حول هذه المسألة أيضا .

✪ **الرابع : ليحيى بين بنى قومه** الذين أعماهم الهوى **فوقعوا** ضحايا الشيطان ومكائده ، ولم يلتفتوا إلى الشرع الذى بعث الله تعالى به الأنبياء حتى يتعرفوا شرع الله تعالى ويلتزموه .

❁ **ولذا فأنا نقول** : ان الإشارات القرآنية قد تحدثت عن العلوم المختلفة ، وأنها كانت كفيلة أن تقود المفكر المسلم ، وتصعد به اعلى درجات التفكير العقلى التى هى منحة من الله تعالى ، وأن تلك الإشارات هى من الحقائق القرآنية التى جعلها الله تعالى فى كتابه الكريم ، واستلهمها المفكر المسلم الأمين .

على أن تلك الحقائق النقلية هى التى صقلت ذهن الإنسان وبخاصة المسلم حتى جعلته قادرا على تفهم المسائل الميتافيزيقية والفيزيقية ، وكان إيمانه بالله تعالى وتصديقه بالخصائص التى تتميز بها الشريعة الإسلامية يمثلان حجر الأساس " فى تكوين عقلية المفكر المسلم بمعنى أنه كانت هناك سمات وخصائص فى الشريعة الإسلامية تنتهى بمن يتدبرها إلى التعرف على طرق كسب المعارف .

وأن هذا ما يؤكده ازدهار العلوم الإسلامية حول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولم يكن قد مر على نزول الوحى سوى سنوات قلائل[١] ، وهذا يؤكد أن الفلسفة الإسلامية وليدة الثقافة الإسلامية ، وليست ربيبة الفكر اليونانى الذى تغنى بها المقلدون ، ومن يضعون عقولهم فى أقدامهم ورءوسهم تحت أرجلهم ، من غير أن ينظروا للحق الذى شرعه الله تعالى ، أو تعصبا لجنس هزيل يقوم أمره على الشعوبية أو العنصرية ، أو غيرها من النزعات العرفية واللادينية المرفوضة شرعا .

---

(١) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص١٤ .

[ب] السنة النبوية المطهرة الصحيحة

السنة تطلق – فى اللغة – بإطلاقات عديدة لسنا فى مجال التعرض لها ، ولكنها فى اصطلاح علماء الحديث تعرف بانها : ما نسب للنبى محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية ، ككونه ﷺ ليس بالطويل أو القصير ، أو لا يواجه أحدا بمكروه[١] ، وفى الحديث الشريف بيان أن السنة النبوية هى أخت القرآن الكريم من ذلك قوله ﷺ أنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الأخر القرآن والسنة[٢] ، وقوله ﷺ « انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى »[٣] .

وهناك فرق بين السنة النبوية كنصوص نقلية ، وبين فهم ذات النصوص النقلية :

- **فالأول :النصوص :-** يعرف بأنه النقل المنزل فى جانبه الحديثى حتى يفهم القارئ الجانب الآخر ، وهو الجانب القرآنى لما هو مستقر من أن النقل المنزل قسمان : القسم الأول :– القرآن الكريم ، وتعرف نصوصه بالنصوص القرآنية ، والقسم الثانى ، هو السنة النبوية المطهرة ، وتعرف نصوصها بالنصوص الحديثية .

- **وأما الثانى :- وهو فهم النصوص الحديثية :-** فيعرف بأنه الفكر الإسلامى أيضا ، وبناء عليه ، فالفكر الإسلامى هو الذى يقوم على تفهم النقل المنزل فى جانبه القرآنى والحديثى .

---

(١) سنن أبى داؤد المقدمة ص٣ ، ذلك واضح فى كتب الأحكام والأصول ، وكتب علوم الحديث الشريف ، وكذلك كتب الفقه الإسلامى .

(٢) الإمام الطبرى – المعجم الصغير جـ١ص١٣١ .

(٣) المصدر السابق ص١٣٥ .

لكن السنة المطهرة الصحيحة تحدثت نصوصها كما تحدث القرآن الكريم فى كثير من الجوانب التى تعرضنا لها مع بعض التفصيلات الدقيقة أو بعض أنواع من الإيجاز باعتبار ان السنة النبوية المطهرة الصحيحة تفصيل لما أجمل فى القرآن الكريم ، أو إجمال لما فصل ، أو إطلاق لمقيد أو تخصيص لعام ، أو استقلال بحكم شرعى[1] ، أو إلحاق الفرع بأصله ، إلى غير ذلك من الوجوه التى ذكرها المعنيون كوجوه للسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وعلاقات متبادلة بينها وبين القرآن الكريم .

العامل الثانى
وجود القدرات العقلية المتميزة

عرفنا أن النقل المنزل – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – هو العامل الأول والأساسى فى نشأة الفكر الإسلامى ، وأن الحكمة الإسلامية كان لها النصيب الخاص بهامن تصريحات القرآن الكريم ، أو إشاراته وتلميحاته ، وان السنة النبوية المطهرة الصحيحة هى الأخت التوأم للقرآن الكريم[2] .حيث يشتركان فى أن كلا منهما كلام الله تعالى .

غير أن القرآن الكريم كلام اله تعالى بلفظه ومعناه ، أما السنة النبوية المطهرة الصحيحة فهى كلام الله تعالى بمعناه ، واللفظ من عند رسول الله ﷺ [3] ،

---

(١) يذهب البعض إلى أن السنة لا تستقل بالحكم الشرعى ، وإنما هى فرع يلحق بأصله ، ولكنه رأى مرجوح ، والرأى الأقوى فى المسألة هو أن السنة النبوية المطهرة تستقل ببعض الأحكام الشرعية .

(٢) ففى الحديث الشريف « أنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك أن ياتى رجل ثم يقعد على اريكته ويقول عليكم بالقرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، الا أن ما حرم رسول الله مثل ما حوم الله تعالى » والكتاب هو القرآن الكريم ، ومثله هو السنة النبوية الصحيحة المطهرة ، وإلى هذا الرأى ذهب جمهور أهل الإسلام على اختلاف الفروع التى يقومون بتناولها فى الدراسة .

(٣) راجع فى المسألة مقدمة الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للشيخ محمد محمد النواوى والشيخ المدنى .

وأنهما معا مصدر التشريع الإسلامى الأساسى[١] ، وأنهما معا يجب الانقياد إليهما والطاعة[٢] ، وفى نفس الوقت فان الطعن على أن منهما أو الكفر به يؤدى إلى الطعن على الأخر والكفر به أيضا[٣] ،لأنهما من كلام الله رب العالمين الموحى به.

لكن ذلك النقل المنزل لا يلقى للبله أو المجانين ، أو أصحاب العقول الناقصة لأنها لا تستوعبه على سبيل التفهم له أو الوصول اليه ، وفى نفس الوقت فان عليهم أن يفهموا منه بقدر ما يتاح لهم ان كان لذلك من سبيل ، أما أن يكونوا فيه مبدعين ، أو يطالبوا بنوع من الاستنتاج العقلى ، فذلك مما يمثل صعوبة لهم ، وفى ذات الوقت فان محاولاتهم هذه ستكون فى حدود ضيقة جدا ان ظفرت ببعض ألوان النجاح ، فإنها لا تقدم ما يمكن أن اعتباره قواعد عامة بقدر ما ينظر اليه على أنه وجهات نظر وخواطر ذاتية قد تسلم لأصحابها ، وقد لا تسلم[٤] ، ومثلهم لا ينتظر منهم إبداع فكرى .

أما غيرهم ممن تمتعوا بالقدرات العقلية العالية التى لديها الرغبة فى التعرف على الملكوت ، فانهم كثيرا ما يلتفتون اليه ، وينعمون النظر فيه ويبتلون قدراتهم على السياحة بين أرجائه ، لكنه كانوا بحاجة إلى مرشد أمين ، فلما أنزل القرآن الكريم عليهم تلاقى الأمران ، – النقل المنزل والقدرات العقلية فقفز العقل إلى

---

(١) وفى الحديث المشهور عن سيدنا معاذ بن جبل حيث بعثه الرسول ﷺ إلى أهل اليمن فقال له بم تحكم إذا عرضت لك مسألة ؟ قال أحكم بكتاب الله تعالى ، قال فان لم تجد فى كتاب الله تعالى ، قال أحكم بسنة رسول الله ﷺ قال فان لم تجد فى سنة رسول الله ﷺ قال أجتهد رأى ولا الو ، فقال ﷺ الحمد الله الذى وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ، فبان لنا أن السنة المطهرة كالقرآن الكريم فى اعتبارها مصدر التشريع الإسلامى ، وفى الحديث الشريف أيضا قوله ﷺ « تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله تعالى وسنتى » .

(٢) قال تعالى ﴿" وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم "﴾ وقال تعالى ﴿" وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"﴾

(٣) قال تعالى ﴿" أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون"﴾

(٤) راجع كتابنا -التفكير الإنسانى ومستوياته ص٢٥

النقل يتمسك به ويحتضنه لا يفرط فيه ، ولا يعدل به غيره[١] ، وفى نفس الوقت فانه يتأمل ما جاء فيه من تصريحا ، ويفكر فى إشاراته ، ويحاول التوفيق بين قدراته الإبداعية الخالصة ، وبين التصريحات والإشارات القرآنية الواضحة أيضا التى لابد من النظر فيها بعين فاقدة ، وعقل مبدع أمين .

لذا فان وجود النقل المنزل وحده يكفى للتعرف على القواعد الشرعية ، والأحكام العملية بجانب القضايا العقدية ، أما وجود القدرات العقلية المتميزة بجانب النقل المنزل ، فهما معا ينتجان الحكمة الإسلامية[٢] ، والتفكير الإسلامى المنظم فى كافة شئون الحياة ، ويوجه إلى الآخرة ولاشك أن ذلك يعتبر مظهر احترام القواعد الشرع ، واحترام لقدرات العقل المتميز أيضا على الجوانب التى تأتى منها الحكمة الإسلامية .

ولما كان المسلمون أهل الاهتمام بالنقل المنزل ، وفيهم أصحاب القدرات العقلية المتميزة ،فقد اعتبروا ذلك التفكير فى الجوانب الميتافيزيقية من الفرائض الإسلامية ، حتى قالوا : التفكير فريضة إسلامية[٣] ، كما طالبوا بتوسيع نطاق التفكير وتعميقه فى كل ما يمكن التعرض له من قضايا ، بحيث لا يقف البحث عند السطح ، وانما لابد من النزول به إلى الأعماق ، والصعود المستمر إلى الأفاق والإثارة الكاملة للأفكار ونثرها فى كل اتجاه حتى لا يبقى فيها الا الصحيح الذى يمكن التمسك به[٤] ، والاستفادة منه على قواعد الشرع الشريف ، وهو التكوين الذهنى للفكر المسلم الذى عنى بالجوانب الإبداعية .

---

(١) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام ؟ – جـ١ ص١٩٥

(٢) ذلك ما أشرنا اليه فى تسميات الحكمة الإسلامية على النحو الذى عرضناه فأرجعه اليها هناك .

(٣) راجع التفكير فريضة إسلامية للأستاذ عباس محمود العقاد .

(٤) راجع كتابنا – خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص١٨٥ .

على أن ذلك الدور هو الذى قام به مفكرو الإسلام ، ولم يقم به أحد غيرهم ، ولاشك ان كل ما قاموا به يميزهم عن غيرهم على سبيل اليقين والقطع ، لأن مصدر المعرفة هو النقل المنزل بالنسبة للمسلم ، وهو مأمون من الخطأ وعميق فى تأثيره على المفكر المسلم الذى أمكنه استنتاج المعارف ذات الصبغة المتميزة ، وهو الحكمة الإسلامية أو الفلسفة الإسلامية فى ارقى صورها ، وسوف نفيض فى بيان ذلك الجانب فيما بعد ان شاء الله تعالى .

العامل الثالث
التزام الأحكام الشرعية

۞ المسلم دائما يلتزم بالحكم الشرعى فى علمه وعمله لا يتجاوزه أبدا إلى غيره ، والمعروف أن الإسلام له جوانب ثلاثة على سبيل التناول ، وتتكامل على سبيل الأدوار المتعاقبة ، وهذه الجوانب هى :-

الأول : العقيدة الإسلامية الصحيحة[1]

وهى الجانب النظرى فى الدين ، ويقوم على أجزاء تتكامل فيما بينها بمعنى ان من يؤمن بها كلها فهو صاحب الإيمان الصحيح ، ومن يكفر بواحدة منها فلا ينفعه الإيمان أبدا مهما كان اعتقاده فى بعضها ، لأن العقيدة الإسلامية لا تنقسم ، ولا تتجزأ الا فى التلفظ بها فقط ، وقد جاء الحديث الشريف بعد القرآن الكريم بها من ذلك قوله ﷺ فى حديث جبريل الأمين « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2] ،وهى نظرية بمعنى أنها لا تحتاج من معتقديها مجهودا جسمانيا ، أو ماليا ، أنها مجهود عقلى قلبى وجدانى يتعلق بإشباع الجانب الأهم فى الإنسان المسلم .

---

(١) هذا الجانب أفضنا فيه - راجع كتابنا - المدخل التام لعلم الكلام ص٤٧ .

(٢) شرح العلامة الفشنى على الأربعين النووية ص١٥ ، وهو أيضا معروف بحديث جبريل وسبق تخريجه .

۞ **وحكى العلامة الفشنى عن الإمام أبى اسحق الأسفراينى من علماء أهل السنة والجماعة رحمه الله أن أهل الحق جمعوا جميع ما قيل فى التوحيد فى كلمتين :**

✪ **إحداهما :** أن كل ما تصور فى الأفهام فالله تعالى بخلافه .

✪ **الثانيــة :** اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك الحق بقوله تعالى ﴿" قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"﴾ ورحم الله القائل :-

كـل مـا ترتقـى إليـهم بوهـم ∴ مـن جـلال وقـدرة وثنـاء
فـالله أبـدع البريـة أعلـى ∴ منـه سـبحانه مبـدع الأشـياء [١]

الثانى : الشريعة

وهى الجانب العملى فى الدين وتقوم على أركان تتكامل ولكل منها أجر ومثوبة فى الأداء ، أو وزر وعقوبة فى عدم الأداء - وليست على أجزاء جاء بها الحديث الشريف أيضا فى قوله ﷺ « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا »[٢] .

✪ **والركن الأول منها وهو الشهادتان قولي :** بمعنى أنه يؤدى إلى ما يمكن أن يتعرف عليه المؤمن من خلال النقل المنزل ، وينطق به اللسان كعمل لسانى معبر عن داخل وجدانى إيمانى ، وتكون الإشارة اليه بديلة عن النطق به عند فاقد ملكة الإفصاح والإبانة ، والأركان التى بعده تصدق مدعيه أو تكذبه ، والتأمل فيها جميعا يمهد لنوع من التفكير العقلى المتميز .

---

(١) المصدر نفسه ص٩ ط الحلبى

(٢) صحيح الإمام مسلم ، رياض الصالحين ، والطبرانى فى المعجم الصغير جـ٢ ص٨

أما الركن الثانى ، وهو الصلاة[١] : فإنها ركن مفروض وأن المرء المسلم يؤديها كل يوم خمس مرات فى أوقات منصوص عليها فى الشريعة الإسلامية لقوله تعالى ﴿" ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا "﴾[٢] ، وفى الحديث الشريف « افترض الله الصلوات الخمس »[٣] ، وذكر الإمام الرافعى فى شرح المسند "أن الصبح كانت صلاة آدم ، والظهر كانت صلاة داؤد ، والعصر كانت صلاة سليمان ، والمغرب كانت صلاة يعقوب ، والعشاء كانت صلاة يونس ، وأورد فى ذلك خبرا ، فجمع الله سبحانه وتعالى جميع ذلك لنبينا محمد عليه وعليهم جميعا افضل الصلاة والسلام ولأمته تعظيما له ولكثرة الأجور له ولأمته ، فكانت الصلوات الخمس المعروفة .

ولله در القائل :-

الا فى الصلاة الخير والفضل أجمع ∴ لأن بها الأرقاب لله تخضع
وأول فرض فى شريعة ديننا ∴ وأخر ما يبقى إذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ∴ وكان العبد لباب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته ∴ نجيا فيا طوبى له حين يخشع[٤]

فهو إذن يمارس التوحيد الخالص بطريقة عملية أثناء أداءه للصلاة وفى الأثر : اسرق الناس من يسرق صلاته[٥] ، أما كيف ذلك ؟ فلأن المسلم حين يذهب

---

(١) فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج ، وهى الركن الوحيد الذى فرض من فوق سبع سماوات ، وهى معلومة من الدين بالضرورة ، وفى الاثر قوله ﷺ فرض الله على أمتى ليلة الإسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه ، واسأله التخفيف حتى جعلها خمسا فى كل يوم وليلة ، وتعرف بانها فى لسان الشرع أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٣

(٣) الإمام الطبرانى المعجم الصغير جـ٢ ص٦ .

(٤) العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ حجازى الفشنى - شرح الفشنى على الأربعين النووية ص١٤ ط الحلبى

(٥) الإمام الطبرانى - المعجم الصغير جـ١ ص١٢١

للصلاة إنما يتجه للإله الواحد جل علاه بها ، فهو ينوى الصلاة لله وحده ، ويتجه بها اليه وحده ، وينفذها طبقا لتعليمات الله تعالى وحده ، ولا يؤدى فيها من قول أو فعل أو نية الا ما كان مصدره لله تعالى وحده[١] ،

وبناء عليه يكون أداء الصلاة مؤكدا لصحة الاعتقاد ، بمعنى أن يكون الجانب العملى وهو الصلاة مصدقا للجانب النظرى وهو الاعتقاد ، فذلك الركن الثانى يدفع المرء إلى التأمل فى نوع العبادة ، ومواقيتها ، والفوائد التى تتحصل بها ، ولمن تؤدى تلك الصلاة ، وذلك نوع من التفكير العقلى الذى يمهد لما هو أعلى منه .

✪ **ثم يأتى الركن الثالث : وهو الصوم**[٢] ، الذى يمارسه المرء المسلم فى كل عام شهرا على سبيل الفرض الثابت ، ويؤدى على سبيل الواجب المشروع ، بحيث يحجم الإنسان فيه عن إتيان ما هو مباح له ، تدريبا للنفس وتهذيبا للجسم ، وترقية للخواطر ، وانتقالا بالوجدان من دائرة الانغماس فى تدبير الجسم إلى الانطلاق فى رقى القلب[٣] ، والصعود به إلى العالم الأعلى الذى هو أرقى بكثير من العالم الأرضى الجسدى الذى تعيش فيه الرغبات الجسدية .

---

(١) شرح الفشنى ص١٤ ، وفى الحديث القدسى ﴿ إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل بها على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ورحم الأرملة والمسكين ، ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أملؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى ، وأجعل له فى الظلمة نورا وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة .

(٢) فرض الله الصوم فى شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة ، وجعله نهار شهر رمضان كاملا ، وهو معلوم من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبه فهو كافر ، وفى فضائل رمضان أثار كثيرة منها قول رسول الله ﷺ : لو يعلم الناس ما فى رمضان من اليمن والبركة لتمنوا ان يكون حولا كاملا ، وقوله ﷺ « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(٣) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام ؟ – جـ٢ ص٧٥ .

من ثم فان الصوم المشروع فى دين الإسلام بجانب كونه عبادة مشروعة ، وكونه ركنا من أركان الدين الإسلامى نفسه ، فانه يساعد عل تعميق معنى التوحيد فى النفس لكن بطريق عملى داخلى منعكس من الوجدان إلى الجوارح ، إذ ما الذى يمنع المرء من تناول المطعومات والمشروبات والملذات ، وهو بعيد عن كل المخلوقات ؟ ان ذلك المانع له عن ذلك هو التوحيد الخالص لله رب العالمين الذى يمارسه اعتقادا ، ويمارسه عملا ،

◈ **لكن لمن يصوم ؟ وما الفائدة من الصيام للصائم فى الدنيا والآخرة ولغير الصائم أيضا ، ولماذا يقلص المرء المسلم رغبات البدن ، وحاجيات الجسد** ؟ والإجابة على ذلك كله هى من العوامل التى مهدت لنوع من التفكير الخالص الذى لم يكن معروفا لدى غير أمة الإسلام .

✪ **أما الركن الرابع : وهو الزكاة** : التى يقوم بها المسلم على كافة النواحى من زكاة المال إلى زكاة الزروع والثمار ، وعروض التجارة ، إلى غير ذلك من أنواع الزكوات التى تدخل فيها زكاة العلم ، أو زكاة العقل ، وزكاة البدن أيضا ، حتى قالوا ان الابتلاء بالمرض بالنسبة للمسلم هو نوع من زكاة البدن ، بل قالوا لكل بدن زكاه ، وفى الحديث الشريف « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة »[1] .

فى نفس الوقت فان إخراج الزكاة يجعل صاحب المال متحكما فى رغباته ، فلا يسقط صاحبه فى حب تكديسه ، لأنها تحثه على إخراجه معاونة لأخيه المسلم أيضا ، فهى ليست إخراج كل المال ، إنما جزء يسير جدا منه يكون بمثابة العلاج لظروف المستحق له ، وتطهير لمال المخرج لها . قال تعالى ﴿" خذ من

---

(١) هذا الأثر مما تتناقله كتب الرقائق وله شواهد كثيرة فى السنة النبوية المطهرة أيضا من ذلك قوله ﷺ « ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » وراجع شرح الفشنى ص٧٧ ، وقد ذكر انه من رواية الإمام الترمذى .

أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها "﴾[١]، وبجانب ذلك فهى تطهير لنفس المخرج لها من الشح والبخل والأثرة وحب اللذات وتطهير لنفس المستحق لها من الحقد، والحسد والبغض والرغبة فى العدوان .

ان الزكاة تجعل المزكى يرقب مولاه وهو يخرجها أيضا، فلا ينقص من مقاديرها، ولا يخفى شيئا مما يستحق الزكاة عن مستحقيه، لأن الإسلام يجعل المزكى قائدا لنفسه، وأميرا عليها، ويجعله حاكما على تصرفاتها، وقاضيا فى أحوالها، وذلك التصرف يبث فى نفس المسلم المخرج لها الثقة بالنفس والإحساس بالرغبة المتزايدة فى العطاء[٢]، ما دام ذلك كله لإرضاء مولاه جل علاه الذى منحه المال، وأعانه على اكتسابه، ويسر له أسباب المحافظة عليه .

إذن هو يخرج الزكاة التى هى جانب عملى فى الأداء، ليطبق بها صدق ما اعتقده فى الجانب النظرى، وهو الاعتقاد القلبى، حتى ينال الرضا والقبول من الله تعالى، بالتالى فهو يترقب الثواب من الله تعالى فى الدنيا والآخرة، وهو راض بما قضى الله عليه فى ماله[٣]، فأخرج الزكاة المنصوص عليها، وهو بهذا أيضا يدرب نفسه على العمل بالأحكام الشرعية، وبذلك الترقب يؤكد احترامه لعقيدته الإسلامية، وحبه لله الواحد الأحد الذى لا شريك له، فيثبت التوحيد فى نفس المؤمن بالله، ويعلن عنه أداء الزكاة .

وليس هذا وحده وإنما المسلم يتأمل المقادير المنصوص عليها، والأنواع التى تصرف اليها[٤]، والأجر الذى جعله الله تعالى متولدا عنها، فيجد عقله قد

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣ وتمامها " وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم " .

(٢) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام جـ١ ص١٩٧ .

(٣) وهذا التسليم لله يجعل المؤمن فى أمان من نزعات الشيطان .

(٤) فى قوله تعالى ﴿" إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم "﴾ سورة التوبة الآية ٦٠ .

يستوعب ذلك كله ، وقد يستوعب بعضه ، وهو فى هذا الحال كله يعيش متأملا مفكرا فى ذلك الأمر الذى جعله الله تعالى بين الناس ، فهذا يعطى ، وذاك يعطى له ، هذا يدفع بطيب خاطر ، والناس يتلقى بدعوات تنم عن قلب طيب وضمير خالص ، مما يجعل المفكر المسلم يقفز متميزا عن غيره فى كل الحالات ، ويقرر أن الفكر الإسلامى لا مثيل له ، بل ولا يمكن أن يحل غيره محله[1] ، أو يقتبس الفكر الإسلامى من غيره ، ومن المستحيل أن يكون المفكر المسلم قد أخذ أنماط تفكيره تلك من غير النقل المنزل نفسه .

✪ **ثم يأتى الركن الخامس : الأخير من أركان الإسلام ، وهو الحج** : الذى يقوم به المسلم القادر عليه بشروطه ، وهو ركن الإسلام الخامس ، وفرض من فروضه ، وفريضة من فرائضه ، وهو جهاد بالمال الذى يجاوز الزكاة متى كان المال قليلا ، وجهاد بالجسم والجوارح ، لأن فيه أعمالا بدنية من طواف وسعى ، ورمى ، ونحر ، إلى غير ذلك من أعمال الحج الذى تتعلق بالبدنيات ، وجهاد بالنفس لأن فيه اغترابا عن الأهل والوطن ، وبعيدا عن المال والذرية ، وتخليا عن كل متعلقات الدنيا حتى يصير فيه أقرب إلى أهل الآخرة .

إذن ليس غريبا أن يكون الحج هو الركن الأخير لتلك الاعتبارات الكثيرة التى ذكرناها والأخرى التى لم نذكرها ، قال تعالى ﴿" ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين"﴾[2] ، وبذا يكون الحج فى الإسلام داخلا فى حدود التكليف بما يطاق ، لقوله تعالى ﴿" لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"﴾[3] ، ولاشك أن ذلك ربما كان من أسرار اعتباره أخر الأركان فى الدين الإسلامى أداء لا اعتقادا .

---

(١) الأستاذ أبو طالب محمد أبو المجد - دراسات فى الفكر الإسلامى ص٨٧ ط أولى دار أبو المجد للطباعة ١٩٨١م .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

والمسلم حين يقوم بأداء ركن الحج فان العديد من الأسئلة ترد عليه ، وتلح فى البحث عن إجابة بعضها على طريق الشرع موجود ،وبعضها الأخر على طريق العقل غير مرفوض ، وذلك يجعل المفكر المسلم ينغمس فى تحليل تلك الأسئلة ، ومحاولة تقديم الإجابات لها على وجه يرى فيه موافقة العقل للشرع ، ثم هو فى النهاية يسلم قياد العقل لسلطان النقل متى كان الركن الأول من الأركان الخمسة قويا لدى صاحبه عميقا فى تأثيره عليه .

بيد أن هذه الأركان الأربعة التى تلى الشهادتين من أركان الإسلام ترتبط بالركن الأول غاية الارتباط بمعنى أنه كلما كان العمل القلبى عميقا[١] – رغم أنه ركن نظرى مرتبط بالمنطوق الذى يعبر عنه أو الشهادة الموجبة به – الا أنه يجعل من يمارس باقى الأركان منطلقا إلى التوحيد بعقل واع ، وقلب مطمئن واثق[٢] ، ونفس كبيرة على غير الإسلام ذليلة أمام الشرع الإلهى من غير افراط فى أداء ركن أو تفريط فى الأخر .

كما أن المسلم حين يقوم بباقى الأركان فإنها تتم معه بشكل فيه الكثير من بساطة الأداء ، ورمزيه العبء ، أنها جميعا تم ببساطة شديدة وحرية تامة من غير تقيد بأمور ، أو قواعد فيها شيء من القسوة أو الصعوبة ، بل فيها السهولة واليسر واستخدام العزائم والرخص ، من ذلك أن المسلم حين يقف لأداء فريضة الصلاة ، فانه يختار مكانه فى الصف الذى يقف فيه يمينا أو يسارا من غير إكراه له أو ضغط عليه مع مراعاة أن الآداب الإسلامية مرعية فى جعل الخيرية لأول صفوف الرجال .

---

(١) هذا باعتبار ان للقلب أعمالا سواء ما جرى منها فى الوجدان أو فى تأمل ما فى القلب والعقل معا

(٢) راجع كتابنا لماذا انتشر الإسلام – جـ٢ ص١٨٣

ﷺ **وفى الأثر** ، « افضل صفوف الرجال أولها » (١) ، وفى الحديث الصحيح "لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لفعلوا :وفى رواية لاستهموا(٢) ، وذلك كله يتم لدى المسلم الملتزم بحرية تامة ، وتفكير منظم ، وارتباط إيمانى قلبى وعقلى .

وقس على ذلك باقى الأعمال التى تتم فى الصلاة من اختياره الآية التى يقرأ بها بعد فاتحة الكتاب والوقت التى يؤدى فيه الصلاة ، مع مراعاة أن أفضل أوقات الصلاة أولها ، ولكن ذلك لا يمنع من أدائها فى باقى الوقت المتسع الذى تحدثت عنه كتب الفقه والأصول وأفاضت فيه على العديد من النواحى(٣) ، وذلك كله يشترك فيه المسلمون جميعا ، رجالا ونساء ممن وجبت عليهم الصلاة لا فرق بين عالم وعامى ، عالم وجاهل ، مفكر وخامل ، فالجميع فى ناحية الأداء أمام الله تعالى سواء ، وان كان الأجود أداء ، والأوفى عملا هو الذى يكون أكثر أجرا(٤) .

مع ضرورة الأخذ فى الاعتبار أن تيقنهم جميعا من معنى توحيد الله تعالى هو الذى جعلهم يندفعون لتحقيقه ، من خلال النظر والعمل معا وبهذا يتساوى الجميع أما الله تعالى فى الأداء ، ويتمايزون عنده فى الأجر والثواب .

---

(١) العلامة الزبيدى – مختصر الزبيدى ص١٣٥ .

(٢) راجع شرح العلامة الفشنى على الأربعين النووية ص١٧٣ .

(٣) الوقت الموسع والمضيق فيهما أقوال كثيرة باعتبار المفهوم ، واقربها قبولا أن الوقت الموسع ما يكفى لأداء الصلاة وغيرها ويبدأ من أول وقت أداء الفرض ، أما الوقت المضيق ، فهو الذى يكفى فيه أداء الصلاة وحدها ، أو أداء جزءا منها ثم يؤذن للفرض الثانى بعدها – راجع المنهاج ونهاية السول – بداية المجتهد ونهاية المقتصد سور الأحكام فى أصول الأحكام وغيرها ، فقد عنيت كلها ببيان ذلك على وجه التفصيل .

(٤) وفى الحديث الشريف أن الرجلين يؤديان الصلاة وأحدهما ترفع صلاته إلى السماء ، والثانى لا ترفع صلاته فوق رأسه ، وإنما ترد اليه .

من ثم فان الموقف العبادى الذى يؤديه المسلم ينتهى به إلى التعرف والوعى لمبدأ له أهميته من ناحية تقدير المواقف العلميـة ،إذ تبين للمفكـر المسلم أن القول المنطوف به يجب أن يتأكد من خلال العمل اللاحق له [١] ، وأنه لا فاصل بين ناحية الاعتقاد وناحية الأحكام الشرعية ، ولا أولوية لناحية على أخرى ، وإنما هما ناحيتان تصدق كل منهما الأخرى ، وتتكامل كل منهما مع الأخرى ، بحيث تصيران شيئا واحدا هو المقصود الاسمى فى الإسلام .

الثالث : الأخلاق

من الثابت ان الأخلاق فى الإسلام لها مكانة سامية ، ففى الحديث الشريف « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا » والآيات القرآنية مع الأحاديث النبوية تحدثت عن الأخلاق الإيجابية والسلبية مع الأمر بالمحافظة على الأولى والابتعاد عن الثانية ، وسوف نعرض له فى حينه بشيء من التفصيل ان شاء الله تعالى .

غير أن تآخى الاعتقاد مع العمل لدى المسلم صار أصلا منهجيا ضمن الأصول التى أضحت قواعد بصدر المفكر المسلم أحكامه مستعينا بها لما لها من التكامل وخلوها من البتر أو القطع الذى كان سائدا فى المذاهب اليونانية ، والمصرية ، وغيرها ، ومذهب أرسطو كان يقدم العلم على العمل ، وكان يقدم الفضيلة النظرية على غيرها ، ولا علاقة له بالاعتقاد الذى لم يكن له وجود فى الفكر اليونانى ، وفى نفس الوقت فإن وجوده خصيصة للحكمة الإسلامية ، ويعبر عن استقلالها وتميزها على غيرها[٢] ، وانطلاقها فى أمان لم يتوفر لغيرها من المذاهب الأخرى .

---

(١) دكتورة فوقية حسين محمود - مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٢٣/٢٤ .

(٢) هذا المعنى قد أكدت عليه كثيرا ، وما زلت حتى يعرف المقلدون ، أن الحكمة الإسلامية غير الفلسفة اليونانية تماما فى العديد من الجوانب ، وأن تجنيهم على الفلسفة الإسلامية لا أساس له ، وإنما هو نوع من الغواية والعماية أيضا .

◈ **وربما تسأل كيف استطاع المفكر المسلم اقتناص تلك الأصول المنهجية من النقل المنزل كناحية نظرية ، أو الأحكام العملية ان لم يكن قد اقتبسها كطرائق فكرية من الفكر الأخر الذى كان سائدا فى تلك الآونة دون نظر إلى نوعية ذلك الفكر ؟**

✍ **والجواب** : أن المفكر المسلم حين يمارس تطبيق الأحكام الشرعية ، فانه كان يصدر فيه عن نص الحكم المنزل[1] ، وهى ناحية نظرية وتوجيه نظرى أيضا ، غير أن هذا التوجيه النظرى يحمل فى طياته توجيها جديدا إلى ممارسة العمل والتطبيق أيضا ، ولما كان المفكر المسلم يحرص على الاهتمام بالنظر إلى الواقع الخارجى من اجل تبين اثر تطبيق النص المنزل ، فإنه يعتاد ان يربط دائما بين ما هو منطوق به وتلقاه عن طريق العقل من خلال النص المنزل ، واثر هذا التطبيق فى الظروف والملابسات المحيطة به[2] ، أو التى يتوقعها كظروف مستجدة .

وبمعنى آخر انه يربط بين التوجيه المنزل ، وما يترتب عليه من أثار ، وهى دربة عرفها العقل العربى قديما ، وترسخت لدى المسلمين بعد ظهور الإسلام حتى صار من المعروف ان تلك الأصول المنهجية وليدة الفكر الإسلامى وحدة لا الفكر اليونانى ، أو غيره من الأفكار التى قد يظن أنها أثرت فيه .

ومن المؤكد أيضا أن تلك المنهجية المتكاملة فى الربط بين النظر والعمل ، قد أخذها الغربيون مؤخرا ، ونسبوها لأنفسهم من غير ان يعلنوا صراحة أماكن اقتباسهم منها ، ولو كانت وليدة ثقافتهم ، أو ربيبة أفكارهم لأعلنوا عن أماكنها فى رءوس مفكريهم ، وهو ما لم تقم عندهم أدلة عليه ،لأن ذلك ليس مما يتوافق مع البيئة التى عاشوا فيها ، والظروف التى أحاطت بهم .

بيد أنه فى الإسلام تقوم العقيدة والشريعة ، أو النظر والعمل على وجه التآلف والتكاتف ، والتعاون فلا عقيدة إذا أنكرت الشريعة ، ولا شريعة إذا لم

---

(١) راجع كتابنا أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص٨٧ – مطبعة آل بسيون الثالثة ٢٠٠٠م .

(٢) الدكتورة فوقية حسين محمود – مدخل إلى الفكر الإسلامى ص٢٦ .

تكن عقيدة[١] ، أما فى الغرب فان العمل عندهم مقدس فى أماكنه فقط ، والعبادة لا مكان لها الا فى مفاهيم رجال اللاهوت داخل جدران الكنيسة ، فانفصل بهذا الاعتقاد عندهم عن السلوك ، وراح كل منهما غير الأخر ، ولا علاقة له به .

بل بات من المؤكد عندهم وجود اختلاف واضح فى أفهامهم بين العلم والدين ، فالدين له مفاهيمه ورجاله داخل الكنائس أو الأديرة والمقامع والصوامع والبيع التى يؤدى فيها ، حتى صار له استقلال تام عن الحياة المعاشة ، وصار رجل اللاهوت يقضى عمره داخل فكره ، والكنيسة التى ينطوى تحت شعارها ، دون أن يكون له أى تأثير فى الحياة ، فهو مستهلك لثقافة الآخرين وإمكانياتهم ، وهم فى نظره أعداؤه ، لأنهم لم يقلدوه فى ذلك الانعزال ، وصار العقل عدوا للدين الذى يمارسه هؤلاء اللاهونيون[٢] ، وينفر منه من يدعون أنهم من أهل الفكر أو يزعمون .

كما ان العلم عندهم هو الأخر صارت له مفاهيمه ورجاله وارتباطه بالعمل المتعلق به فقط ، والمعامل التى يمكن التعرف عليه من خلالها ، فى أسواق العمل التقنى بعيدا عن آية التزامات روحية أو وجدانية ، فضلا عن أن تكون لها ارتباطات أو تعلقات دينية[٣] ، فبادل رجال العلم – عندهم – رجال اللاهوت العداوات ، واستمرت بينهم المنازعات ، واشتدت الخصومات ، وصار الدين عندهم عدوا للعقل كما بات العقل فى حياتهم عدوا للدين ، وكان لذلك أثره السلبى فى الطرائق المنهجية التى اتسمت بالبتر والقطع ، وليس التكامل والتآزر ، وذلك يؤكد أن الفكر الإسلامى ابن الإسلام وليد النقل ا لمنزل والعقلية

---

(١) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام ؟ – جـ٢ ص١٧ ، وكتابنا بين المسيحية والإسلام فى العقيدة والأحكام ص٩٧

(٢) راجع كتابنا – قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٧٥ .

(٣) الأستاذ وصفى محمد فضل – دراسات فى الفكر الغربى أبان القرن السابع عشر ص٨١ .

الإسلامية ، وهو قائم فى حماية العقيدة والشريعة ، ولحمايتها أيضا[١] ، فالعلاقة بينهما متبادلة ، متكاملة ، وليست منقطعة مبتورة متهالكة ، ولله در القائل

حمـــدت الله ربـــى إذ هدانـــى ∴ إلي الإســـلام والديـــن الحنيـــفِ
فيذكـــره لســـانى كـــل وقـــت ∴ ويعرفـــه فـــؤادى بـــاللطيفِ

فالنقل المنزل يحمى الفكر الإسلامى ويصونه عن العبث والتردى ، أو الهبوط والسقوط فـى المهاوى سـواء فـى ناحيـة العقيـدة أو الشـريعة أو الأحكـام ، أو الأخلاق ، فضلا عن السلوك ، والمفكر المسلم يحمى النقل المنزل فيعرضه على مـن يجهله ، ويتقن ذلك العرض مستخدما كل إمكانياته فى حفظه وشرحه وتبليغه ، ثم يأتى دوره فى الدفاع عـن النقـل المنزل لدفع شبه الخصوم ، وبيان بطلانها ، وعدم صدق المقدمات التى قامت عليها ، أو النتائج التى انتـهت اليها ، ولا يفعل ذلك الا المفكر المسلم وحده الذى تميز عن غيره بتلك الخصوصية .

❁ **من هنا ننتهى إلي :** أن التزام المسلم الأحكام الشرعية كـان عـاملا مـن العوامـل الأساسية لنشأة الفكر الفلسفى الإسلامى أو الحكمة الإسلامية ، بجانب العوامل الأخرى الخاصة به ، وهى النقل المنزل ، ثم القدرات العقلية[٢] ، وأن كلا منـها يتعامل مع الأخر ، ويؤكد أن ذلك من خصوصيات المفكرين المسلمين التى لم يعرفها اليونان ، أو الغرب أو غيرهم فالزعم بأن الفلسفة الإسلامية وليدة الفكر اليونانى زعم باطل لا أساس له الا الخيال ومثله لا تقوم عليه قواعد عامة .

---

(١) من يراجع المؤلفات الإسلامية فى كتب العقيدة والفقه والأخلاق ، بل وكل فروع العلم الإسلامى يجد ذلك واضحا حتى ضار قاعدة عامة مشتركة فى الأبحاث التى يقوم بها المفكرون المسلمون على اختلاف اتجاهاتهم

(٢) ذلك هو ما عرضنا له أثناء حديثنا عن القدرات العقلية والتزام الأحكام الشرعية .

العامل الرابع
الرغبة فى خدمة الدين الإسلامى نفسه

المفكر المسلم الملتزم حريص على أن يؤدى خدمة للدين الإسلامى ، فى أى فرع من فروع المعرفة التى يمكنه الوصول اليها عن طريق الإتقان لها ، والإيجاد فيها ، وتلك الرغبة دفعته إلى أن يبتلى قدراته العقلية المرة تلو الأخرى ، سواء فى التأمل للنقل المنزل ذاته ، أو فيما يهدف اليه النقل المنزل باعتبار أنه المصدر الأول[١] ، والوحيد الذى يقوم عليه الدين الإسلامى من ناحية الأصول المستمد منها والقواعد القائم عليها .

وآية ذلك أنهم كانوا ينعمون أنفسهم فى رياض القرآن الكريم تلاوة وتأملا ، فعن أبى موسى الأشعرى ﷺ أن الرسول ﷺ قال لو رأيتنى البارحة وأنا استمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داؤد[٢] ، وزاد فى رواية الإمام مسلم ﷺ فقلت يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا[٣] ، وهو دليل يبين عن حرص المسلم الشديد على القرآن الكريم فى كل ناحية من نواحيه .

كما أن حرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على السنة النبوية المطهرة هو نفسه حرصهم على القرآن الكريم باعتبار أن المبلغ بهما هو المتحدث بهما معا هو سيدنا محمد ﷺ وفى القرآن الكريم قال تعالى ﴿" وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب"﴾[٤] ، فالاحتفاء

---

(١) راجع كتابنا – حبو الوليد فى علم التوحيد ص٣٢٥ ط الخامسة .

(٢) صحيح الإمام البخارى كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقرآن للقرآن ص٩٢ ط دار المعرفة .

(٣) صحيح الإمام مسلم جـ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ص٨٠ بشرح الإمام النووى .

(٤) سورة

بالنقل المنزل كان وسيظل ان شاء الله تعالى – سمة أهل الإسلام الذين تميزوا بالعرفان لله رب العالمين والاحترام لتعاليمه وتعاليم رسوله ﷺ كلها .

على أن هذا الحرص الشديد من مفكرى المسلمين لابد ان يترجم بشكل عملى ، فكان لابد من خدمته كنقل منزل ومصدر الإسلام الوحيد ، وإلا فمن الذى يقوم بذلك الدور إن لم يقم به المفكر المسلم نفسه ؟ من هنا رأى المفكر المسلم أن دوره كمسلم ليس كدور العوام ، وانما عليه مهمة أكبر ، أنها مهمة تتناسب معه تقوم على خدمة الدين الإسلامى من خلال خدمة نصوصه والمحافظة على قواعده ، واستخراج النتائج التى تنتهى إلى تقديم نوع غير مألوف من الخدمة لله تعالى ورسوله ودينه الإسلامى الحنيف .

من ثم فقد صال المفكر المسلم بعقله وجال خدمة لذلك الغرض نفسه الذى وصل تأثيره على عقول المفكرين إلى الحد الذى جعلهم يتمسكون به تمسكهم بالنقل المنزل نفسه ، وتمسكهم بالدين الإسلامى نفسه ، باعتباره وسيلة موصلة إلى ذات الدين من خلال تفهم تلك النصوص ، وما يتوصل به إلى الواجب فهو أيضا واجب ، وهى قاعدة أصولية تجرى لدى علماء الأصول من المسلمين ، كما يجرى غيرها من القواعد الآمرة أو الناهية أو التى تنبنى عليها قواعد أخرى هى نفسها لخدمة الدين الإسلامى ، والمحافظة على قدسية النقل المنزل أيضا ، مع الالتزام بما بهدف اليه ، مهما كلفه ذلك من مجهود عقلى أو بدنى أو مالى .

لكن ذلك يحتاج لوانا من المنهجية تتناسب مع ظروف النصوص الدينية ذاتها من حيث العموم والخصوص ، والإطلاق أو التقييد ، والتقديم أو التاخير[1] ، إلى غير ذلك من الوجوه التى تحتاج العديد من الجهود حتى تخرج منها ألوان الإبداع المختلفة ، فكان التخصص الدقيق فى فروع العلم المختلفة أحد

---

(١) ذلك من خصائص القرآن الكريم ، ممن وجوه إعجازه أيضا – راجع كتابنا الغزاليات فى السمعيات ، وكتابنا مطاعن الكافرين فى القرآن الكريم والرد عليها .

السمات التى برز فيها دور المفكر المسلم فى مجال خدمة الإسلام نفسه ، حيث ظهرت جهود المفسرين على اختلاف انتماءاتهم[١] ، والمحدثين مع تنوع اتجاهاتهم ، والفقهاء مع تعدد مذاهبهم فى الفروع[٢] ، وكذلك ظهر النحاة ، وعلماء البلاغة ، وفى نفس الوقت ظهر الصوفية ، والمتكلمون ، واصحاب التأمل الخالص فى مجال الميتافيزيقا التأملية[٣] من أهل الإسلام .

ولم يكن ذلك الدور غائبا على المفكر المسلم ، لأن النصوص الدينية ذاتها داعية اليه ، مطالبة اياه القيام به ، وهو دور المحافظة على الدين الإسلامى بحفظ نصوصه ، ومباشرة أركانه ، والتمسك بقواعده ، واستنفاذ الطاقة فى التعرف عليه ، وإبلاغه إلى الآخرين ، وكان ذلك كله هو دور الحكيم المسلم الذى كانت رغبته فى المحافظة على الإسلام وخدمته أحد العوامل التى ساعدت على نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى[٤] ، أو بمعنى أدق على ظهور الحكمة الإسلامية فى ذلك المظهر الواعى الذى أبانت عنه المؤلفات الفنية للحكماء المسلمين أنفسهم .

ولسنا بهذا الذى نؤكد عليه من استقلال الحكمة الإسلامية عن غيرها تماما ، نضرب فى الفيافى ، أو نغرق فى بحار الخيال ، وانما هو القواعد التى نراها جديرة بالعناية ، وهى فى نفس الوقت واجبة الاحترام ، من ثم فان الالتفات اليها والتمسك بها يعتبر ضرورة شرعية[٥] ، لأن فيها ارجاع الأمور إلى قواعدها الصحيحة المعمول بها وهى التى لا محيص عنها لمن يريد الوصول إلى الحقيقة ، أو الحكم الصائب فى مسألة استقلال الفكر الفلسفى الإسلامى بنفسه ، أو عدم استقلاله عن غيره .

---

(١) راجع مناهل العرفان فى علوم القرآن ، وتفسير المفرد .

(٢) راجع الحركة الفقهية للدكتور محمد مصطفى امبابى ، والمدخل فى الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالكريم زيدان

(٣) راجع تأملات فى الفكر الإسلامى للدكتور عبدالحسيب نعمي ط بعلبيك

(٤) هذا الذى ذهبنا اليه ، ونؤكد عليه ، والنصوص الإسلامية تظاهرنا ، وكذلك حركة الفكر الإسلامى .

(٥) الضرورات تتعدد باعتبار اللغة والصرف والوضع ، ولكنها فى الشرع تكون أقوى .

بيد أننى أرى أن خدمة الدين الإسلامى سواء فى مجال العقيدة أو الشريعة ، والأخلاق ، أو فى مجال المعاملات والعبادات ، والحدود والجنايات ، أو غيرها من الجوانب التى تمثل نوعا من التميز والأصالة للدين الإسلامى ، كل ذلك هو الذى دفع المفكر المسلم إلى شحذ قواه العقلية والروحية بل والوجدانية والمادية أيضا[١] ، التى ظهرت أثارها فى الحياة الفكرية والعلمية بل والأخلاقية أيضا .

ولا أكون مغاليا إذا قلت أن الرغبة التى تنامت لدى المفكر المسلم فى خدمة الدين الإسلامى كانت المحرك الأول والفعال الذى أثر بشكل أكبر من غيره بعد النقل المنزل فى نشأة الحكمة الإسلامية ، كقواعد وأصول أو مناهج وغايات ، أو نتائج وموضوعات .

العامل الخامس
محاولة التوفيق بين منطوق النقل المنزل والمستجدات العقلية[٢] .

عرف المفكر المسلم أن النقل المنزل من عند الله وحده قادم ، وهو فى علم الله تعالى وحده قائم ، قبل أن يخلق الله تعالى الأكوان ، باعتبار أن النقل المنزل هو كلام الله تعالى ، ولما كان الكلام الإلهى صفة المتكلم به ، وهو الله تعالى فان الكلام نفسه هو المعبر عن تلك الصفة الإلهية[٣] ،فى نفس الوقت فان النقل المنزل يمثل جزء من علم الله تعالى الأزلى لا كل العلم الإلهى الأزلى ، وذلك كله قد

---

(١) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام ؟ ، وكتابنا – قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة .

(٢) هذه العوامل كلها استخرجناها من توفيقات الله لنا ، وذلك من فضله تعالى ، فالمنح منه تعالى ، والمنع منه تعالى أيضا ، فهو المعطى وهو المانع جل علاه .

(٣) راجع كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ، وكتابنا حبو الوليد فى علم التوحيد ، وعبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ، وكتابنا الغزاليات فى الإلهيات ، وكل منها يحمل اشارة إلى تلك المسألة فإذا أجمعت كلها قدمت نوعا من التصور المتكامل للمسألة .

يأتى عاليا عن الأفهام القائمة التى قد تقدم معطيات ، ربما خالفت بعض ظواهر النقل المنزل[١] ، ولو فى مجرد التصورات التى تتم حولها .

وحينئذ يلجأ المفكر المسلم أو الحكيم المسلم إلى إنزال العقل تحت تنزلات الوحى ، أو إخضاع المعارف العقلية إلى المعارف النقلية ، وذلك يحتاج منه مجهودا عقليا كبيرا ، كما يحتاج طاقة فكرية بجانب الالتزام الوجدانى والسلوك العبادى والروحى أيضا[٢] ، بحيث تعتبر هذه وتلك بمثابة العوامل المساعدة له فى اقتناص شوارد العقل ، والتعرف على بوادر النقل سواء فى بواديه أو إعجازه[٣] ، أوامره ونواهيه ، قضاياه أو أحكامه ، وكل ما يتعلق به من هذه الناحية وغيرها .

غير أن ذلك المعطى العقلى قد يكون على درجة من القبول ، وفى نفس الوقت فان صحة النقل المنزل ذاته على نفس درجة القبول أيضا[٤] ، وحينئذ لابد للمفكر المسلم أن يوفق بين الاتجاه العقلى الصحيح ، وظاهر النقل المنزل الصحيح أيضا ، وذلك دور له أهمية كبرى فى خدمة الدين الإسلامى بخدمة نصوصه المنزلة ، وخدمة العقل الصحيح بخدمة نتائجه الموثقة على لغة العلم اليقينى ، وليس الظنى أو الاحتمالى .

وقد فطن المسلمون الأوائل إلى ذلك الدور من أول مراحل نزول الوحى ، وكان الصحابة الكرام يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما انزل اليه ، ويحرصون عليه تلاوة وحفظا واستذكارا واستظهارا ، عملا وعلما واعتقادا ، حتى كان بعضهم يشهد أنه ما من آية من آيات الله تعالى نزلت إلا وهو عارف أين نزلت ،

---

(١) هذا التخالف فى المفهوم باعتبار ان اللفظ المنزل دال على معنى من المعانى التى ذد يرسخ بعضها حسب اجتهادات العقل ودال على غيرها حسب توفيقات الله للآخرين .

(٢) لأن المسلم يتكامل بالإسلام الذى لا يتجزأ الا باعتبار الأداء فقط ، أما من الناحية العلمية العقدية ، فأمره واحد .

(٣) ذلك دور ننهض جميعا لخدمته فى حدود الإمكانيات التى منحنا الله تعالى إيانا ، والفضل من الله تعالى .

(٤) وهو ما يعرف فى الدراسات العلمية باسم موافقة صحيح النقل وسليم العقل .

وفيما نزلت ، ومتى نزلت[1] ، وذلك لاستمرار صحبتهم لرسول الله ﷺ وملازمتهم إياه ، وحرصهم الشديد على هاذين النورين – نور القرآن الكريم ونور النبى ﷺ [2] ، النبى الخاتم الكريم الأمين .

وكان ذلك اللون من الحرص على النقل المنزل قد تلاقى مع القدرات العقلية فى ذات المنتج العقلى ، وهنا يجيء دور اقتباس الحكم الشرعى من النقل المنزل فى المسألة ذاتها أو التعرض للإجابة علة سؤال معين قد يرد من غير المسلمين فى جانب مما تعرض له النقل المنزل وظاهره يخالف قضايا العقل الصحيح ، فتأتى ضرورة الموافقة للنقل والعقل ، أو التوفيق بين النقل والعقل ،

❁ **وهنا يجد المفكر المسلم نفسه بين أحد أمرين :**

✪ **الأول :- أن يكون الأمر الوارد فى لسان الشرع غير مطروق عند العقل** بمعنى أنه لم تسبق له به معرفة ، وبالتالى فان المفكر المسلم يأخذ به ثم يحاول استحثاث قدراته العقلية ، وملكاته العلمية على تفهمه[3] ، متى كان ذلك ممكنا له ، وبذا تكون النتائج المستجدة غاية الدقة لكونها معتمدة على النقل المنزل نصوصا وقواعد ، واستخلاص العقل المفكر السليم كنتائج .

---

(١) حكى مثل هذا عن سيدنا عبدالله بن العباس ﷺ وسيدنا عبدالله بن مسعود ﷺ وغيرهما من صاحبة رسول الله ﷺ ، ومن يراجع كتب علوم القرآن قديما ، أو مناهج المفسرين حديثا يرى ذلك واضحا .

(٢) وفى القرآن الكريم ما نستشهد به على النبى محمد ﷺ نور من ذلك قوله تعالى ﴿" يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم"﴾ سورة المائدة الآيتان ١٥/١٦ .

(٣) راجع كتابنا – لماذا انتشر الإسلام ؟ جـ١ ص٦٣ .

✪ **الأمر الثانى :- ان يكون الأمر الوارد من مستجدات العقل القائمة على قواعد مقبولة على ناحية منهجية**[١] ، فإذا أراد توثيقها على الناحية الشرعية حدث نوع من التخالف بين القاعدة العلمية وظاهر النصوص الشرعية[٢] ، **ومن ثم فان المفكر المسلم ينظر لقضاياه هذه من حيث الاحتمال والقطع على النواحى الآتية :-**

[أ] فان كانت نتائج العقل فى المسألة احتماليه طواها فى مفهوم النقل المنزل ولم يعتبر بينها تخالفا ، لأن النقل المنزل أدق وأعم وأوثق وهو الأصدق ، النتائج الاحتمالية فهى أخص ، وفيها الظن أو الاحتمال القائم[٣] ، ومثله لا يكون حاكما على الأعم الأوثق والا كان قليا للأمور بما يمثل ارتدادا وليس تقدما ، ومثله لا يقبل عليه المفكر المسلم المبدع أبدا .

[ب] أن تكون نتائج العقل يقينية على سبيل القطع – وهى نادرة ، لأنهم يقولون : العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة[٤] ، والنتائج الواردة منه لا تعتبر ضرورية أو قطعية – على سبيل الاستمرار المطرد – فان المفكر المسلم يقوم بتأويل ظاهر النقل بمعنى أنه يعدل فى فهمه للنقل المنزل ، ولا يعدل فى ذات النص المنزل أبدا[٥] .

---

(١) نقصد بالمنهج هنا ما يصل حد القاعدة الثابتة المعمول بها وهى فى ذات الوقت مؤسسة على نتائج بدهية ، أو قائمة على قواعد سابقة اختبرت من جانب العقل ولا ممانعة فيها من جانب الشرع .

(٢) وذلك يقع كثيرا فى النصوص الاحتمالية فى دلالتها بعد كونها قطعية فى ثبوتها ، اما إذا كانت ظنية فى ثبوتها فان المنتج العقلى يغلب وكفته ترجح على النص الاحتمالى فى وروده أو ثبوته .

(٣) وهى اعتراف من العقل بأن نتائجه غير سليمة على سبيل القطع أو اليقين .

(٤) هذا ما يتردد كثيرا فى العلوم والمعارف التى يقف أصحابها من أنفسهم موقف المنصف ، لا موقف المتعصب المجحف.

(٥) تلك مسالة مهمة أود أن يلتفت اليها أهل العلم بالله ممن يظنون بأنفسهم خدمة الدين الإسلامى ، ثم يقومون بتكفير إخوانهم من المسلمين لمجرد الاختلاف فى الإفهام ، وكانوا وحدهم الذين لهم الحق فى فهم النقل المنزل بحيث تعتبر آراؤهم هى قواعده وأركانه .

فهو يملك فقط تعديل فهمه أو الافهام التى سلف القول بها ممن سبقه ، وهو تعديل فى الفكر الإسلامى ، وليس تعديلا فى النقل المنزل ، وتلك من سمات الحكماء المسلمين الذين كانوا درة فى جبين الدهر فهم لم يذهبوا مذهبا يخالف النقل المنزل الصحيح أبدا ، وإنما خالفوا بعض المفاهيم التى سبقها اليها غيرهم ، أو مخالفة المفاهيم لا يعتبر من قبيل المخالفة فى الدين ، الا إذا اعتبرت تلك المفاهيم هى نفسها الدين ، ولم يقل بذلك الا من يفرض الرأى بقوة السلطان لا بسلطان الدليل[1] .

ولا شك أن محاولاته الموافقة بين النقل المنزل من حيث الظاهر المخالف للقواعد العقلية القطعية تحتاج دربة ، وطول ممارسة ، كما تستلزم طاقات عقلية ونفسية وأرصدة من الثوابت الفكرية ، والا فما هو الميزان الذى يستوى عنده حتى يوفق من خلاله بين القضايا المطروحة ؟ وما دامت قد اجتمعت لديه كل هذه الملكات[2] ، فانه حتما سيتحول من مجرد مستهلك فكرى إلى منتج للأفكار ثم مصدر لها أيضا .

لذا قد فطن المسلمون الأوائل لهذه الأدوار المنوطة بالمفكر المسلم ، فأسرعوا – كل فيما يخصه – إلى بذل المجهود ومضاعفة الطاقات واعتبار ذلك اللون من البحث المتميز نوعا من الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الحق ، والمحافظة على العقيدة الإسلامية الصحيحة وابلاغ التكاليف الشرعية لأهل الإسلام جميعا ، وهو ما تميز به الحكيم المسلم[3] ، وكشف عن أصالته فى الجوانب المعرفية بعد استقلاله فى القضايا العقدية والشرعية .

---

(١) راجع كتابنا – عقيدتنا رفع عيسى ﷺ ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٣٥ .

(٢) من عقيدة سليمة ، وعبادة صحيحة ، وقيم أخلاقية مستمدة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وقدرات عقلية متميزة .

(٣) الشيخ محمد منصور الصافورى – موقف المسلمين من قضايا الدين ص١٧٥ ط أولى – القاهرة ١٩٣٧م .

وفى تقديرى : أن القول باعتبار رغبة المفكر المسلم فى التوفيق بين النقل والعقل هو أحد عوامل نشأة الفلسفة الإسلامية ، أو الحكمة الإسلامية ينال الكثير من التقدير والاحترام العلمى ، وبخاصة ممن يحسنون وزن الأمور ، كما يتقنون وضعها فى نصابها ، وهم الحكماء ، أما غيرهم ممن يتعجلون إصدار الأحكام ، أو ليست لديهم القدرة على الوصول إلى الحيدة والموضوعية ، فلسنا نعنى بهم ، ولا نضيع الوقت فى صرفهم عن أمرهم ، لأن العلم بالله نعمة من أنعم الله تعالى ، فمن حرمها فقد ضاعت منه نعمة هى من أجل النعم .

كما أننا لا نحصر العوامل التى أدت إلى نشأت الحكمة أو الفلسفة الإسلامية منه ، وانما هى وجهة نظر نراها راجحة عندنا على غيرها ، وفى نفس الوقت فإننا نميل إلى القول بوجود عوامل أخرى غير التى سلف القول بها أدت كلها إلى نشأة الحكمة الإسلامية ، وان كان تأثير بعضها أقوى من البعض الأخر ، أو أكثر عمقا وأوسع مجالا ، وذلك ما سوف نعرض له فى وقت أخر أن أمد الله فى العمر ويسر فى الأسباب ، وما ذلك على الله بعزيز .

ربما يقال : ما دور الترجمة أو الفلسفة اليونانية فى نشأة وتكوين الفلسفة الإسلامية[١] ؟ **وأنت لم تذكر ذلك الدور ابدا ، مع أن العلاقة بينهما قائمة وأوجه التشابه ليس من السهل تجاوزها[٢] ؟! أم أنك تريد تبنى وجهة النظر المخالفة مع عدم وجود من يقف معك فى نفس الاتجاه .**

والجواب : أن المفكرين المسلمين الأوائل قد تعاملوا مع النقل المنزل من أول وهلة ، وأن معارفهم الذهنية قد تكونت من المعارف الإسلامية ، وأن الإيمان

---

(١) الكثيرون يركزون على أن أهم العوامل التى أدت إلى نشأة الفلسفة الإسلامية هو ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية أيام حكم خلفاء بنى أمية ، وبنى العباس ، وذلك مرجوح عندى ، وليس لديهم ما يقصده .

(٢) راجع نقد هذه المسألة فى كتاب التفكير الفلسفى الإسلامى لشيخنا الدكتور سليمان دنيا - رحمه الله - فقد بين فسادها .

العقدى كان أكثر رسوخا فى أعماقهم من التفكير العقلى[1]، وظلوا على ذلك الحال تتنامى معارفهم بعد تنامى قدراتهم العقلية المرتكزة أساسا على القاعدة الإيمانية الصحيحة، فهم أمنوا واعتقدوا أولا، ثم بحثوا واستدلوا ثانيا.

فى نفس الوقت فان أهل الإسلام قد درجوا على رياض النقل المنزل فتشربوا من تعاليمه، ونسموا من أعابيره عملا وعلما بعد صحة اعتقاد وسلامة يقين، وقد استمر ذلك معهم من بداية عهد النبوة الخاتمة من بداية نزول القرآن الكريم، حتى انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى[2]، ثم انطلقوا فى معارفهم العلمية بأقصى سرعة، وأقوم طريق بجانب الالتزام القوى بالقواعد الشرعية، وأن ذلك كان ديدنهم، وظل معهم لم يفارقهم، وكانوا يتمسكون به فى امتداداتهم من الأبناء والأحفاد.

فلما حدث احتكاك متواصل مع مفكرى الإسلام وغيرهم ممن دخلوا البلاد الإسلامية للتجارة، أو الصناعة، أو تلقى العلوم والمعارف - أو كان انطوائهم تحت جناح الأمة المسلمة ضرورة لوجودهم داخل الأمة الإسلامية أو لأية اعتبارات أخرى - من جدل حول العقيدة، أو تناول لبعض المسائل المتشابهة فى النصوص، وان كانت متخالفة فى المفاهيم والاتجاهات، كان غير المسلمين يستعملون مفرداتهم الثقافية فى الحوار الذى يقيمونه أو يقومون به[3]، وكان من الطبيعى أن يحصل تبادل لتلك المفردات كمنطوق لفظى فقط، لا كقيمة عليمة.

غير أن مفكرى الإسلام قد نظروا فى تراث غيرهم، فما وجدوا منه ما يمكن الأخذ به فى مجال العلوم المادية فقط وضعوه فى ميزان النقد والموازنة، فإذا

---

(١) ممن عنى بهذا الجانب المرحومة الدكتورة فوقية حسين محمود فى كتابها مقالات فى أصالة المفكر المسلم.

(٢) الدكتور السيد أحمد عبدالكريم - دراسات فى الفكر الإسلامى ص٢٥.

(٣) راجع فى هذا الصدد - موقف القرآن الكريم من عقائد أهل الكتاب - دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين - القاهرة للدكتور إبراهيم عبدالحميد سلامة.

ثبت لديهم أن له فائدة ما يمكن تأتى منه فى مجال العلوم الدنيوية كالطب والرياضة مثلا ترجموه إلى البيئة الإسلامية ، كما ترجموا تراثهم الإسلامى إلى الفارسية واليونانية[١] ، وغيرها ، كنوع من التبادل الثقافى ، بمعنى أن ينقل المسلم تراثه إلى الآخرين ، ثم ينقل بعض تراث الآخرين للبيئة الإسلامية ، مع التنبيه على ما فيه من منافع أو مثالب[٢] ، لا تحقق منفعة للأمة الإسلامية ، لأن المعيار فيها عند المفكر المسلم هو مدى ما تحققه من فائدة للأمة الإسلامية .

كما أن الترجمة قد تمت فى نهايات الثلث الأخير من القرن الأول الهجرى ، برعاية الأمير خالد بن يزيد ، كما يقال – وأنها دعمت بموقف أمير المؤمنين الخليفة الخامس سيدنا عمر بن عبدالعزيز ٩٩-١٠٢هجرية ، ولا شك أن الفترة السابقة على الترجمة كانت طويلة نسبيا ، وكانت خالصة للنقل المنزل وحده[٣] ، وخالية من أية عوامل خارجية أخرى ، وبالتالى فان ما تمت ترجمته لا يمثل القواعد الفلسفية الإسلامية بقدر ما يمثل نوعا من الاستخدام لبعض المفردات اللغوية المنقولة بعد تعبئتها بالمعانى المستجدة التى هى وليدة البيئة الإسلامية ، ومستخلصة من النقل المنزل أيضا .

ثم أن عملية الترجمة من العربية إلى اليونانية وغيرها فذلك أمر طبيعى أما الترجمة من اليونانية إلى العربية لابد أن تأخذ دورة كاملة فى العقول ، حتى تستوعبها ، ثم تهضمها ، وبحيث يمكن أن تنقلها كوجهات نظر معبرة عن نوع من التفكير المتعلق بأصحابه على الناحية التى جاء منها ، وهو الذى قد يقبله

---

(١) تعرضنا لنقل التراث الإسلامى إلى غيره وبينا استفادة أوربا منه فى كتابنا : قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ، ويبقنا إلى هذا المنحى الكثيرون من أهل الإسلام فرحمهم الله جميعا ورحمنا بعدهم

(٢) وكانت تلك المثالب كثيرة ، باعتبار الها لم تقم على قواعد أصيلة .

(٣) ولا يجادل فى ذلك الا مكابر أو من لديه الرغبة فى الطعن على الاسم والمسلمين .

البعض كمنتج ثقافى ، وقد يرفضـه على نفس الناحيـة[1] ، وبذا فـان الترجمة قد وقفت بتأثيراتها عند مجرد الاستخدام لبعـض الألفـاظ وإطلاقـها على المعـانى التى استعملها المفكر المسلم ، وذلك لا يمثل قاعدة تنشأ عنها فلسفة متكاملة فى كافة جوانبها ، كالتى تختص بها الحكمة الإسلامية ، ومن ثم فانه لا اعتبار عندنا لـدور الترجمة للفكر اليونانى فى نشأة أصول وقواعد الحكمة الإسلامية من وجهة نظرى الا بهذا الاعتبار اللفظى على الناحية اللغوية فقط.

كما أن الثابت لدينا هو أن النقل المنزل قد هيـأ الأذهـان إلى الانطـلاق نحـو الميتافيزيقا قبل الترجمة بكثير جاحدا ففى الحديث الشريف مـا روى أن النبى ﷺ كان جالسا فى المنزل إذ دخل عليـه رجـل أبيض اللـون حسـن الشعر عليـه ثيـاب بيض فسلم عليه النبى ﷺ فرد عليه السلام :

ثم سأله عن الدنيا ، فقال الدنيا كحلم النائم وأهلها مجازون ومعاقبون ، قـال فما الآخرة ؟ قال النبى ﷺ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فقـال يـا رسـول الله ما الجنة ؟ فقال أن تترك الدنيا لطالب نعيمها أبدا ، قال فما خير هذه الأمة ؟ قال : الذى يعمل بطاعة الله ، قال فكيف يكون فيها الرجل ؟ قال : مشـمرا كطـالب القافلة ، قال : فكم القرار فيها ؟ قال : كالمتخلف عـن القافلـة ، قـال : فكـم بين الدنيا والآخرة ؟ قال غمضة عين ، فذهب الرجل فلم يره أحد فقـال الرسـول ﷺ هذا جبريل آتاكـم يزهدكـم فـى الدنيـا[2] ، فالأسئلة التى تناولها جبريل الأمين ، والإجابات التى قدمها النبى الأمين سيدنا محمد ﷺ خـاتم الأنبيـاء وسيد المرسـلين فيها اتجاهات ميتافيزيقية خالصة وتوجيه للعقل المسلم حتى يأخذ صاحبها .

---

(١) عرضنا لموقف أهل الإسلام من الفكر الوافد فى صفحات من هذا الكتاب فراجعه فى موضعه وأسألك الدعاء لنا بحسـن الخاتمة أنه تعالى أعظم مسئول .

(٢) العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ حجازى الفشنى – شرح الفشنى على الأربعين النووية ص٧ .

وقد نجح المفكر المسلم فى التعرف على المسائل الميتافيزيقيا واقتباسهامن النص الدينى ، كما قد برع فى التعبير عنها نثرا ونظما ، شعرا ورجزا، وعلى كافة الأنحاء من ذلك قولهم عن الدنيا بلسان حالها ردا على من عتب عليها :-

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ∴ وخفض لذى علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم ∴ وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى
أو أترك أولادى يموتون ضيعة ∴ وأرضع أولاد ضرتى بالأحرى

❁ **ومن كلام الإمام الترمذى** ﷺ قوله حياة القلوب الإيمان ، وموتها الكفر ، وصحتها الطاعة ، ومرضها الإصرار على المعصية ، ويقظتها الذكر ونومها الغفلة[١] ، وفى الأثر عن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال « إذا أصبح ابن أدم فان الأعضاء كلها تفكر اللسان فتقول له اتقى الله فينا فان نحن بك فانا استقمت استقمنا ، وأن اعوججت أعوججنا»[٢] .

وقد سبقنى إلى بيان ذلك كثيرون من أشياخى علماء وأهل الإسلام[٣] ، لكن ماذا أصنع أنا لمن يهتم بالنقل العجول مفضلا إياه على التأمل الدؤب متعجلا اقتناص المال راجيا الحصول عليه ، حتى لو كان فى معصية الله ، أو الإنقاص من دور النقل المنزل ، والمفكر المسلم ، وكان فيه ظلم لإخوانه من أهل الإسلام ، ان ذلك حسابه على الله تعالى ، أما أنا فأنى أسأل الله تعالى المغفرة ، والتوبة ، وسلامة العقيدة ، وصحة العبادة ، وأن يرزقنا الصبر على الابتلاء والرضا بالقضاء وأن يمتعنا فى الآخرة برضوانه والنظر الكريم إلينا وصحبته سيدنا محمد رسول ﷺ .

---

(١) المجالس السنية فى الكلام على الأربعين النووية ص٥٦ ط الحلبى

(٢) المصدر السابق ص٤٣ .

(٣) ارجع مؤلفات الإمام الفخر الرازى ، وابن سينا وابن رشد ، والفارابى ، والبيضاوى ، وراجع ما تركه شيوخنا من الماتريدية ففيه خير كثير .

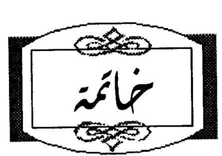
❁ لكن بقيت نقاط تحتاج دراسة حتى نستوفى الحديث عن ذلك الذى اعتبرناه ، مدخلا لدراسة الحكمة الإسلامية ، من تلك النقاط ما يلى :-

[١] علاقة الفلسفة والحكمة الإسلامية ، بكل من التصوف الإسلامى وعلم الكلام فى الإسلام وأصول الفقه ، وغيرها من العلوم الإسلامية التى لها استقلال بذاتها

[٢] تطور التفكير العقلى من عصر الرسول ﷺ حتى عصر الترجمة ، وما بعدها أخذين فى الاعتبار بيان بعض المظاهر .

[٣] لماذا اشتهر المشرق الإسلامى بالسبق فى مجال البحث الفلسفى عن المغرب الإسلامى هل ذلك راجع إلى قدرات عقلية وملكات ، أم لأمور أخرى .

وبهذا نتوقف فى حديثنا عن عوامل نشأة الحكمة الإسلامية أملين أن يكون فيما ذكرنا بعضا من المعرفة التى تعين الإخوان فى الله على كشف ذلك الجانب ، وإبعاد الاتهامات الكاذبة عنه ، ففى ذلك خير لأهل الإسلام ، وطلاب الحقيقة ، والله أسأل أن يهدينا للصواب ويرزقنا التوفيق انه نعم المولى ونعم النصير ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا .



من المكررات فى العلوم التى تقوم على قواعد منهجية ، أن المقدمة لأى كتاب تمثل تلخيصا لأبواب وفصول أو مباحث ذات الكتاب ، ثم تأتى الخاتمة التى هى تلخيص لنتائج ذات الكتاب ، أو مباحثه ومسائله وفصوله على النحو الذى تعرضنا له فى هذا الكتاب تحقيقا للقواعد المنهجية ذاتها التى نعنى بها ، وقد وفقنا عليها وقمنا بمراعاتها .

ومن الثابت لدينا أننا قدمنا فيه ما اعاننا الله تعالى عليه ، وهدانا اليه — فالفضل منه جل علاه ، ومنحه تعالى لا نهاية لها متى عرفها الشاكرون ، لقوله تعالى ﴿"لئن شكرتم لأزيدنكم"﴾[1] ،ونحن نسأله تعالى أن يجعلنا دائما من الشاكرين وبقضائه وقدره راضين .

كما أننا قد طوفنا بين جنبات هذا الكتاب الذى اعتبرناه مدخلا ضروريا من وجهة نظرنا لدراسة الحكمة الإسلامية دون التقيد بأماكن ظهورها أو الأشخاص الذين قيدت أسماؤهم بها[2] ، لأنا نرى أن الفلسفة الإسلامية مضمون ومفهوم فى حدود النقل المنزل ، فأى عقل مسلم قام بها فى تلك الحدود فان الأمر عندنا هو إمكانية وصف صاحبه بأنه حكيم مسلم .

بيد أننا لم نجمل هذا المدخل لتاريخ الفكر الفلسفى الإسلامى من ناحية حكاية المذاهب أو الأشخاص ، كما لم نجعله يتناول موضوعات الحكمة الإسلامية – على النحو الذى عنى به أشياخنا الأفاضل من أهل الإسلام والا

(١) سورة إبراهيم الآية ٧

(٢) فالعبرة عندنا بالمفاهيم لا بالأماكن والجهات .

كان بحثا فى موضوعات الحكمة الإسلامية ، وليس مدخلا لها[١] ، فيكون العنوان غير قائم على الموضوعات المطروحة فيه .

وغير خاف أننا عرضنا فى هذا المدخل لمعنى الحكمة الإسلامية ، وتبين لنا أنها أصيلة فى النصوص الإسلامية ، أو بمعنى أدق أنها موجودة كلفظ فى النقل المنزل ، وكمفهوم فى الفكر الإسلامى على سبيل الاستقلال والأصالة ،وأنها كلفظ ومفهوم قد وجدت فى البيئة العربية قبل الإسلام على الناحية التى جاءت منها ، وهى لذا نبت البيئة العربية والإسلام هو الذى ، ضبط أصولها وقواعدها ، وأنها لم تقتبس من أية أفكار غير عربية أو غير إسلامية ، وهى نتيجة حتمية لابد من وضعها فى الاعتبار عند إعادة النظر فى كتابه أو التأريخ للفلسفة أو الحكمة الإسلامية .

كما تناولنا أيضا علاقة الحكمة الإسلامية بالفلسفات الأخرى ، ورأينا أنها تتمايز عليها جميعا بالاسم والموضوعات والنتائج ، كما تتمايز بالمصادر التى تحميها وتصونها أو تقوم عليها وتدعمها ، وهذا يجعلنا نؤكد فى حسم أن الفلسفة الإسلامية وأن اشتركت مع غيرها فى التسمى بالفلسفة فإنها تخالفها من كافة الوجوه الأخرى[٢] ، أو الاشتراك فى جزء التسمية بينها ، ليس معناه أنها تابعة لغيرها ، أو أنها مقلدة إياها فى كل ما تعرضت له أو فى بعضه .

ثم عرضنا لفوائد الحكمة الإسلامية ، وتبين لنا انها فوائد عديدة ، تقوم لصالح الدين والدنيا ، لصالح العقيدة والشريعة والأخلاق ، وهذا الجانب لم يكن معروفا لدى مفكرى اليونان أو غيرهم ، وبالتالى فان هذه الفوائد تمايز الفلسفة الإسلامية عن غيرها ، وتثبت أنها قائمة على الأصول الشرعية كما أنها أصيلة

(١) دراسة موضوعات الفلسفة اهتمام بالفكرة ، أما المدخل فهو الوسيلة للوصول إلى تلك الحكمة الإسلامية .

(٢) ومن ينكر ذلك فعليه أن يقدم من الأدلة التى وقف عليها .

فيها أيضا[١] ، ولا علاقة لها بغيرها من ناحية الفوائد مما يجعلنا نقرر فى شيء من اليقين أنها فكر إسلامى خالص .

❁ فى نفس الوقت فقد تناولنا فكرة وجود فلسفة إسلامية من عدمه ، وبان لنا أنها موجودة فى الأصول الإسلامية ، وأن منكرى وجودها قد دفعهم لذلك :-

[١] أما الجهل بالدين الإسلامى والحكمة الإسلامية ، ونتائج الجهل لا تعبر قاعدة يمكن أن تقوم عليها أحكام تنتهى إلى الطعن على الحكمة الإسلامية ، أو تنتهى إلى رفضها .

[٢] أما التعصب ضد الدين الإسلامى وحكم المتعصب يفقده الحيدة ومثله لا يكون قاضيا مقبول الأحكام ، أو التعصب للجنس الذى ينتمى اليه وهى فكرة فاسدة فى المبنى والمعنى لأن الناس جميعا من آدم وحواء عليهما السلام[٢] .

كما أن أهل الحيدة والموضوعية من غير المسلمين قد اعترفوا بوجود الفكر الإسلامى المتميز فى كل جوانبه ، واعترفوا كذلك بفضل العرب والمسلمين على الحضارة التى بزغت أنوارها على أوربا ، فأيقظت أهلها من نومهم الطويل ، وأخذت بأيديهم إلى حيث المعارف الأصيلة الصحيحة ، وأن الغربيين قد فزعوا للجانب المادى من الحضارة الإسلامية فأخذوه كاملا ثم انتفعوا به فى ديارهم وبعدها نسبوه زورا لأبناء جلدتهم حتى يطمسوا الحقائق بغية إشباع رغبات كذوب فى النيل من الإسلام وأهله[٣] .

لكن تعرضنا للعوامل التى قامت عليها الحكمة الإسلامية ، قد كشف لنا أمورا غاية الأهمية ، من أبرزها اعتبار النقل المنزل نفسه أحداهم تلك العوامل ، ثم تأتى القدرات العقلية التى تميز بها أهل الإسلام ، ثم الرغبة فى خدمة النقل

---

(١) ذلك هو الذى أمكننا التعرف عليه ومن يقصد النقل المنزل بحيدة وموضوعية ، فهو بالغ ذلك أيضا .

(٢) فكرة وجود أمر أدم كثيرين وخاطئة ومخالفة للنقل المنزل ، ونحن لا نقبلها - راجع آدم ﷺ للأستاذ البهى الخولى

(٣) راجع الغارة على العالم الإسلامى ، وماذا خسر الإسلام بانحطاط المسلمين ، وكتابنا لماذا ينكمش أبناء الإسلام .

المنزل ، وبعد ذلك يأتى التزام الأحكام الشرعية التى كان لها دور هام فى بيان العلاقة القائمة بين العقيدة والشريعة ، أو العلم والعمل ، ثم تجيء محاولته فى التوفيق بين المنطوق النقلى ،والمفهوم القائم فى الظرف المستجد[١] ، وذلك كله مما تميزت به ذات الأبحاث الدقيقة التى قام بها أشياخنا علماء الإسلام فى كل زمان ومكان خدمة للدين الإسلامى الحنيف .

أما المزاعم التى يرددها غير المسلمين ثم يقلدهم فيها بعض أبناء الإسلام ظانين بهم الصدق والحيدة ، أو التماسك العلمى والتكامل العقلى أو التماس الحق والموضوعية ، فلا مكان لها الا فى أذهان الحالمين الذين حسبوا السراب ماء[٢] ، فانقلبوا فى الأرض بحثا عنه ، فلما أعيتهم الحيل ، وأنقطع بهم الأمل تمسكوا بما تحت السراب من خيالات وأوهام انتهت بهم إلى إصدار أحكام فيها الكثير من التجنى على الفكر الإسلامى ، والمفكرين المسلمين أيضا ، ومثلهم لا التفات إليهم ، ولا عناية بهم حتى يراجعوا أنفسهم ، ويعلنوا اعتذارهم .

۞ **وفى تقديرى** : أنهم لو أنصفوا لنظروا بعقولهم لا بعقول غيرهم ، سواء للمقدمات أو النتائج ، وأنى أتساءل على هذه البعض من أبناء المسلمين . هل حصرتم الموضوعات والمسائل التى تعرضت لها الفلسفة الإسلامية ، والفلسفة التى تزعمون تأثر الإسلامية بها ، ثم كشفتم لنا ما هو اصيل فى الفكر الإسلامى ، وما هو مأخوذ عن غيره ؟

لو فعلتم ذلك ثم وقعتم على بعض الملاحظات ، فان العقل قد يقبل ذلك منكم ، أما إلقاء الشبه وتنمية المزاعم والقفز فوق الأشواك ، فان ذلك لا يعلن الا عن التبعية والإمعة مهما أعلن صاحب الزعم من حيدة أو حاول التظاهر بالموضوعية.

---

(١) عرضنا ذلك الجانب بقدر ما وفقنا الله تعالى ، فأن أكن وفقت فتلك من أنعم الله تعالى ، وهو صاحب الفضل .

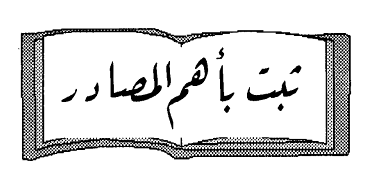
(٢) والله تعالى ضرب المثل لهم ، فقال تعالى ﴿" والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب "﴾

ثم أنهم مهما ادعوا أو حاولوا التقليل من شأن الفكر الإسلامى ، فان ذلك لن يؤثر على الإسلام الدين الحنيف ، كما لن يجعل أهل العرفان بالله ينصرفون عنه ،أو يتصورنه بعيدا عن توجيه أنظمة الحياة ، بل أننا نحن المسلمين نتمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ وما تركه أشياخ أهل الإسلام لنا خدمة للإسلام دين الله الذى أبقاه وارتضاه .

وبعد

فها أنذا قد عرضت لك ما وفقنى الله تعالى ، فان وجدته خيرا فاسأل الله لى الخير ، وان وجدت تقصيرا فاسأل الله لى التوفيق والسداد ، وأسألك إصلاح ما تراه ، فما العصمة الا لله ، ولمن أصطفى من أنبيائه ورسله وأهل العرفان به جل علاه ، أما انا فما زلت أردد قول الحق الملك العلام ﴿"أن أريد الا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب"﴾ .

الدكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
غزالة الخيس - مركز الزقازيق - محافظة الشرقية



۞ **هنا ملاحظتان :-**

✪ **الأولي** :– أنى حرصت على تقديم أغلب المصادر التى أمكننى الرجوع اليها فى مظانها ، وذلك يجعلنى والكتاب مدينين لأصحابها ، وهو ما أسأل الله تعالى العون والتوفيق حتى أقدم لهم الشكر الكبير ، ثم الأجر لهن من الله تعالى .

✪ **الثانية** : أننى ذكرت المصادر مبتدأ بالقرآن الكريم وعلومه ثم السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها ، وبعدهما المصادر المتعلقة بالمعاجم والسير والرسائل الجامعية وأخيرا المصادر العامة مراعيا فى ترتيبها حروف الهجاء ، مقدما اسم الشهرة للمؤلف بعد تجريده من حرف الـ ، ثم الوصف ، ثم الاسم الذى دون له ، لأنها الطريقة التى قمت عليها ، وأراها – كغيرى – أقرب منالا من غيرها .

أولا : القرآن الكريم وعلومه

[١] القرآن الكريم

[٢] التسهيل فى علوم التنزيل

[٣] البحر المحيط – للعلامة أبى حيان وبالهامش النهر المار

[٤] الجامع لأحكام القرآن – للعلامة القرطبى

[٥] مفاتيح الغيب – للعلامة الفخر الرازى

[٦] مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة النسفى

[٧] صفوة التفاسير – الشيخ محمد على الصابونى

[٨] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقى .

[٩] تفسير سورة الأنعام – د/ أحمد الكومى ، د/ محمد سيد طنطاوى .

[١٠] تفسير سورة العنكبوت – الشيخ/ محسن عبد الراضى .

[١١] الإتقان فى علوم القرآن – للعلامة/ جلال الدين السيوطى

[١٢] تفسير التحرير والتنوير – للشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور ط الحلبى .

[١٣] تفسير سورة العنكبوت – الشيخ/ شاكر محسن عبد الرحمن

[١٤] تفسير القرطبى – العلامة القرطبى .

[١٥] نظرات فى سورة النحل الأستاذ/ توفيق عبد العظيم

[١٦] نظرات فى سورة الغاشية – الأستاذ/ منصور عبد المتعال

ثانيا : السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها

[١٧] صحيح الإمام البخارى – النسخة المشكولة

[١٨] صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى

[١٩] مسند الإمام الترمذى

[٢٠] جامع الأحاديث

[٢١] رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين

[٢٢] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم – دار الكتب العلمية ببيروت .

[٢٣] أسد الغابة فى معرفة الصحابة

[٢٤] أئمة الحديث النبوى – الدكتور/ الحسينى عبد المجيد هاشم

[٢٥] شرح الفشنى على الأربعين النووية

[٢٦] السبعينيات فى مواعظ البريات

[٢٧] المقدمة للأمام ابن ماجة

[٢٨] مجمع الزوايد

[٢٩] فيض القدير – للعلامة الشوكانى .

[٣٠] تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة .

[٣١] فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى للعلامة ابن حجر

[٣٢] جمع الجوامع ، الجامع الكبير

[٣٣] المعجم الصغير للإمام الطبرانى

[٣٤] الترغيب والترهيب من الحديث الشريف – العلامة الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى

[٣٥] دراسات فى السنة النبوية – الشيخ محمد رضوان عبد الباعث .

[٣٦] جامع بيان العلم وفضله – للإمام ابن عبد البر .
[٣٧] من وحى السنة المطهرة – الدكتور/ محمد حامد حسين
[٣٨] مسند الإمام أحمد
[٣٩] السنن الكبرى – للإمام البيهقى

ثالثا : المعاجم والسير والتراجم والتاريخ والرسائل الجامعية

[٤٠] طبقاء الأطباء والحكماء للعلامة ابن جلجل – تحقيق فؤاد السيد
[٤١] الأغانى – لأبى الفرج الأصفهانى
[٤٢] سيرة النبى محمد ﷺ للعلامة ابن هشام
[٤٣] التعريفات – للعلامة الجرجانى
[٤٤] معجم مقاييس اللغة
[٤٥] تاريخ مكة المكرمة – للعلامة الأزرقى
[٤٦] عيون الأنباء فى طبقات الأطبقاء – ابن أبى أصيعة .
[٤٧] مجلة العربى الكويتية – العدد ٣٣٥
[٤٨] سيرة النبى – شيخ الإسلام ابن كثير
[٤٩] السيرة الحلبية
[٥٠] وفيات الأعيان – للعلامة ابن خلكان .

رابعا رسائل جامعية

[٥١] الصلة بين التصوف والفلسفة عند أبن عربى – الدكتور/ محمد عبد التواب – ماجستير بكلية أطول الدين القاهرة – مخطوطة
[٥٢] تفسير سورة النحل – دكتور/ محمد متولى إدريس – مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة .
[٥٣] عبد الكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – دكتور/ محمد حسينى موسى الغزالى – جامعة عين شمس مخطوطة

[٥٤] عقيدة القيامة فى النصرانية وموقف الإسلام منها – الدكتور/ رشدى الشحات عبد الحميد – ماجستير فى أصول الدين القاهرة – مخطوطة .

[٥٥] أثر الفلسفة السينوية والرشدية فى أوربا أبان العصور الوسطى – الدكتور/ عبد القادر السيد البحراوى – ماجستير مخطوطة بأداب الزقازيق ١٩٨٠م .

حرف الألف

۞ **ابن تيمية - شيخ الإسلام - أحمد بن عبد الحليم**

[٥٦] مجموع الفتاوى – التصوف

۞ **ابن سينا - الشيخ الرئيس أبو على**

[٥٧] تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ط دار البستانى – بيروت

[٥٨] الشفاء – الطبيعيات – السماع – تحقيق الأستاذ سعيد زايد – مركز تحقيق التراث ١٩٨٣م

۞ **ابن الحاج - نور الدين**

[٥٩] قراءات فى الفلسفة الإسلامية – الدار الفلسفية باكستان

۞ **أبو الخشب - الدكتور/ إبراهيم على**

[٦٠] القرآن وشيخة المسلمين ط دار الفكر العربى بالقاهرة

أبو المجد – الأستاذ / أبو طالب محمد

[٦١] دراسات فى الفكر الإسلامى – ط١– ١٩٨١م .

۞ **آدم - الأستاذ/ توفيق عبد الغفور**

[٦٢] الآساطير اليونانية – طبعة الدار سنة ٦٤٦هـ

۞ **أ..ب فانتيوم -**

[٦٣] التراث العربى القديم ترجمة وفاء منسى

۞ **ابن الخطيب - الأستاذ/ محمد محمد عبد اللطيف**

[٦٤] حقائق ثابتة فى الإسلام ط أولى مطبعة الدار الفلسفية باكستان

۞ **أمين - الأستاذ/ أحمد**

[٦٥] ضحى الإسلام ط النهضة المصرية ١٩٣٧م

[٦٦] فجر الإسلام الطبعة التاسعة ١٩٦٤م .

❁ **إبراهيم - الأستاذ/ صبحى**

[٦٧] دراسات فى الأديان – ط دار الإخلاص ١٩٢٧م

❁ **أنور - الأستاذ/ ثروت**

[٦٨] الكتب العقلية الإسلامية المبدعة – ط أولى – دارالتوفيق ١٩٤٦م

❁ **أوليرى - المستشرق**

[٦٩] الفكر العربى ومطابقته فى التاريخ – ترجمة تمام حسان

❁ **الأشقر - الأستاذ/ فوزى مصباح**

[٧٠] أثر الفقهاء فى دراسة الفلسفة – القاهرة ١٩٣٢م

❁ **أنور - الأستاذ/ رفيق السيد**

[٧١] دراسات فى المسيحية – طبعة الأنوار ١٩٣١م

❁ **أنور - الدكتورة/ فاطمة عبد الحليم**

[٧٢] الفلسفة الإسلامية عند المستشرقين ط أولى ١٩٧٧م

❁ **أبو وافية - الدكتورة/ سهير فضل الله**

[٧٣] الفكر الإسلامى يرد على المستشرقين – المكتب المصرى القاهرة ١٩٨٦

❁ **ابن خلدون - العلامة عبد الرحمن**

[٧٤] المقدمة

❁ **الأهوانى - الدكتور/ احمد فؤاد**

[٧٥] الفلسفة الإسلامية طبعة القاهرة ١٩٦٤م

[٧٦] الكندى فيلسوف العرب – سلسلة نوابغ الفكر العربى

❁ **الانشاصى - الدكتور/ عبد الرشيد سالم**

[٧٧] العلمانية المصدر والخطر – طبعة دار الانشاطى بلعبك ١٩٥١

❁ **الاسنوى - الأستاذ/ عبد القدوس محمد**

[٧٨] معالم الفكر المنغلق – طبعة رؤف بالقاهرة ١٩٢١م

❁ **أ- ميلر**

[٧٩] المعلم الأول أرسطو – ترجمة محمد زكى حسن – مكتبة الخانجى

حرف الباء

❁ **بلال - الدكتورة/ فاطمة السيد**

[٨٠] دراسات فى عقول وآراء المستشرقين – ط دار محسن ١٩٥٧م

❁ **البهى - الدكتور/ محمد**

[٨١] الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى – الطبعة الثانية

❁ **بنيسون - أ.ب**

[٨٢] زعماء الوضعية المنطقية – ترجمة جورج منشى .

❁ **بيومى - الدكتور/ عبد المعطى محمد**

[٨٣] الفلسفة الإسـلامية فـى المشـرق والمغـرب – ط أولى ١٣٩٣هـ–١٩٧٣مـدار الطباعة المحمدية

❁ **بدوى - الدكتور/ عبد الرحمن**

[٨٤] دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى ط بيروت

[٨٥] مدخل جديد للفلسفة ط الكويت

❁ **بيومى - الأستاذة/ تهانى**

[٨٦] أرسطو والمسيحية – دراسات مقارنة ط الوفاء ١٩٧٢م

❁ **بلاتس - الأستاذ/ أنطوان**

[٨٧] الفرد والجماعة – ترجمة صباح زكى

❁ **بريستد - جيمس هنرى**

[٨٨] فجر الضمير – الهيئة المصرية ١٩٩٩م

حرف التاء

❁ **توفيق - الأستاذ/ صابر محمد**

[٨٩] آلهة اليونان ودورهم فى صناعة الأساطير – ط الأول ١٩٥٢

❁ **التفتازانى - الدكتور/ أبو الوفا الغنيمى**

[٩٠] واصل من عطاء حياته ومصنفاته

❁ **توفيق الأستاذ/ عبد المولى منصور**

[٩١] من الآداب الإسلامية ط الخانجى ١٩٥٧م

حرف الجيم

❁ **جبر - الدكتور/ على محمد**

[٩٢] محاضرات فى علم التوحيد

❁ **جاد الرب - الأستاذ/ عبد المولى محمد**

[٩٣] العرب قبل الإسلام ط دار الرحمة بالمغرب

❁ **الجاحظ -**

[٩٤] رسائل الجاحظ – تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون ط القاهرة ١٩٤٦م

❁ **جيجين - المستشرق أولفن**

[٩٥] المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية – ترجمة د/ عزت قرنى – دار النهضة المصرية

❁ **جمعة - الأستاذ/ محمد لطفى**

[٩٦] تاريخ فلاسفة الإسلام

❁ **جينز - جيمس**

[٩٧] الفيزياء والفلسفة

❁ **الجندى - الأستاذ/ أنور**

[٩٨] الإسلام والفلسفات القديمة

❁ **جوهار - المستشرق أ.ب**

[٩٩] الاتجاهات الفكرية فى العالم القديم – ترجمة وفاء صادق

❁ **جعفر - الدكتور/ محمد كمال إبراهيم**

[١٠٠] تأملات فى الفكر الإسلامى – ط دارالعلوم ١٩٨٠

❁ **جون كولر**

[١٠١] الفكر الشرقى القديم – سلسلة عالم المعرفة .

❁ **جورجى - القس ملاك**

[١٠٢] ولادة المسيح الروحى – ط دار ملاك ١٩٢٧

❁ **الجرجانى - العلامة السيد الشريف**

[١٠٣] حاشية الجرجانى على الطوالع

[١٠٤] التعريفات ط الحلبى

جلال – الأستاذ محمد بك

[١٠٥] الأمثال فى الفصحى – ط القاهرة ١٩٢٧م

حرف الحاء

❁ **حسن - الدكتور/ طه جمال**

[١٠٦] الفكر الإسلامى بين المؤيدين والمعارضين ط الأولى ١٨٥٧م

❁ **حسن - الأستاذ/ حسن عبد القادر السيد**

[١٠٧] عوامل نشأة الفلسفة الاسمية ط الرياض ١٩٦٣م

حرف الخاء

❁ **خليل - الأستاذ/ صبرى محمد**

[١٠٨] من تعاليم الإسلام ط القاهرة ١٩٢١م

❁ **خميس - الدكتور/ سليمان سليمان**

[١٠٩] نحو عقيدة قرآنية ط أولى ١٣٨٨/١٩٦٩ ط دار الطباعة بالقاهرة

❁ **خير الله - الأستاذ/ فوزى نصر**

[١١٠] الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والاقتباس ط ١٩٥١م

❁ **خان - الدكتور/ محمد عبد المحسن**

[١١١] الأساطير العربية قبل الإسلام – ط دمشق ١٩٢٧م .

❁ **خير الدين - الأستاذ/ أحمد عبده**

[١١٢] تاريخ الفلسفة ط ثانية ١٩٤٧م

❁ **خميس - الدكتورة/ ليلى محمد**

[١١٣] الحضارة البابلية وتأثرها بغيرها – ط دار توفيق ١٩٦١م .

❁ **خليل - القس أنور**

[١١٤] عتبات الأبدية – مكتبة الثقافة

حرف الدال

❁ **الديدامونى - الأستاذ/ على إبراهيم**

[١١٥] مميزات الفكر الإسلامى ط أولى ١٩٥٧م

❁ **دنيا - الدكتور/ سليمان سيد أحمد**

[١١٦] التفكير الفلسفى الإسلامى ط الخانجى

الدهلوى – العلامة

[١١٧] حجة الله البالغة – ط بولاق ١٢٩٤هـ .

حرف الراء

❁ **راينز - أ.ب**

[١١٨] فكر قدماء المصريين – ترجمة الأستاذ/ فؤاد نصار

❁ **رجب - الدكتور/ محمود**

[١١٩] الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ط دار المعارف ١٩٨٧م

❁ **رضوان - الدكتور/ عبد البديع**

[١٢٠] تأثير القرآن فى النفوس – مكتبة النصر ١٩٤٣

❁ **رضوان - الدكتور/ عبد الكريم**

[١٢١] دراسات إسلامية – ط دار رضوان ١٩٥١م

❁ **رضوان - الأستاذ/ حامد عبد الجليل**

[١٢٢] دراسة فى آداب العرب القديمة والمعاصرة – ط القاهرة ١٩٤٧م .

❁ **رينان -المستشرق**

[١٢٣] التاريخ العام للغات السامية الترجمة العربية .

[١٢٤] ابن رشد ومذهبه

❁ **رضوان - الدكتور/ مصطفى**

[١٢٥] المفاهيم الرياضية ط٢ ١٩٦١م

❁ **روزنتنال - المستشرق فردريك**

[١٢٦] التراث القديم فى الحضارة الإسلامية – ترجمة وتقديم د/ عبد الله المسلمى ط سعيد رأفت ١٩٩٣م

❁ **رمزى - الدكتور/ مصطفى**

[١٢٧] دراسات فى الفلسفة الإسلامية – ط القاهرة .

❁ **رزق - القس اسكندر**

[١٢٨] الأباء اللاهوتيون مصدر التعليم المسيحى

حرف الزاى

❁ **زيادة - الدكتور/ محمود محمد**

[١٢٩] العرب وظهور الإسلام جـ١ ، ٢

❁ **زقزوق - الدكتور/ محمود حمدى**

[١٣٠] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى

۞ **زعتر - الأستاذة/ نهاد**

[١٣١] الكنيسة والملك مصالح مشتركة ط أولى ١٩٧٧م

۞ **زاهر - الدكتور/ رفقى**

[١٣٢] محاضرات فى الفلسفة المغربية ١٩٧٤م

۞ **زايد - الأستاذ/ سعيد**

[١٣٣] الفارابى – سلسلة أعلام العرب

۞ **زكى - الأستاذ/ توفيق**

[١٣٤] الفكر القديم ط منتصر ١٩٢٢م

حرف السين

۞ **سلطان - الأستاذ/ عبد الوارث**

[١٣٥] مسيحية العصور الوسطى ط دار الكسار ١٩٣١

۞ **سلامة - الدكتور/ عادل**

[١٣٦] نظرات فى تاريخ اللغات – ط دار برهان ١٩٧١م

حرف الشين

۞ **الشافعى - الإمام محمد بن إدريس**

[١٣٧] الرسالة – تحقيق الشيخ أحمد شاكر .

۞ **شفيق - الدكتور/ محمود عبد الرازق وآخرون**

[١٣٨] تاريخ التربية

۞ **شرف - الأستاذ / حفنى**

[١٣٩] الحقيقة الكبرى فى الرد على الدهريين – ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

حرف الصاد

۞ **صالح - الدكتور/ عبد المحسن**

[١٤٠] الفلسفة اليونانية ط ١٩٥٧م

۞ **صبرى - الأستاذ/ رأفت**

[١٤١] الوضعية فى مستوياتها – ط دار الشرق بغداد

۞ **صبرى - الدكتور/ محمد السيد**

[١٤٢] مناهج البحث النظرى – ط أولى – ١٩٧١م دار عدنان – حلب

۞ **صبحى - الدكتور/ السيد**

[١٤٣] الفلسفة الإسلامية بين الأنصار والخصوم ١٩٧٢م

۞ **الصواف - الأستاذ/ عبد المتعال**

[١٤٤] الفكر اليهودى الخيالى – ط دار الوفاء ١٩٧٤م

۞ **صقر - الأستاذ / رضوان محمد**

[١٤٥] دراسات فى القرآن الكريم – ط دار خيرت ١٩٣٧ .

حرف الطاء

۞ **الطويل - الدكتور/ توفيق**

[١٤٦] قصة الصراع بين الدين والفلسفة – ط دار النهضة ١٩٧٩م

[١٤٧] فى تراثنا العربى الإسلامى

[١٤٨] أسس الفلسفة

۞ **الطويل - الأستاذ/ على**

[١٤٩] من مظاهر الاعجاز القرآنى فى الحيوان – ط دار الهداية ١٩٢٣م

۞ **طلبه - الأستاذ/ صلاح عبد الباقى**

[١٥٠] فى تاريخ الفلسفة اليونانية

حرف العين

۞ **عبد اللطيف - الدكتور/ بدر الدين**

[١٥١] النباتات العلمية فى القرآن الكريم – ط أولى – ١٩٥١م

۞ **عبد اللطيف - المهندس رحمى**

[١٥٢] دراسات قرآنية – ط أولى ١٩٦٣م

۞ **عيش - الدكتور/ عثمان عبد المنعم**

[١٥٣] عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية – ط أولى ١٩٧٦م – مكتبة الأزهر

۞ **عبد العال - الدكتور/ فوزى**

[١٥٤] خطر المستشرقين على المسلمين – ط أولى بيروت ١٩٥٣م .

۞ **عطا - الأستاذ/ بدوى**

[١٥٥] دور الأسطورة فى الفكر اليونانى

۞ **عبد السميع - الأستاذ/ أشرف**

[١٥٦] دراسات فى الفلسفة الإسلامية – مطبعة صبحى

❁ **العبد - الدكتور/ عبد اللطيف محمد**

[١٥٧] دراسات فى الفكر الإسلامى – ط الأنجلو المصرية

❁ **عبد الوهاب - الأستاذ/ عبد اللطيف السيد**

[١٥٨] من ثمرات علم اللغة

❁ **عبد الجواد - الأستاذ/ خيرى**

[١٥٩] الفلسفة الإسلامية – ط١ – ١٩٩٧م

❁ **عبد المولى - الأستاذ/ فتحى رضوان**

[١٦٠] تعاون السلطات فى العصور الوسطى

❁ **عبد العاطى - الأستاذ/ عبد اللطيف محمد**

[١٦١] دراسات فى الفلسفة الإسلامية ١٩٦٥م

❁ **عبد الرازق - الإمام الأكبر الدكتور/ مصطفى**

[١٦٢] تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية

❁ **عبد الجواد - الشيخ / محمد**

[١٦٣] الأمثال العربية الفصحى

❁ **عبد السميع -الأستاذ/ أشرف**

[١٦٤] دراسات فى الفلسفة الإسلامية ط٢ – ١٩٦٢م

❁ **عبد الباقى - الدكتور/ هدى محمد**

[١٦٥] دراسات فى فلسفة ابن سينا – ط دار الوفاء ١٩٦٩م

❁ **عبد المحسن - الأستاذ/ عبد الشكور صبحى**

[١٦٦] اتجاهات العقل القديم ومشكلاته

❁ **عبد العظيم - الأستاذ/ جمال**

[١٦٧] الدور المرتقب للفلسفة

❁ **عبد المقصود - الدكتورة/ وفاء**

[١٦٨] دراسات فى الفلسفات القديمة – ط دار الفجر الجديد ١٩٧١م

❁ **عبد المسيح - الأستاذ/ رأفت**

[١٦٩] التاريخ الفرعونى – ايام قسم الأسر

❁ **عبد المنعم - الأستاذ/ يسرى**

[١٧٠] الحضارة المصرية القديمة

۞ **عبد الوارث - الدكتورة/ تهانى**

[١٧١] دراسات فى الفلسفة اليونانية – دار الاتحاد

۞ **عطية - الدكتور/ احمد عبد الحليم**

[١٧٢] القيم الواقعية الجديدة .

۞ **عبد السميع - الأستاذ/ توفيق**

[١٧٣] دراسات قرآنية – ط القاهرة ١٩٤٧م .

۞ **عطا الله - الأستاذ/ وصفى**

[١٧٤] الفلسفة الإسلامية – ط دار الأشقر ١٩٥١م

۞ **عبد الحكيم - الدكتور/ فاضل .**

[١٧٥] دراسات فى الفلسفة الإسلامية – دار الرشيد

۞ **عبد الباقى - الأستاذ/ طه**

[١٧٦] دراسات فى المثالية الإسلامية

۞ **على - الدكتور/ جوادة**

[١٧٧] تاريخ العرب فى الإسلام

۞ **عمارة - الدكتور/ محمد**

[١٧٨] الإسلام والعروبة – ط١ – الهيئة المصرية ١٩٩٦م .

۞ **العقاد - الأستاذ عباس محمود**

[١٧٩] التفكير فريضة إسلامية – ط الهيئة المصرية العامة ١٩٩٨م

[١٨٠] أثر العرب فى الحضارة الأوربية – ط١ – الهيئة المصرية ١٩١٨م .

[١٨١] حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – ط الهيئة المصرية ١٩٩٩م

۞ **عبدالطيف - الأستاذ / محمد توفيق**

[١٨٢] دراسات قرآنية – تفسير سورة الجن – ط٢ – ١٩٣٥م

۞ **على - الأستاذ/ سعيد محمد**

[١٨٣] آيات الله فى الكون – جـ١ – ط دار الأنصار

حرف الغين

۞ **غلاب - الدكتور/ محمد**

[١٨٤] الفلسفة الإغريقية

❁ غلوش - الدكتور مصطفى

[١٨٥] البعد الرابع فى نظرية المعرفة – ط١ – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

[١٨٦] الإسلام من مبادئه التأسيسيه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

❁ الغرباوى - الدكتور/ كفاح الدين

[١٨٧] دراسة فى النظام اللاهوتى – دار الصفا كركوك

❁ غريب - الأستاذ/ محمد عبد الجواد

[١٨٨] العقلية العربية فى الماضى

❁ الغزالي - الدكتور/ محمد حسينى موسى محمد

[١٨٩] المدخل التام لعلم الكلام – الطبعة الأولى والثانية

[١٩٠] الغزاليات فى منطق التصديقات – الطبعة الأولى – آل بسيونى ٢٠٠٠م

[١٩١] أوراق مطوية فى التصوف والصوفية – الطبعة الثانية

[١٩٢] رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق – الطبعة الثانية

[١٩٣] خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة – الطبعة الخامسة .

[١٩٤] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٣ الأفعال الإلهية – الطبعة الأولى ١٩٩٩م

[١٩٥] حبو الوليد فى علم التوحيد – الطبعة الرابعة

[١٩٦] قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام – الطبعة الخامسة

[١٩٧] منهج السلف فى إثبات وجود الله تعالى – الطبعة الثانية

[١٩٨] قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة – الطبعة الثالثة

[١٩٩] أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ط٢ آل بسيونى

[٢٠٠] الغزاليات فى الإلهيات – الطبعة الثانية ١٩٩٨م .

[٢٠١] الغزاليات فى السمعيات – ط الأولى آل بسيونى ١٩٩٩م

[٢٠٢] وميض النصرانية بين غيوم المسيحية – الطبعة السادسة .

[٢٠٣] حلف الفضول وأثره عند العرب فى العصر الحديث – الطبعة الثالثة

[٢٠٤] فى التيارات الفكرية المعاصرة – الطبعة الأولى ١٩٩٩م

حرف الفاء

❁ فاضل - الأستاذ/ صبرى

[٢٠٥] العقلية العربية التأملية ط٣ – دار طرفاء ١٩٢١م بدمشق

۞ - الأستاذ/ أمين

[٢٠٦] الثقافة الإسلامية وخواطرها – الهيئة المصرية العامة ١٩٨٠م

۞ فكرى - الأستاذ/ على

[٢٠٧] القرآن ينبوع المعارف والعلوم

۞ الفيومى - الدكتور/ محمد إبراهيم

[٢٠٨] تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المشرق – ط أولى – دار الثقافة ١٤٠٠هـ-١٩٩١م

۞ فضل - الأستاذ وصفى

۞ دراسات فى الفكر الغربى أبان القرن السابع عشر .

۞ الفرت - الدكتور/ محمد أبو الغيط

[٢٠٩] بولس والمسيحية

۞ فرحات - الأستاذ/ صابر

[٢١٠] خطر الإلحاد فى البلاد الإسلامية

۞ فخرى - الأستاذ/ يونس

[٢١١] تكوين الفرد والجماعة

۞ الفارابى - الفيلسوف المسلم أبو نصر

[٢١٢] الثمرة المرضية

۞ فوزى - الدكتور/ حسان

[٢١٣] الفلسفة الإسلامية والارتباط الاجتماعى

۞ فرج - الأستاذ/ نصر الدين عبد المولى

[٢١٤] الفكر الفلسفى – ط دار التقوى

۞ فرانكفورت وآخرين

[٢١٥] فلسفة ما قبل الفلسفة – ترجمة إبراهيم جبر منشورات – بغداد

حرف القاف

۞ البقصمى - الدكتورة/ ناهد

[٢١٦] الهندسة الوراثية فى مجال العلوم التطبيقية

۞ قاسم - الدكتور/ محمد

[٢١٧] نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى– الطبعة الثانية – الأنجلو المصرية

[٢١٨] المنطق الحديث ومناهج البحث – ط الأنجلو

❁ **القرشى - الأستاذ / أبو زيد منصور**

[٢١٩] المشكلات الخلقية

❁ **القوصى - الشيخ خالد حسن**

[٢٢٠] النفس الإنسانية فى الآيات القرآنية

حرف الكاف

❁ **كرم - الأستاذ/ عادل**

[٢٢١] دراسات فى الفكر الفلسفى ط ١٩٦٩م

❁ **كوكبه- المستشرق أوزفولد**

[٢٢٢] المدخل إلى الفلسفة – ترجمة الدكتور/ أبو العلا عفيفى

❁ **الكيالي - الأستاذ/ سامى**

[٢٢٣] السهروردى – سلسلة نوابغ الفكر العربى

❁ **الكندى - الفيلسوف / أبو يعقوب**

[٢٢٤] رسائل الكندى الفلسفية – تحقيق الدكتور/ محمد عبد الهادى أبو ريدة

حرف اللام

❁ **لويون - دكتور/ جوستاف**

[٢٢٥] الآراء المعتقدات

حرف الميم

❁ **محمد - الأستاذ/ أبو العلا**

[٢٢٦] الفلسفة الإسلامية – دار منير ١٩٧١م

❁ **منشى - القس/ بولس**

[٢٢٧] دراسات فى الكتاب المقدس

❁ **مدنى - الأستاذ/ أمين**

[٢٢٨] الثقافة الإسلامية وحواضرها – الهيئة العامة ١٩٨٠م

❁ **مستجير - الدكتور/ أحمد**

[٢٢٩] الهندسة الوراثية للجميع

۞ **مشرقى - القس/ صموئيل**

[٢٣٠] الكتاب المقدس يتحدى مشاكل الاعتراضات

۞ **مصطفى - الأستاذ/ تهانى**

[٢٣١] دراسات فى الفلسفة الإسلامية – دار الإخلاص ١٩٦١م

۞ **الملا - الأستاذ/ أحمد على**

[٢٣٢] أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية – ط دار الفكر بدمشق ١٩٨١م

۞ **مينا - القس - جورجى**

[٢٣٣] المسيح إله كامل

۞ **محمود - الدكتورة/ فوقية حسين**

[٢٣٤] مقالات فى أصالة المفكر المسلم ط دار الفكر العربى

[٢٣٥] مدخل إلى الفكر الإسلامى ط أخوان رزيق

۞ **محمد - الأستاذ/ أبو العلا**

[٢٣٦] الفلسفة الإسلامية – ط دار منير ١٩٧١م

۞ **المهدى - الدكتور/ أحمد**

[٢٣٧] شرح المواقف فى علم الكلام – الموقف الخامس فى الإلهيات – المكتبة الأزهرية

۞ **محمود - الدكتور/ زكى نجيب**

[٢٣٨] نحو فلسفة علمية

[٢٣٩] خرافة الميتافيزيقا

۞ **مرحبا - الدكتور/ محمد عبد الرحمن**

[٢٤٠] من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية

۞ **المرسى - الدكتور/ عبد المنعم حامد**

[٢٤١] معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس

۞ **مؤنس - الدكتور/ حسين**

[٢٤٢] المؤنس

۞ **مدكور - الدكتور/ إبراهيم بيومى**

[٢٤٣] فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقة

۞ **مدكور - الدكتور/ عبد الحميد**

[٢٤٤] محاضرات فى الفلسفة – مكتبة الزهراء ١٩٨٣م

❁ **محمود - الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الحليم**

[٢٤٥] أوربا والإسلام

[٢٤٦] التفكير الفلسفى فى الإسلام ط٢ – دار المعارف

❁ **المدور - الأستاذ/ طه**

[٢٤٧] بين الديانات والحضارات

❁ **مرسى - الأستاذ/ بدر الدين**

[٢٤٨] دراسات فى الفلسفة

❁ **مقار - القس/ إلياس**

[٢٤٩] إيمانى القضايا المسيحية الكبرى

❁ **مرسى - الدكتورة/ وفاء**

[٢٥٠] الكندى الفيلسوف – ط أولى – ١٩٧٨م – مكتبة الأستاذ/

❁ **مغنية - الأستاذ/ محمد جواد**

[٢٥١] معالم الفلسفة الإسلامية

❁ **متولى - الدكتورة/ سعاد إبراهيم**

[٢٥٢] دراسات فى الفكر الفلسفى – ط الفجر ١٩٧١م

❁ **المسير - الدكتور/ محمد سيد أحمد**

[٢٥٣] الروح بين الإسلام والفلسفة – ط دار الطباعة المحمدية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م

حرف النون

❁ **النجار - الشيخ عبد الوهاب**

[٢٥٤] قصص الأنبياء – مكتبة التراث

❁ **نصر الله - الدكتور/ رؤف**

[٢٥٥] اتجاهات ما قبل الفلسفة – دار نصر الله ١٩٤١

❁ **نصر - الدكتور/ وفاء محمد**

[٢٥٦] الأنا الذاتى والأخر – ط دار المتيم ١٩٧١م

❁ **نور الدين - الأستاذ/ شاكر**

[٢٥٧] دراسات قرآنية – ط الأنور

❁ **النشار - الدكتور/ على سامى**

[٢٥٨] نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ط دار المعارف
❁ **نصار - الدكتور/ محمد عبد الستار أحمد**
[٢٥٩] فى الفلسفة الإسلامية – قضايا ومناقشات – جـ١ فى المشرق – ط الأنجلو
❁ **نور الدين - الدكتور/ السيد**
[٢٦٠] دراسات فى الفكر الشرقى القديم
❁ **نور الدين - الأستاذ/ حسان**
[٢٦١] علم اللغة قديما وحديثا .

حرف الهاء

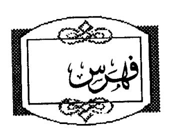
❁ **هوفر - الأستاذ/ أ.ب. كلين**
[٢٦٢] الإنسان القديم – ترجمة صبحى عبد المسيح ١٩٩٢م

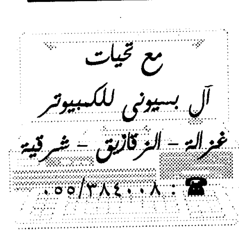
حرف الواو

❁ **وبوزورس - شاخت**
[٢٦٣] تراث الإسلام – ط٢ علم المعرفة ١٩٨٨م – ترجمة د/ حسين مؤنس
❁ **وجدى - الأستاذ/ محمد فريد**
[٢٦٤] الإسلام دين الهداية والإصلاح
[٢٦٥] الإسلام دين الفطرة
❁ **وولف -المستشرق**
[٢٦٦] عرض تاريخى للفلسفة والعلم – ترجمة الأستاذ/ محمد عبد الحميد خلاف

📖 **هذا بخلاف المصادر التى سقطت سهوا ، أو التى تركتها تخفيفا على جريدة المصادر ، وأسأل الله تعالي الهداية والتوفيق ، أنه نعم المولي ونعم النصير .**

ساقط من اصل المصدر





مع تحيات
آل بسيوني للكمبيوتر
غزالة - الزقازيق - شرقية
☎ : ٠٥٥/٣٨٤٠٠٨٠



كتب صدرت

للدكتور محمد حسيني موسى محمد الغزالي

أولا : في علم التوحيد

[١] الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي - أطروحة علمية - ط٧ - الأصدقاء ١٩٩٩م

[٢] حبو الوليد فى علم التوحيد - شرح الموقف الخامس للأيجى ط٤ صبحى ١٩٩٨م .

[٣] عبد الكريم الخطيب وآراؤه الكلامية - أطروحة ١٩٩٢ علميه ط٥ آل بسيونى بالزقا زيق

[٤] منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ط٦ آل بسيونى ١٩٩٨م .

[٥] الغزاليات فى الإلهيات ط٤ الشروق بالزقا زيق ١٩٩٨م .

[٦] الغزاليات فى النبوات وخوارق العادات ط١ ال بسيونى ١٩٩٩م .

[٧] الغزاليات فى السمعيات ط٣ - مطبعة صبحى ١٩٩٨م .

[٨] الغزاليات فى المعاد وأمور الآخرة ط٢ مطبعة نصر الله ١٩٩١م .

[٩] المدخل التام لعلم الكلام - أولى آل مخزنجى ١٩٩٨م .

[١٠] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد - جـ١ - إثبات الذات الإلهية ط١ آل مخزنجى ١٩٩٨م

[١١] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد - جـ٣ - الأفعال الإلهية ط١ آل مخزنجى ١٩٩٩م .

[١٢] حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٤ : إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ط١ صبحى ١٩٩٩م .

[١٣] مطاعن أعداء الإسلام فى القرآن الكريم والرد عليها - ط١ آل بسيونى ١٩٩٩م

[١٤] التأملات على ما في شرح المقاصد من سمعيات جـ١ ط٣ نور الهدى ١٩٩٤م .

[١٥] القضاء والقدر وأثرهما على المسلم ط٣ - آل بسيونى ١٩٩٨م .

[١٦] الإلهيات عند ابن سينا ط٢ - آل بسيونى ١٩٩٨م

[١٧] ذكر الله تعالى فى القرآن والسنة ط٥ - مطبعة الشرق ١٩٩٢م .

[١٨] القسمة والنصيب وعلاقتهما بالقضاء والقدر ط٢ مطبعة الشرق ١٩٩٢م

ثانيا : في الفلسفة والمنطق والتصوف والأخلاق

[١] رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق - ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م
[٢] غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق - ط٤ مطبعة حبيب بالزقازيق ١٩٩٨م
[٣] خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة - ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .
[٤] أوراق منسية في النصوص الفلسفية - ط٣ صبحي بالزقازيق ١٩٩٨م .
[٥] المنطق بين التنظيم والتقنين ط١ الوطنية ١٩٩١م .
[٦] مناهج البحث بين التقليد والتجديد ط٣ الوطنية ١٩٩٢م .
[٧] أوراق مطوية في التصوف والصوفية ط٥ - آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٨] انسام حيية في الأفكار الصوفية ط٤ الشروق ١٩٩٨م .
[٩] قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ط٤ - آل بسيوني ١٩٩٨م
[١٠] قضايا حبيسه في الفلسفة الحديثة ط٣ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .
[١١] النديم في المنطق القديم - ط٤ مطبعة آل بسيوني ١٩٩٩م .
[١٢] الوليد المنطق في علم المنطق - التصورات - ط دار حبيب ١٩٩٨م .
[١٣] الغزاليات في منطق التصديقات - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .
[١٤] الغزاليات في منطق التصورات - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م
[١٥] مدخل لدراسة الحكمة الإسلامية - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .
[١٦] ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب .
[١٧] التفكير الإنساني ومستوياته ط٢ - آل بسيوني ١٩٩٩م .
[١٨] الشك في الفكر الإنساني مفهومه ودلالاته ط٣ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[١٩] الولاية في الفكر الصوفي وأصولها الشرعية - ط٢ مطبعة زاهر ١٩٩٥م .
[٢٠] ظاهرة القلق الإنساني بين الدين والعلم ط٣ - رضوان ١٩٩٦م .
[٢١] نظرية المعرفة عند ابن رشد - بحث محكم .
[٢٢] آراء واتجاهات في الدين والفلسفة - ط٢ آل بسيوني ١٩٩٧م .
[٢٣] العلاقة بين بارمنيدس وأفلاطون - ط٤ مطبعة ياسر ١٩٩٥ القاهرة .
[٢٤] قضايا التصوف بين الأنصار والخصوم ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٨م .
[٢٥] التصوف المفترى عليه ط٢ مطبعة المنيرة ١٩٨٩م .
[٢٦] الدلالة بين الأصوليين والمحدثين والمناطقة - ط١ حربي ١٩٩٤م .
[٢٧] في الوجود وعلله - شرح النمط الرابع لابن سيناء - ط٢ مطبعة الهدى ١٩٩٢م .

[٢٨] آراء عبدالكريم الخطيب الفلسفية - أطروحة علمية ١٩٩٣م .
[٢٩] ابن باجة ومذهبه في الأخلاق - أطروحة علمية ١٩٨٧م .
[٣٠] اثر الحب عند الصوفية على ادباء الرومانسية ط١ مطبعة رزق ١٩٨٨م .

ثالثا : التيارات الفكرية والفرق والمذاهب المقارنة

[١] أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ط٤ القدس الشريف ١٩٩٨م
[٢] عقيدتا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية - أطروحة علمية ط٣ آل بسيوني ١٩٩٨م
[٣] من وحي البيان في جماعة الشيطان ط٤ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٤] صدع البرهان في جمهوري السودان ط٣ ياسر ١٩٩٧م .
[٥] وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ط٥ حبيب ١٩٩٨م .
[٦] حفيف الأفنان في التعريف بالملل والنحل والأديان - ط٤ دار غريب ١٩٩٨م .
[٧] مقدمة ضرورية في نشأة الفرق الإسلامية ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[٨] رؤية نقدية في الفرق الإسلامية ط٢ الشروق ١٩٩٦م .
[٩] قضايا المسيحية وموقف الإسلام منها - ط٢ مطبعة طارق ١٩٩٣م .
[١٠] بين المسيحية والإسلام في القيم والأحكام ط٢ مطبعة حسنى ١٩٨٣م .
[١١] علاقة اليهودية الدينية بالعهد القديم ط٣ مطبعة يسرى ١٩٩٤م .
[١٢] اليهودية من الأرض إلى الاعتقاد ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٧م .
[١٣] العهد القديم بين المفهوم والدلالة ط٣ مطبعة الشرق ١٩٩٣م .
[١٤] الرد الجميل على شبهات صموئيل ط٢ دار منصور ١٩٩٥م .
[١٥] الرد المنجار على قول النجار ط١ مطبعة ناصر ١٩٨٢م .
[١٦] في التيارات الفكرية - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م .

رابعا : فنون متفرقات

[١] الإسلام وتعبئة الشعور العام - ط١ مطبعة محروس ١٩٩١م .
[٢] لماذا انتشر الإسلام ؟ ط٥ الأصدقاء ١٩٩٩م .
[٣] الدرة النيرة في الدفاع عن السنة المطهرة جـ١ مطبعة غريب أولى ١٩٩٢م
[٤] حلف الفضول عند العرب وأثره في العصر الحديث ط٢ صنعاء ١٩٩٧م .

[٥] درة المدد بتفسير سورة المسد ط٤ الأنوار ١٩٩٧م .
[٦] لماذا ننكمش أبناء الإسلام جـ١ - ط٣ القدس ١٩٩٥م .
[٧] الخطاب بين الأصوليين ودعاة الحداثة مفهومه وقراءاته - ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[٨] دور الأعلام المصرى ما بين ١٩٦٥م إلى ١٩٧٣م - أطروحة علمية ١٩٧٩م .

خامسا : الأدبيات

(أ) المسرح

[١] وهذا مذهبي : مسرحية جادة مرتجلة ط٨ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[٢] أطعموا الجائعين - مسرحية تراجيدية - ط٤ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٣] المدرس الكشكول - مسرحية كوميدية هادفة - مطبعة غريب ١٩٩٤م .
[٤] ثورة الضمير - مسرحية في اللامعقول - ط٤ مطبعة صبحى ١٩٩٣م .
[٥] يا بني .. أحفظ ثار الشهيد - مسرحية جادة مرتجلة ط٣ عفت ١٩٩١م
[٦] صرخة أم - مسرحية هادفة - ط٤ - الشرقية ١٩٩٠م .
[٧] أم وأبناؤها في معركة - مسرحية تراجيدية - ط٥ - الوطنية ١٩٨٧م .
[٨] مراحل الحقد احترقت - مسرحية ملهاة - ط٤ مطبعة ياسر ١٩٨٤م .
[٩] الحوار الداخلي والمنولوج النفسي - مسرحية رومانسية ط٤ - غريب ١٩٩٠

(ب) الشعر العربي

[١] التائه الغريب - ديوان في الشعر العمودي ط٧ الأصدقاء ١٩٩٨م .
[٢] ظلال من الفكر - ديوان في الشعر المرسل - ط٦ آل بسيوني ١٩٩٩م .
[٣] خواطر شاعر - ديوان في الشعر العمودي ط٣ غريب ١٩٩٣م .
[٤] نفثة مهموم ودعوة مظلوم - ديوان في الشعر المنثور ط٥ - توفيق ١٩٩١م
[٥] أحلام الشباب - ديوان في الشعر المرسل ط١ مطبعة نور ١٩٧٦م .
[٦] مسافر عبر الأشواك - الطبعة الخامسة ط الأصدقاء ١٩٩٩م .
[٧] من وحي الصبا - الطبعة الرابعة ١٩٩٨م .
[٨] أحلام الفجر - الطبعة الخامسة ١٩٩٧م .
[٩] مسافر على جناح الأشواك - الطبعة الثالثة ١٩٩٧م .
[١٠] مؤذن الفجر - الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .
[١١] عواطف نبيلة - الطبعة الثالثة ١٩٩٧م .
[١٢] فتوحات إلهية - الديوان الثاني عشر - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م .
[١٣] إلهامات ربانية - الديوان الثالث عشر - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م .

(جـ) الرواية

[١] الوداع الأخير : رواية اجتماعية- ط ٥ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٢] امرأة المعلم قرني- رواية اجتماعية ط٣ الشروق ١٩٩٧م .
[٣] الجاهل متسلطا - رواية نقدية ط٥ مطبعة مرسى ١٩٩١م .
[٤] سالمة- رواية اجتماعية ط٤ دار منصور ١٩٩٠م .
[٥] لا تدعني أني . . . رواية اجتماعية ط٣ مطبعة نصر ١٩٨٩م .
[٦] مياسة . . رواية اجتماعية ط٤ ط نور ١٩٨٧م .
[٧] وداعا أيها اليأس- رواية نقدية ط٢ مطبعة مهيب ١٩٨٥م .
[٨] سلطان الغريزة- رواية من الخيال العلمي- ط٢ - مطبعة الهدى ١٩٨٧م .
[٩] الوجدان المحترق- رواية نقدية- ط١ ١٩٨٢م .
[١٠] صراع العقل مع العاطفة- رواية من الخيال العلمي- ط١ مطبعة زهران ١٩٨٣م .
[١١] شئ من الحقيقة- رواية واقعية ط٣ دار ناصر ١٩٨١م .
[١٢] منصور البطل- رواية واقعية ط٣ مطبعة زاهر ١٩٨١م.
[١٣] الشاب الرزين- رواية خيالية أدبية ط٤ دار ناصر ١٩٨٢م .
[١٤] الفيلق الأزرق- رواية نقدية أخلاقية ط٥ دار خيرى ١٩٨٩ .
[١٥] سويعات فى مدارس البنات- رواية نقدية اجتماعية فى أنظمة التعليم ط٣ دار ناصر ١٩٧٩م
[١٦] أفراح وأتراح رواية رومانسية ط٦ هشام ١٩٩٠ .
[١٧] أقسمت أن أروي- رواية نقدية - ط٤ مطبعة محسن ١٩٨٧م .
[١٨] أشواق وأطواق- ط٣ مطبعة ١٩٧٨م.
[١٩] الأخلاق أرزاق ط٣- مطبعة يسرى ١٩٨٨م .
[٢٠] أعابير عزة- ط٤ مطبعة الحاج وحيد ١٩٩١م .
[٢١] أحلام السحر ط٤ مطبعة خالد ١٩٨٩م .
[٢٢] لمحات من حياتي- ط٤ مطبعة مهيب ١٩٧٨م .
[٢٣] ستشرق الشمس ذات صباح- رواية رومانسية- ط٥ اشرف ١٩٨٢م .

«د» فى النقد الأدبى

[١] الأدب الرومانسى بين الأصالة والحداثة- ط١ مطبعة منتصر ١٩٨٦م .

[٢] أثر الأغتراب على الأدباء المعاصرين- ط٣ مطبعة شروق ١٩٨٧م .

[٣] فن كتابة المسرح النثرى ط٤ صبحى ١٩٩٥م .

[٤] يوميات فى سنوات- ط٦ الكونتنال ١٩٩٨م .

[٥] أنات حائر : الطبعة الرابعة -الشروق ١٩٩٨م .

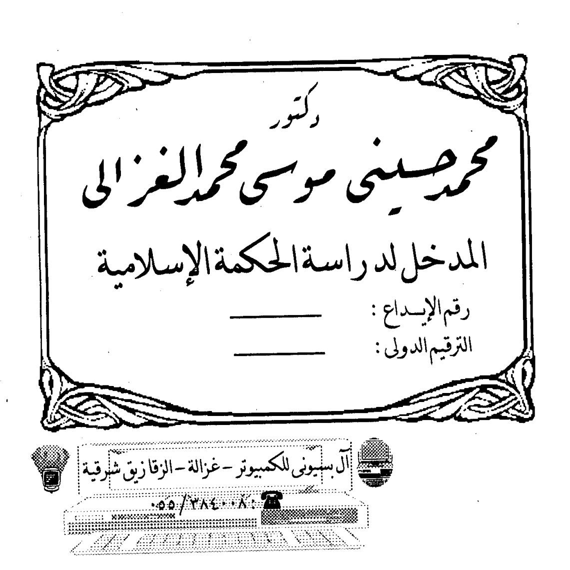
[٦] من روائع الحكم والأمثال- ط٣ ياسر ١٩٩٠م .

[٧] انغام زجلية- ديوان فى زجل العامية ط٤ دار توفيق ١٩٨٥

[٨] علاقة الرومانسية بالواقعية عند مالارميه- ط٣ مطبعة شوقى ١٩٨٨م .

[٩] دور الخيال فى الأدب الرمزى- ط٢ مطبعة محسن ١٩٨٩م .

مع تحيات
آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر
غزالة - الزقازيق - شرقيه
☎ : ٠٥٥/٣٨٤٠٠٨



دكتور

محمد حسيني موسى محمد الغزالي

المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية

رقم الإيداع : ______

الترقيم الدولي : ______